د. فراس البيطار

الموسوعة السياسية والعسكرية



الجزء الرابع

دار أسامة للنشر والتوزيع

الموسوعة
السياسية والعسكرية
الجزء الرابع

تأليف

د. فراس البيطار

دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

ت: ٥٦٥٨٢٥٣ - ٤٦٤٧٤٤٧

فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤ ص. ب: ١٤١٧٨١

الطبعة الأولى ٢٠١٣

الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨):

وهي الحرب التي اندلعت في عام ١٩١٤. وقد اشتركت فيها أولاً سبع دول أوروبية هي ألمانيا والإمبراطورية النمساوية - المجرية (دول الوسط) من جهة، وفرنسا وروسيا وبريطانيا وصربيا وبلجيكا (دول الوفاق) من جهة أخرى. ومع استمرار الحرب انضمت دول أخرى إلى هذا الطرف أو ذاك من الطرفين المتحاربين واستمرت الحرب العالمية الأولى مدة أربع سنوات وانتهت بانتصار دول الوفاق وهزيمة دول الوسط وحليفاتها التي استسلمت الواحدة تلو الأخرى. فقد استسلمت بلغاريا في ٢٩ أيلول ١٩١٨ والدولة العثمانية في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ والإمبراطورية النمساوية - المجرية في ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ وأخيراً ألمانيا في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨.

الأسباب غير المباشرة للحرب:

لم يكن نشوب الحرب العالمية الأولى في صيف عام ١٩١٤، أمراً مفاجئاً فقد كان معظم الساسة الأوروبيين وكذلك الرأي العام في الدول الأوروبية يتوقعون نشوبها بين لحظة وأخرى. ولم يكن هذا التوقع بلا مبرر فقد كان التوتر يسود العلاقات الدولية في أوروبا قبل سنوات من نشوب تلك الحرب. وأدى في النهاية إلى نشوبها. وقد كان هذا التوتر في العلاقات الدولية نتيجة لجملة عوامل متداخلة اتفق المؤرخون على اعتبارها الأسباب غير المباشرة لنشوب الحرب العالمية الأولى وهذه العوامل هي:

١- المحالفات الدولية:

منذ نهاية الحرب الألمانية - الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١) اتبع بسمارك مستشار الإمبراطورية الألمانية سياسة تهدف إلى عزل فرنسا في أوروبا خشية

من قيامها بعمل انتقامي ضد بلاده ومحاولتها استرداد الالزاس واللورين كما شجعها على النشاط الاستعماري خارج أوروبا للغرض ذاته وقد أدرك بسمارك أن فرنسا لن تتمكن لوحدها الانتقام من ألمانيا ولذا حاول جهد إمكانه تجريدها من دعم الدول الأوروبية الكبرى الأخرى، خصوصاً روسيا القيصرية والإمبراطورية النمساوية المجرية. وقد نجح بسمارك في إقامة ما سمي (حلف الأباطرة الثلاثة) في عام ١٨٧٢ حيث دعا إمبراطور النمسا (فرنسيس جوزيف) وقيصر روسيا إلى برلين. وهناك اتفقا مع إمبراطور ألمانيا (وليم الأول) بصورة شفهية على المحافظة على الوضع الراهن في أوربا. ومقاومة الأفكار والحركات الثورية التي تهدد أنظمة الحكم القائمة في إمبراطورياتهم. وفي السنة التالية زار ملك إيطاليا (برلين) وأعلن انضمامه إلى حلف الأباطرة الثلاثة.

وفي عام ١٨٧٩ عقدت معاهدة سرية بين ألمانيا والنمسا كانت موجهة أساساً ضد روسيا القيصرية، التي طرأ فتور على علاقاتها مع ألمانيا بعد مؤتمر برلين الذي عقد في عام ١٨٧٨ إثر الحرب الروسية – التركية (١٨٧٧ – ١٨٧٨). فقد اتهمت روسيا بسمارك بالانحياز إلى جانب بريطانيا والنمسا في ذلك المؤتمر وقد نصت معاهدة عام ١٨٧٩ على أن تهرع كل من ألمانيا والنمسا إلى نجدة الأخرى إذ تعرضت لهجوم روسي.

لكن روسيا القيصرية ما لبثت بسبب مشاكلها مع بريطانيا في آسيا الوسطى والمضائق التركية وبسبب عزلتها. أن اتجهت إلى ألمانيا والنمسا مرة أخرى وتم عقد محالفة ثلاثية في حزيران ١٨٨١ فيما بينهما عرفت باسم عصبة الأباطرة الثلاثة. وفي السنة التالية انضمت إيطاليا إلى الحلف الثنائي الألماني النمساوي لسنة ١٨٧٩. ومما دفع إيطاليا إلى مشاركة غريمتها السابقة النمسا في الحلف هو الاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٨١. فقد استاءت إيطاليا من فرنسا لأنها

(أي إيطاليا) كانت تخطط السيطرة على تونس إضافة إلى خوف ملك إيطاليا من النزعة الجمهورية في بلاده ورغبته في توثيق عرى الصداقة والتعاون مع الأنظمة الملكية في النمسا وألمانيا وروسيا وفي عام ١٨٨٣ عقدت معاهدة تحالف أخرى بين ألمانيا والنمسا من جهة ورومانيا من جهة أخرى نصت على تعاون هذه الدول فيما بينها عسكرياً في حالة تعرض إحداها لهجوم روسي. وفي عام ١٨٨٧ عقدت معاهدة (إعادة الضمان) بين ألمانيا وروسيا جاء فيها أنه إذا قامت الحرب بين إحداهما وبين دولة ثالثة فعلى الحليف أن يبقى محايداً إلا إذا هاجمت روسيا النمسا أو إذا هاجمت ألمانيا فرنسا. واستطاع بسمارك بهذه المعاهدات ضمان الحماية لألمانيا ضد فرنسا وروسيا وعزل فرنسا عزلاً تاماً.

وبعد سقوط بسمارك رفض إمبراطور ألمانيا وليم الثاني تجديد معاهدة إعادة الضمان مع روسيا حين انتهت في عام ١٨٩٠. ومع ازدياد قوة ألمانيا العسكرية والاقتصادية والمطامع النمساوية في البلقان واستمرار المشاكل الروسية- البريطانية في آسيا. حصل تقارب روسي فرنسي أخذ شكل وفاق في عام ١٨٩١ وتحالف عسكري في عام ١٨٩٤. وكان هذا التحالف العسكري موجهاً ضد ألمانيا والنمسا. ومن جهة أخرى أثارت مطامع ألمانيا الاستعمارية وزيادة قوتها البحرية مخاوف بريطانيا التي ردت على ذلك بالتقارب مع فرنسا وعقد اتفاق ودي معها في عام ١٩٠٤. وهنا بدأت فرنسا ببذل مساعيها لإحداث تقارب بين روسيا وبريطانيا. فقد كانت الخلافات قائمة منذ زمن غير قصير بين روسيا وبريطانيا لعوامل متعددة منها وقوف بريطانيا ضد الأطماع الروسية في المضايق التركية. وخوف بريطانيا من محاولات التوسع الروسي في أفغانستان وإيران وأثر ذلك في مستعمرة الهند البريطانية. واعتبارها النشاط الروسي في الشرق الأقصى تهديداً للمصالح الاقتصادية البريطانية هناك. وعلى أية حال فقد

نجحت المساعي الفرنسية في النهاية خاصة بعد هزيمة روسيا أمام اليابان في حرب ١٩٠٤ – ١٩٠٥ واطمئنان بريطانيا إلى زوال التهديد الروسي للهند. يضاف إلى ذلك تزايد نفوذ ألمانيا في الدولة العثمانية ومحاولة بناء سكة حديد برلين – بغداد الأمر الذي اعتبرته بريطانيا تهديداً خطراً لمصالحها في الدولة العثمانية والخليج العربي وقد أدت كل هذه الاعتبارات على عقد معاهدة بريطانية- روسية في آب ١٩٠٧ لتسوية الخلافات بين الدولتين. وهكذا أصبحت الدول الكبرى الأوروبية منقسمة إلى معسكرين في عام ١٩٠٧ وهما التحالف الثلاثي (ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية وإيطاليا) والوفاق الثلاثي (روسيا وفرنسا وبريطانيا). مع ملاحظة ان موقف إيطاليا لم يكن أكيدا داخل التحالف الثلاثي فقد أنهت خلافاتها مع فرنسا في عام ١٩٠٢ باتفاق يقضي بإطلاق يد فرنسا في المغرب مقابل إطلاق يد إيطاليا في ليبيا. كما اتفقت إيطاليا مع روسيا في عام ١٩٠٩ على المحافظة على الوضع الراهن في البلقان واتخاذ موقف إيطالي ودي من المصالح الروسية في المضائق التركية مقابل اعتراف روسيا القيصرية بالمصالح الإيطالية في ليبيا وعدم معارضتها.

إن هذه السلسلة من المحالفات والوفاقات المتضاربة ساعدت على توتر العلاقات الدولية وهيأت الأجواء للحرب. وقد اعتقدت كل دولة بأنها ستحصل على عون من حليفاتها إذ ما تورطت في حرب وكانت نتيجة ذلك تشدد كل دولة في موقفها عند حصول خلافات أو مصادمات دبلوماسية مع دولة أخرى من المعسكر المقابل. ومع زيادة التوتر الدولي بات أعضاء كل معسكر من المعسكرين رافضين تقديم أي تنازل للطرف الآخر خشية أن يفسر هذا التنازل على أنه دليل ضعف فينقص ذلك من هيبة جماعته.

٢- سباق التسلح:

إذا كان سباق التسلح سبباً للتوتر في العلاقات الدولية فإنه في الوقت ذاته مظهر من مظاهر هذا التوتر أيضاً. ولقد شهدت أوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر سباق تسلح خطير بين دولها الكبرى وتشير الإحصاءات المتوفرة إلى زيادة كبيرة في النفقات العسكرية في هذه الدول خلال السنوات ١٨٧٥ - ١٩١٤. فقد زادت هذه النفقات بمقدار ثلاثة أضعاف في ألمانيا وبريطانيا وضعفين في فرنسا أما في روسيا القيصرية فكانت النفقات العسكرية تمثل ثلث الميزانية العامة كما عانت إيطاليا من زيادة النفقات العسكرية بشكل كبير.

إن المبدأ القائل (إذا أردت السلم فاستعد للحرب) فرض نفسه كمبدأ سارٍ على ساسة أوروبا قبيل الحرب العالمية الأولى. وأدى إلى استمرارهم في سباق التسلح بشكل محموم. وكان هذا السباق أوضح ما يكون بين ألمانيا وبريطانيا في مجال القوة البحرية وبين ألمانيا وبريطانيا منذ نهاية القرن التاسع عشر، فقد اتخذت الحكومة الألمانية قراراً في عام ١٨٩٧ بإنشاء أسطول حربي مؤهل للقيام بعمليات في بحر الشمال أي بين الشواطئ الألمانية والبريطانية وقد كان مؤسس الأسطول الحربي الألماني الأدميرال فون تربيتز يرى أن تقدم ألمانيا الاقتصادي لابد أن يؤدي إلى منافسة مع بريطانيا في مجال التجارة والاستعمار. وكان يرى أن خير وسيلة لإجبار البريطانيين على الاعتراف برغبات ومصالح ألمانيا في هذين المجالين هو إنشاء أسطول حربي ألماني مؤهل لمجابهة الأسطول الإنكليزي. وقد تحقق برنامج تربيتز للتسلح البحري الألماني بالقوانين التي أصدرتها الحكومة الألمانية في السنوات ١٩٠٠و ١٩٠٧ و١٩١٢. ولا شك أن بريطانيا، التي كانت تعتبر نفسها سيدة البحار لامتلاكها أقوى أسطول حربي

آنذاك، نظرت بقلق إلى بناء القوة البحرية الألمانية. وكان عليها مجـاراة ألمانيـا في ذلك لكي تؤمن تفوق القوة البحرية البريطانية.

أما سباق التسلح البري بين ألمانيا وفرنسا فقد كان قائماً منذ نهاية الحرب بينهما في ١٨٧٠ – ١٨٧١. وقد بلغ هذا السباق ذروته في صيف ١٩١٣ عندمـا صدرت قوانين عسكرية جديدة في كل من ألمانيا وفرنسا.

فقد شرعت ألمانيا قانوناً جديداً للخدمة العسكرية في ٢ تمـوز ١٩١٣ زاد بموجبه عدد الجنود في زمن السلم من ٦٢٣ ألف إلـى ٨٨٠ ألـف. وفـي آب ١٩١٣ شرعت فرنسا قانوناً مددت بموجبة الخدمة العسكرية الإلزامية إلى ثـلاث سنوات.

ولابد من الإشارة إلى أن بعض المحاولات بذلت لتحديد التسـلح باتفـاق دولي ولكن دون نتيجة فقد دعت روسيا القيصرية الدول الأوروبيـة إلـى عقـد مؤتمر للسلام في لاهاي لهذا الغرض. وقد عقد المؤتمر في عـام ١٨٩٩ دون أن يتوصل إلى أي نتيجة مهمة. فقد رفضت ألمانيا تحديد قوتها البرية كما رفضـت بريطانيا أي مساس بتفوقها في البحار. ولم يكن حظ مؤتمر لاهاي الثـاني فـي عام ١٩٠٧ بأفضل من المؤتمر الأول فيما يتعلق بالحد من التسلح.

لقد خلق سباق التسلح حالة هيجان خطيرة لدى الرأي العام فـي الـدول الأوروبية وأصبح هذا الرأي العام مهيأ لفكرة نشوب حرب كبرى فـي أوروبـا. ذلك أنه كان على الحكومات الأوروبية أن تبرر لشـعوبها النفقـات العسـكرية الباهظة عن طريق التنويه باحتمال وقوع الحرب. وقد لجأت هذه الحكومات إلـى الصحافة وحفزتها على القيام بحملات صحفية في ذلك الاتجـاه. وكـان لكبـار

الصناعيين من أصحاب معامل الأسلحة دور واضح في مثـــل تلــك الحمــلات الصحفية أيضاً.

٣- التنافس الاستعماري:

يشغل التنافس بين الدول الأوروبية في ميدان الاستعمار حيزاً مهماً مـــن التاريخ الأوروبي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقـــد أدت الثـورة الصناعية إلى سعي محموم من قبل الدول الأوروبية للحصول على المســتعمرات بغية تأمين الأسواق الخارجية لمنتوجاتها الصناعية من جهة. وللحصـــول علـــى المواد الأولية للصناعة والمواد الغذائية من هذه المستعمرات.

وكانت بريطانيا وفرنسا قد سبقت غيرها من الدول الأوروبية في ميـــدان الاستعمار وتمكنت من الاستيلاء على مناطق واسعة في آسيا وإفريقيا وأمريكــــا اللاتينية، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر دخلت قوى أوروبية جديدة إلى ميـــدان التوسع الاستعماري وبدأت تطلب عقبها في امتلاك المستعمرات خارج أوروبــــا. وهذه القوى هي ألمانيا وإيطاليا، إلا أن دخول هذه القوى إلى الميدان الاستعماري جاء في وقت متأخر ولم تعد فيه مناطق كثيرة يمكن التفكير في السيطرة عليـــها. ولا سيما وان اليابان انفردت تقريباً بالشرق الأقصى. وترتب على ذلـــك احتـــدام المنافسة الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين.

لقد حقق الاقتصاد الألماني تقدماً كبيراً بعد عام ١٨٧٠. إلا أن المستشـــار بسمارك كان غير متحمس لدخول ألمانيا ميدان التوسع الاستعماري طالما أن ذلك يورطها في نزاعات مع الدول الأوروبية الأخرى. ويؤدي بالتالي إلى إضعافـــها إلا أن ألمانيا تخلت عن هذه السياسة بعد أن ترك بســمارك منصبــه فـــي عـــام ١٨٩٠. ذلك أن إمبراطور ألمانيا وليم الثاني (١٨٨٨ – ١٩١٨) كان من دعـــاة

اتباع سياسة عالمية وخلاصة هذه السياسة هي أن ألمانيا. نظراً لقوتها وحاجاتها الاقتصادية. يجب ألا تبقى لا مبالية بما يجري في العالم. بل يجب ان تكون لها حصة من النفوذ الذي تمارسه أوروبا في القارات الأخرى. وقد وجدت بريطانيا وفرنسا في هذه السياسة تهديداً لمصالحها الاستعمارية.أما إيطاليا فلم يكن دخولها ميدان الاستعمار بلا مشاكل. فقد كانت ترنو ببصرها إلى تونس لاحتلالها إلا أن فرنسا سبقتها إلى ذلك في عام ١٨٨١ الأمر الذي أدى إلى استياء إيطاليا وتحالفها مع ألمانيا والنمسا. واستمر هذا الاستياء حتى عام ١٩٠٢ عندما وقعت اتفاقية فرنسية – إيطالية اعترفت فيها فرنسا بأطماع إيطاليا في ليبيا مقابل اعتراف الأخيرة بأطماع فرنسا في المغرب.

ولم يكن الدافع الاقتصادي، رغم أهميته القصوى العامل الوحيد وراء تكالب الدول الأوروبية الكبرى على المستعمرات ومناطق النفوذ بل إن هذا التكالب أصبح من متطلبات (الهيبة) بالنسبة لهذه الدول التي كانت كل منها تتفاخر بما لديها من مستعمرات ومناطق نفوذ. وظهرت في كل دولة من هذه الدول جماعات وشخصيات مجدت التوسع الاستعماري والحصول على مناطق نفوذ في الخارج وقد خلق كل هذا جواً من الشكوك والمخاوف التي سادت دول أوروبا وجعلتها مستعدة للحرب عند أول بادرة لها.

مشاكل القوميات:

كانت في أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى دول تطمع إلى تحقيق وحدة أراضيها ومجموعات قومية تسعى إلى إقامة دول مستقلة خاصة بها ودول أخرى كانت تقف بشدة في وجه هذه الطموحات والمساعي بسبب تضاربها مع

مصالحها الخاصة. وقد خلق هذا الوضع توترا خطيراً أنذر بنشوب حرب أوروبية في أكثر من مناسبة.

كانت فرنسا تتطلع إلى استرداد الالزاس واللورين اللتين خضعتا لألمانيا منذ عام ١٨٧١. وأصبحت هذه القضية عقبة كأداء في وجه أي محاولة لإحداث تقارب فرنسي – ألماني. كما أن ألمانيا نفسها عجزت عن امتصاص سكان هاتين المقاطعتين وتمثيلهم رغم التنازلات الواسعة التي قدمتها لهم. وظل سكان الالزاس واللورين يتطلعون إلى اليوم الذي يعود فيه مجدداً إلى الوطن ألام فرنسا.

وكانت إيطاليا تتطلع إلى استرداد تريسنا وترنتينو التي بقيت خارج الدولة الإيطالية الموحدة وتحت السيادة النمساوية. وكان البولنديون في شرق ألمانيا وروسيا يتطلعون إلى الاستقلال وتشكيل دولة بولندية، وكانت الأقلية الدانمركية في دوقية شلزويك تتطلع إلى الانضمام مجدداً إلى الدانمرك، وكان الرومانيون في بسارابيا الخاضعة لروسيا وفي ترنسلفانيا الخاضعة إلى المجر (هنغارياً) يتطلعون إلى الانضمام إلى رومانيا. وكانت مملكة صربيا ترنو ببصرها إلى قيام دولة يوغسلافية بزعامتها في البلقان.

وكانت الإمبراطوريات الثلاث الروسية والألمانية والنمساوية – المجرية تتحسس الخطر الحقيقي الذي يتهددها من جراء الحركات التي تقوم بها هذه القوميات الواقعة بين بحر البلطيق شمالاً والبحر المتوسط جنوباً. فألمانيا لم تفكر يوماً في إعادة الالزاس واللورين إلى فرنسا بل كانت ترسم خططها العسكرية على أساس توجيه ضربة قوية أخرى إلى فرنسا إذا ما حاولت استردادهما. وكانت روسيا القيصرية ترى في تحرر الفنلنديين وألمان البلطيق والبولنديين والرومانيين من سكان بسارابيا تهديداً بفقدان أسواقها الغربية التي أمنت التصرف

بها على هواها منذ عهد بطرس الكبير. كما رأت في ذلك تحولاً للإمبراطورية الروسية من قوة ذات طابع أوروبي إلى قوة ذات طابع آسيوي صرف. أما الإمبراطورية النمساوية فقد وجدت في الحركة السلافية خطراً يهددها. ولذا حاولت أضعاف هذه الحركة بتشديد قبضتها على الأقليات القومية داخل الإمبراطورية وبضم البوسنة والهرسك إليها فأثارت بذلك استياء الأقليات القومية كما أثارت مملكة صربيا في البلقان. ومن هنا كانت الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب العالمية الأولى.

السبب المباشر:

في ٢٨ حزيران ١٩١٤ اغتيل ولي عهد الإمبراطورية النمساوية – المجرية الأرشيدوت فرديناند عندما كان يقوم بزيارة لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة. وكان هذا الحادث واحداً من حوادث الاغتيالات السياسية المألوفة إلا أنه سرعان ما انتهى إلى حرب عالمية كبرى نتيجة العوامل السابقة الذكر التي اعتبرناها سبباً غير مباشر للحرب العالمية الأولى.

كان قتلة ولي العهد النمساوي – المجري شباباً متطرفين من البوسنة وقد أتوا من بلغراد عاصمة صربيا ووصلتهم الأسلحة منها أيضاً. لذا وجهت الحكومة النمساوية – المجرية إنذاراً إلى الحكومة الصربية في ٢٣ تموز ١٩١٤ طلبت فيه حل الجمعيات السرية التي تنشر الدعاية المضادة للإمبراطورية النمساوية – المجرية والبحث عن المشتركين في الجريمة وتوقيفهم. وأعلنت في إنذارها أنها سترسل ضابط شرطة إلى صربيا للتحقيق مع القتلة وقد قبلت الحكومة الصربية الإنذار النمساوي – المجري باستثناء الطلب الأخير الوارد فيه، وأدى ذلك إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الحكومتين في ٢٥ تموز

١٩١٤. وبعد ثلاثة أيام فقط، أي في ٢٨ تموز، أعلنت الإمبراطورية النمساوية – المجرية الحرب على مملكة صربيا. وأدى ذلك بدوره إلى تدخل روسيا القيصرية.

وكانت الحكومة الروسية قد أبلغت الحكومة النمساوية – المجرية في ٢٥ تموز أنها ستقاوم أية محاولة لسحق مملكة صربيا المؤيدة لها في منطقة البلقان.

وبعد إعلان الحرب على صربيا كان رد فعل روسيا القيصرية إعلان النفير الجزئي. وأدى هذا بدوره أيضاً إلى تدخل ألمانيا حليفة الإمبراطورية النمساوية – المجرية. فقد طلبت من الحكومة الروسية إلغاء النفير الجزئي على الفور. فكان جواب روسيا إعلان النفير العام في ٣٠ تموز ١٩١٤. وفي ٣١ تموز ١٩١٤ وجهت ألمانيا إنذاراً إلى روسيا بضرورة العدول عن كل تدبير يتعلق بالنفير العام الذي بات من الواضح أنه موجه ضد ألمانيا أيضا. وعند ذلك توجهت روسيا القيصرية إلى حليفتها فرنسا لمعرفة موقفها وفي ١ آب أعلنت ألمانيا النفير العام وفعلت فرنسا مثلها وفي مساء اليوم نفسه أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا ثم على فرنسا في ٣ آب ١٩١٤. وفي ٤ آب ١٩١٤ قررت بريطانيا دخول الحرب إلى جانب فرنسا وروسيا أما إيطاليا التي كانت عضواً في الحلف الثلاثي فقد آثرت أن تبقى محايدة. وبذلك دخلت أوروبا أتون حرب مدمرة استغرقت أربع سنوات.

الجبهة الغربية:

في عام ١٩٠٥ كان المارشال (شليفن) رئيساً لأركان حرب الجيش الألماني. ووضع هذا القائد خطته الشهيرة في مهاجمة فرنسا بهدف سحق الجيش الفرنسي بحركة التفاف واسعة النطاق خلال بلجيكا ودفية (لكسمبورغ). على أن

تبقى فرق قليلة من الجيش الألماني على حدود روسيا لان هذه الأخـــيرة كـــانت باعتقاد (شليفن) بحاجة إلى أكثر من شهرين لتنتهي من حشد جيوشها وإرســـالها إلى الجبهة بسبب رداءة المواصلات في روسيا حتى إذا انتهى الجيش الألمـــاني من فرنسا دفع بكل قواته إلى روسيا. وإذا قدر للجنرال (مولكته الأصغر) رئيـــس أركان حرب الجيش الألماني العام ١٩١٤ أن يقود الجيش الألماني في معاركـــه الأولى، فهو لم يطبق خطة (شليفن) تطبيقاً كاملاً فأنقص عدد القوى الموجهة نحو فرنسا بمقدار عشرين بالمئة، معززاً قواته المرابطة في بروسيا. ثـــم أن ألمانيـــا لدى اقتحامها دوقية لوكسمبورغ في ٢ آب ١٩١٤ أرسلت إنـــذاراً إلـــى بلجيكـــا بالسماح لجنودها بالمرور من أراضيها إلى فرنسا ولكن بلجيكا رفضت وقاومت.

ابتدأت مهاجمة القوات الألمانية لبلجيكا في الخـــامس مـــن آب وانتشـــر الهجوم على محاور خمسة، يتألف كل منها من جيش يقود الأول الجنرال (فـــون كلوك) وقد كلف بالتقدم باتجاه (بروكسل) ويقود الثاني (فون باولو) وقد اتجه نحو (نامور) والثالث يقوده الجنرال (فون هوسن) باتجاه (دينان) والرابع بقيادة الـــدوق (ورتبرغ) يتقدم باتجاه (لكسمبورغ – توفشاتو) أما الخامس فكـــان بقيـــادة ولـــي العهد، وكان عليه أن يتجمع بين (مينر) و(تيونفيل) ثم يتقدم نحـــو (لونغـــواي – مونميدي) وكان على الجيش الثاني اقتحام مدينة (لييج) علـــى محـــور تقدمـــه، وإسقاط حصونها المنيعة، فأرسل فيلقاً بقيادة (فون اميش) وجوبهت قواته بدفـــاع ضار، فأرسل (فون بولو) رئيس أركان حربه الجنرال (لوندروف) ليكـــون مـــع (فون أميش) وفي ليلة ٦ – ٧ آب نصب (لوندروف) نفسه قائداً لإحـــدى الفـــرق مكان قائدها الذي قتل في المعركة. وتمكن من المرور بين صفين من المدافعيـــن والاستيلاء على مدينة (لييج) نفسها. وكان الحدث كافيا لوضـــع اســـم الجـــنرال

(لوندروف) في الواجهة حتى اصبح فيما بعد رئيساً لأركان حرب الجيش الألماني.

عندما رأى ملك البلجيك، الذي كان يقود الجيش البلجيكي بنفسه قوة اندفاع الجيش الألماني، ورأى عجزه قرر التراجع نحو حصون (انفرس) في ٢٠ آب ١٩١٤. وبين التاسع من آب والثاني والعشرين منه، ظلت السفن البريطانية تنقل القوى من إنكلترا إلى مرفأ (بولون) في فرنسا تحت ستار كثيف من السرية. وبلغ حجم القوات البريطانية التي أنزلت حوالي سبعين ألفاً، بقيادة الجنرال (فرنش). وفي اليوم الرابع والعشرين من آب دخلت هذه القوات المعركة في جبهة (مونس) بينما كان الألمان قد دخلوا العاصمة (بروكسل) (١٩ –٢٠ آب) بقيادة الجنرال (فون كلوك) وتتابعت الجيوش الألمانية في التقدم غرباً، وغرب جنوب، داحرة أمامها الجيش الفرنسي الخامس بقيادة الجنرال (لانرزاك) والجيش الإنكليزي حتى وصلت إلى نهر (المارن) ومنذ الأيام الأولى للمعارك وجهت القيادة الفرنسية جيشين نحو الالزاس واللورين بعد أن خيل لها أن الحامية الألمانية هناك غير منيعة، إلا أن تخيلها كان خاطئاً لذا صد الجيشان بسهولة.

وفي مطلع أيلول اقترب (فون كلوك) من باريس وتجاوزها دون مهاجمة نطاقاتها الدفاعية القوية، وكانت الحكومة الفرنسة قد أضلتها إلى بوردو في اليوم السابق. إلا أنه ترك قرب العاصمة فرقة لحماية مخبئه فيما تابع التقدم غرباً.

وفي اليوم الخامس من أيلول هاجم الجيش الفرنسي السادس بقيادة الجنرال (مونوري) تلك القوة فدفعها أمامه وأنزل بها خسائر فادحة. وعندما علم الجنرال (فون كلوك) بهذا الأمر اضطر إلى ترك مركزه على نهر المارن والتوجه لنجدة الفرقة الألمانية المتقهقرة، فانكشف الجناح الأيمن للجنرال (فون باولو) وكان الجنرال الفرنسي (جوفر) يتحين الفرصة للانقضاض على الجيوش

الألمانية ولما سنحت له بوجود تلك الثغرة بين الجيشين الألمانيين الأول والثـاني. أصدر أوامره في السادس من أيلول بالهجوم العام فتحـــرك الجيـش الفرنسـي الخامس بقيادة الجنرال (فرانشه دي سبري) الذي عين مكان الجنرال (لانـوزاك) والجيش الفرنسي التاسع بقيادة الجنرال (فرنش)، وكان معهم ما لا يقل عن ألـــف مدفع ودار القتال بين مليونين من الجنود بحيث اعتبرت معركة (المارن) هذه من أكبر المعارك في التاريخ.

اضطر الألمان إلى الانسحاب، وقد تقهقروا على محاذاة نـــهر (الايســن) أما الجنرال (مولتكه) رئيس أركان حرب القوات الألمانية فقد دفـــع ثمــن فشـل المعركة بأن عزله الإمبراطور من منصبه وعهد برئاسة الأركان العامـــة إلـــى وزير الحربية (فالكنهاين).

وإذا كان الألمان قد اعتبروا معركة المارن فشلاً لهم، فإن الفرنسيين لـــم يستطيعوا التهليل لانتصاراتهم. ذلك انهم استطاعوا وقف الزحف الألماني عـــبر المارن ولكنهم لم يقدروا على تنظيف الأراضي الفرنســية التــي ظــل الألمـــان يقاتلون فيها طوال أعوام الحرب الأربعة كراً وفراً، حتى أن معركة المارن لـــم تكن بالفعل معركة واحدة بل عدة معارك أطلق على مجموعها اسم المكان الــذي جرت فيه وهو ضفاف نهر المارن وأشهر معركة كانت معركة (فـــردان) التـــي حصلت في عام ١٩١٦ وبطلها الجنرال (بيتان) الـــذي لقــب ببطــل (فــردان) ومعركة (شومان دي دام) في العام نفسه وكـــانت حصيلـــة المعـــارك تلـــك أي مجمـــل معارك المارن حوالي المليون من القتلى.

المعارك النمساوية الصربية:

أعلنت النمسا الحرب على صربيا في ٢٨ تموز ١٩١٤، وتقدمت ثلاثة جيوش نمساوية إلى حدود صربيا وعهد بالقيادة إلى حاكم البوسنة والهرسك الجنرال (بوتنيك). وفي ٢ آب بدأ الجيش النمساوي الخامس بالتقدم فاجتاز (درنيا) بين (رفورنيك) و(ليزبوفيا) بعد مقاومة عنيفة من الصربيين بينما كانت الفرقة الرابعة من الجيش الثاني تدخل (شابات) بدون مقاومة وكانت القوة النمساوية ضد الصرب غير كافية وأدى ذلك إلى فشل الهجوم النمساوي الذي انتهى بمعركة (جادار) ثم باسترداد (شابات) على يد الصربيين بعد اثني عشر يوماً من انطلاقه.

وفي الثالث من شهر تشرين الأول أطلق النمساويون ٣٠٠٠ ألف جندي استطاعوا بهم احتلال قسم كبير من الصرب ودخلوا (بلغراد) في ٢٨ تشرين الثاني وتابعوا تقدمهم في الأراضي الصربية ما يقارب سبعين ميلا. إلا ان الصربيين تلقوا معونات كبيرة ونجدات من الحلفاء مكنتهم من القيام بهجوم عام في الثاني من كانون الأول. تراجع الجيش النمساوي على أثره نحو نهر (درنيا) واستعاد الصربيون بلغراد (الخامس عشر منه) وطردوا النمساويين من أراضيهم منزلين فيهم خسائر قدرت بما لا يقل عن (١٠٠) ألف جندي. أما على الجبهة الروسية- النمساوية. فقد بدأت المعارك في (غاليسيا) في ١٥ آب واشتركت فيها ثلاثة جيوش نمساوية مقابل أربعة جيوش روسية، وكان الهجوم الروسي شديداً حتى أنه تمكن من دحر النمساويين مسافة (١٥٠) ميلا من نهر (ويساوكا) بينما كانت القوات النمساوية تهاجم في بولونيا الروسية. وتصل حتى بلدة (كراسنيك) وتدحر جيشين روسيين على التوالي. ولكن انتصارات الروس في

(غاليسيا) لم تمكن النمساويين من متابعة جبهتهم في بولونيا فاضطروا إلى التراجع آخذين مراكزهم الدفاعية حول حصون (برزميسل) المنيعة.

الجبهة الشرقية:

بدأ القتال بين القوات الألمانية والقوات الروسية في بروسيا الشرقية في أوائل شهر آب ١٩١٤ عندما هاجمها الروس بجيشين الأول بقيادة الجنرال (زنكامف) والثاني بقيادة الجنرال (سافر ونوف) ويعدان حوالي (٥٠٠) ألف جندي. أما عدد القوى الألمانية في بروسيا فكان الجيش الثامن بقيادة الجنرال (برتيوتز) ودار القتال في الأيام الأولى لشهر آب وأحرز الروس انتصارات على الجيش الألماني الذي اضطر إلى التراجع تحت ضغط الجيش الروسي الأول فيما كان الجيش الروسي الثاني يوالي زحفه فتسقط في يده المدينة تلو الأخرى. أمام هذه الهزائم الألمانية عزل (مولتكه) قائده في بروسيا واستقدم الجنرال المتقاعد (هندنبرغ) الذي كان قد ذاع صيته في حرب ١٨٧٠، وأسند إليه قيادة القوى في بروسيا وعين له رئيسا لأركان حربه الجنرال (لودندورف) الذي طارت شهرته في معارك بلجيكا. وفي ٢٣ آب وصل (هندنبرغ) و(لودندورف) إلى مركز قيادتهما الجديد في بروسيا الشرقية وكان الألمان قد جلوا عن شمال بروسيا الشرقية وارتدوا إلى (كونغسبرغ) حيث تحميهم حصونهم الأمامية بينما احتلت الروس أكثر بروسيا الشرقية، إلا أن الجيشين الروسيين المهاجمين ابتعدا الواحد عن بعضهما دون أن يؤمنا الارتباط والتنسيق.

بدأت القيادة الألمانية الجديدة تستعد للهجوم، فجمعت مالا يقل عن (١٥٠) ألف جندي، واستقدمت جميع المدافع التي كانت في الحصون، وذلك بسرعة مدهشة مكنتها من إطلاق هجومها على الجيش الروسي الثاني في السابع

العشرين من آب فطوقته ودمرت أكثر من أربعة أخماسه في معركة (تـــانينبرغ) حيث ألقت ثلاث فرق السلاح من أصل خمسة. وتمزق باقي الجيش فـــي ٣١ آب وانتحر قائده برصاص مسدسه. وبقي الجيش الروسي الأول في تقدمه المنتصـــر، ويظهر بأنه لم يكن على علم حتى ذلك الوقت بما حل بـــالجيش الثـــاني. فـــابتعد كثيراً عن مركز تموينه حتى أشرف على منطقة البحيرات المازورية التي تعتـــبر حاجزاً طبيعياً هاماً.

كانت الخطة الألمانية تقتضي بمهاجمة الجنرال (رنتكامف) ودفعه نحـــو البحيرات المازورية تمهيداً للانقضاض عليه وسحقه، وقد حصل ذلك بالفعل ومـــا أن أطل يوم التاسع من أيلول حتى أطلق (هندنبرغ) هجومه دافعاً الجيش الروسي أمامه ومضيقاً عليه الخناق حتى أنزل فيه خسائر فادحة اضطرته إلـــى إصـــدار أوامره بالتراجع تاركاً بعض القوى في مشاغلة الألمان، ومنعـــهم مـــن اللحـــاق بجيشه المتقهقر وسميت المعركة (معركة البحيرات المازورية) والتصقت معركتـــا (البحيرات المازوريـــة) و(تـــانينبرغ) باسـم القـــائدين الألمـــانيين (هندنـــبرغ) و(لوندروف) واعتبرتا من أهم المعارك في الحرب العالمية الأولـــى. إذ خســـر فيهما الروس نصف معداتهم الحربية تقريباً.

تابع الألمان تقدمهم شرقاً حتى تم لهم طرد الروس من بروسيا الشـــرقية وبالنظر إلى تدهور وضع النمسا في بولونيا، أنشأ الألمان الجيش التاسع وأســـندوا قيادته العامة إلى الجنرال (هندنبرغ) بالإضافة إلى قيادة الجيش الثـــامن. وبـــدأ الهجوم الألماني على بولونيا في ٢٨ أيلول سريعاً وقوياً وفي أوائل تشـــرين الأول وصل الألمان إلى نهر الفيستولا.

كان الروس خلال هذه الفترة، يحشدون قوات كبيرة، إذا انـــهم حشـــدوا أربعة جيوش قادها عم القيصر(الغراندوق) (نيقولا) الذي كـــان يشـــغل منصـــب

القائد العام للقوات المسلحة الروسية، وانطلقت دافعة أمامها الجيش التاسع الألماني الذي اضطر إلى التراجع متكبدا نحو أربعين ألف قتيل وجريح وأسير، ولم يكن أمام (هندنبرغ) أي سبيل إلا تغيير خطته فاستطاع قطع التماس مع الروس ونقل الجيش التاسع بالسكك الحديدية على غفلة منهم، إلى مواقع أخرى وأطلقه في العاشر من تشرين الثاني على ميمنة الجيوش الروسية. وفي ١٨ منه أتم تطويق (لودز) والقوة الروسية التي حولها، والتي لا تقل عن مئة وخمسين ألف جندي. إلا أن الروس استداروا فيما بعد على هذا الجيش الألماني واضطروه إلى الانسحاب دون أن يستطيعوا دحره.

المعارك البحرية:

عندما نشبت الحرب، كان للألمان خارج بلادهم المراكب الحربية الآتية- (شارنهورست، غنيسناو، امدن، نورمبرغ) بالإضافة إلى (اليبنريغ) في الصين، و(كونغسبرغ) في شمال إفريقيا والمحيط الهندي. ومراكب حربية أخرى صغيرة. وكان لألمانيا بواخر تجارية جهزتها بالمدافع عند إعلان الحرب وأمرتها بالبحث عن السفن الإنكليزية والفرنسية واقتناصها. ولما كانت الاميرالية البريطانية قد جمعت معظم أساطيلها الألمانية فسيطرت على البحار مدة من الزمن حتى أعلنت اليابان الحرب في أواخر شهر آب ١٩١٤، وخففت عبئاً ثقيلاً عن بريطانيا مكنها من نقل بعض سفنها إلى المحيط الهندي. والتفرغ ببعضها الآخر لملاحقة الأسطول الألماني.

حصلت بعض المواجهات البحرية أهمها، ما حصل في الثاني من تشرين الثاني وأدى إلى إغراق الطرادين الإنكليزيين (موغوث) و(غودهب) وما حصل ٦ كانون الأول ١٩١٤ في جزر (فالكلاند) وأدى إلى إغراق الدراعتين

الألمانيتين (شارنهورست) و(غنيسناو).أما المجابهة الكبرى فهي التـي حصلـت بين الأسطوليين الألماني والبريطاني فـي ٣١ آذار ١٩١٦ وكـان الأسـطول الألماني بقيادة الأميرال (شير) والأسطول البريطاني بقيادة الأمـيرال (جليكـو) ودارت معركة عنيفة كان يمكن للبريطانيين فيها أن يقضـوا علـى الأسـطول الألماني لولا أن استطاع الإفلات ولـم يقـم البريطـانيون بملاحقتـه. وكـانت حصيلـة المعارك التي انتهت في اليوم نفسه. خسارة ثلاث مدمرات بريطانيـة، وثلاثة طرادات، وخسر الألمان خمس مدمرات وثمان طرادات.

الجمود في الجبهة الغربية:

اخذ الألمان بعد انكسارهم في معركة (المارن) يفكرون جدياً بمهاجمـة الشمال خصوصاً بعد أن احتلوا (انغرس) ودكوا حصونـها، مكرهيـن الجيـش البلجيكي على إخلائها، ودافعين أمامهم الجيش الإنكليزي الذي خف للمسـاعدة. وقد تم الاتفاق بين (وليم الثاني) والجنرال (فالكنهاين) القائد العام للقوات الألمانيـة على أن يقوم الألمان بهجوم جديد يكون هدفه احتلال (كاليـه) والقضـاء علـى المواصلات الإنكليزية في بحر المانش بين جزيرتهم والقارة الأوروبيـة. وكـان الجنرال (فرنش) القائد العام للقوات الإنكليزية، كثير الاهتمام بالمرافئ الفرنسـية (دنكرك) و(كاليه) و(بولوني) وكان يعتقد أنه إذا تمكن الألمان من احتـلال هـذه المرافئ فان إنكلترا تتعرض للخطر. ولذلك قرر الانسحاب بجيوشه من (الايسـن) إلى (الغلاندر) رغم اعتراضات (جوفر) بينما كان الجيش البلجيكي، الذي تمكـن من مغادرة (انغرس) وبعد ثمانين ألف جندي. قد أخذ مكانه على نهر (الايسـن) والتحق به الملك (ألبرت) رافضاً أن يتبع حكومته إلى (الهافر) ومصممـاً علـى الدفاع عن الأرض البلجيكية أو ما تبقى منها.

بدأ الألمان هجومهم في ١٩ تشرين الأول ١٩١٤ وأجبروا القوة البلجيكية التي أمامهم على التراجع وفي اليوم التالي استطاعوا تدمير تلك القوة ومواجهة الجيش البريطاني. فدارت معارك بقيت عدة أيام قاتل فيها الجنود من الطرفين، دون راحة أو توقف وانتهى القتال بان تمكن الألمان من الاستيلاء على (ديكسمود) ثم وقف الخصمان الواحد مقابل الآخر، ومن حدود سويسرا إلى البحر. ابتدأت حرب الخنادق ثم تجمدت الجبهة الغربية على ذلك الشكل من القتال طيلة سني الحرب، ويبدو أن إحراز أي انتصار حاسم من قبل أي من الفريقين كان بعيد الاحتمال حتى أن بريطانيا قد تزعمت السياسة الحليفة كلها اعتباراً من عام ١٩١٥ فلقد أثرت بشكل غير مباشر في تجميد الجبهة الغربية. يضاف إلى ذلك أن اتساع الجبهة وطولها الهائل وتحولها إلى حروب خنادق وتحصينات قد جعل إمكانات المناورة محددة جداً، بحيث اقتصرت على القتال الجبهي أو كادت مما أفقد القادة العسكريين جزءاً كبيراً من حرية العمل.

دخول الدولة العثمانية الحرب:

كانت الدولة العثمانية منذ عدة سنوات تتجاوب مع السياسة الألمانية ويرجع ذلك إلى أن ألمانيا ساعدتها في قروضها الخارجية. كما قامت بإنشاء الخطوط الحديدية وبتدريب الجيش التركي على يد بعثة عسكرية ألمانية. وكان رجال (حزب الاتحاد والترقي) الذين يسيطرون على سياسة الدولة العثمانية يميلون إلى ألمانيا بطبيعتهم وهم طلعت وأنور وجمال (وزراء الداخلية والحربية والبحرية) وفي أوائل خريف ١٩١٤ والحرب مشتعلة في أوروبا، كان يكفي أي حدث في تركيا، ولو بسيط إلى دفع الدولة إلى الحرب والواقع أن التجاء الطرادين الألمانيين (غوبن) و(برسلو) إلى الدردنيل هرباً من الأسطول

الإنكليزي الذي كان يطاردهما، وإعلان الأتراك شراءهم لهذين الطرادين قـولاً لا فعالاً، باعتبار أن معاهدة ١٨٤١ حظرت مرور السفن في الدردنيـل خـلال الحرب، قد جر تركيا إلى نصف المسافة بينها وبين الحرب. ولـم يكـن حجـز الباخرتين التركيتين من قبل بريطانيا، اللتين أوصت تركيا على صنعـهما فـي الأحواض الإنكليزية وكان ثمنها قد صار جمعه بواسطة الكتتابات الشـعبية. إلا الدفعة الأخيرة التي أوصلت تركيا إلى سـاحة المعـارك. إن الأتـراك كـانوا يشعرون منذ مدة بالخطر الروسي على حدودهم، ولما كانت إنكلترا بعيدة عنـهم وعن مساندتهم، فلم يكن أمامهم سوى مسايرة الألمان وعلى ذلك عقـدوا سـراً معاهدة مع ألمانيا في ٢ آب ١٩١٤.

كانت أولى دلائل الحرب التركية إرسال الطرادين الألمانيين فجـأة ودون سابق إنذار نحو ميناء (أوديسا) الروسي وضربه بالقنابل في ٢٨ تشـرين الأول ١٩١٤، ودخلت الدولة العثمانية الحرب في اليوم التالي. وبمجرد دخولها الحرب أغلقت (الدردنيل) وكان ذلك العمل ضربة كبرى لروسيا لأنه قطع عنها طريـق الإمدادات عبر البحر المتوسط، فأرسل الغراندوف (نيقولا) عم القيصر رسـالة إلى اللورد (كينشر) وزير الحربية البريطاني. يستحثه فيها على فتح جبهة جديـدة لتخفيف الضغط عن روسيا فكانت حملة (الدردنيل) في أوائل شهر شـباط مـن عام ١٩١٥.

حملة الدردنيل:

حملة من أهم حملات الحرب العالمية الأولى شنتها قوات الحلفاء علـى شبه جزيرة (غاليبولي) في تركيا الأوروبية ومضيق الدردنيل في الفترة ما بيـن شباط ١٩١٥، وكانون الثاني ١٩١٦. ولقد شهدت الحملة أكبر حشد يجري فـي

منطقة البحر المتوسط حتى ذلك الوقت كما شهدت أهم عملية إنزال برمائية حتى إنزال (النور ماندي) (١٩٤٤) إبان الحرب العالمية الثانية. وانتهت الحملة دون أن تحقق أهدافها رغم ضخامة عدد الإصابات في صفوف الطرفين.

كانت الأعمال الحربية بين الأتراك والبريطانيين قد اقتصرت في الفترة الأولى من الحرب على بعض المناوشات والغارات المحلية، رغم أن لندن كانت تفكر في القيام بعمل ما ضد تركيا، وخاصة بعد أن أعارها الألمان الطراد غوبن المتفوق على آيه سفينة قتال في أسطول البحر الأسود الروسي.

وفي أواخر كانون الأول ١٩١٤، قدم المقدم (هانكي) سكرتير مجلس الحرب البريطاني دراسة تشير إلى أن الحلفاء لم يحرزوا أي تقدم على المسرح الغربي، وأن الخنادق حفرت من بحر الشمال إلى جبال الألب السويسرية المسافة (٣٥٠) ميلاً. واقترح (هانكي) اختراق الجمود المهيمن على المسرح الغربي عن طريق القيام بحركة التفاف واسعة حول الجبهة من خلال تركيا والبلقان وكانت هذه الفكرة قد بحثت قبل ذلك بشكل عام، غير أنها قوبلت بمعارضة شديدة من القادة الفرنسيين والبريطانيين في فرنسا.

وفي أواخر عام ١٩١٤، تلقى (كيتشز) وزير الحربية البريطاني، رسالة من السير (جورج بوكانان) السفير البريطاني في روسيا، تفيد أن الروس يعلنون من صعوبات جدية، وأن الدوق الأكبر (نيقولا) (وهو ابن أخ الكسندر الثاني) القائد العام للجيوش الروسية قد تساءل حول إمكانية قيام البريطانيين بعمل ما ضد الأتراك يدفعهم إلى سحب بعض قواتهم التي تقاتل الروس في القفقاس. وكان الروس قد أصيبوا حتى ذلك الوقت بأكثر من مليون إصابة في صفوف قواتهم كما كانت ذخائرهم ومخزونهم من الأسلحة قد بدأت بالنفاذ.

واهتمت القيادة البريطانية بالأمر، معتبرة الدردنيل المكان الوحيد حيث يمكن لمظاهرة عسكرية ان تؤثر وتوقف التعزيزات المتجهة إلى الشرق وبدأ البريطانيون بالبحث فيما يجب القيام به وأكد (كينشز) في مجرى النقاش أنه لا يمكنه الاستغناء عن أي جندي لأية حملة جديدة، وأن المظاهرة يجب أن تكون بحرية. وأبدى (تشرشل) حماسة بالغة للمشروع، إذ أن الاستراتيجيين البريطانيين أعجبوا بفكرة اقتحام المضائق بسفن حربية قديمة.

ولقد استعرض (تشرشل) إيجابيات المشروع التي كانت مغرية بالفعل، فالبوارج والسفن الحربية القديمة من طراز (كانوبوس وماجستيك) كانت ستحسب من الخدمة خلال فترة قصيرة، وكان للبريطانيين بعثة بحرية في تركيا مطلقة على أدق تفاصيل القلاع والمدفعية التركية في منطقة المضائق، كما كانت المعلومات تفيد بأنه لم يكن هناك في شبه جزيرة (غاليبولي) سوى فرقة تركية منتشرة على جبهة واسعة كذلك ساد اعتقاد بأن مجرد وصول الأسطول إلى بحر مرمرة سيدفع اليونان وبلغاريا إلى دخول الحرب إلى جانب الحلفاء. وكذلك سيؤثر على وضع إيطاليا ورومانيا. وكان الأهم من كل ذلك المساعدة التي ستتلقاها روسيا. فبمجرد اقتحام الدردنيل وسقوط اسطنبول سيصبح من الممكن إمداد روسيا بالأسلحة والذخائر عبر البحر الأسود. وسيوفر القمح الروسي لإطعام الحلفاء في الغرب.

١.معركة شاناك قلعة:

قام (تشرشل) باستشارة فريق بحري (ساكفيل كاردن) قائد الأسطول البريطاني بالقرب من الدردنيل حول إمكانية اقتحام ممكن عبر عمليات مطولة تشارك فيها أعداد كبيرة من السفن، وأصدر مجلس الحرب البريطاني قراراً في

١٣ كانون الثاني ١٩١٥، يفيد أن (على الاميرالية الإعداد لحملة بحريـــة خـــلال شهر شباط لقصف شبه جزيرة غاليبولي والسيطرة عليها، بحيث تكون اســـطنبول هدفها) وكان سقوط اسطنبول يعني سقوط الدولة وخروج تركيا من الحرب، علما بان القرار لم يوضح كيف يمكن للأسطول أن يسيطر على شبه الجزيـــرة، أو أن يكون هدفه اسطنبول.

وأبدت روسيا حماستها للمشروع واستعدادها لإرسال قوات لدعم الحملـة، وساهم الفرنسيون كذلك بأربع بوارج بقيادة الامـــيرال (غيـــبرات) ولـــم يظـــهر اعتراض بين البريطانيين إلا في وقت لاحق عندما أبدى الأميرال (منيشر)، لورد البحرية الأول (قائد البحرية الملكية البريطانية) تخوفا من العملية.

وحشد الحلفاء أكبر قوة بحرية في تاريخ المتوسط حتـــى ذلـــك الوقـــت، وكان الأسطول الحليف مكونا من (٢٠) بارجة والطراد (انفلكســـيبل) والبارجـــة الحديثة (كوين اليزابيث) بالإضافة إلى عدد من الطرادات والمدمرات وكاسـحات الألغام وسفن المساعدة. وكانت الدفاعات التركية تمتد على طول الدردنيـــل، وإن كانت تتركز عند (المضائق) حيث توجد قلعة قديمة في بلدة (شاناك) على الجـانب الآسيوي، وأخرى في كيليد بحـــر) علـــى الشـــاطئ الأوروبـــي. وكـــانت تلـــك الدفاعـــات تعاني من ثغرات عدة أما القوات التركية فـــــي المنـــاطق المتاخمـــة للدردنيل فلم تكن تتجاوز الفرقتين واحدة في شبه جزيرة (غاليبولي) والثانية فـــي أسيا الصغرى.

وبدأ الهجوم البحري يوم ١٩ شباط ١٩١٥، وعلى الرغم مـــــن تحقيـــق بعض التقدم في البداية، فان كاسحات الألغام بقيت عاجزة عن تنظيف المضيـــــق من خطوط الألغام البحرية التي زرعها الأتراك وحلفاؤهم الألمان وبدأ (كـــاردن) بالتردد. وفي يوم ١٦ آذار، وقبل يومين مـــن موعـــد الـــهجوم الشـــامل انـــهار

(كاردن)، فما كان من (تشرشل) إلا أن عين نائب (كاردن) الأميرال (دوروبك) قائداً للأسطول في يوم ١٧ آذار– أي قبل بدء الهجوم بساعات.

وبدأ الهجوم الشامل بنجاح في ١٨ آذار – غير أنه مع تقدم سير العمليات أصيبت أربع بوارج حليفة بألغام أدت لغرق ثلاث منها. وكان ضابط ألماني قد زرع خطاً من الألغام في بقعة كان الحلفاء قد استطلعوها مراراً وأصبحوا واثقين من خلوها من الألغام، ولقد أدت العملية هذه إلى ارتباك قادة الأسطول وإلى عدم فهمهم للسر الكامن وراء غرق بوارجهم.

وكانت حصيلة يوم ١٨ آذار بالنسبة إلى الجانب العثماني ١١٨ إصابة فقط، ورغم الشجاعة الفائقة التي واجه بها الجنود الأتراك والألمان قصف مدفعية البوارج فإن وضعهم أصبح مع انتهاء النهار سيئاً نظراً لانخفاض مخزونهم من الذخيرة، حتى انه لم يبق لديهم اكثر من (٣٠) قذيفة خارقة للدروع – وهي وحدها القادرة على تدمير البوارج– وأصبحت المعركة بالنسبة إليهم عبارة عن كسب الوقت الذي تستطيع فيه مدافع الهاونز والمدافع الخفيفة مضايقة كاسحات الألغام ومنعها من تنظيف الممر البحري. وأحدثت الأنباء الأولى عن معارك الدردنيل هزة عنيفة في اسطنبول، حتى أن الإعداد لإخلاء اسطنبول بدأ بشكل فعلي.

وتنامى شعور خلال أسابيع القصف لدى الاميرالية البريطانية (وفي وقت لاحق لدى وزارة الحربية) أن البحرية وحدها لن تتمكن من القيام بالمهمة، وأن على الجيش المشاركة في تنفيذ العملية. وكان اليونانيون قد عرضوا في أول آذار إرسال ثلاث فرق لاحتلال شبه جزيرة (غاليبولي) غير أن الروس اعترضوا على ذلك، الأمر الذي ساهم في سقوط الحكومة اليونانية، ومجيء حكومة اكثر ميلاً إلى الألمان، وكان (كيتشز) قد قرر قبل ذلك إرسال قوة من الجيش

البريطاني إلى شبه الجزيرة لتشارك مشاة البحرية في عمليات التطهير، والقيام بعد ذلك باحتلال اسطنبول. وبعد إرسال الجنرال (وليم بيردوود) إلى الدردنيل ليقدم تقريراً عن الوضع العسكري هناك، قرر (كينشنز) في ١٠ آذار إرسال الفرقة ٢٩ البريطانية وفرقة فرنسية بالإضافة إلى فرق الفيلق الأسترالي – النيوزيلندي. الأمر الذي عنى أنه سيكون هناك جيش من (٧٠) ألفاً للمشاركة في الحملة علماً بأنه لم يكن هناك أحد يعلم بدقة طبيعة مهمة تلك القوة الضخمة إذ أنه على الرغم من تقارير (بيردوود) فإن الاعتقاد بأن الأسطول قادر على اقتحام المضيق كان ما يزال سائداً لدى غالبية المسؤولين.

وفي ١٢ آذار عين الجنرال (أيان هاملتون) قائداً لتلك القوة، وعين الجنرال (بريثويت) رئيساً لأركانه. وفي ١٣ آذار تسلم (هاملتون) الأمر بانتظار نتيجة الهجوم البحري الشامل على القلاع في المضائق، فإذا فشل الهجوم كان عليه أن ينزل في شبه جزيرة (غاليبولي). أما إذا نجح الأسطول في اختراق المضائق فان عليه السيطرة على شبه الجزيرة بجزء صغير من القوات، والتقدم بالجزء الآخر مباشرة نحو اسطنبول حيث يتوقع أن ينضم إليه فيلق روسي ينزل في البسفور، ولم يزود (هاملتون) بأيه معلومات عن العدد أو عن الحلفاء. وغادر لندن في ١٣ آذار ليصل إلى الدردنيل في ١٧ آذار حيث تمكن من مراقبة الهجوم البحري في اليوم التالي.

وفي ٢٢ آذار عقد (هاملتون) اجتماعاً مع (دوروبك) حيث برز تناقض بين آراء القائدين، وتقرر في النهاية عدم تجديد محاولة اقتحام المضائق قبل أن يصبح الجيش مستعداً للإنزال في حوالي منتصف نيسان، وذلك على الرغم من أن الاميرالية كانت قد عوضت خسائر الأسطول بأربع بوارج بريطانية، وبارجة فرنسية، بالإضافة إلى بدء الإعداد الفعلي لقوة كسح الغام جديدة، ووصول سرب

من الطائرات بقيادة العميد الجوي (سامسون) ووافق مجلس الحرب في لندن على الخطة الجديدة. رغم اعتراض (تشرشل).

ويجمع المؤرخون على أن الهجوم البحري على الدردنيل كان خطأ مميزاً، لا لأنه فشل فحسب، بل لأنه حذر الأتراك من الغزو المقبل أيضاً. وإعطاءهم الوقت لتحصين شبه الجزيرة. وربما كان الأثر السياسي والنفسي لمعركة ١٨ آذار أكثر أهمية. فلقد حقق الأتراك في هذا اليوم أول انتصار لهم منذ سنين عديدة. وبمجرد انتهاء أحداث ١٨ آذار، اجتمع (انورباشا) وزير الحربية التركي بالجنرال الألماني المعار لتركيا (ليمان فون ساندرس) وعرض عليه قيادة القوات في الدردنيل. وتوجه (ليمان) إلى غاليبولي في ٢٥ آذار. وفي اليوم نفسه توجه (هاملتون) إلى مصر لإعادة تنظيم قواته.

٣ – الإنزال الأول في غاليبولي:

وضع (ليمان) خطة للدفاع عن المضائق آخذاً بعين الاعتبار طبيعة شبه الجزيرة الشديدة الوعورة. حيث السيطرة على المرتفعات عامل أساسي في المواجهة العسكرية وكان لديه ست فرق (٣ ،٥،٧،٩،١١،١٩) تشكل الجيش الخامس. ولقد ركز (ليمان) فرقتين (٣ و ١١) إلى الجنوب والغرب من طروادة في الجانب الآسيوي. وفرقتين (٥و ٧) في بولير عند عنق شبه الجزيرة. وأرسل الفرقة التاسعة إلى رأس (هلس)- وأبقى الفرقة التاسعة عشرة. حيث تتمكن من التحرك بسرعة لمواجهة محور الجهد الرئيسي المعادي. وبدأت القوات العثمانية بتحصين مواقعها وحفر الخنادق بعد أن ركز (ليمان) الحد الأدنى منها على الشواطئ. وفي الأسابيع الأولى من نيسان كانت كل الدلائل تشير إلى أن المواجهة تقترب بسرعة.

وفي الوقت نفسه كان (هاملتون) ينظم أكبر عملية برمائية في تاريخ الحروب حتى ذلك الوقت. فلقد كان تحت إمرته حوالي ٧٥ ألف رجل (٣٠) ألف أسترالي ونيوزيلندي يشكلون فرقتين، والفرقة ٢٩ البريطانية وعددها ١٧ ألف رجل وفرقة فرنسية من ١٦ ألف رجل والفرقة البحرية الملكية من ١٠ آلاف رجل. وكان على (هاملتون) تنظيم توزيع هذه القوات على السفن بالإضافة إلى ١٦٠٠ حصان و ٣٠٠ عربة، بشكل تتمكن فيه من النزول على شاطئ معاد تحت نيران مباشرة من المدفعية التركية.

ورغم الثغرات العديدة التي رافقت عملية التنظيم، وعدم وضوح العديد من العوامل والمعلومات الضرورية للعملية، والنقص الشديد في المعدات فلقد أبحرت الحملة في الوقت المحدد لها. وواجهت في البداية صعوبات أخرى ومنها عدم حماسة قادة الفرق للعملية والتسيب في الضبط الأمني.

وكان (هاملتون) قد بدأ بإعداد الخطة في الأسبوع الأول من نيسان وفي ١٠ نيسان ١٩١٥، توجه (هاملتون) إلى (ليمنوس) لمناقشة الخطة مع (دوروبك) والقادة البحريين. وكانت خطة (هاملتون) تقضي بالتركيز على شبه جزيرة غاليبولي. وتوجه الجهد الرئيسي عند رأس (هلس) حيث تنزل الفرقة البريطانية ٢٩ بقيادة (هنتر – وسنن) على خمسه شواطئ صغيرة، وتتقدم للسيطرة على قمة (اتشي بابا) على بعد حوالي ستة أميال عن الشاطئ. بينما يقوم الفيلق الأسترالي– النيوزيلندي بقيادة (بيردوود) بالإنزال في نقطة تبعد حوالي ١٣ ميلاً شمالاً بين (غابا تب) و(فيشرما نزهت) ثم يتقدم عبر التلال ليسيطر على (مال تب) وبحيث يقطع خطوط انسحاب الأتراك الذين يقاتلون (هنتر – وسنن) وتتم السيطرة على المرتفعات المتحكمة بالمضائق. وفي الوقت نفسه تتم عمليتا تضليل – الأولى عند (بولير) حيث تتظاهر الفرقة البحرية الملكية بقيادة

(باريس) بالنزول، والثانية عند (كم كالي) على الشاطئ الأسيوي حيث يقوم الفرنسيون بقيادة (داماد) بغارة كبيرة. وبعد ذلك تعود القوتان إلى رأس (هلس) لتنضمان إلى قوات الهجوم الرئيسي. وكان (هاملتون) يأمل في تمكين الأسطول من عبور المضائق إلى بحر مرمرة في اليوم الثاني أو الثالث من بدء الإنزال.

وتقرر اعتماد ميناء (مودروس) في جزيرة (ليمنوس) قاعدة للقسم الأكبر من قوات الغزو، مع قواعد ثانوية في جزر (امبروس) و(تينيدوس) و(سيكروس) كذلك تم اختيار يوم ٢٣ نيسان ١٩١٥ للبدء في العلمية. غير أن الأحوال الجوية استدعت التأخير إلى ٢٥ نيسان. ومع مساء ٢٤ نيسان كانت (٢٠٠) سفينة قد تحركت لتصل مع الفجر إلى الأمكنة المحدد لها.

وشهد يوم ٢٥ نيسان سلسلة من الأحداث الغريبة وغير المتوقعة. فلقد كان من المستحيل في أية لحظة خلال اليوم الطويل التنبؤ بما سيحدث في وقت لاحق. فالقائدان العامان كانا بعيدين عن ساحة المعركة (هاملتون على متن كوين اليزابيث- وليمان فون ساندرس في بولير بعد أن نجحت خطة التضليل). ولقد أدى التيار إلى إنزال جنود الفيلق الأسترالي- النيوزيلندي. في نقطة غير النقطة المحددة لهم على شاطئ (غاباتب)، حيث ترتفع أمامهم صخور شديدة الانحدار فيما يسمى في وقت لاحق بخليج إنزاك الأمر الذي أدى إلى ارتباك شديد وإلى اختلاط الوحدات بعضها مع البعض الآخر، ومع ذلك فد تقدمت بعض الوحدات لتتسلق المرتفعات.

ولم يكن لدى الأتراك بالمقابل أية خطة أو تحصينات لمواجهة إنزال في تلك النقطة. ولولا وصول (مصطفى كمال) في اللحظة المناسبة على رأس كتيبة لوقت تقدم طلائع الفيلق الأسترالي - النيوزيلندي التي اندفعت نحو المرتفعات

لتمكن الأستراليون والنيوزيلنديون من السيطرة على قمة (شـــاناك بـــير) ذلـك الصباح، ولحسموا بالتالي المعركة لصالح الحلفاء هناك وفي ذلك الوقت.

وكان القتال على جبهة الفيلق الأسترالي – النيوزيلندي عنيفـــاً وصعبـــاً نظراً لتصميم هذا الفيلق على متابعة الهجوم رغم الفوضى الناتجة عن الخطأ في موقع الإنزال ورغم عجز نيران مدفعية الأسطول عن إسناده بسبب عدم وضوح خط الجبهة، ولقد واجه (مصطفى كمال) هذا الخطر بأن استدعى الفوج الـتركي ٥٧ إلى ساحة المعركة، وبعد احتدام المعركة زج بأحد أفواجه العربيـــة كذلـك متجاوزاً صلاحياته كقائد فرقة إذ أن تلك القوات كانت كل ما تبقى (لليمان فـــون ساندرس) من احتياطي، ولم يكن من حق (مصطفى كمال) التصرف لها.

أما في الجنوب، وعند رأس (هلس)، فلقد نشبت معركة من نوع مختلـف جداً وتمكن الأتراك من صد الإنزال عند (ســـد البحـــر) مـــن ســفينة الفحـم (ريفركلايد) وعلى متنها (٢٠٠) من الجنود بعد أن أنزلت بهم خسائر كبيرة ولـم يتمكن سوى عدد صغير منهم الوصول إلى الشاطئ حيث احتموا بكثبان الرمـــل. وفي الوقت نفسه كانت الإنزالات الأربعة الأخرى في رأس (هلس) تتقدم بنجـــاح كبير نسبياً وكان مجموع أعداد القوات المشاركة فيها يفوق عدد القـــوة التركيـــة المدافعة عن مجمل المنطقة بعدة أضعاف ومع ذلـــك ولأســباب مختلفـــة فـــان القـــوات المهاجمة لم تستمر نجاحاتها الأولية، ولم تتقدم لنجدة الهجوم الرئيســـي الذي كان مهدداً بالفشل عند (سد البحر)، ومع مـــرور الوقـــت ازداد الضغـط التركي على كل الجبهات مع حلول الظلام، تحسنت أوضاع الحلفـــاء تدريجيـــاً. حيث تمكنت القوة المتبقية على متن (الريفر كلايد) من النزول إلـــى الشـــاطئ. وبدأت القوات التي وصلت إلى رأس الجسر بحفر الخنادق ووصلتها التعزيـــزات والإمدادات. وكان الأتراك في وضع لا يسمح لهم بالقيام بهجوم مضـــاد، إذ أن

نصف قوة الـ (٢٠٠٠) جندي التي واجهت خمسة إنزالات عند رأس (هلس) كانت قد أصيبت.

وكان الفرنسيون قد قاموا بإغارة ناجحة على (كم كالي) وأسروا (٤٥٠) رجلاً وكان الوضع بالنسبة إلى (هاملتون) يدعو إلى التفاؤل. إذ أن قوة من (٣٠) ألف جندي تمكنت من النزول على الشواطئ المختلفة، وأصبح (بيردوود) يدعو للاطمئنان أيضاً إلا أن (مصطفى كمال) تابع هجومه بشدة على رأس جسر القوات الأسترالية – النيوزيلندية، الأمر الذي اضطر (بيردوود) لان يطلب من (هاملتون) التخلي عن رأس الجسر في (غاباتي). وعندما كان (هامتلون) يفكر بالقرار الواجب اتخاذه وصلت برقية من الرائد البحري (ستوكر) قائد الغواصة (AE_2) تفيد أنه اخترق المضائق إلى بحر (مرمرة). حيث سيتمكن من إغراق السفن التي تنقل التعزيزات التركية إلى غاليبولي. وكان قرار (هامتلون) الصمود وحفر الخنادق والحقيقية أنه لم يكن هناك إمكانية لقيام الأتراك بهجوم مضاد قوي على رأس جسر الفيلق الأسترالي- النيوزيلندي في تلك الليلة، إذ أن (مصطفى كمال) كان يعاني من (٢٠٠٠) إصابة في صفوف قواته واستمرت المعارك العنيفة على (خليج إنزاك) وكان الأتراك بقيادة (مصطفى كمال) يحاولون طرد الأستراليين والنيوزيلنديين من الشاطئ في حين استمر الأستراليون والنيوزيلنديون في محاولة التقدم طيلة ثلاثة أيام حتى اقتنع الطرفان باستحالة تحقيق هدفيهما. وفي ليلة ٢٧ نيسان خفت حدة القتال. وبدأ الطرفان بإعادة تجميع قواهما. وحصل عند راس (هلس) شيء مماثل ولكن على جبهة أوسع. فلقد سقطت قرية (سد البحر) وتلاقت رؤوس الجسور الحليفة المختلفة وفي ٢٨ نيسان تقدم الفرنسيون على الميمنة والبريطانيون على الميسرة في هجوم لعمق ميلين بمواجهة مقاومة متصاعدة وبعد ذلك توقف الهجوم بعد أن فقد زخمه على

بعد ميل أو ميلين من قمة (اتشي بابا) وسيطر الإرهاق على الجنود. وبعد وصول رسائل من (غيبرات) و(دورويك) تطلب تعزيزات للجيش أمر (كينشز) الجنرال (ماكسويل) بإرسال الفرقة ٤٢ واللواء الهندي غورخا من مصر إلى شبه الجزيرة وفي ٣٠ نيسان انتقل (هاملتون) من كوين اليزابيث) إلى سفينة نقل الركاب (ركاديان) حيث تجمع أركان قيادته لأول مرة في مقر واحد.

وقام (ليمان) بإعادة تنظيم قواته فاستدعى إحدى فرقه الآسيوية، ووصلته في ٣٠ نيسان فرقتان جديدتان قادمتان بحراً من اسطنبول وأصدر (أنور باشا) إلى (ليمان) أمراً للقيام بهجوم شامل على رأس (هلس). وبدأ الهجوم في الساعة العاشرة ليلاً في أول أيار ١٩١٥، واستمر الأتراك في محاولة التقدم لمدة ثلاثة أيام على التوالي دون جدوى وأصيبت قواتهم بخسائر بالغة.

وفي ٦ أيار شن الحلفاء هجوماً من رأس (هلس) بعد وصول التعزيزات من مصر، واستمر الهجوم ثلاثة أيام دون جدوى وبنسبة عالية من الإصابات في صفوف القوات المهاجمة. وأرسل (هاملتون) رسالة إلى وزارة الحربية يطلب فيها المزيد من الذخائر وجاءه الرد أن الأمر غير ممكن وأن عليه (الاستمرار في التقدم).

وأرسل (هاملتون) رسالة أخرى إلى (كينشز) يطلب فيها قوات جديدة فيلقاً من فرقتين، وإلا فإن الوضع سيتدهور إلى حرب خنادق وفي الوقت نفسه عقد الأميرالات اجتماعاً في ٩ أيار ١٩١٥ بمبادرة من العميد البحري (روجركيس) تقرر فيه الطلب من الاميرالية السماح لأسطول بمعاودة الهجوم على المضائق لمساعدة الجيش. ولقد فجرت تلك الرسائل مجمل مسألة حملة (غاليبولي) في لندن. فلقد عارض (فيشر) بشدة فكرة إعادة محاولة اقتحام المضائق. وكان (تشرشل) قد وعد الإيطاليين بإرسال سفن بريطانية (ستسحب

من أسطول الدردنيل) ووضعها تحت أمرتهم مقابل دخولهم الحرب. وكانت قد وردت أنباء حول وصول غواصات ألمانية إلى البحر المتوسط، الأمر الذي سيعرض الأسطول و (الكوين اليزابيث) الثمينة للخطر. ومع هذا فقد وقف (تشرشل) مع فكرة تقدم محدودة للأسطول وتمكن من إقناع (كينشز) بإرسال سفن حربية مدرعة حديثة وغيرها من التعزيزات وأصر (فيشر) على الاستقالة بعد أن أضاف (تشرشل) إلى اللائحة غواصتين الأمر الذي دفع المعارضة إلى تحدي الحكومة في مجلس العموم. وبدأ (اسكيت) رئيس الوزراء مباشرة بالتفاوض حول تشكيل حكومة ائتلافية.

وأعلنت الحكومة الجديدة في ٢٦ أيار ١٩١٥، وأسند منصب وزير البحرية إلى (بلفور) وعين السير (هنري جاكسون) لورد البحر الأول. في حين أعطي (تشرشل) منصباً ثانوياً بعد أن ساد الشعور بأنه يتحمل مسؤولية فشل (غاليبولي). ولقد أبرز تردي الوضع في (غاليبولي) بوضوح السؤال الكبير الذي سيطر على مجمل المسائل قبل نهاية السنة- هل يجب القتال في الشرق أم في الغرب؟

وفي هذه الفترة كان الجمود مسيطراً على جبهات (غاليبولي) في حين انخفض احتياطي قوات الحلفاء من الذخيرة إلى حد بعيد. وبدأ وكأن لا شيء سيغير الوضع هناك حتى ليلة ١٨ أيار ، عندما حشد الأتراك ٤ فرق (٤٢ ألف رجل) بإمرة (أسعد باشا) للهجوم على رأس جسر الفيلق الأسترالي - النيوزيلندي - حيث يتجمع حوالي (١٧) ألف جندي فقط.

وبدأ الهجوم التركي في ليلة ١٨ أيار وكان على الأتراك أن يتقدموا (٢٠٠ - ٣٠٠) ياردة تحت نار الخصم قبل أن يقوموا بالانقضاض على خنادقه وأسفرت الهجمات عن مجزرة رهيبة بين صفوف الأتراك الذين دفعوا أنساقهم

الهجومية بشكل مستمر أبيد نسق تلاه نسق آخر في الساعة الخامسة من صباح ١٩ أيار. أصبح واضحاً أن الهجوم تحطم، غير أن الأتراك استمروا في محاولة اختراق واقع الأستراليين والنيوزيلنديين وتطهيرها لمدة ست ساعات وكانت فرقة (مصطفى كمال) الفرقة الوحيدة بين الفرق التركية الأربع المشاركة التي حققت بعض التقدم وتوقف الهجوم عند الظهر بعد أن أصيب (١٠) آلاف جندي تركي. من بينهم خمسة آلاف قتيل وجريح مرميين في المنطقة العازلة بين خنادق الطرفين.

وتم الاتفاق في وقت لاحق على هدنة لمدة تسع ساعات في ٢٤ أيار لدفن القتلى. ومرت الهدنة بهدوء، وودع الجنود الأتراك وجنود الحلفاء بعضهم عند انتهائها بحرارة ظاهرة قبل أن يعود كل منهم إلى خندقه. ولعل أهم نتائج تلك المعركة الهدنة التي تلتها إزالة الحقد من نفوس الأستراليين والنيوزيلنديين تجاه الأتراك، حتى أنهم رفضوا في وقت لاحق استخدام أقنعه الغاز بحجة أن الأتراك لن يستخدموا الغاز، إنهم مقاتلون شرفاء)، وبالفعل لم يستخدم الغاز أبداً في (غاليبولي)، ولقد تنامى لدى جنود الطرفين شعور بالمودة المتبادلة وعلى الرغم من أن هذا الشعور تجاه العدو لم يكن حكراً على (غاليبولي) إبان الحرب العالمية الأولى، فلقد كان قوياً بشكل خاص في ذلك المسرح المعزول.

وشهد شهر أيار نشاطاً فعالاً لغواصات الحلفاء والألمان على حد سواء فلقد تمكنت عدة غواصات بريطانية من طراز (E) من عبور المضائق على الرغم من الصعوبات التي واجهتها، وقامت بإغراق عدد كبير من السفن التركية التي كانت تنقل الذخيرة والقوات إلى شبه الجزيرة. وفي الفترة نفسها تقريباً تمكنت غواصة ألمانية من إغراق عدد من البوارج والسفن الحليفة في بحر أيجة. ولقد حققت غواصات الطرفين أهدافها. إذ أن غارات الغواصات الحليفة

عبر البحر، الأمر الذي أدى إلى تأخير وصول الإمدادات إلى (ليمان فون ساندرس) أما غارات الغواصات الألمانية فلقد أبقت أسطول الحلفاء في الموانئ خلال الفترة التالية من الحملة. وعلى الرغم من أن الألمان نصبوا شبكة فولانية مضادة للغواصات عند المضائق، فلقد تابعت الغواصات الحليفة عبورها إلى مرمرة واسطنبول واستمرت تنزل الخسائر بسفن الأتراك. وكان عدد الغواصات التي تسللت إلى بحر مرمرة في هذه الفترة (١٣) غواصة غرق منها ثمانيه. أما الخسائر التركية فكانت - بارجة ومدمرة و(٥) زوارق مسلحة و (١١) سفينة نقل و(٤٤) سفينة بخارية و(١٤٨) سفينة شراعية.

ولم يتمكن الطرفان بعد غارات الغواصات من فهم واستيعاب مدلولات النجاحات التي حققها هذا السلاح، فلقد كان (هاملتون) و(دوروبك) تعتبرانها عاملاً مساعداً وليس أساسياً لهجوم رئيسي. ولم يخطر بذهنهما إمكانية القيام بإنزال وحدات كوماندوس شمال (بولير) لقطع الطريق التركي البري إلى شبه الجزيرة. ولم يحاول الألمان (فيما عدا إغراق سفينتي نقل قادمتين من الإسكندرية) القيام بهجوم جدي على الأسطول ومع هذا فقد أدت أحداث أيار إلى إعطاء الحلفاء أملا جديداً بالنسبة إلى مستقبل الحملة، فلقد أصبح الأتراك يعلنون من نقص في التموين والإمداد، وسيتم التعويض عن البوارج البريطانية الغرقى بسفن حربية مدرعة، وسيستمتع (هاملتون) بتفوق عددي في شبه الجزيرة مع وصول فرقة (لولاند).

ومر حزيران وتموز دون وقوع أية محاولة لهجوم جدي في شاطئ (إنزاك) في حين وقعت خمس معارك عنيفة في رأس (هلس) وكانت جميع هذه المعارك عبارة عن هجمات جبهية ولفترة قصيرة ولم تنجح أي منها في تعديل خط الجبهة لأكثر من نصف ميل. ولقد شن الحلفاء أربع هجمات في ٤ حزيران

و ٢١ حزيران و ٢٨ حزيران و ١٢- ١٣ تموز ١٩١٥، في حين شن الأتــراك هجوماً على امتداد الخط في ٥ تموز وأسفرت المعارك عن وقوع إصابات بالغـة في صفوف الطرفين (وان كانت خسائر الأتراك أكثر) وكان القتـــال فـــي تلــك المعارك نموذجاً مثالياً لحرب الخنادق ولم يحقق أي من الطرفين أيـــة نجاحـــات هامة. وكانت مجمل الإصابات في الفترة ما بين الإنزال الأول في نسيان حتـــى آخر تموز متساوية لدى الجانبين (حوالي ٥٧ ألف رجل).

وكان جنود الطرفين يعانون في ذلك الوقت من صعوبات صحية بالغـــة فمع اشتداد حرارة الطقس عمت الأمراض وشـــحت الميـــاه وكـــانت الخدمـــات الطبية غير قادرة على استيعاب الأعداد المتزايدة مـــن المرضـــى والجرحـــى. وحاول الجنود الترفيه عن أنفسهم بأبسط الأشياء وكانت السباحة في البحر متعـــة لا تفوقها متعة. وأثرت هذه الأوضاع على معنويات القوات ولكن شعور الجنـــود بالاستياء لمن يوجه إلى أي من الضبـــاط الذيـــن كـــانوا يعتبرونـــهم (ضحايـــا السياسيين). وحرص قادة الفرق والفيالق على البقـــاء قـــرب جنودهـــم، فكـــان (بيردوود) معرضاً كجنوده في شاطئ (إنزاك) لنيران القنص أو لشظايا القذائف.

وفي حزيران أصيب (غورو) (الذي حل محل داماد علـــى رأس القـــوة الفرنسية) بشظايا في يده، كما قتل أحد قادة فرقه. أما (هنـــتر – وســـنن) الـــذي أرهقه كثرة العمل، فلقد أرسل إلى إنكلترا. وكانت هناك إصابـــات عديـــدة فـــي صفوف العمداء والعقداء (وهذه الظاهرة خاصة بغاليبولي في الحـــرب العالميـــة الأولى. ولم يكن وضع الأتراك أفضل. فلقد اضطروا لإخلاء (٨٥) ألف مريـــض توفي منهم (٢١) ألفاً. وكان الوضع المعيشي للجنود الأتراك أسوأ مـــن وضـــع جنود الحلفاء علماً بأنهم كانوا اقدر على التكيف مع ظروف المنطقة.

٣. الإنزال الثاني في غاليبولي:

كان العسكريون في (غاليبولي) مخطئين في ظنهم بأنّ لندن قد تخلت عن الحملة. فبعد تشكيل الحكومة البريطانية الجديدة مباشرة. وزع (تشرشل) دراسة للوزراء يؤكد فيها أن الحسم غير ممكن في فرنسا، في حين أن إضافة صغيرة نسبياً لقوات (هاملتون) ستحقق الحسم في (غاليبولي) وكان لدى (هاملتون) في ذلك الوقت جيش من ثماني فرق (٤ فرق بريطانية، فرقتان فرنسيتان، فرقتان أسترالية ونيوزيلندية) وكان (كيتشز) قد بدأ يقتنع بوجهة النظر هذه، وفي حزيران انحاز إليها كلياً. ولقد أعيد تشكيل مجلس الحرب تحت اسم (لجنة الدردنيل) واجتمعت اللجنة في ٧ حزيران حيث تمكن (كينشز) و(تشرشل) من إقناع باقي الأعضاء بإرسال ثلاث فرق جديدة إلى (غاليبولي) وأضيفت فرقتان جديدتان قبل نهاية الشهر ليصبح تحت إمرة (هاملتون) جيشاً من ١٣ فرقة (حوالي ١٢٠ ألف رجل). وتم إبلاغ (هاملتون) أن كل طلباته ستلبى، ولم تعد (غاليبولي) حملة ثانوية. بل أصبحت الجبهة التي ترتكز عليها آمال البريطانيين.

وساهمت الاميرالية بتعزيز الحملة فبدأت السفن الحربية المدرعة بالوصول ووصلت أيضاً حاملات طائرات بحرية واستقر الفرنسيون في (تينيدوس) بينما استقر البريطانيون في امبروس. وأصبح بالإمكان شن غارات من (١٣) طائرة في آن واحد على شبه الجزيرة والمضائق.

وتجمعت القوات الجديدة في جزر بحر أيجة مع نهاية تموز، وكان القيام بإنزال جديد ضرورة واضحة. ومرة أخرى عاد النقاش القديم (بولير) أم الشاطئ الآسيوي، أم شبه الجزيرة، وجاءت الخطة بشكل عام تكراراً للخطة

القديمة مع فارق واحد هام يتمثل في أن الجهد الرئيسي انتقل من رأس (هلس)، و(أتشي بابا) إلى مرتفعات (ساري بير) في وسط شبه الجزيرة. وكان أكثر المتحمسين للخطة الجديدة (بيردوود) الذي اقترح أن يقوم بعملية اختراق في شمال رأس جسر الفيلق الأسترالي- النيوزيلندي ليهاجم (شاناك بير) وقمم التلال المجاورة لها. واقترح (بيردوود) أن يقوم بهجوم تضليلي قبل ذلك إلى الجنوب قرب (لون باين). وفي الوقت نفسه يتم الإنزال في خليج (سوفلا) إلى الشمال من خليج (إنزاك) وبمجرد احتلال التلال، تتقدم القوات إلى المضائق على بعد أميال. وبذلك يتم حصار معظم الجيش التركي في طرف شبه الجزيرة الجنوبي. وتنتهي الحملة بسرعة نسبية. وأعد الحلفاء أيضاً للقيام بانزالات تضليلية في (بولير) وعلى الشاطئ الآسيوي للمحافظة على عامل الشك عند ليمان فون ساندرس.

وكان خليج (سوفلا) مكاناً مناسباً للإنزال إذ تمتد خلفه أرض منبسطة نسبياً وكانت الدفاعات التركية فيها ضعيفة. وعلى الرغم من وجود بحيرة مالحة بعرض ميل ونصف وراء الشواطئ مباشرة فان هذه البحيرة تكون جافة خلال الصيف وكان كل شيء يعتمد على سرعة الجنود في الوصول إلى التلال ليتمكنوا من إسناد (بيردوود) في المعركة الرئيسية على (ساري بير)، بعد أن ينزلوا في الليل دون قصف تمهيدي لئلا تتكرر كارثة (ريفر كلايد) و(سد البحر)، وفكر (هاملتون) بإسناد مهمة الإنزال الجديد إلى الفرقة ٢٩ المتمتعة بالخبرة، غير أنه عاد وقرر أن تسند المهمة إلى القوات الجديدة القادمة من إنكلترا.

وكان توزيع القوات الحليفة في النهاية كالتالي- الفرق الست الموجودة أصلاً في رأس (هلس) (٣٥ ألف رجل) تبقى في مكانها لتقوم بهجوم على

(كريثيا) في الساعة ١٤,٣٠ في يـوم ٦ آب ١٩١٥، ويشـن (بـيردوود) مـع الأستراليين والنيوزيلنديين وفرقة ونصف جديدة من البريطانيين (٣٧ ألف رجل) هجوماً تضليلياً على (لون باين) في الساعة ١٧,٣٠. ثم يشنون الهجوم الرئيسـي على (نشاك بير) في الساعة ٢١,٣٠. أما بقية التعزيزات القادمة مـن المملكـة المتحدة(٢٥ ألف رجل) فتنزل في (سوفلا) في الساعة ٢٢,٣٠.

وأسندت قيادة القوات التي ستنزل في (سوفلا) للجـنرال السـيرفردريك ستوبفورد، الذي وصل مع ضابط أركانه العميد (ريد) إلى (مودروي) فـي ١١ تموز ١٩١٥. وكان كلاهما عاجزاً عن قيادة القوات في ظروف صعبة كظروف (غاليبولي). أما قادة الفرق الخمس الجدد فكان الوضع عجيباً. ففي حيـن كـان الجنرالات جنوداً نظامين كباراً في السن. كانت قواتهم تضم شباباً من المجنديـن الجدد غير المعتادين على الظروف الصعبة التي لابـد وأن يمـروا بـها إبـان المعارك التي سيخوضونها.

وابدى (ستوبفورد) عدة اعتراضات على الخطة، وأهمها أنه لـن يضمـن الوصول إلى التلال مع فجر يوم ٧ آب. ولم يبد (هاملتون) للأمر آيه أهمية. ممـا أدى إلى فتح ثغرة هامة في الخطة. ويبدو أن (هامرسلي) قائد الفرقة ١١ دخـل المعركة دون أن يعي تماماً حقيقة دوره. ففي حين كان عليه أن يدعـم هجـوم (بيردوود) الرئيسي في شاطئ (إنزاك)، كان يظـن أن هـدف هجـوم الفيلـق الأسترالي – النيوزيلندي صرف نظر الأتراك عن خليج (سـوفلا) فـي أثنـاء الإنزال ولم يكن (هامرسلس) الوحيد الذي لم يدرك حقيقة أهداف الهجوم. فلقـد أحبطت العملية بسرية تامة. وبحذر شديد غير مبرر.

وفي ٢٢ تموز ١٩١٥ تلقى (ليمان) برقية من القيادة العليا فـي ألمانيـا تفيد بأن عليه أن يتوقع هجوماً حليفاً مع مطلع آب. وكان لدى (ليمان) قوة مـن

(١٦) فرقة صغيرة (تساوي تقريباً فرق هاملتون الـ ١٣) ركز منها ثلاثاً في (بولير) وثلاثاً في مواجهة رأس جسر الفيلق الأسترالي- النيوزيلندي، وخمساً في رأس (هلس) وثلاثا في (كم كالي) على الشاطئ الأسيوي ولم يعتبر منطقة (سوفلا) نقطة خطر، واكتفى بان ركز فيها ثلاث كتائب فقط (حوالي ١٨٠٠ رجل) غير مزودة بالأسلاك الشائكة أو الرشاشات. وكان هناك ثلاث مجموعات متتالية رئيسية تركية في شبه الجزيرة، قوة (بولير) في الشمال ويقودها (فيضي بك)، والقوة المواجهة لشاطئ (إنزاك) يقودها (أسعد باشا)، والقوة الجنوبية في رأس (هلس) يقودها (وهيب باشا).

وتم الإنزال في (سوفلا) في ٦ آب ١٩١٥ بهدوء ودون مقاومة تقريباً ومع ذلك عمت الفوضى في صفوف القوات البريطانية غير المتمتعة بأية خبرة متتالية ومع الفجر لم تكن تلك القوات قد حققت أي تقدم جدي لغياب قادتها ولتضارب الأوامر التي تلقتها، وخلال فترة قصيرة برز نقص شديد في المياه.

وكان الوضع غريباً جداً، فلقد استطاع (١٥٠٠) تركي مع بعض مدافع الهاونزر ودون أية مدافع رشاشة إعاقة تقدم جيش يضم (٢٠) ألف رجل. ولم يتقدم البريطانيون حتى غسق يوم ٧ آب، حين سيطروا على (تلة تشوكلت) وعلى (التل الأخضر) وأصبحوا على بعد ميل أو ميلين من المرتفعات الرئيسية التي كانت هدف الهجوم بأكمله. غير أنهم لم يتابعوا التقدم، وفقدوا أي تماس مع العدو في ليلة ٧ آب وحين سيطروا على (تلة تشوكلت) وعلى (التل الأخضر) وأصبحوا على بعد ميل أو ميلين من المرتفعات الرئيسية التي كانت هدف الهجوم بأكمله. غير أنهم لم يتابعوا التقدم، وفقدوا أي تماس مع العدو في ليلة ٧ –٨ آب. وكان الوضع في شاطئ (إنزاك) مختلفاً فلقد خاض الحلفاء والأتراك معارك دامية وعنيفة حول المرتفعات. في حين فشل هجوم (سوفلا) نظراً

لاستخدام قادة وقوات غير صالحة لتنفيذه. فلقد زج الحلفاء في شاطئ (إنـــزاك) أفضل قادتهم وقواتهم لتنفيذ خطة شبه مستحيلة وكان البريطـــانيون قـد شـنوا هجوماً من رأس (هلس) على (كريثيا) في الوقت الذي كان فيه الأتراك يعـــدون الهجوم على المواقع البريطانية. وارتد الحلفاء إلى خنادقهم بعد أن تكبدوا خسـائر بالغة، ودون أن يحققوا أي كسب.

وحاول (هاملتون) تجاوز الصعوبات التي تواجه قواتـــه. فتوجـه إلـى (سوفلا) حيث أمر بمتابعة التقدم وكان (بيردوود) و(غودلي) أحد كبار ضباطـــه في شاطئ (إنزاك) يحثان جنودهما على الاستمرار فـي محـاولات الاخـتراق وتمكنت قوة بريطانية بقيادة الرائد (الانسون) من السيطرة على قمة (شاناك بـير) في ٩ آب ١٩١٥.

وفي تلك الأثناء كان (ليمان فون سـاندرس) قـد أسـند فـي آب إلـى (مصطفى كمال) قيادة الجبهة من (سوفلا) حتى (تشاناك بير) (٨ آب) ووصلـت التعزيزات التركية من (بولير). وشن الأتراك هجوماً مضاداً ناجحاً على كل مـن (سوفلا) وقمم (ساري بير) وفي ظهيرة يوم ١٠ آب كان الأتـراك قـد طـردوا الحلفاء من كل المرتفعات الهامة في (سوفلا) وشاطئ (إنزاك) وانتهت المعركـة في رأس (هلس) المهم دون أية نتائج هامة.

واستمرت المعارك في (سوفلا) وشاطئ (إنزاك) حتى نهايـة آب ولقـد كان بإمكان البريطانيين تحقيق الحسم في هجومين شنوهما في ١٥و٢١ آب غـير أن المعركة كانت قد حسمت في آب عندما استعاد (مصطفى كمال) (شاناك بـير) و(تك تب) وكانت حصيلة معارك آب بالنسبة إلى الحلفاء (٤٥) ألف إصابة.

وحاول (هاملتون) الحصول على مزيد من التعزيزات دون جدوى وعلد الإرهاق مجدداً ليسيطر على الجانبين في الوقت الذي قرر فيه مجلس الحرب البريطاني العودة إلى التركيز على فرنسا. حيث كان (جوفر) يعد لهجوم ضخم على الجبهة الغربية في أيلول. وبرز أمل طفيف في ٢ أيلول عندما تلقى (هاملتون) رسالة تفيد بان الفرنسيين قرروا إرسال جيش جديد إلى الدردنيل بقيادة الجنرال (ساراي). وتلاشى هذا الأمل بسرعة بعد أن دفع (جوفر) باتجاه تأخير العملية لما بعد هجوم أيلول. وفي أواخر أيلول، وبعد أن بدأ واضحاً أن بلغاريا وألمانيا والنمسا ستشن هجوماً ضد بلاد الصرب، واتفق (كينشز) و(جوفو) على سحب فرقتين من (غاليبولي) ودفعهما إلى (سالونيكا).

وفي تشرين الأول حاول (كيس) إقناع الأميرالات بشن هجوم بحري جديد على المضائق. ومع سقوط بلاد الصرب اشتد التناقض بين أنصار (غاليبولي) وأنصار (سالونيكا). وفي ١١ تشرين الأول أرسل (كينشز) برقية إلى (هاملتون) يسأله فيها عن تقديراته للخسائر في حال إخلاء شبه الجزيرة وأجاب (هاملتون) بان الخسائر ستكون بنسبة تفوق الـ ٥٠% معتمداً التضخيم وفي ١٤ تشرين الأول قررت لجنة الدردنيل إعفاء (هاملتون) من منصبه وتعيين الجنرال (تشارلز مونرو) مكانه.

ووصل (مونرو) إلى (امبروس) في ٢٨ تشرين الأول في الوقت الذي وصل فيه (كيس) إلى لندن في محاولة لإقناع المسؤولين بإعادة محاولة اقتحام المضائق. وبعد أن تلقى (كينشز) رسالة من (مونرو) ينصحه بإخلاء شبه الجزيرة قرر التوجه إلى (غاليبولي) شخصياً ووصل (كينشز) إلى (غاليبولي) في مطلع تشرين الثاني حيث قابل (مونرو) و(دوروبك) و (بيردوود) و(ماكسويل) و(السير هنري ماكماهون) المفوض السامي في مصر. وبعد فترة

من التردد وتغير المواقف، عاد (كينشز) إلى إنكلترا في ٢٤ تشرين الثاني بعد أن اقتنع بإخلاء (سوفلا) وشاطئ (إنزاك) والمحافظة على رأس (هلس) في الوقت الراهن. وكان (مونرو) الشخص القوي وراء اتجاه الإخلاء، ولم تنفع محاولات (كيس) (الحثيثة) للاستمرار في الحملة. وتوجه (مونرو) الذي أصبح قائداً عاماً لكل من (سالونيكا) أو (غاليبولي) إلى (المنوس). في حين عاد (دوروبك) إلى بريطانيا ليحل محله (وبمبس). واستمر التردد فترة طويلة حتى حسمه قرار من الحكومة في ٧ كانون الأول ١٩١٥ يقضي بإخلاء شاطئ (إنزاك) و(سوفلا). وفي الوقت نفسه ترك مصطفى كمال شبه الجزيرة نظراً لحالته الصحية بعد أن حاز على لقب باشا نظراً لبطولته إبان معارك آب.

وتمت عمليات الإخلاء من (سوفلا) وشاطئ (إنزاك) على مراحل وبنجاح وبدون إصابات في ٢٠ كانون الأول. ومن رأس (هلس) في ٩ كانون الثاني ١٩١٦. وهكذا انتهت العمليات الناجحة الوحيدة في الحملة. ولقد كانت الخسائر إبان الحملة بالنسبة إلى الطرفين كما يلي- من أصل (٤٨٩) ألف جندي حليف زجوا في الحملة (٤١٠) ألف بريطاني و ٧٩ ألف فرنسي. أصيب (٢٠٥) ألف بريطاني و(٤٧) ألف فرنسي و المجموع ٢٥٢ ألف إصابة). أما الأتراك ضمن أصل حوالي (٥٠٠) ألف جندي زجوا في الحملة، قتل (٥٥١٢٧) وجرح (١٠٠١٧٧) وفقد (١٠٠٦٧) وتوفي (٢١٤٩٨) بسبب المرض وأخلي (٦٤٤٤٠) بسبب المرض أيضاً (المجموع ٢١٥٣٠٩ إصابات).

ولقد انصب الكثير من الانتقادات على حملة الدردنيل في زمن لاحق ولعل أهم تلك الانتقادات أنه كان بمقدور البريطانيين الإفادة من قدرتهم العالية على الحركة السريعة في البحر لسحب القوات من المحاور التي تم فيها التصدي للإنزال، ونقلها لتعزيز القوات في المحاور. والتي لم تواجه أية مقاومة نسبياً

وهكذا كان بالإمكان تجاوز الثغرة الناجمة عن عدم توفر قوات احتياطية. وكذلك فشلت الخطة في الآخذ بالاعتبار إمكانية النجاح الجزئي وهي الحالة الأكثر وقوعاً في الحرب. كما لم تترك أي احتياطي عائم تحت تصرف القائد العام. ولقد عانت الخطة والتنفيذ من فقدان المرونة.

المعارك الجوية:

لم يكن سلاح الجو في أوائل الحرب العالمية الأولى من الخطر بحيث يؤثر على سير الحرب، كما أن الدول المتحالفة لم تكن قد أولته العناية الكافية، فلقد كانت بريطانيا لا تملك من هذا السلاح سوى ستين طائرة أرسل منها ست وثلاثون إلى الجهة الفرنسية، كذلك كانت باقي الدول المتحاربة لا تملك من الطائرات سوى أعداد هزيلة.

وقد كلف سلاح الجو في ابتداء الحرب، بعمليات استكشاف واستطلاع تمهيداً لتعين الأهداف للقصف المدفعي، أو تمهيداً لرصد تحركات العدو ومعاينة نشاطاته ومراكز قيادته، ولكن بعد أشهر من ابتداء المعارك عكفت الدول المتحاربة على تطوير إمكانات الطائرة نحو أهداف تكتيكية هامة، ثم سرعان ما أخذت الطائرة كوسيلة قتال تكبر حجماً، وتزداد فعالية، ويزيد إلى جانب ذلك استعمالها. ويذكر في هذا الصدد هجوم الطائرات الإنكليزية على قرية (تلت) مقر هيئة أركان الجيش الألماني. كما صادف وجود القيصر فيها. فنجا بأعجوبة.

إلا أن العمليات الجوية بين المتحاربين، وتطوير الطائرة كسلاح هام في المعركة لم تكن وقفاً على دولة دون أخرى بل كان هناك نوع من التعادل في القوى الجوية، ولكن الألمان تقوموا على خصومهم بعمليات المناطيد (زبلن) حيث وقعت أول غارة من هذا النوع في ١٩ كانون الثاني من عام ١٩١٥.

عندما أغار منطاد ألماني على مرفأ (نورفلك) وتعددت بعد ذلك غارات المنطيد، إلا أن تأثيرها كان محدوداً.

- الحملة العثمانية على مصر:

كتب نائب القائد العثماني العام وزير الحربية أنور باشا رسالة سرية إلى الفريق هيلموت فون مولتكه (الصغير) رئيس هيئة الأركان الألمانية في ٢٢ تشرين الأول ١٩١٤ تضمنت الإشارة إلى الاتفاقية السرية المعقودة بين ألمانيا والدولة العثمانية في ٢ آب ١٩١٤ والتي تنص على انحياز الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وحلفائها في الحرب وجاء فيها اختصار للائحة الحركات العثمانية حيث تضمنت الخطوط العامة للحملة على مصر.

وعندما أصبح الوزير أحمد جمال باشا والياً على بلاد الشام وقائداً للجيش الرابع العثماني عين العميد علي فؤاد آردن رئيساً لأركانه وتلقفت قيادة الجيش الرابع الوصايا التمهيدية وفق الاعتبارات التالية بأن يتم التعرض على قناة السويس في كانون الثاني ١٩١٥ تجنباً لحرارة الطقس ولتوفر المياه في موسم الأمطار لشرب القطعان وسقي الحيوانات. والتأثير على الرأي العام المصري للقيام بثورة على الإنكليز وجعلهم في موقف حرج بإجبارهم على الدفاع عن أنفسهم في مصر في الوقت الذي تهاجمهم به القوات العثمانية من فلسطين.

وعلى الرغم من أن الألمان كانوا حلفاء للعثمانيين وقد عززوا قيادة الجيش الرابع بعدد من ضباطهم الأكفاء، إلا أنهم لم يزودوهم بمعدات حديثة كأجهزة اللاسلكي والطائرات والمدفعية السرية بحيث تسهل عليهم مهمة مقاتلة القوات الإنكليزية التي تتفوق بتوفر المعدات الحديثة وبكميات كافية.

ولابد من الإشارة إلى أن الغرض من الحملة لم يكن لصالح الإمبراطورية العثمانية التي لم تهيئ في تلك الفترة قوات كافية للدفاع عن العراق بينما كان الغرض من الحملة على مصر مشاغلة أقوى ما يمكن من التشكيلات الإنكليزية لإجبار الإنكليز على التقليل من قوة الإنقاذ المخصصة للدفاع عن فرنسا وبلجيكا إزاء ألمانيا وهذا ما قصده ضباط الركن الألمان الذين وضعوا لائحة الحركات للجيوش العثمانية فخدموا بلادهم وأضروا بمصلحة الإمبراطورية العثمانية.

وكانت قناة السويس- ولا تزال - الشريان الحيوي الذي يقتصر لبريطانيا الطريق من القاعدة (وهي الجزر البريطانية) إلى الهند والشرق الأقصى وصولاً إلى استراليا ونيوزيلندا. ولهذا فقد سعت بريطانيا للسيطرة لا على قناة السويس وحدها بل تجاوزتها إلى لسيطرة على مصر برمتها وكذلك التحكم بمضيق باب المندب عند الطرف الجنوبي من البحر الأحمر عندما أسست قاعدة قوية في عدن وقبالتها في الصومال على الساحل الأفريقي.

قرر القائد العثماني التقدم عبر سيناء على محاور ثلاثة بغية اقتحام قناة السويس بصورة مباغتة. وتقرر التقدم بالقسم الأكبر من قوة الصولة على الطرق الوسطى وبقوات قليلة نسبياً على الطرفين الساحلي والجنوبي وكما يلي.

- المحور الشمالي (الساحلي) فوجاً مشاة وبطرية مدفعية.
- المحور الوسطي- مقر الفرقة ٧,٢٥ أفواج مشاة و٥ بطريات مدفعية وكتيبة الهندسة وقطار الجسر ولاء الهجانة.
- المحور الجنوبي - فوجا مشاة وكتيبة الخيالة للفرقة ٢٢.

وتقرر تحشد القطعان بعد اجتياز شبه جزيرة سيناء في موقع على بعد ٢٥ - ٣٠ كيلومتراً شرق قناة السويس إلى أن تجتاز قناة السويس خلال مدة لا تتجاوز ستة أيام لأن مياه الشرب المتيسرة لا تكفي لإسقاء القطعان والخيول والجمال لتشكيلات المهاجمة لمدة اكثر من هذه الأيام الستة.

وقد انطلقت قوات المحور الشمالي من خان يونس والقسم الأكبر من بئر السبع وقوات المحور الجنوبي من معان يوم ١٥ كانون الثاني وكان الإنكليز يتابعون تحركات القوات العثمانية بدقة متناهية بجميع وسائل جمع المعلومات المتيسرة لهم آنذاك فعلموا بقوتها ومواقع تنقلها وتوقيتات وصولها.

وعندما قدر الإنكليز الموقف بشكل دقيق وتوصلوا إلى نتيجة مفادها عجز العثمانيين عن عبور قناة السويس ولذا فقد قرروا الانسحاب من شبه جزيرة سيناء والدفاع على قناة السويس فتركوا مناطق البحيرات التي تمر منها القناة وقسموا القناة المحفورة إلى أربعة قواطع- القاطع الأول من بور سعيد إلى القنطرة. والقاطع الثاني من القنطرة إلى المعبر- القاطع الثالث بين بحيرة التمساح والبحيرة المرة الكبرى أما القاطع الرابع من جنوب البحيرة المرة الصغرى إلى خليج السويس.

قرر القائد الإنكليزي الاستفادة من الوسائل المتاحة له والتي يفتقر لها خصمه وهي الأسطول البحري المسيطر على سواحل البحر المتوسط والذي تتوفر منه عدة سفن في البحيرات التي تمر منها قناة السويس. وكذلك سكة الحديد التي تمتد غرب القناة وبمحاذاتها والتي يسير عليها قطار مدرع مصمم للأغراض العسكرية. بالإضافة إلى استخدام الطائرات المخصصة للاستطلاع القريب والعميق والذي كان يعزز بالتصادير الجوية.

قام العثمانيون بهجمات تضليلية شنتها قوات الرتلين الشمالي والجنوبي يومي ٢٦و ٢٧ كانون الثاني ١٩١٥ إلا أن محاولاتهم هذه لم تنجح لأن الإنكليز كانوا على اطلاع تام بشأن خطط العثمانيين وكل ما يتعلق بقواتهم المهاجمة وقد هاجم الرتل الشمالي منطقة القنطرة بينما هاجم الرتل الجنوبي منطقة الكوبري الواقعة شمال السويس لكنهما لم يتمكنا من احتلالها.

وقام رئيس أركان الفيلق ٨ (العقيد الألماني فون كريس) باستصحاب آمري السرايا الأمامية في الاستطلاع وحدد مواقع فتح القوارب ونصب الجسور والمعابر. وتقرر إجراء العبور بعد الضياء الأخير يوم ٢ شباط ١٩١٥ ولكن هبت عاصفة رملية عاتية عصر يوم ٢ شباط ١٩١٥ فأربكت استحضارات العثمانيين للهجوم عندما فقدت سرايا الصولة اتجاهاتها نحو أماكن التشكيل وتأخر إيصال معدات التجسير والزوارق إلى شاطئ القناة وارتبكت المواصلات الهاتفية وتأخر انفتاح المدفعية السائدة وبذا تأخر وقت الشروع إلى ما بعد منتصف ليلة ٢ – ٣ شباط ١٩١٥ وكان لواء المشاة ٦٨ (من الفرقة ٢٥) يقود هجوم الرتل المركزي وهدفه احتلال مدينة الإسماعيلية ووصلت الفرقة ١٠ (اللوائين ٢٨ و ٢٩) إلى موضع اجتماع مدينة يبعد ١٠ كيلومترات عن قناة السويس وراء الرتل المركزي ليلة ٢ –٣ شباط ١٩١٥.

وقد شعر الإنكليز بحركة القوات العثمانية التي كانوا يتتبعون مراحلها عن كثب فأوقفوا سير السفن في قناة السويس وصبوا نيراناً كثيفة ودقيقة على القوات المهاجمة من مدفعيتهم التي تم توجيهها بالمراصد الجوية ونيران سفنهم الحربية ورشاشاتهم المعبأة بمهارة بعد أن استخدموا الأنوار الكشافة لإضاءة المنطقة ليلاً فكبدوا تشكيلات الفرقة ٢٥ خسائر فادحة اضطر معها القائد العثماني على زج اللواء ٢٨ من الفرقة ١٠ واندفعت الموجة الأولى من

الصولة لعبور قناة السويس بقوة (٦٠٠) جندي ولكنها تعرضت لنيران شـــديدة عندما حاولت إنزال زوارق الخشب عند شروق يوم ٣ شـــباط ١٩١٥. وعـــاود العثمانيون محاولة عبور قناة السويس رغم الخسائر التي تكبدها لكنهم فشلوا فـــي العبور وسقط من تمكن من العبور قتيلاً أو أسيراً.

وفي يوم ٣ شباط ١٩١٥ عقد مؤتمر في مقر الجيـــش الرابـــع حضـــره (أحمد جمال باشا) قائد الجيش ورئيس أركانه العميد (فون فرانكنـــبرغ) ومديـــر حركاته العقيد (علي فؤاد آرون) وقائد الفيلق ٨ ورئيس أركانـــه العقيـــد (فـــون كريس) لتدارس الموقف وقرر قائد الجيش الرابع بنتيجة بحث الموقف من جميع الوجوه التوقف عن محاولة العبور لعدم وجود أي أمل بتحقيـــق النجـــاح وأمـــر بالانسحاب بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة وأصاب الإجهاد أفراد الحملة ولـــم تعد لديهم إلا مقادير ضئيلة من العتاد. وانسحبت القوات العثمانيـــة ليلـــة ٣ – ٤ شباط ١٩١٥ ولما عبر لواء الخيالة الإمبراطوري قناة السويس لمطاردتها يوم ٤ شباط لم يحقق التماس بها في ذلك اليوم.

وبلغت خسائر العثمانيين ٢٣٨ قتيلاً و٥٦٦ جريحاً و ٧١٦ أســـيراً أمـــا خسائر الإنكليز فبلغت (١٥٠) قتيلاً وجريحاً.

ويظهر بأن العثمانيين لم تكن لهم مصلحة مباشرة فـــي مهاجمـــة قنـــاة السويس وإنما كانوا ينفذون لائحة الحركات التي وضعها ضباط الركن الألمـــان وسعوا من ورائها لتنفيذ مصالح بلادهم بإجبار الإنكليز على تخصيـــص قـــوات كبيرة للدفاع عن مصر على حساب مجهودهم الحربي في الجـــهات الأخـــرى وبخاصة الجبهة الغربية في أوروبا.

الاحتلال البريطاني للعراق:

تعود الأطماع الاستعمارية البريطانية في العراق إلى عوامل استراتيجية واقتصادية. ولم يتيسر للإنكليز فرض السيطرة المباشرة على العراق إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث وضعت بريطانيا خططها الخاصة باحتلال العراق وضع التنفيذ بعد دخول الدولة العثمانية التي كان العراق تحت سيطرتها آنذاك الحرب إلى جانب ألمانيا.

وقامت القوات البريطانية المؤلفة من جحفل لواء فجر يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ بعملية إنزال في الفاو بعد أن مهدت لها بقصف بحري أسكت المدافع العثمانية القديمة التي لم يتجاوز عددها أربعة مدافع وتشتت شمل الحامية الضعيفة المؤلفة من فوج حدود لا تتجاوز قوته (٤٠٠ بندقية) وكان للبريطانيين سفينة حربية تدعى (اسبيكل) في (المحمرة) راسية في نهر الكارون فهددت مؤخرة القوات العثمانية المرابطة في الفاو والتنقلات على طريق البصرة – الفاو وقد أوفدت السفينة مفرزة قطعت خط البرق العثماني بين الفاو والبصرة وبهذا حرمت القيادة العثمانية في البصرة من الاطلاع على تطور الموقف في الفاو. وقام العثمانيون بإرسال القوات من البصرة في محاولة لإيقاف البريطانيين الذين ازدادت قوتهم إلى الضعف بوصول لواء يوم ١٤ تشرين الثاني وهو اللواء ١٨، كما وصل قائد الفرقة السادسة الجنرال (باريت) لقيادة القوة ومعه أمر بتعيين مدينة البصرة هدفاً لقواته.

حاول العثمانيون تأسيس خط دفاعي لإيقاف الزحف البريطاني شمالاً بقوتهم البالغة أربعة أفواج (١٥٠٠ بندقية و٨ مدافع و زهاء ١٠٠٠ متطوع) فأشغلوا موضعاً دفاعياً في منطقة كوت لزين (الساحل) وتعرض هذا الموضع

في يوم ١٧ تشرين الثاني لهجوم بريطاني بقوة تتفوق عليه كثيراً بالعدد والعدة (٩٠٠٠ بندقية و ٢٤ مدفعاً) وتشمل اللواءين ١٦ و ١٨ ولم تصمد القوة العثمانية في مواضعها سوى بضع ساعات اضطرت بعدها للتراجع بعد أن منيت بخسائر فادحة ونفد ما لديها من عتاد.

ووصلت السفن البريطانية البصرة يوم ٢١ تشرين الثاني بعد أن اجتازت بسهولة الحواجز التي وضعها العثمانيون لسد شط العرب وبدأت طلائع القوات البرية البريطانية أو بالوصول يوم ٢٢ تشرين الثاني وتم احتلال مدينة البصرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ من قبل القوات البريطانية بقيادة الجنرال (باريت) قائد الفرقة السادسة.

وتقدم الجنرال (باريت) قائد الحملة بتقدير موقف للعمل العسكري إلى القيادة العامة قال فيه إنه يرغب بترصين الموقف في البصرة بالتقدم نحو (القرنة) وتأسيس موقع مستحكم فيها لحماية البصرة من الشمال كما يقترح تأسيس موقع مستحكم فيه لحماية البصرة من الشمال كما يقترح تأسيس موقع مستحكم آخر غرب البصرة في موقع الشعيبة لحمايتها من ذلك الاتجاه. وقد تمت الموافقة على اقتراحه بالتقدم لاحتلال القرنة وفي ٩ كانون الأول ١٩١٤ تم احتلال مدينة (القرنة) بعد استسلام القوة العثمانية الموجودة فيها والتي كانت مؤلفة من (٤٥) ضابطاً و(٩٨٩) من المراتب و(٤) مدافع. وباستسلام حامية القرنة قرر الجنرال (باريت) تحصينها ووضع حامية مؤلفة من جحفل لواء فيها. وبعد احتلال (القرنة) وإنشاء الموقع المحصن في (الشعيبة) أصبح موقف القطعان البريطانية في البصرة رصيناً إلا أن القيادة العامة البريطانية وجدت أن فرقة واحدة لا تكفي لإنجاز الواجب حيث أن منطقة عربستان وحماية آبار النفط تتطلب قوة إضافية بالإضافة إلى الأنباء الواردة عن احتمال وصول

إمدادات عثمانية جديدة إلى العراق. ولذا قررت إيفاد فرقة مشاة أخرى وإبــــلاغ القوة البريطانية في العراق إلى فيلق مؤلف من فرقتي مشاة كل منها تتألف مــــن (٣) ألوية مشاة مسانده حسب ملاك فرقة مشاة هندية. وعليه صـــدرت الأوامــر إلى الفرقة الثانية عشرة بالتوجه إلى العراق ووصل اللواء ١٢ منـــــها فـــي ١٥ شباط ١٩١٥ وأعقبه اللواءان الآخران. وفي ٩ نيسان ١٩١٥ وصـــل الجــنرال (نيكسون) المعين لقيادة الفيلق وتسلم قيادة الحملة البريطانية.

وقد أثر سقوط (القرنة) تأثيراً كبيراً على المقر العام العثماني فصــــدرت الأوامر بتنحية (جاويد باشا) عن القيادة والولاية وعين للقيـــادة العميــد الركــن (سليمان عسكري) وكان من المعروفين بشجاعتهم وقد سبق لـــه الخدمــة فــي العراق وقد استصحب معه عند قدومه ثلاثة أفواج تركية حسنة التدريــــب كمــا صدرت الأوامر إلى الفرقة (٣٥) وهي من الفرق العراقية التـــي أوفــدت إلــى الجبهة السورية بالعودة إلى العراق.

وضع سليمان عسكري خطة لطرد البريطانيين مـــن العـــراق واســتعادة البصرة وقد بناها على أساس تشكيل ثلاثة أرتال تزحف على ثلاثـــة محـــاور – الرتل الأيسر يزحف على محور نهر الكارون ويتقدم نحـــو المحمـــرة، والرتــل المركزي يزحف على محور نهر دجلة ويتقدم نحو القرنة. أما الرتــــل الأيمــن فيزحف على محور الفرات ويتقدم نحو البصرة من اتجاه الزبير. وتم حشد القسم الأكبر من القوة في الرتل الأيمن لإنزال الضربة الرئيسية من هذا الاتجاه علــــى أن يقوم الرتلان المركزي والأيسر بالتثبيت والمشاغلة.

وتقدمت القطعات العثمانية لـــهجوم ليلـــة ١١-١٢ نيســـان ١٩١٥ بعــد استطلاع ناقص وبموجب أوامر مبهمة. وشرع بالهجوم فجر يوم ١٢ نيسان مــن ثلاثة اتجاهات نحو الجناحين والمركز وقد نجحت المدفعية البريطانية المتفوقــــة

باسكات المدافع العثمانية خلال (١٥) دقيقة من بدء الهجوم ولم تستطع القطعــات المهاجمة التقرب إلى اقل من(١٠٠٠) متر عن المواضع البريطانيـــة. وتجــدد الهجوم ليلة ١٢-١٣ نيسان دون نتيجة وتعززت القطعات البريطانيـــة بفوجيــن آخرين وبطرية مدفعية وشرع البريطانيون بهجوم مقابل عام صبـــاح يــوم ١٤ نيسان ساهم به لواء خيالة ولواء مشاة وبعد معركة عنيفة تضعضعت المقاومـــة العثمانية وانسحبت قواتهم نحو أدغال البرجسية دون انتظام وقد انتحر (ســليمان عسكري) عند اطلاعه على النكبة التي حلت بقواته. وتعتبر معركة الشعيبة مــن المعارك الكبرى الحاسمة في حرب العراق وبلغت خســائر البريطــانيين فيــها حوالي (١٢٠٠) بين قتيل وجريح بينما كانت خسائر العثمــانيين (٦٠٠٠) بيــن قتيل وجريح.

قرر الجنرال (نيكسون) بعد نجاحه في إحباط التعرض العثماني من اتجاه الشعيبة القيام بعمليات متتابعة في منطقة عربستان لضمان حماية آبار النفط التــي كانت المصدر الوحيد للأسطول البريطاني والتقدم على محوري دجله والفــرات لاكمال احتلال ولاية البصرة بالاستيلاء على مدينتي العمارة والناصرية. وقد تــم إنجاز ذلك بالتعاقب حيث قامت القوات البريطانية بالعمليات في عربستان خــلال (١٤ -١٦مايس) وباحتلال العمارة في ٣ حزيران والناصرية فــي ٢٥ تمــوز ١٩١٥.

وفي ١٠ حزيران ١٩١٥ اقترح الجنرال (نيكسون) على حكومــة الــهند التقدم نحو كوت الإمارة واحتلالها. وتلقــى الجــنرال (نيكســون) فــي ٢٢ آب الموافقة على اقتراحه بالتقدم واحتلال الكوت وأصــدر أوامــره إلــى الجــنرال (طاوزند) الذي تسلم قيادة الفرقة السادسة في ٢٤ نيسان ١٩١٥ خلفــاً للجــنرال باريت الذي أعيد إلى الهند لمرضه) في ٢٣ آب بالتقدم لاحتلال كوت الإمــارة.

ومن الجدير بالذكر أن كوت الإمارة هي خارج ولاية البصرة وهي قضاء في ولاية بغداد.

وفي الجانب التركي أوضح العميد نور الدين بك معرفته إلى القيادة العامة العثمانية وذكر أن الحاجة ماسة لتعزيزه بفيلق كامل ليتسنى له حد العدد والقيام بتعرض مقابل فور سنوح الفرصة. واقتراح الانسحاب إلى خط المسيب- سليمان بك وهو أضيق محل بين دجلة والفرات للدفاع عنه ثم انهمك بإعادة تنظيم قواته المؤلفة من الفرقتين ٣٨ و٣٥ التي سحبتا من سورية فأخذ بسد نواقصهما ورفع مستواهما التدريبي وانهمك بصورة جدية بإعداد موضع دفاعي على ضفتي دجله حوالي (١٠) كيلومترات شرقي الكوت.

تحشدت الفرقة السادسة البريطانية في (علي الغربي) في ١١ أيلول وتقدمت لتأسيس التماس بالموضع العثماني في الصناعيات شرق الكوت في ٢٥ أيلول. وكانت القوة البريطانية المهاجمة (١١,٠٠٠ بندقية و ٢٨ مدفعاً) وكانت القوة العثمانية (٧٠٠٠ بندقية و ٣١ مدفعاً) وبنى الجنرال (طاوزند) خطته على تثبيت العثمانيين من الجهة والالتفاف حول جناحهم الأيسر بالقسم الأكبر من قوته لتطويقهم وحصرهم والقضاء عليهم وشرع بالهجوم فجر ٢٨ أيلول ١٩١٥. وشعر نور الدين بحركة الالتفاف وقام بشن هجوم مقابل لإيقافها إلا أن هجومه لم ينجح فقرر سحب قواته إلى موضع مستحضر في الخلف في منطقة سلمان باك. وشرع بالانسحاب ليلة ٢٨- ٢٩ أيلول بشكل منتظم وبحماية مؤخرة قوية تستر انسحابه. وقد حاول الجنرال (طاوزند) مطاردة القوات العثمانية نهراً وبراً كما فعل عند التقدم نحو العمارة إلا أنه لم ينجح بذلك لمتانة الحواجز التي أقامها العثمانيون في نهر دجلة ولحسن أداء المؤخرة العثمانية لواجباتها. فقد أمر بإيقاف المطاردة بعد الوصول إلى العزيزية يوم ٥ تشرين

الأول ١٩١٥. لقد اصطدم الجنرال (طاوزند) في هذه المعركة بموضع حسن التنظيم وقاتلت القوات العثمانية بإمرة قائد جيد يحسن قيادتها فعجز عن تحقيق ما كان يحلم به من نتائج باهرة مثل دخول بغداد مع القطعات العثمانية المنسحبة.

وقد وقعت معركة (سلمان باك) في ٢٢ -٢٦ تشرين الثاني ١٩١٥ بين القوات البريطانية بقيادة الجنرال (طاوزند) والقوات العثمانية بقيادة (نور الدين بك) ونتج عن المعركة وما مني به الجانبان من خسائر فادحة موقفان مختلفان، فقد هبطت معنويات الجانب البريطاني وأخذ التردد والسلبية يبدوان واضحين في قرارات الجنرال (طاوزند) بينما ارتفعت معنويات الجانب العثماني وقرر (نور الدين بك) الهجوم، والمطاردة دون تردد وهو يعلم حق العلم أن ما مني به من الخسائر يصعب تعويضه وأن البريطانيين أقوى منه بكثير في عددهم وأسلحتهم لاسيما في مدافعهم وأسطولهم النهري اللذين يشكلان عوامل خطورة بالنسبة لقواته.ولذا فبعد أن استردت قواته خط دفاعها الأول يوم ٢٦ تشرين الثاني أمر لواء الخيالة وكتيبتي هجانة وبطرية جبلية بتعقب البريطانيين حيث قام الجنرال (طاوزند) بسحب القطعات البريطانية ودخل الكوت في ٣ كانون الأول ١٩١٥.

قرر العميد (نور الدين) الاكتفاء بتطويق الكوت كما أوصى القائد الألماني (فون درغولج) قائد لقوات العثمانية في العراق والتقدم على محور دجلة لمجابهة القوات البريطانية التي كانت تحتشد للزحف وإنقاذ الكوت وفك الحصار عنها يمكن ترك الفيلق ١٨ المؤلف من الفرقتين (٤٥و ٥١) لمحاصرة الكوت وتحرك بالفيلق ١٣ جنوباً نحو (شيخ سعد). وكان هذا الفيلق مؤلفاً من الفرقتين (٥٢و ٣٥) حيث ألغيت الفرقة (٣٨)، ووزع منتسبوها على الفرق الباقية وكانت

قوة كل من الفيلقين زهاء (٧٥٠٠) مقاتل. ويتبين من هذا أن القوة المحاصرة للكوت كانت اقل من القوة الموجودة في داخلها وعين الجنرال (ايلمر) لقيادة القوات المحتشدة لإنقاذ الكوت والتي تقرر تأليفها من (فيلق دجلة المؤلف من الفرقتين ٣ و٧ وقد جابه (نيكسون) صعوبات في سوق النجدات للشمال لعدم مساعدة ميناء البصرة في تفريغ السفن الكبيرة وعين يوم ٣ كانون الثاني ١٩١٦ موعداً للشروع بالتقدم ونشبت سلسلة معارك بين هذا التاريخ و ٢٩ نيسان ١٩١٦(يوم تسليم حامية الكوت) عرفت باسم معارك الإنقاذ وقد بذل فيها البريطانيون جهوداً خارقة ومنوا بخسائر فادحة إلا أن جهودهم باءت بالفشل.

وفي يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦ دخلت القوات العثمانية الكوت واستسلمت الحامية البريطانية البالغ عددها (٤٨١) ضابطاً و(١٣٣٠٠) من المراتب بعد ان دمرت أسلحتها ومعداتها.وكان التأثير المعنوي لواقعة التسليم كبيراً حيث كان ضربة كبيرة لهيبة الإمبراطورية البريطانية التي ضحت بـ (٢٣٠٠٠) مقاتل في سبيل إنقاذ الكوت دون جدوى وقد جاء هذا الحدث بعد فشل الحلفاء في معارك غاليبولي وانسحابهم منها في كانون الثاني ١٩١٦ وقد هيمن موضوع الكوت على السوق العسكري البريطاني طيلة فترة الحصار.

وفي ٢٨ آب ١٩١٦ عين الجنرال (مود) قائداً عاماً للحملة البريطانية وقد وصل للعراق قائداً للفرقة ١٣ البريطانية المسحوبة من الدردنيل وتسلمت وزارة الحرب البريطانية السيطرة الكاملة على الحملة ولم تبق لحكومة الهند علاقة بها وبذلك أصبح بالإمكان تنسيق عمليات جهة العراق مع بقية الجهات الحربية. وفي ٢٨ أيلول ١٩١٦ صدرت وصايا جديدة إلى الجنرال (مود) حددت هدفه بتأسيس النفوذ البريطاني في ولاية بغداد ويدخل ضمن ذلك تدمير

القوات لعثمانية المرابطة في مواجهته والاستيلاء على مدينة بغداد ونظم الجنرال (مود) قواته في جبهة دجلة على الوجه التالي:

- الفيلق الأول – بقيادة الجنرال فوب – الفرقة ٣ والفرقة ٧ و قطعات الفيلق.
- الفيلق الثالث– الجنرال مارشال – الفرقة ١٣ والفرقة ١٤ وقطعات الفيلق.
- فرقة الخيالة – اللواءان السادس والسابع.
- سرب طائرات.

وفي ليلة ٢٢ –٢٣ شباط ١٩١٧ نفذ الجنرال (مود) خطته بعبور دجلة خلف الأتراك فعبر من دورة شمران الواقعة على بعد ١٢ كيلومتر غرب الكوت واستغرق نصب الجسر ثماني ساعات وتم عبور الفرقة ١٤ ليلة ٢٣ –٢٤ شباط وفي صباح يوم ٢٤ شباط عبرت فرقة الخيالة والفرقة ١٣ والفرقة ٣ والمدفعية ولم تتمكن المدفعية العثمانية من التدخل بصورة مؤثرة وتدمير الجسر لقلة عتادها ولتفوق المدفعية البريطانية وبالنظر لحراجة الموقف وضعف الفيلق ١٨ قرر قائد الجيش السادس الانسحاب نحو بغداد وأبلغ مقر الفيلق بقراره هذا وطارد البريطانيون القطعات المنسحبة بعنف ولم يتسن للفيلق ١٨ الوقوف إلا على خط نهر ديالى، وفي ٧ آذار ١٩١٧ حصلت المقدمة البريطانية على التماس بالموضع العثماني.

وتأزم موقف القوات العثمانية، فقد كان الفيلق ١٨ المؤلف من (٩٠٠٠ بندقية و٤٨ مدفعاً). يواجه على ضفتي دجلة والفرات قوات الجنرال (مود) المؤلفة من ٣١٤٧٩ بندقية و١٧٤ مدفعاً وقد ثبتت أمام القوات البريطانية

القوات العثمانية في الجبهة على جانبي دجلة ودفعتها إلى أبواب بغداد وكانت ما تزال تملك قوات احتياطية كبيرة تتمكن بها من تطويق القوات التركية وقطع خط رجعتها وإفنائها وبالرغم من عدم حصول نتيجة حاسمة بقتال يوم ١٠ آذار إلا أن خطورة الموقف جعلت خليل باشا قائد الجيش السادس يعقد مجلساً حربياً يحضره قائد الفيلق ١٨ وقادة الفرق وتم بنتيجة هذا المجلس اتخاذ قرار إخلاء بغداد والانسحاب منها ليلة ١٠- ١١ آذار ١٩١٧ وقد دخلها البريطانيون في اليوم التالي.

ومنذ انتهاء صيف سنة ١٩١٧ لم يحاول البريطانيون التقدم شمالاً نحو الموصل بالرغم من توافر معلومات دقيقة لديهم عن ضعف القوات العثمانية وسوء موقفها وأن بوسعهم التقدم واحتلال الموصل بسهولة.

وقد احتلت القوات البريطانية تكريت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧. ولم تتقدم القوات البريطانية شمالاً نحو الشرقاط إلا في تشرين الأول ١٩١٨ أي بعد ما يقرب من عام تقريباً. وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ تم للبريطانيين احتلال الموصل وانسحبت القطعات العثمانية بصورة نهائية إلى نصيبين وجزيرة بن عمر.

الحملة العثمانية على القفقاس:

جرت بين إمبراطورية روسيا القيصرية والإمبراطورية العثمانية حروب متعاقبة خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولم تكن حروبهما تضع أوزارها حتى تستعدان لحرب أخرى على جبهتين أولاهما وهي المباشرة جبهة قفقاسيا وثانيهما غير المباشرة وهي جبهة البلقان وكان لهذه الحروب المتعاقبة

سببان واضحان أحدهما ديني والآخر قومي ويكمن وراءهما السبب الحقيقي هـو السياسي الذي يعني التوسع.

افتتحت الدولة العثمانية أعمالها العدوانية ضد روسيا قبل إعلان الحـرب بصورة رسمية عندما أغار الطرادان الألمانيان غوبن وبرسـلاو اللـذان كانـا يحملان العلم العثماني بقيادة أمير البحر زوشون على بعض الموانـئ الروسـية في البحر الأسود فكان هذا الحادث هو السبب المباشر لاشتراك الدولة العثمانيـة في الحرب إلى جانب ألمانيا اعتباراً من ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ بعد أن أعلنـت روسيا عليها الحرب في ذلك اليوم و أعقبتها كل من بريطانيا وفرنسـا. وكـان دخول الدولة العثمانية للحرب تنفيذاً للاتفاقية السرية المعقودة بين ألمانيا والدولـة العثمانية في ٢ آب ١٩١٤ والتي تنص على وجوب دخول الأخيرة إلى جـانب ألمانيا في الحرب.

وتألفت القوات العثمانية من الجنس الثـالث العثمـاني (قـائده المشـير حسـن عزت باشا) الذي كان يضم الفيلق ٩ (فرقتي لمشـاه ١٧و٢٩) والفيلـق ١٠ (٣ فرق مشاه) والفيلق ١١ (فرق المشاة ٥ و٨ و٣٣) بالإضافة إلى فرقـة الخيالة) وفرقة المشاة ٣٧ وبإسناد الجيش و ٢٧١ مدفعاً. وجعل المشـير حسـن عزت باشا مقره في أرضروم وشرع بتحشيد قواته في المنطقة المحصورة بيـن وان وأرضروم ولكنه كان يجهل مقدار قوة خصمه – التي كانت بالواقع ضعيفـة – وبالتالي فانه لم يحاول الحصول على المبادأة قبـل تكـامل تحشـد القـوات الروسية وقد تأخر تحشيد تشكيلات الجيش الثالث بسـبب رداءة المواصـلات وكانت التشكيلات العثمانية تفتقر للكثير من المـهمات الضرورية كالأسـلحة الساندة والاعتدة وتجهيزات الشتاء الشديد البرودة في تلـك الأصقـاع وتفشـت

ظاهرة الهروب من الخدمة إلى درجة ملحوظة جعلت التشكيلات هيكلية لا يصل موجدها إلى نصف ملاكاتها.

أما القوات الروسية فكان قائدها اللواء فورونوف وتألفت من فرقة المشاة ٣٩ وفرقة خيالة باراتو ولواء مشاة مستقل. وكان الروس مدركين للخطر الألماني الذي تهدد بلادهم ولذا فقد جعلوا جهدهم العسكري الرئيس بمواجهة ألمانيا والجهد الثانوي بمواجهة النمسا والمجر ولم يعير واجهة الدولة العثمانية اهتماماً فجعلوا بمواجهتها قوات رمزية لم تتجاوز فيلقاً واحداً ولكن تعاليمهم العسكرية كانت تقضي بمتابعة الخصم والحصول على أدق التفاصيل عن كل ما يتعلق بها.

تجرأ قائد القوات الروسية اللواء فورونوف على مباغتة العثمانيين فهاجمهم بقوته القليلة لكي يربك تدابير تحشدهم وشرع بالعمليات يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ بالتقدم داخل الأراضي العثمانية بثلاثة أرتال. تقدمت فرقة المشاة ٣٩ على محوري صاري قامش – كوبر وكوي – حسن قلعه، وتقدمت فرقة خيالة باراتو بمحاذاة الضفة اليمنى لنهر آراس ووصلت إلى مشارف أوغنوت وتقدم لواء المشاة المستقل على محور أولتي- نارمان لحماية الجناح الأيمن للفرقة ٣٩.

وقد قرر القائد العثماني عزت باشا بأن الروس يهدفون لاحتلال مدينة أرضروم فحشد تشكيلات الفيلق ٩ للدفاع عن هذه المدينة وخصص الفيلق ١١ وفرقة الخيالة ٢ لشن الهجوم المقابل. ولكنه عندما لاحظ تلاشي زخم الهجوم الروسي وعدم توفر قوات معقبة عاد فعدل خطته ولجأ للدفاع الموضعي لتثبيت اندفاع الأرتال الروسية داخل الأراضي العثمانية ووضع خطة لمهاجمتها يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤ لكن الروس قاموا بحركة التفاف من الجناح الأيمن

للقوات العثمانية وأوقعوا بها خسائر فادحة فقرر قـــائد الجيـــش الثـــالث الـــذي اندحرت قواته تجديد الهجوم يوم ٢٦ تشرين الثاني وزج فرقتي المشاة ١٧و ٢٩ من الفيلق ٩ وعززها بالفرقة ٣٣ من الفيلق ١١ ولكـــن الفرقـــة ٣٣ تـــأخرت بالوصول إلى ميدان المعركة وقد اكتشف القائد الروسي نوايا خصمه في وقـــت مبكر فاصدر أوامره بالانسحاب إلى خط الحدود الدولية خشية التورط بمعركـــة غير متكافئة.

وعندما تكامل تحشد تشكيلات الجيش الثالث العثماني تقدم خلال كـــانون الأول ١٩١٤ واحتل صاري قامش واندفع منها إلى فارس واحتلها ولكن الـــروس قاموا بهجمات مقابلة عديدة في أواخر كـــانون الأول ١٩١٤ حتـــى اســـتطاعوا إيقاف الجيش الثالث العثماني عن التوغل في بلادهم.

وصلت إلى اسطنبول أنباء مبالغ بها عـــن انتصـــارات العثمـــانيين فـــي معارك الحدود فصدقها وزير الدفاع أنور باشا الذي أراد أن ينسب لنفسه أمجـــاد تلك الانتصارات فعين نفسه قائداً عاماً لجبهة القفقاس وشكل لهذا الغرض هيئـــة أركان رفيعة المستوى قوامها ضباط أتراك وألمان من المشهود لهم بالكفاءة.

وقد سافر أنور باشا إلى طرابزون ليلة ٦-٧ كانون الأول ١٩١٤ واتجـــه منها إلى أرضروم وتولى قيادة الحركات بنفسه واستصحب معه مدير العمليـــات العميد (برونزار فون شيلندورف) بصفته رئيس هيئة أركان وتضمنـــت خطـــة الوزير أنور باشا مشاغلة الجبهة بالفيلق ١١ بينما يقوم الفيلقان ٩ و١٠ بحركـــة التفاف من اتجاه صاري قامش بقصد تطويق القوات الروسية.

أدى الهجوم التمهيدي في منطقة أولتي إلى تكبيد الروس خســـائر كبـــيرة وإجبارهم على الانسحاب فلجأ أنور باشا إلى إصدار أمر بالمسيرات الإجباريـــة

لقواته المتعبة السيئة التجهيز في ظروف البرد الشديد وفـــي منطقــة شــديدة الوعورة وخالية من الطرق فاغتنم الروس هذا الموقف وأبادوا الفيلقيــن ٩ و١٠ اللذين قتل أغلب جنودهما قتلاً وجوعاً وبرداً. وأسر الروس منهم جموعاً غفـيرة ولم يفلت منهم إلا قلائل وصلوا إلى حسن قلعة بفضل ســتر الانســحاب الــذي قامت به تشكيلات الفيلق ١١ يوم ٦ كانون الثاني ١٩١٥. وقد هبط عدد الجيــش الثالث بعد هذه الكارثة من (٩٠٠٠) مقاتل إلى (١٢٠٠) مقاتل فقط. أمــا أنــور باشا فقد تمسك بالواجبات التي تنتظره في المقر العام ورجع إلى اسطنبول بعـــد أن عزل قائد الجيش الثالث المشير حسن عزت باشا وعين بـــدلا منــه اللــواء حقــي حافظ باشا قائداً للجيش الثالث.

انشغل العثمانيون منذ آذار ١٩١٥ بالتصدي للخطر الشديد الذي أحـــدق بعاصمتهم اسطنبول عندما قام الحلفاء بعمليات إنزال واسعة ومتعاقبة في مضيــق الدردنيل وكرسوا جلّ قواتهم المسلحة لإحباط عمليات الإنزال فاســتغل الــروس هذا الموقف وصاروا يحشدون قوات جديدة استعداداً لشن هجوم واسع في جبهــة القفقاس واستطاع الروس تسخير الأرمن والأثوريين (وهم من ســكان المنطقــة الحدودية المحصورة بين أريفان وبحيرة وان) لمقاتلة العثمانيين في تلك الأنحـاء. وكان الأرمن قد تعرضوا للاضطهاد الذي مارسته جمعيـــة الاتحــاد والــترقي فأرادوا الانتقام وشكلوا لهذا الغرض قوة من الخيالة متطوعـــة ســميت (لــواء الانتقام) وفي نيسان ١٩١٥ قامت هذه القوة بــاحتلال مدينــة (وان) وســيطرت عليها حتى وصلت إليها القوات الروسية في أيار ١٩١٥.

اندفع العثمانيون في نيسان ١٩١٥ من قارص نحو مفرق ســكة الحديــد ولكن الروس أجبروهم على التراجع بعد معركة حاسمة في (اليسكرت) فــي أول حزيران ١٩١٥ وانسحبوا منها إلى (ملاذكرد) فطاردهم إليها الروس وأوقعـــوا

بهم خسائر فادحة في أواخر تموز ١٩١٥ واستقر الموقف باحتلال خط موش- بتليس. ولما خشي القائد حافظ حضي باشا على جناحه الأيمن من وجود الروس والأرمن في منطقة (وان) فقد شن هجوماً مباغتاً تمَّ طردهم بنتيجته من (وان) في ٥ آب ١٩١٥ بعد أن كبدهم خسائر فادحة.

ولم يكد الموقف على جبهة الدردنيل يتكلل بانتصار العثمانيين بعد هزيمة الحلفاء في أواخر عام ١٩١٥. إلا وباغتهم الروس بهجوم عنيف من اتجاهي أردهان وصاري قامش يوم ٢ كانون الثاني ١٩١٦ فدارت معركة غير متكافئة في منطقة (كوبروكوي) خسر فيها العثمانيون وانسحبوا بصعوبة إلى منطقة (أرضروم) لكن الروس ما لبثوا أن شنوا غارة على (أرضروم) في ٣ شباط ١٩١٦ واستولوا عليها.

وعندما أدركت القيادة العثمانية مدى الخطر المحدق بجبهة القفقاس أصدرت أوامرها بتسويق تشكيلات الجيش الثاني من الدردنيل لتعزيز الجيش الثالث وتضمنت خطة المقر العثماني العام تكامل تحشد الجيش الثاني في منطقة كيفي – موش- ساحل بحيرة (وان) خلال شهر شباط ١٩١٦ ثم يتعاون الجيشان الثاني والثالث على دحر القوات الروسية خلال شهر نيسان ١٩١٦ بأن يقوم الجيش الثالث بالشروع بالهجوم من جنوب طرابزون فيشاغل الروس ويجلب انتباههم نحو ذلك القاطع ثم يقوم الجيش الثاني القوي بهجومه الرئيس من اتجاه حسن قلعة فيلتف على الجناح الأيسر للقوات الروسية وتتكامل عملية الالتفاف المقررة في المنطقة المحصورة بين أردهان وباطوم.

وكان الخطأ الفاحش الذي ارتكبته القيادة العثمانية هو عدم حساب رد الفعل المتوقع من الخصم، فعلى الرغم من كثرة معضلات الروس ورداءة الطرق في منطقة قفقاسيا ونقص تجهيزاتهم أيضاً ولكن بنسبة أقل من حالة

العثمانيين إلا أن الروس كانوا يتفوقون على خصومهم العثمانيين بوجود هيئة استخبارات قديرة تعرف أدق التفاصيل عن القوات العثمانية في جبهة قفقاسيا والبلقان وبناء على المعلومات المؤكدة لدى القيادة الروسية فقد قررت ضرب تشكيلات الجيش الثالث العثماني قبل وصول تشكيلات الجيش الثاني إلى قاطع الجبهة المخصصة لها.

شكلت قيادة الجيش الروسي تشكيلاً سمته (جحفل لياهو). وتقدم برتلين أحدهما براً من باطوم إلى ريزة ثم احتل سوراً منه. وفي ١٨ نيسان ١٩١٦ تقدم هذا الرتل إلى طرابزون وفي اليوم نفسه تقدم الرتل الثاني من ريزة إلى طرابزون منقولاً بالسفن فتمكن الرتلان من احتلالها ثم أن الروس عززوا جبهة القفقاس بالفيلق الروسي ٥ فتم تسويقه إلى طرابزون لتعزيز جناحهم الأيمن.

شرع الجيش الثالث العثماني بمناوشة الفيلق الروسي ٥ اعتباراً من ٢٥ نيسان ١٩١٦. وفي ٣١ أيار تمكن الجيش الثالث من طرد الفيلق التركستاني واستعاد (ماماخاتون) ثم حول العثمانيون جهودهم نحو الفيلق الروسي ٥ وشددوا هجماتهم عليه خلال الفترة ٢ – ٢٥ حزيران ١٩١٦ فاستولوا على بايبورد وطرابزون.

وفي ١ تموز ١٩١٦ شن الروس هجوماً عاماً بموجات متعاقبة بلغت ١٠ موجات لكن تشكيلات الجيش الثاني العثماني صمدت بوجه تلك الهجمات وأحبطتها كلها بالتعاقب دون أن يحقق الروس أي تقدم. وفي ١٧ آب ١٩١٦ شن الروس هجوماً شديداً واجبروا تشكيلات الجيش الثاني على الانسحاب من تبليس وموش واستقر الموقف لصالح الروس بعد أن أسروا خلال الفترة من كانون الثاني إلى آب ١٩١٦ أكثر من _٢٩٠٠٠) جندي عثماني.

وفي ١٢ آذار ١٩١٧ نشبت ثورة في روسيا. ومع أنـــها أثــرت علــى الوضع العام في تلك البلاد إلا أن تأثيرها على القطعات الروســية فــي جبهــة قفقاسيا كان محدوداً. وكان اندحار الروس في جبـــهات أوروبــا إزاء الألمــان أجبرهم على طلب المزيد من القوات لتقوية جبهتهم في أوروبــا علــى حســاب الجبهة الثانوية في قفقاسيا وأصبحوا بموقف ضعيــف مــن النــاحيتين العدديــة والإدارية إلا أنهم تمسكوا بالبقاء في أرمينيا وشمال غرب فارس. وبقيت الحالـة بين الجيوش المتحاربة في جبهة قفقاسيا شبه ثابتة عندما اتخذت صفـــة حــرب المواضع حتى نشوب الثورة الروسية الكبرى في تشرين الثـــاني ١٩١٧ وعقــد معاهدة صلح بين الروس والعثمانيين في برست ليتوفسك.

معركة السوم:

إحدى معارك الحرب العالمية الأولى. خاضتها قوات بريطانية – فرنسـية ضد القوات الألمانية على جانبي نهر (السوم) في الجزء الشمالي الغربـــي مــن فرنسا، واستمرت من تموز حتى تشرين الثاني ١٩١٦.

في أوائل عام ١٩١٦ كانت جبهة الجيوش الألمانية العاملة فـــي شــمال فرنسا تأخذ شكل زاوية قائمة رأسها في شمالي الحوض الباريسي عنـــد مدينــة (نوايون) ويمتد أحد ضلعيها من الشمال إلى الجنوب مـــن مينــاء (نيوبــورت) البلجيكي المطل على بحر المانش حتى (نوايون) مروراً بمدن (إيبر) و(لانـــس) و(فالمي) و(آراس). في حين يمتد ضلعها الآخر من الغرب حتى الشرق، مـــن (نوايون) حتى الحدود الفرنسية الشــرقية مــروراً بمــدن (بــيري) و(ســويب) و(فيروان) وكانت قوات الحلفاء مشتبكة مع القوات الألمانية في معركة (فــردان)

الدامية. في محاولة لمنع الجناح الألماني الأيسر من الاندفاع نحو الجنوب الغربي باتجاه (باريس).

ومن اجل تخفيف الضغط على جبهة (فردان) وضع القائد العام للقوات الفرنسية الجنرال (جوزيف جوفر) خطة هجوم بريطاني – فرنسي مشترك ضد القوات الألمانية المنتشرة في منطقة نهر (السوم) لهادئة نسبياً حيث ينتشر الجيش الألماني الثاني بقيادة الجنرال (فون بيلوف). وكان الغرض ممن هذا الهجوم.

١. استنزاف القوات الألمانية في معركة طويلة ومكلفة.

٢. إجبار الألمان على سحب قوات رئيسة من الجبهة الروسية.

٣. اختراق الجناح الأيمن للجيب الألماني والتقدم في العمق بشكل يهدد. مواصلات القوات الألمانية الموجودة على جبهة (فردان). ويخفف بالتالي الضغط عن القوات الفرنسية العاملة على تلك الجبهة. وكانت قوات الحلفاء قد حاولت اختراق ذلك الجناح في عام ١٩١٥ عند مدينة (لانيس) ولكنها لم تحقق النجاح المطلوب. لذا تقرر تسديد الضربة هذه المرة في منطقة (السوم) جنوب (لانس) بغية الوصول إلى (بابوم) والتقدم بعد ذلك نحو (كامبري).

كان الجيش الألماني الثاني ينتشر على جبهة عرضها (٤٠) كلم وتمتد من (غوميكور) في الشمال حتى (سوايكور) في الجنوب، ويمثل التلال المشرفة على مجرى نهر السوم الذي يخترق الجبهة عند مدينة (فريز). وكانت قوات الحلفاء المنتشرة على الجبهة نفسها، خاضعة لقيادة المارشال (فوش) وتتضمن:

- الجيش البريطاني الرابع في النسق الأول بقيادة الجنرال (راولينسون) ويحتل المنطقة الممتدة شمالي (السوم).

- الجيش البريطاني الخامس بقيادة الجنرال (غوف) وينتشر في النسق الثاني خلف الجيش الرابع.
- الجيش الفرنسي السادس في النسق الأول بقيادة الجنرال (فابول) ويحتل جزءاً من المنطقة الواقعة شمال (السوم) وخط الجبهة الممتد جنوب (السوم).
- الجيش الفرنسي العاشر بقيادة الجنرال (ميشكر) وينتشر في النسق الثاني خلف الجيش السادس.

وكان الجيش الألماني الثاني يضم – ثماني فرق مشاة و ٦٧٢ مدفعاً و ٣٠٠ هاون ١١٤ طائرة في حين كانت القوات البريطانية الفرنسية تضم ٣٢ فرقة مشاه و ٦ فرق خيالة و ٢١٨٩ مدفعاً و ١١٦٠ هادناً و ٣٠٠ طائرة.

وابتدأ التحضير للهجوم منذ أواخر شباط ١٩١٦، وتم الاتفاق بين القائد الفرنسي العام الجنرال (جوفر) وقائد القوات البريطانية في فرنسا الجنرال السير (دوغلاس هيغ) على قيام القوات البريطانية بالضربة الرئيسية في المنطقة الممتدة بين (ماريكور) و(غوميكور) على ان تقوم القوات الفرنسية بضربة مساعدة على جانبي نهر (السوم) في المنطقة الممتدة بين (ماريكور) وطريق أميان – بيرون. وكان من المفروض بدء الهجوم في أقرب فرصة ممكنة لتخفيف ضغط الهجوم الألماني الذي بدأ على جبهة (فردان) في ٢١ شباط ١٩١٦. ولكن (هيغ) طلب تأجيل البدء بالعملية ريثما يتكامل وصول الإمدادات والمدافع الثقيلة من بريطانيا. ولكن النجاحات التي حققها الألمان في (فردان) وتمكنهم من الاستيلاء على مدينة (فلوري) وحصن (تيومون) في حزيران، أقنعت (هيغ) بضرورة التبكير في موعد الهجوم.

ولقد تأثر تحديد هذا الموعد بعامل آخر يتعلق بالجيش الإيطالي (دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء في أيار ١٩١٥) الذي هوجم في ترنتان وطلب من الجيش الروسي في ١٩ أيار مساعدته عبر تنشيط الجبهة الشرقي والقيام بهجوم يخفف الضغط الألماني على الإيطاليين. وقرر الروس البدء بالهجوم في ٤ حزيران لذا وجدت قيادة الحلفاء في الجبهة الغربية (جوفروهيغ) أن يبدأ الهجوم في (السوم) بعد بدء الهجوم الروسي بمدة كافية على اعتبار أن الألمان سيضطرون إلى تثبيت جزء من تشكيلاتهم الاحتياطية لمواجهة الهجوم البريطاني الفرنسي الأمر الذي يحرمهم من إمكانية استخدام تلك التشكيلات في صد الهجوم الروسي. وعلى هذا فقد تقرر بدء الهجوم في ١ تموز ١٩١٦ على ان يسبقه قصف مدفعي يبدأ في ٢٤ حزيران ويستمر مدة أسبوع كامل.

وكانت تشكيلات الجيش الألماني الثاني منتشرة في منطقة السوم على ثلاثة خطوط دفاعية. وكان عمق الترتيب الدفاعي الألماني يتراوح بين ٧ –٨ كلم. ومنذ بداية شباط اكتشفت طائرات الاستطلاع الألمانية استعدادات الحلفاء للهجوم. وتزايد حجم القوات البريطانية على ضفتي نهر (انكر) شمالي نهر(السوم) وأمام الجناح الألماني الأيمن. وفي نهاية نيسان ارتفع عدد الفرق البريطانية في منطقة السوم إلى (١٢) فرقة يقابلها (٤) فرق ألمانية فقط.

وقد فكرت القيادة الألمانية في شن هجوم وقائي على البريطانيين قبل أن تتكامل استعداداتهم. إلا أنها أحجمت عن ذلك بسبب عدم توافر الإمكانات اللازمة لتأمين التفوق المحلي وتحقيق النجاح. واكتفت بتعزيز الخطوط الدفاعية وتعزيز الجيش الثاني بفرقة تمركزت شمال نهر (أنكر) وبذلك أصبح عرض المنطقة الدفاعية لكل فرقة في القطاعات الأخرى (٧) كلم. ولكن تحسن الأوضاع على الجبهة الألمانية لم يستمر طويلاً فلقد سحبت القيادة الألمانية من جبهة

(السوم) فرقتين وأحلت مكانها فرقة متعبة من الفرق التي شاركت في معركة (فردان). كما سحبت بطاريات المدفعية الثقيلة وأرسلت إلى (السوم) بدلاً عنها بطاريات مسلحة بمدافع فرنسية كان الألمان قد غنموها في المعارك السابقة.

ولم يكن الألمان يعرفون جيداً مدى استعداد الفرنسيين للمشاركة في الهجوم البريطاني المنتظر. ولم تعر القيادة الألمانية أهمية المعلومات الاستطلاع التي أكدت انتقال فرقتين فرنسيتين إلى شمالي السوم. وانتشارهما محل قوات بريطانية. ولكنها غيرت رأيها عندما تأكدت أن الفرقتين تابعتان للفيلق ٢٠ الذي يتمتع بقدرات هجومية عالية. وازداد اقتناعها بأهمية الدور الذي سيلعبه الفرنسيون في الهجوم، منذ أن كشفت دوريات وطائرات الاستطلاع وجود استعدادات هجومية جنوب نهر (السوم). وقد قدرت أنّ جبهة الهجوم ستمتد من (غوميكور) في الشمال حتى (فوكوكور) في الجنوب. وعلى هذا الأساس عززت القيادة الألمانية الجيش الثاني في حزيران بفرقة مشاة، ومدفعية فرقة أخرى و ١٧ بطارية مدفعية ميدان خفيفة. وأصبحت القوات الألمانية المنتشرة شمال (السوم) مؤلفة من (٥) فرق، مؤطرة داخل فيلق واحد، ومتمركزة على جبهة عرضها (٣٦) كلم. بينما أصبحت القوات الألمانية المنتشرة جنوب (السوم) مؤلفة من (٤) فرق. مؤخرة داخل فيلق واحد. ومتمركزة على جبهة عرضها (٣٣) كلم.بدأ القصف المدفعي لمواقع الألمان على جبهة طولها (٢٥) كلم في صباح ٢٤ حزيران. واستخدم الحلفاء فيه القذائف المتفجرة والغازية ونفذ الطيران عمليات قصف وطلعات استطلاع. وفي ٢٥ حزيران هاجم الطيران البريطاني مناطيد المراقبة الألمانية. وتمكن من تدمير (٩) مناطيد، مما أضعف قدرات الجيش الألماني الثاني على المراقبة. وفي الساعة ٧,٣٠ من يوم ١

تموز ١٩١٦ وبعد قصف دام سبعة أيام وقصف تمهيدي كثيـف اســتغرق (٦٠) دقيقة اندفع الجيشان البريطاني الرابع والفرنسي السادس إلى الهجوم.

ولقد غطى هجوم الجيش الرابع البريطـــاني (الفيــالق ٨ و١٠ و٣ و١٥ و١٣) الجبهة الممتدة من (غوميكور) حتى (ماريكور) ولكن الجهد الرئيسي تركز على هضبة (فريكور) ومحور طريق البيرت– بابوم. ولتعزيز الهجوم وتغطيـــة جناحه الأيسر، شن الفيلق ٧ من الجيش لبريطـــاني الثـــالث (الجــنرال اللبنـــي) المتمركز شمال الجيش البريطاني الرابع هجوماً ثانوياً على (غوميكـــور) حتـــى منتصف تموز. تمكن البريطانيون من التقدم مسافة تراوحت بين ٥ و١٠ كلم.

وفي الوقت ذاته هاجم الجيش السادس الفرنســي الجبهـــة الممتـــدة مـــن (ماريكور) حتى (ايستري) وكانت قواته العاملة على جانبي نهر(الســـوم) تقـــاتل على محورين منفصلين المحور الأول شمالي النهر (الفيلق ٢٠) والمحور الثـــاني جنوب النهر (فيلق المستعمرات الأول وفيلق المستعمرات ٣٥) وحتى منتصـــف تموز تمكن الفرنسيون من التقدم مسافة مماثلة لمسافة تقدم القوات البريطانية.

وعلى الرغم من نجاح القوات البريطانية وتقدمها على الجبهة الممتدة من (تيبفال) شمالاً حتى (فيرماندوفيلر) جنوباً وتعـــرض الفـــرق الألمانيـــة ١٢ و٢٨ و١٢١ و١١ لخسائر كبيرة. فان القوات الألمانية في منطقة الخرق تمكنت مــــن الانسحاب بانتظام إلى مواقع خليفة واحتلال خطوط دفاعية جديـــدة. فـــي حيـــن صمدت الفرق ٢ و٥٢ و٢٦ في مواقعها على الجناح الألماني الأيمن، وأحبطـــت أي تقدم بريطاني.

بيد أن تباطؤ التقدم، والأخطاء الفادحة التي ارتكبها الحلفاء وفشلهم فـــي استثمار النجاحات الأولية والاندفاع في العمق، سمحت لقيادة الجيـــش الألمـــاني

الثاني بتقديم قواتها الاحتياطية وزجها في القتال، كما سمحت للقيادة الألمانية بدفع عدة فرق من الاحتياط الاستراتيجي وإرسالها إلى جبهة (السوم). وهكــذا ارتفــع عدد الفرق الألمانية في السوم في الأيام العشرة الأولى مــن القتــال إلــى (١٨) فرقة.

وبفضل وصول القوات الاحتياطية الألمانية وانتشارها علــى الخطــوط الدفاعية بشكل فوري، تعثر تقدم القوات الفرنسية والبريطانية في النصف الثــاني من شهر تموز. ولم يحقق البريطانيون أي تقدم شمال (تيبفال). وكــان تقدمــهم الأقصى في وسط الجبهة طوال (١٥) يوماً لا يتجاوز ١٠٠٠-١٥٠٠ متر. وكان الوضع مشابهاً بالنسبة إلى القوات الفرنسية التي لم تحقق في النصف الثاني مــن تموز سوى تقدم محدود على الرغم من زج فرق المشاة والخيالــة الاحتياطيــة، والدعم الذي قدمه الجيش الفرنسي العاشر إلي الجيش السادس.

وفي ١٨ تموز، شن الألمان هجوماً على القوات البريطانية عنــد غابــة (دلفيل) وتمكنوا من استعادة المواقع التي خسروها شمال وشرق تلك الغابة كمــا استعادوا النصف الشمالي من بلدة (لونغفال) وفــي ١٩ تمــوز، جلبـت القيــادة الألمانية فرقاً احتياطية جديدة، وأعادت تنظيم القوات المحتشدة في جبهة الســوم، وقسمتها إلى جيشين – الجيش الأول شمالي (السوم) بقيادة الجنرال (فون بيلــوف) والجيش الثاني شمالي (السوم) بقيادة الجنرال (فون بيلـــوف) والجيــش الثــاني جنوبي (السوم) بقيادة الجنرال (غالفيش) وأقامت في عمــق الــترتيب الدفــاعي خطوطاً محصنة جديدة.

ومنذ منتصف تموز حتى منتصف آب، عزز الحلفاء قواتهم في (الســوم) حتى بلغت زهاء (٥١) فرقة و(٥٠٠) طائرة. كما عزز الألمان قواتــهم فبلغــت (٣١) فرقة و (٣٠٠) طائرة. ولــم يتوقــف القتــال طــوال شــهر آب واتســم

بــالضراوة وجسامة الخسائر بين الطرفين، بالإضافة إلى ثبات الجبهة وانعـــدام الحركية ولم تحقق الجهات الفرنسية والبريطانية المحددة أي تقدم هام. وانصبت جهود الطرفين على تحصين المواقع وإكمال النواقص وجلب المزيد من القــوات ووسائط الدعم الناري.

وفي ٣ أيلول زج البريطانيون جيشهم الخامس (غوف) الذي تقــدم مــن النسق الثاني وهاجم موقع (تيبفــال)، واندفــع باتجــاه الشــمال الشــرقي نحــو (غرانكور). كما زج الفرنسيون جيشهم العاشر (ميشــلر) علـــى يميــن الجيــش السادس فاتسعت جبهة الأعمال القتالية حتى (٥٠)كلم. وقام الجناح الأيمن للجيش البريطاني الرابع بهجوم في وسط الجبهة بين (جينشي) و(كومبل) حيــث كــانت تدافع الفرقة الألمانية الفرقة الألمانية الثالثة. وتمكن من احتلال (جينشي) فـــي ٩ أيلول. ورد الألمان على ذلك بدفع المزيد من القوات نحو جبهة (السوم) بحيـــث ارتفع عدد فرقهم إلى (٤٠) فرقة. كما قاموا بتعزيز تحصيناتهم الهندســـية ممــا أدى إلى تباطؤ تقدم الحلفاء حتى بلغت وتيرته الوسطية ١٥٠- ٢٠٠ متر/ اليوم.

ودخلت الدبابات القتال لأول مرة في التاريخ فـــي ١٩ أيلــول. عندمــا استخدم البريطانيون ٣٨ دبابة (مارك-١) لدعم المشاة ومساعدتها علـــى تحقيــق الخرق بسبب عدم الإتقان الفني واستخدامها على جهــة عريضــة (بمعــدل ١,٨ دبابة/ كلم من الجبهة).

وعلى الرغم من بطء تقدم الحلفاء في أيلول، فقد تمكـــن البريطــانيون مــن احتلال (ميرومون) و(فلير) و(مورفال)، كمـــا احتلــوا مدينـــة (كومبــل) بالتعاون مع الجيش الفرنسي السادس. وفي الشهر نفسه تقدمت تشكيلات الجيــش الفرنسي السادس العاملة شمال (الســـوم) ٣ -٤ كلــم، واحتلــت (فريجيكــور)

و(رانكور) ونجح الجيش الفرنسي العاشر باحتلال (فيرماندوفيلر) والتقدم حتى تخوم (شولن).

ومنذ أواخر أيلول، ثبتت الجبهة من جديد من جراء سوء الأحوال الجوية وكثرة الأمطار والوحول والموانع المائية، والإنهاك الذي أصاب المهاجمين وعجزهم عن تطبيق تكتيك يؤمن خرق الخطوط الدفاعية الألمانية. واستمر القتال العنيف بين القوات المتجابهة على خطوط ثابتة طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني، وتحول إلى استنزاف حقيقي للطرفين المتحاربين تخللته هجمات محلية متبادلة أسفرت عن نجاح الفرنسيين في انتزاع موقعي (سيلي سيليزل) و(بوشافن) من الألمان. وتحت تأثير الاستنزاف المتبادل خفت حدة الصدام تدريجياً على جبهة (السوم) ولكن القتال لم يتوقف بشكل نهائي إلا في ١٢ كانون الأول ١٩١٦، عندما تم سحب الجيش الفرنسي من منطقة (السوم) وتكليف البريطانيين بإشغال خطوطه.

وتعتبر معركة (السوم) من أضخم معارك الحرب العالمية الأولى، من حيث حجم القوى والوسائط المشتركة فيها. وإذا ما تم إحصاء كافة القوات التي تعاقبت على مسرح المعركة في فتراتها المتتالية، نجد أن الحلفاء استخدموا في (السوم) منذ بداية تموز حتى نهاية تشرين الثاني (٨٦) فرقة (٥٤ بريطانية و٣٢ فرنسية) في حين استخدم الألمان (٦٧) فرقة. وكان مجمل ما حققه الحلفاء هو التقدم ٥ -١٢ كلم على جبهة عرضها (٥٠ كلم). والاستيلاء على منطقة مساحتها (٢٣٠) كلم مربعاً. والوصول إلى مسافة (٣) من (بايوم) و(بيرون) دون التمكن من خرق الجبهة والوصول إلى مؤخرات الألمان وخطوط مواصلاتهم.

وكانت خسائر الألمان (٥٣٨) ألف رجل بين قتيل وجريح وأسير، في حين بلغت خسائر الحلفاء أكثر من ٧٠٠ ألف رجل (ثلثاهم تقريباً من البريطانيين) ولم يحقق الحلفاء في الهجوم انتصاراً حاسماً على الرغم من الجهود المبذولة وجسامة الخسائر ومن هنا يأتي اللوم الذي وجه إلى الجنرال (جموفر) وتعيين الجنرال (نيفل) قائداً بدلاً عنه في أواخر عام ١٩١٦. ومع هذا فقد حققت معركة السوم بعض النتائج الاستراتيجية الإيجابية، وفي مقدمتها تخفيف الضغط الألماني على جبهة (فردان). وتثبيت القوات الألمانية على الجبهة الغربية ومنعها من إرسال تعزيزات كبيرة إلى الجبهة الشرقية. أما في مجال استنزاف القوى البشرية والمادية الألمانية. فإن الخسائر التي تكبدها الألمان كانت أقل من خسائر الحلفاء. بيد أن تفوق الحلفاء العددي جعلهم أقدر من الألمان على تعويض الخسائر واستيعاب نتائج الاستنزاف المتبادل.

ولقد تعلم الألمان من هذه المعركة أسلوب الدفاع المرن الذي طبقوه فيما بعد، كما اعتادت قواتهم على مواجهة الدبابات وقنصها، في حين استخلص الحلفاء دروساً هامة في مجال استخدام الدبابات وطبقوها بعد ذلك بنجاح في معركة (كامبري) (١٩١٧).

وكان أهم ما تعلمه الطرفان المتحاربان، عبثية خرق الدفاع المحصن بمدفعية المشاة وضرورة تسليح القوات المهاجمة بالدبابات التي تمتلك متطلبات الخرق الصدمة و القوة و النارية و الحركية وأهمية خلق الترتيب الدفاعي العميق وتسليح القوات المدافعة وإعدادها للصراع ضد الدروع.

دخول الولايات المتحدة الحرب والثورة الروسية (١٩١٧):

لقد شهد عام ١٩١٧، الذي استمرت فيه العمليات العسكرية دون نتيجة حاسمة، حادثتين عظيمتين غيّرا توازن القوى وهما تدخل الولايات المتحدة والثورة الروسية.

دخول الولايات المتحدة الحرب:

في ٢ نيسان ١٩١٧ صادق كونكرس الولايات المتحدة الأمريكية بالأكثرية على رسالة الرئيس ولسون التي تعلم بدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد ألمانيا.

وكانت الولايات المتحدة قد دخلت الحرب لأكثر من سبب، وفي مقدمها حرب الغواصات التي شنتها ألمانيا ضد السفن التجارية المتجهة إلى موانئ دول الوفاق وهو أمر كان يشكل تهديداً خطيراً للازدهار الصناعي والاقتصادي الذي شهدته الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب. إضافة إلى قلق الأمريكان على مصير قروضهم الكبيرة لبريطانيا وفرنسا والرغبة في ضمان استردادها عن طريق الاشتراك في الحرب إلى جانبيهما ضد ألمانيا وإنزال الهزيمة بالأخيرة، ومحاولات ألمانيا إغراء المكسيك بدخول الحرب إلى جانبها إذا ما دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب دول الوفاق (الحلفاء).

وكان لتدخل الولايات المتحدة فوائد كبيرة، فمن الناحية العسكرية، أن الولايات المتحدة تستطيع بتطبيق الخدمة العسكرية الإجبارية أن تضع في خطوط القتال ملايين الجنود. فقد كان جنودها الاحتياطيون مماثلين لجنود الاحتياط في

روسيا وقيمة هذا الاحتياطي في الولايات المتحدة عظيمة لأن الصناعة الأمريكية كانت على استعداد لتقديم الأسلحة والذخائر الضرورية وهذا ما لم تستطعه الصناعة الروسية.

ولتشكيل هؤلاء الجنود وتعليمهم وإيجاد ضباطهم وتأليف فرق منهم، أهل للدخول في خطوط القتال، ولذلك لم يكن للتدخل الأمريكي من اثر محسوس في ساحات القتال إلا في ربيع عام ١٩١٨ واعتباراً من هذا الوقت كان التقدم سريعاً وأصبح من المؤكد أن توازن القوى أخذ ينقل بسرعة لصالح دول الوقاف على حساب دول الوسط.

ومن الناحية الاقتصادية، فقد أدى دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى تقوية الحصار، فقد صرحت إلى الدول المحايدة بأنها لن تمدها بالبضائع منذ الآن إلا في شروط معينة، وأول هذه الشروط ألا تبيع هذه الدول البضائع التي تستوردها إلى ألمانيا. بالإضافة إلى ذلك كان التدخل الأمريكي حاسماً في مشكلة النقل البحري، ففي الوقت الذي دخلت فيه الولايات المتحدة الحرب، كانت حالة الإنكليز حرجة وخطره، وقد تبين لهم في شهر نيسان ١٩١٧ ان خسارتهم في السفن التجارية ستجعلهم غير قادرين على نقل ما هم بحاجة إليه. إلا أن دخول الولايات المتحدة خفف خطورة هذه الحالة فمن جهة، أخذت البواخر التجارية الأمريكية تقوم بالنقل، ومن جهة أخرى أجبرت الولايات المتحدة المحايدين، من هولنديين ونرويجيين وسويديين على الملاحة، ونقل البضائع إليهم أو لفرنسا أو لإنكلترا وإلا قطعت عنهم المؤن ثم أن تدخل الولايات المتحدة دفع قسماً من جمهوريات أمريكا الجنوبية إلى الدخول في الحرب كالبرازيل وبيرو وأرغواي وجمهوريات أمريكا الوسطى.

لكن الولايات المتحدة بدخولها الحرب، كانت تريد أن تحتفظ بدور خلص بها. فعلى الرغم من أن دول الوفاق كانت قد أبرمت فيما بينها ميثاقاً وعدت بموجبه بأن لا تجري صلحاً منفرداً. فان الولايات المتحدة لم تشأ الدخول في هذا الحلف، ولا المساهمة في الميثاق، بل اكتفت بان تكون حسب التعبير الذي استعملته (شريكاً) لدول الوفاق. وهذا يعني أن الولايات المتحدة تحتفظ في كل وقت بحق الانسحاب من الحرب ومثل هذا العمل يعتبر وسيلة ضغط حيال دول الوفاق. بالإضافة إلى أن هناك تبايناً بين المصالح الأمريكية ومصالح دول الوفاق. وكان الرئيس ولسون يرى أن من السابق لأوانه أن يشار إلى هذا التباين في مثل ذلك الوفاق. وقد ذكر ذلك إلى الكولونيل (هاوس) بقوله (عندما تنتهي الحرب نستطيع أن نفرض عليها أي على دول الوفاق، وجهة نظرنا).

٢. الثورة الروسية (١٩١٧):

قامت الثورة الروسية في عام ١٩١٧، على مرحلتين الأولى هي ثورة آذار ١٩١٧ التي أدت إلى سقوط النظام القيصري وتشكيل حكومة مؤقتة كان أغلبية أعضائها من البرجوازيين الأحرار. والثانية هي ثورة تشرين الأول ١٩١٧ حسب التقويم الشرقي القديم الموافق ليوم ٧ تشرين الثاني حسب التقويم الغربي التي قام بها البلاشفة بزعامة لينين. وفي حين كانت الثورة الأولى عفوية فان الثورة الثانية كانت مخططة.

بدأت المرحلة الأولى من الثورة الروسية بقيام مظاهرات عمالية في العاصمة بطرسبرغ يومي ٩،٨ آذار بسبب المجاعة وقلة التموين . ومع استمرار المظاهرات أصدرت الحكومة أمراً إلى الحامية العسكرية في ١١ آذار بضرب المتظاهرين إلا أن الجنود رفضوا تنفيذ الأمر فقدمت الحكومة استقالتها. ثم قام

العمال ومؤيدوهم من الجنود بتشكيل مجالس مندوبي العمال والجنود (سوفيتات) وسرعان ما عم الاضطراب العاصمة التي أصبحت تحت سيطرة العمال والفلاحين في مساء ١٢ آذار ١٩١٧ وتشكلت في الوقت نفسه لجنة تنفيذية تمثل أعضاء (الدوما) من الأحرار البرجوازيين. وفي ١٤ آذار تقرر إقامة حكومة مؤقتة دخل فيها الأحرار الاشتراكيون.

وفي هذه الأثناء كان القيصر نقولا في الجبهة بوصفه القائد الأعلى للقوات الروسية. وقد حاول الاستعانة بالجيش لإعادة الأمور إلى مجاريها في العاصمة إلا أن قادة الجيش رفضوا ذلك فما كان من القيصر سوى الاستقالة ليلة ١٥- ١٦ آذار ١٩١٧ وعين أخاه الدوق الأكبر ميخائيل خلفاً له. وعندما جاء ميخائيل إلى العاصمة أيقن استحالة بقاء آل رومانوف في الحكم لأن الثوار كانوا عازمين على إقامة الجمهورية فتخلى ميخائيل عن العرش في ١٧ آذار ١٩١٧، وأعلن تخويل الحكومة المؤقتة التي تشكلت في ١٤ آذار لجميع السلطات لحين انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور للبلاد وتحديد شكل نظام الحكم. وشجعت حوادث العاصمة وسقوط النظام القيصري سكان المدن والمقاطعات الروسية الأخرى على القيام بأعمال مماثلة حيث انضمت وحدات الجيش إلى الثوار واختفت الإدارات الحكومية القيصرية وحلت محلها سوفيتات أيضاً.

كان على رأس الحكومة المؤقتة الأمير لفون زعيم اتحاد المجالس المحلية المنتخبة وتولى وزارة الخارجية فيها مليوكوف زعيم الحزب الديمقراطي الدستوري وتولى وزارة الحربية الكسندر غوجكوف زعيم الاكتوبرين. وقد تبنت الحكومة المؤقتة برنامجاً إصلاحياً تضمن نقاطاً مهمة مثل ضمان الحريات السياسية وتسوية مشكلة الأراضي ومنح الحكم الذاتي لبولندة وفنلندا ودول البلطيق وغير ذلك. وقد حظيت الحكومة المؤقتة باعتراف دول الحلفاء (أو

الفواق) بصورة سريعة، ذلك أن الحكومـــة المؤقتـــة أصـــدرت فـــي ١٩ آذار و ١٩١٧ بياناً موجهاً إلى الشعب الروسي أعلنـــــت فيـــه عزمـــها علـــى تحقيـــق التصـــرف بالحرب والاستمرار فيها إلى جانب دول الحلفاء طبقـــاً للمعـــاهدات والمحالفات التي وقعتها الحكومة القيصرية.

والحقيقة أن هذه المسألة – أي مسألة الموقف من الحرب ، حددت فـــي النهاية مصير الحكومة المؤقتة. لقد كان أعضاء هذه الحكومة مؤيدين لاســـتمرار روسيا في الحرب بسبب تعاطف بعضهم. مثل وزير الخارجية مليوكـــوف، مـــع الديمقراطيات الغربية وخوف البعض الآخر، مثل كرنسكي (وزير العدل). مـــن أن يؤدي انتصار الألمان إلى إنهاء الثورة، إلا أن رغبة الحكومة المؤقتـــة فـــي الحرب تعارضت مع رغبة الشعب الروسي عموماً، لأن الأخير كان يريد إنـــهاء الحرب والتفرغ لمعالجة آثارها وتسوية المشكلات الداخلية العديدة، وفي مقدمتـــها قضية إصلاح نظام الأراضي وتوزيعها. وكان الاشتراكيون، وبصـــورة خاصـــة البلاشفة، نشطين في التعبير عن مناهضتهم للحرب والدعاية لانســـحاب روســـيا منها.

وفي هذا الوقت أيضاً كانت ألمانيا راغبة في إنهاء الحرب بســـرعة مـــع روسيا لكي تتفرغ للجبهة الغربية وتوجيه ضربة إلى بريطانيا قبل وصول القـــوات الأمريكية إلى جبهات القتال لدعم الحلفاء. وقد حاولت ألمانيـــا إقنـــاع الحكومـــة المؤقتة بعقد صلح منفرد معها إلا أنها فشلت. ولذا وجهت ألمانيا أنظارها نحـــو البلاشفة الذين كانوا ضد الحكومة المؤقتة البرجوازية ضد استمرار الحرب. ومن هنا كان اللقاء بين ممثلين عن الحكومة الألمانية وبين زعيم البلاشفة لينين الـــذي كان لاجئاً في سويسرا آنذاك. وفي نيسان ١٩١٧ ســـهلت السلطات الألمانيـــة سفرلينين و٣٨ شخصاً من رفاقه في قطار خاص إلى روســـيا عـــبر الأراضـــي

الألمانية. وبوصول لينين إلى روسيا بدأ العمل للمرحلة الثانية من الثورة الروسية أي ثورة أكتوبر. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن زعماء اشتراكيين آخرين عادوا إلى العاصمة الروسية من المنفى سواء من داخل روسيا أو الخارج وكان من بينهم ستالين وكامنيف اللذان عادا من منفاهما في سيبريا وتروتسكي الذي عاد من الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأ لينين العمل فور عودته إلى العاصمة بطرسبرغ إلا أنه لم يدع إلى تسلم الحكم فوراً فقد كان مدركاً أن البلاشفة مازالوا أقلية في سوفيت العاصمة ولذا أراد كسب الجماهير إلى جانب البلاشفة واقناعها بضرورة قيام ثورة جديدة. ولأجل تحقيق هذا الهدف أعلن أن هدف البلاشفة ليس إقامة جمهورية برلمانية بل جمهورية سوفيت وإلغاء الجيش والشرطة والبيروقراطية وتأميم جميع الأراضي ووضعها تحت سيطرة السوفيات المحلية ووضع الإنتاج الصناعي وتوزيعه تحت السيطرة العمالية كما دعا إلى نبذ الحرب بوصفها حرباً إمبريالية. وازداد عدد مؤيدي البلاشفة الذين أصبح وضعهم أفضل داخل مجالس السوفيت. وتم تنظيم مظاهرات عديدة مناهضة لاستمرار روسيا في الحرب.

وقام البلاشفة بالثورة ليلة ٦-٧ تشرين الثاني ١٩١٧ (التي تصادف ليلة ٢٥- ٢٦ تشرين الأول حسب التقويم الروسي) وكانت خطة الثورة قد رسمت بالتفصيل قبل ذلك بأسبوعين في اجتماع عقده زعماء البلاشفة وحضره لينين في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٧. ولم يصادف البلاشفة أي صعوبة في تنفيذ الثورة. ففي صباح يوم ٧ تشرين الثاني احتلوا المراكز الاستراتيجية والأبنية العامة في العاصمة كما حاصروا (قصر الشتاء) قصر الحكومة المؤقتة وحصلوا على دعم الحامية العسكرية في العاصمة. وفي اليوم التالي، أي ٨ تشرين الثاني ١٩١٧،

شُكلت حكومة جديدة برئاسة لينين وكان من بين أعضائها تروتسكي المسؤول عن الشؤون الخارجية وستالين المسؤول عن شؤون القوميات.

أما الجمعية التأسيسية التي جرى انتخابها في كانون الأول ١٩١٧ وفاز فيها الاشتراكيون الثوريون بأغلبية المقاعد، فقد تم حلها من قبل (لينين) بالقوة في كانون الثاني ١٩١٨. وفي ٣ آذار ١٩١٨ عقد البلاشفة صلحاً منفرداً مع الألمان بموجب معاهدة بريست لتوفسك التي تنازلوا فيها عن مناطق عديدة من روسيا وتعهدوا فيها أيضاً بإيقاف الدعاية البلشفية في دول (الوسط) وفي المناطق التي تم التنازل عنها. وبذلك انسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى.

الزحف البريطاني على فلسطين:

بعد فشل حملة جمال باشا على قناة السويس والتراجع نحو فلسطين. ترك في سيناء قوة تركية عهد بقيادتها إلى (فون كرس) الألماني الذي كان رئيساً لأركان حرب الفيلق الثامن الذي قام بحملة قناة السويس. وفي الواقع فقد ظلت المناوشات قائمة بين هذه القوة وبين القوات البريطانية في السويس طيلة عام ١٩١٥ وحتى أواخر عام ١٩١٦ دون أن يستطيع أي من الخصمين إحراز نصر حاسم.

وكانت القيادة السياسية البريطانية تحاول الحصول على كسب استراتيجي ومعنوي. وقد رأت في احتلال فلسطين، ما يحقق لها ذلك الكسب فأخذت تستعد للزحف عبر صحراء سيناء، نحو العريش فأقامت خطوط السكك الحديدية. وفي آذار ١٩١٦ وصلتها إلى (القنطرة) ثم بعد ذلك إلى (القطية) بالإضافة إلى مد أنابيب المياه وهي أنابيب كبيرة تم تحضيرها ووضعها في الولايات المتحدة الأمريكية بناء على طلب بريطانيا وفي خريف ١٩١٦ كانت خطوط السكك

الحديدية قد وصلت إلى منتصف الطريق بين القنطرة وحدود فلسطين وبذلك تم التحضير المادي للزحف وبلغ عدد القوات البريطانية في مصر بقيادة الجنرال (موراي) مائة وخمسون ألف جندي وستة آلاف جندي هندي. أما القوات التركية في فلسطين وسوريا فلم تكن تتجاوز (٥٥) ألف جندي، منها في العريش (١٦٠٠٠) جندي.

وفي نفس اليوم تم فيه التحضير الكامل للهجوم. كانت القوات البريطانية قد عززت بثمان دبابات وبعض المدافع الثقيلة. أفادت التقارير الجوية أن الأتراك قد أخلوا مدينة (العريش) فدخلتها القوات البريطانية في ٢١ كانون الأول وشرعت بجمع الألغام من المرفأ. وتشييد رصيف للميناء حيث وصل في ٢٣ كانون الأول أول مركب من (بور سعيد) ناقلاً المؤن والذخائر. ووالى البريطانيون زحفهم فاحتلوا (رفح) في ١٠ كانون الثاني ١٩١٧ ووجهوا أنظارهم نحو (غزة).

لم تكن حامية (غزة) تزيد عن أربعة آلاف جندي، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع البريطانيون مهاجمتها قبل شهر آذار ١٩١٧. كما أن الهجوميين اللذين قاموا بهما قد باءا بالفشل خصوصاً الهجوم الثاني بقيادة الجنرال (شتود) قائد الفيلق الصحراوي في النصف الثاني من شهر نيسان الذي أدى إلى تأجيل فكرة احتلال (غزة).

ولما وصل الجنرال (اللنبي) إلى القاهرة في ٢٧ حزيران ١٩١٧ كانت الحكومة البريطانية قد صممت على احتلال فلسطين وأصدرت إليه أوامرها بذلك وفي السابع والعشرين من شهر تشرين الأول بدأت المدافع الإنكليزية تطلق قذائفها على (غزة) وكان عدد المدافع لا يقل عن ثلاثمائة مدفع بالإضافة إلى مدافع بعض القطع من الأسطول الإنكليزي التي شاركت في تحضير الهجوم.

وفي ٣١ تشرين الأول تم الاستيلاء البريطاني على (بئر السبع). وما كاد الجنرال (اللبني) يطمئن إلى سقوط (بئر السبع) حتى أطلق هجومه على (غــزة) في ٢ تشرين الثاني. ودامت المعركة (٥) أيام استطاع بعدها البريطانيون إسقاط المدينة ودخولها. وتابع الجنرال (شتور) تقدمه نحو القدس. وفي ٥ كانون الأول استطاع دخول المدينة بعد (٤) أيام وكان ذلك بالنسبة إلى البريطانيين أمراً غير منتظر. إذ كانوا يتوقعون مقاومة تركية عنيفة لكنهم لم يضطروا إلى إطلاق رصاصة واحدة. والواقع أن تراجع الأتراك المتتالي وتسليمهم معاقلهم الواحدة تلو الآخر لم يكن سببه قوة الدفع البريطاني فحسب، بل أيضاً والى حد كبير، ثقل الهزائم التي منوا بها خصوصاً على الأرض العربية سواء في العراق أو في الحجاز حيث رفع (الشريف حسين) في حزيران ١٩١٦، علم الثورة معلناً استقلاله في (مكة) ومذيعاً نداءه الشهير إلى العالم الإسلامي بضرورة طرد العثمانيين تمهيداً لاستقلال البلاد العربية. وكانت بريطانيا قد وعدت (الشريف حسين) بالاعتراف بدولة عربية مستقلة في المشرق مقابل دخوله الحرب إلى جانب دول الوفاق. ولكنها لم تفِ بوعدها بعد انتهاء الحرب.

انتهاء الحرب:

في أواخر عام ١٩١٦ شهدت الجبهة الغربية وكانت نقطة النقل في ميزان الحرب، تغيراً في القيادة الفرنسية فقد أقيل المارشال(جوفر) وعين مكانه في القيادة العامة للجيوش الفرنسية الجنرال (نيفل) وهو من أبطال (فردان) إلا أن هذا القائد لم يوفق في الهجوم العام الذي أمر به خلال شهر كانون الأول والذي انكشفت خططه للأعداء قبل انطلاقه وجعل الألمان يتراجعون مسافة (٥٠) ميلاً، ويتحصنون في مواقع جديدة تاركين الهجوم العام الفرنسي يقع في الفراغ. فأقيل

هو أيضاً وعين الجنرال (بيتان) مكانه. وجاء عام ١٩١٧ متميزاً بحدثين هامين قدر لكل منهما أن يؤثر تأثيراً بعيداً في تاريخ الحرب. أولهما دخول الولايات المتحدة الحرب فعلياً وثانيهما الثورة الروسية.

وإذا كانت الثورة قد هزت الروس ودفعتهم نحو التفاوض مع ألمانيا. فإن حرب الغواصات التي علق عليها الألمان أمالاً كبيرة قد فشلت في إخضاع بريطانيا، بل لقد بلغ من تغلب الأسطول البريطاني على هذا السلاح أن جاء وقت لم تكن ترجع فيه سوى غواصات قليلة العدد إلى قواعدها. وإذا تحطمت آمال (لودندورف) على صفحات البحر. فقد ظل موقفه في البرقوياً راجحاً. ففي تشرين الأول ١٩١٧ أرسل الألمان ست فرق ركبت القطارات إلى الجبهة النمساوية- الإيطالية وانضمت إلى تسع فرق نمساوية مؤلفة الجيش الرابع عشر بقيادة (فون بيلو) وشنت هجوماً عاماً في المنطقة الجبلية نحو الشمال الشرقي من إيطاليا. بالتنسيق مع جيشي (بورفيك) اللذين يقومان بالهجوم على الشاطئ الأدرياتيكي فتمكنت جميعها من تمزيق الجيش الإيطالي، واضطرت مليون جندي إيطالي إلى التقهقر. بينما أسرت بعد بضعه أيام للهجوم مائتي ألف جندي و ١٨٠٠ مدفع. وتابعت انتصاراتها على الجبهة الإيطالية بتدمير حوالي (٨٠٠) ألف جندي بين قتيل وجريح وأسير إلا أن الإيطاليين استطاعوا أخيراً وقف التقدم الألماني- النمساوي مع إطلالة الشتاء.

بحثت في فترات متفاوتة من عام ١٩١٧ مشروعات لعقد صلح بين ألمانيا والحلفاء. وجاءت العروض من بعض المسؤولين الألمان أنفسهم. ولكن مجلس الوزراء البريطاني كان يشترط لقبول الصلح جلاء ألمانيا عن بلجيكا وإعادة الالزاس واللورين إلى فرنسا ودفع تعويضات للحلفاء. وكان أن قرر (لودندورف) القيام بهجوم فرقة من الجبهة الغربية لعله يوفق في فرض صلح

على الحلفاء. فسحبت أربعون فرقة من الجبهة الشرقية. ودفع بها إلى الجبهة الغربية في محاولة لإنزال ضربة حاسمة بالجيشين البريطاني والفرنسي عند منطقة اتصالهما ووقعت الضربة التي لم تكن حاسمة كما أريد لها. في شهر آذار ١٩١٨، بعد أن مهد لها أربعة آلاف مدفع بسيل من النيران على الجيش الخامس البريطاني بقيادة الجنرال (غوف). وعلى الرغم من تدمير الجيش البريطاني الخامس ووصول القوات الألمانية إلى جنوب (اميان) فقد تمكن الحلفاء آخر الأمر من وقف الهجوم رغم عنفه، وأخذوا بالتحضير للهجوم العام المقبل، وكان ذلك بفضل توجيه القيادة وتعيين الجنرال (فوش) قائداً عاماً لقوات الحلفاء في فرنسا في ١٤ نيسان ١٩١٨.

وشعر الألمان بالترتيبات القائمة في خطوط الحلفاء فأرادوا مجدداً القيام بهجوم عام ثان، وكان ذلك في ١٥ تموز ١٩١٨، إلا أن هذا الهجوم لم يكتب له النجاح، كما أعطى المبادرة للحلفاء بالبدء بعملياتهم الهجومية اعتباراً من الثامن عشر من الشهر نفسه. وبغية الحفاظ على تلك المبادرة واستغلالها عمد (فوش) إلى شن عدة هجمات ليمنع خصمه من استعادة روعه وتجميع احتياطه. ولقد عهد بهذه الهجمات إلى (هيغ) و (بيتان) و(برشينغ) وكان هذا الجنرال قائداً للقوات الأمريكية التي ابتدأت تنزل على الساحل الفرنسي بناء لطلب من الحلفاء اعتباراً من شهر نيسان بأعداد كبيرة.

وعهد (فوش) إلى هيغ بهجوم مفاجئ في جبهة (اميان). وشن هذا الهجوم الجيش الرابع البريطاني بإمرة (رولنسون) بينما أمر الجيش الثالث الفرنسي بقيادة (دبني) بتوسيع القتال نحو الجنوب. وفي الثامن من آب انطلق الهجوم ونزل على الألمان نزولاً مفاجئاً حطم معنوياتهم ومكن الجيش الرابع

البريطاني من أسر (٢١٠٠٠) جندي ألماني، بينما اكتسحت قوات الفيلق الأسترالي والكندي الفرق الألمانية الأمامية.

وقال (لودندورف) (أن يوم الثامن من آب كان اليوم الأسود للجيش الألماني في تاريخ الحرب فقد بدد كل شك حول هزيمة قوتنا المحاربة. فالحرب يجب ان تنتهي) وبينما كان (لودندورف) يحاول تجميع قواته المبددة والتراجع إلى خطوط دفاعية خلفية، قرر (فوش) عدم ترك الفرصة له وضربه الضربة الحاسمة خلال خريف ١٩١٨ بدلاً من تأجيل ذلك حتى العام التالي.

وعلى جبهة بلغاريا ركز (فرانشية) قائد القوات الفرنسية في (سالونيك) على تحضير قوة مشتركة فرنسية- صربية ودفعها في هجوم عام. في الخامس عشر من أيلول بالتنسيق مع القوات البريطانية فشطر الجيوش البلغارية إلى شطرين. وأنزل بها خسائر جسيمة أدت ببلغاريا إلى طلب الصلح الذي وقع في ٢٩ أيلول ١٩١٨.

تلا استسلام بلغاريا وإلقاء السلاح من قبل الدولة العثمانية. فقد قاد الجنرال (اللنبي) هجوماً على شاطئ البحر المتوسط. بعد أن مال فيران لقوى من ٢ ضدا إلى ٤ ضدا لصالحه. ففي ١٩ أيلول انطلق الهجوم دافعاً الأتراك أمامه باتجاه الشمال نحو داخل البلاد. وأحرزت خيالته نصراً ساحقاً في (مجدو) في فلسطين قرب حيفا ثم تدافعت نحو (دمشق) فحلب. وكان استسلام الدولة العثمانية في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨.

وعلى الجبهة الغربية وضعت خطة هجوم كانت هذه المرة حاسمة، وشارك في إعدادها (فوش) وقادة جيوش الحلفاء وقضت بإطلاق التقدم على محاور أربعة في وقت واحد، محور غرب (الموز) يقوم به الأمريكيون وآخر

غرب (أرغون) يقوم به الفرنسيون. وكلاهما باتجاه (ميزيـــير) وذلــك فـــي ١٦ أيلول. ومحور ثالث عهد به إلى البريطانيين فـــي (كانتـــان- كـــامبري) باتجـــاه (موبوج) وحدد انطلاقه في ٢٧ أيلول. ومحور رابع ينطلق منه الهجوم بتـــاريخ ٢٨ أيلول باتجاه (غانت) وعهد ه إلى القوات البلجيكية المعززة بقوات الحلفاء.

بدأ الهجوم العام على شكل كماشة بين (ابيرز) و(فردان) واستطاع (هيغ) الانقضاض على خط (هندنبرغ) الحصيـــن واجتيـــاز أصعـــب بقعـــة فيـــه (قنـــال الشمال). وفي الخامس من تشرين الأول ١٩١٨ كان البريطـــانيون وراء الخـــط وانكشفت أمامهم أرض منبسطة سهلة العبور.

وعلى الجبهة الإيطالية بعد أن وقف المد الألماني النمساوي عنـــد نـــهر (بياف) طيلة شتاء ١٩١٨ بفضل التعزيزات التي قدمها الحلفاء، واســـتمر ثبـــات الإيطاليين خلال الصيف أيضاً. وفي ٢٧ تشرين الأول تحرك (كافـــان) فاجتـــاز نهر (بياف) بهجوم كبير نحو (فينير يوفينيتو) بهدف شطر النمساويين إلى قسمين وحمل الإمبراطورية النمساوية - المجرية على طلب الصلح والحصول عليه فـــي ٣ تشرين الثاني ١٩١٨.

أضنى الجوع الشعب الألماني، وضاقت به السبل، وتحطمـــت معنوياتـــه وإرادة القتال فيه ودب اليأس إلى قلوب القادة والجنود فعرفت القـــوات المســـلحة نوعاً من العصيان عندما رفضت بحارة الأسطول الخـــروج بـــه مـــن الموانـــئ لملاقاة أساطيل الحلفاء وكان ذلك أول مظهر لاندلاع الثورة (٤ تشرين الثـــاني). فتنازل الإمبراطور (وليم الثاني) عن العرش.

في التاسع من تشرين الثاني حيث أعلنت الجمهورية فـــي اليـــوم نفســـه. وكان الألمان في الثالث من الشهر قد طلبـــوا مـــن رئيـــس الولايـــات المتحـــدة

الأمريكية (ولسون) الموافقة على هدنة. ولكن طلبهم لم يقترن بأي تجاوب من الحلفاء. أما وقد تقوضت أركان الدولة الألمانية فأصبح لابد من القبول باستسلام غير مشروط ساعد في فرضه على الألمان متابعة الضغط العسكري الذي قام به (فوش). فقد جمع (٢٨) فرقة أمريكية و ٦٠٠ دبابة لتوجيه ضربة. شرقي (اللورين) وكان قد ارتفع عدد القوات الأمريكية في فرنسا إلى (٤٢) فرقة، وهكذا ألقت ألمانيا السلاح واضطرت إلى توقيع صلح غير مشروط في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٨ واضعة بذلك نهاية الحرب العالمية الأولى التي استمرت ٤ سنوات وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

نتائج الحرب:

كانت الحرب العالمية الأولى حرباً فريدة من نوعها من حيث مداها ومن حيث التغيرات المهمة التي أحدثتها على كافة المستويات فقد ترتبت على هذه الحرب آثار سياسية واجتماعية واقتصادية مهمة، ليس فقط بالنسبة إلى الأطراف التي شاركت فيها بل وبعض الدول التي بقيت بمنأى عنها أيضاً.

لقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى سقوط الإمبراطوريات الثلاث التي كانت تعتبر عماد النظام القائم في شرق ووسط أوروبا، وهي الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية – المجرية. فقد كانت الحرب عاملاً مهماً من عوامل سقوط أسرة رومانوف الحاكمة في روسيا بعد ثورة ١٩١٧. وفي ألمانيا ثورة في برلين في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨. ونودي بالجمهورية في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨. وقد أجبر الإمبراطور (وليم الثاني) على التنازل عن العرش وقامت في البلاد حكومة ائتلافية تزعمها (ابيرت) الزعيم المعتدل للحزب الاشتراكي الديمقراطي. وفي المجر (هنغاريا) قامت ثورة مختلفة، فبعد الهزيمة

في الحرب تنازل الإمبراطور (شارل) ملك المجر عن العرش وأعلنت الجمهورية في البلاد برئاسة (ميشيل كارولي) زعيم الحزب الليبرالي المعارض، إلا أن الشيوعيين الذين ازداد نفوذهم كثيراً في المدن بسبب احتلال قوات الحلفاء وانتشار البطالة والبؤس في البلاد ونقص التموين، تمكنوا من الاستيلاء على السلطة في آذار ١٩١٩ وتولى الحكم زعيمهم (بيلاكون). وقد قامت حكومة بيلاكون بتأميم وسائل الإنتاج والملكيات الكبيرة والمتوسطة وأسندت إدارتها إلى تعاونيات اشتراكية. وقد رفضت دول الحلفاء الاعتراف بحكومة بيلاكون فانتهزت رومانيا ذلك وقامت بمهاجمة المجر أملاً منها في توسيع الأراضي الرومانية. وعندما زحفت القوات الرومانية صوب العاصمة (بودابست) سقطت حكومة بيلاكون –الذي فر إلى روسيا في آب ١٩١٩– وانتقلت السلطة بعد سقوط حكومة بيلاكون الشيوعية إلى الوصي وهو الأرشيدوف جوزيف، وفيما عدا هذه الإمبراطوريات الثلاث كانت الحرب العالمية الأولى سبباً أساسياً من أسباب سقوط أسرة الـ عثمان في تركيا وقيام الجمهورية التركية بعد بضع سنوات فقط من انتهاء تلك الحرب كما أدت الحرب العالمية الأولى إلى خسائر بشرية فادحة. فقد قدرت هذه الخسائر بحوالي (١٠) ملايين قتيل (٣ ملايين من روسيا و ٣ ملايين من ألمانيا و ١,٤ مليون من فرنسا وحوالي مليون ونصف مليون من (إيطاليا) إضافة إلى عدد هائل من الجرحى. وإضافة إلى هذه الخسائر البشرية خلفت الحرب دماراً كبيراً في المنشآت الاقتصادية والمراكز السكانية وطرق ووسائل المواصلات الحيوية، وبصورة خاصة في الدول الأوروبية التي كانت أراضيها ميادين للعمليات الحربية. كما أدت الحرب إلى تعطيل العلاقات التجارية الدولية في أوروبا وإنهاك قوى الإنتاج فيها حيث رصدت الدول المتحاربة مواردها المالية وموادها الأولية وإنتاجها الصناعي للمجهود الحربي.

كما أدى سوق الرجال إلى جبهات القتال وتحول قسم من أراضي أوروبا إلى ميادين للقتال إلى نقص في الإنتاج الزراعي. وترتب على كل ذلك حصول تضخم نقدي وارتفاع كبير في الأسعار ففي سنة ١٩١٩ ارتفعت الأسعار في إنكلترا بنسبة ١٤٢% عما كانت عليه في سنة ١٩١٣ وبلغت النسبة ٢٥٦ % في فرنسا و ٢٦٦% في إيطاليا.

ونتيجة لمآسي الحرب والمشكلات الاقتصادية حدثت اضطرابات وقلاقل اجتماعية في الدول الأوربية التي خرجت منتصرة من الحرب أيضاً فقد شهدت بريطانيا إضرابات عمالية عديدة، أهمها إضراب عمال لمناجم في عام ١٩١٩ الذي اضطر الحكومة البريطانية إلى الاستعانة بالجيش لإنهائه، وشهدت فرنسا إضرابات عمالية مهمة في أيار وحزيران ١٩٢٠ اشتبك فيها العمال مع رجال الآمن وفي إيطاليا سيطر الاشتراكيون المتطرفون على الحزب الاشتراكي وحصلوا على (١٧٥) مقعداً من مجموع (٥٠٠) معقد في انتخابات ١٩١٩ وحدثت إضرابات عمالية كبيرة في مدن نابلي وميلانو وانسالدو وغيرها في عام ١٩١٩- ١٩٢٠ سيطر العمال خلالها على المعامل والمصانع كما حدثت إضرابات فلاحية ضد كبار الملاكين العقاريين في المناطق الريفية أيضاً.

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى وبالاً على دول أوروبا فان الأمر كان نقيض ذلك بالنسبة للدول غير الأوروبية التي شاركت فيها، ونعني بذلك الولايات المتحدة الأمريكية واليابان فقد ازدهر اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى بسبب ازدياد طلب دول أوروبا المتحاربة على المنتجات الصناعية والزراعية الأمريكية بعد أن كرست طاقاتها البشرية والاقتصادية الذاتية للمجهود الحربي. فقد ازداد الإنتاج الصناعي الأمريكي بنسبة ١٥%، كانت الزيادة في الإنتاج الحربي أعلى من سواها كما ارتفع إنتاج القمح

بشكل ملحوظ مع ازدياد أسعاره. وقد تضاعفت صـــــادرات الولايــات المتحــدة الأمريكية ثلاث مرات بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٢٠ فأصبحت قيمتـــها (٨٠٨٠) مليون دولار بعد أن كانت (٢٣٢٩) مليون دولار. وقد بقيت الولايــات المتحــدة الأمريكية قبل وبعد اشتراكها في الحرب أكبر ممون وممـــول للحلفــاء كمـا أن أراضي الولايات المتحدة الأمريكية ومنشآتها الاقتصادية ظلت بمنأى عن نـــيران الحرب التي دارت رحاها في أوربا.

أما اليابان فإنها رغم اشتراكها في الحرب لم ترسل قوات عسكرية إلـــى ميادين القتال في أوروبا، واســـتفادت مـــن فرصــــة الحـــرب واســـتولت علـــى المستعمرات الألمانية في تسانغ توو. كما أزالت الحرب المنافسة الأوروبية فـــي أسواق الشرق الأقصى التي أصبحت محتكرة من قبل اليابان طوال سني الحـرب، بل أنها باعت منتجاتها الصناعية إلى دول لم تفكر قط فـــي الســـابق أن تشـــتري منها. فقد باعت أسلحة إلى روسيا القيصرية، ومنتجات صناعية إلى شيلي وبـيرو اللتين كانتا قبل عام ١٩١٤ تشتريان المنتجات الصناعية الألمانية.

مؤتمر الصلح وتسويات ما بعد الحرب:

تم اختيار (باريس) لتكون مقراً لمؤتمر الصلح اعترافـــاً بـــالدور الكبـــير الذي قامت به فرنسا في الحرب العالمية الأولى. وقد افتتـــح المؤتمـــر فـــي ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ وترك ذلك أثراً مسيئاً في ألمانيا لأنه كان يوم ذكرى إعـــلان الملكية في بروسيا عام ١٧٠١. ويوم ذكرى إعلان الإمبراطورية الألمانية فـــــي عام ١٨٧١.

شارك في مؤتمر الصلح مندوبون عن (٢٧) دولة ، ولم يدع مندوب عـــن الاتحاد السوفيتي (السابق) وكما لم يدع إلـــى المؤتمـــر مندوبـــون عـــن الـــدول

المهزومة في الحرب، بل كان عليها أن توقع على الوثـائق بعـد إعدادهـا، لأن السلام فرض فرضاً ولم يكن نتيجة مفاوضات. وقد شاركت أغلبية الـدول فـي الاجتماعات التي كانت تبحث قضايا تخصها مباشـرة، فـي حيـن ان البعـض الآخـر وهي الدول الأساسية (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحـدة الأمريكيـة وإيطاليا واليابان) التي شكلت المجلس الأعلى للحلفاء شاركت في بحـث جميـع القضايا بدون استثناء. ومن بين هذه الدول الخمس لعبت كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية دوراً أساسياً في وضع قرارات مؤتمر الصلح، وقـد عرف ممثلو هذه الدول الثلاث باسم (الثلاثة الكبار). أما ممثل اليابان فقـد لعـب دوراً ثانوياً في المؤتمر. كما أن ممثل إيطاليـا ورئيـس وزارتـها (اورلانـدو) انسحب من المؤتمر بعد وقت قصير احتجاجاً على تجاهل الثلاثة الكبـار بعـض مطالب إيطاليا الإقليمية.

ترأس الوفد الأمريكي إلى المؤتمر رئيس الولايات المتحـدة الأمريكيـة (ولسون) وقد حضر إلى المؤتمر وفي ذهنه فكرة تطبيق النقاط الأربـع عشـرة التي وردت في الرسالة التي وجهها إلى الكونكرس الأمريكي في ٨ كانون الثـاني ١٩١٨ باعتبارها منهاجاً للسلم. وقد تضمنت تلك النقاط بعض المسائل الخاصـة مثل استقلال بلجيكا وإعادة الالزاس واللورين إلى فرنسا وإحياء الدولة البولنديـة وإعادة النظر في الحدود الإيطالية وتامين حرية الملاحـة فـي أعـالي البحـار وسياسة (الباب المفتوح) الاقتصادية وغيرها. كما تضمنت بعض المسائل العامـة المهمة مثل مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، واعتماد الدبلوماسـية العلنيـة ونبذ المعاهدات والاتفاقات السرية، وإنشاء منظمة دولية تأخذ على عاتقها مهمـة فض المنازعات الدولية وضمان السلم والاستقرار في العالم. وقد وافق الحلفـاء على النقاط الأربع عشرة عندما كانت الحرب لا تـزال قائمـة لكـي يضمنـوا

استمرار الولايات المتحدة في الحرب، ولكنهم أصبحوا أقل تحمساً لـــها بعــد ان وضعت الحرب أوزارها لتضاربها مع مصالحهم. وقد حاول الرئيس (ولســـون) خلال مؤتمر الصلح فرض آرائه على مندوبي الدول الأخرى وفشل فـــي ذلــك بسبب عدم إلمامه بالأساليب الدبلوماسية المعقدة لذلك أصيب بخيبة أمل.

أما الوفد الفرنسي إلى المؤتمر فقد ترأســه رئيــس وزارتــها (جــورج كليمنصو) وأشترك معه وزير خارجية فرنسا (بيشون) . وقد أنتخــب (كليمنصــو) رئيساً للمؤتمر أيضاً. وكان محامياً ماهراً، وسياسياً محترفـــاً ورجــلاً ذا ثقافــة واسعة ومهارة دبلوماسية وقد عرف بـ (النمر). وكان (كليمنصـــو) فــي حوالــي الثمانين من العمر عندما عقد مؤتمر الصلح، وقد شهد حــرب (١٨٧٠- ١٨٧١) بين ألمانيا وفرنسا ولذلك كان حاقداً على الألمان شانه فــي ذلــك شــأن معظــم الفرنسيين. وقد أراد تحقيق هدفين في المؤتمر وهما ضمان حماية فرنسا مـــن أي تهديد ألماني مستقبلاً وإنزال العقوبة بألمانيا.

وترأس وفد بريطانيا إلى المؤتمر رئيس وزارتــها (دافيــد لويدجــورج) وجاء معه وزير الخارجية (بلفور) وكان لويد جورج كنظيره الفرنســي محاميــاً قديراً وبرلمانيا ماهراً وسياسياً محنكاً كما كان زعيماً لحزب سياسي هــو حــزب الأحرار. واعتمد لويد جورج في آرائه علــى مشــاوريه الذيــن كــان ينــاقش المواضيع اليومية معهم لذلك كان أكثر اطلاعاً من رؤساء الوفود الأخرى. وجــاء لويد جورج إلى المؤتمر وفي ذهنه ضمان الاستقرار فـــي أوروبــا بمــا يتفــق ومصالح بريطانيا، أي عدم الإخلال بتوازن القوى في أوروبا. ولم يرغب لويـــد جورج في معاملة ألمانيا بقسوة لأنه كان يرى أن مستقبل السلام والرخـــاء فـــي أوروبا يعتمد على قبول ألمانيا لتسوية سلمية معقولة كما أنـــه خشـــي أن تـــؤدي معاملتها بقسوة إلى توجيه أنظارها نحو الاتحاد السوفيتي (السابق) وقد أبدى لويــد

جورج اهتماماً خاصاً بقضية مصير المستعمرات الألمانية في خارج أوروبا. وكان عليه أيضاً أن يأخذ بنظر الاعتبار الرأي العام البريطاني الذي كان ناقماً على ألمانيا ويطالب بفرض غرامة حربية عليها. وقد حاول لويد جورج أن يوفق بين مثالية (ولسون) من جهة ورغبة (كليمنصو) في الثأر من ألمانيا من جهة أخرى.

استمرت أعمال مؤتمر الصلح من كانون الثاني ١٩١٩ حتى كانون الثاني ١٩٢١، وقد اكتنفت سير المفاوضات صعوبات عديدة بسبب اختلاف المصالح ووجهات النظر فيما بين الدول الكبرى من جهة، وفيما بينها وبين الدول والشعوب الأخرى التي أرسلت ممثلين عنها إلى المؤتمر. وقد عكست قرارات المؤتمر في النهاية وجهات نظر ومصالح الدول الكبرى بالدرجة الأولى.

وجه المؤتمر اهتماماً خاصاً إلى معاهدة الصلح مع ألمانيا، ويعود ذلك إلى الدور الهام الذي لعبته خلال الحرب العالمية الأولى وقد تم توقيع هذه المعاهدة في ٢٨ حزيران ١٩١٩ وعرفت باسم (معاهدة فرساي) لأنها وقعت في قاعة المرايا بقصر فرساي، وهي نفس القاعة التي أعلن فيها قيام الإمبراطورية الألمانية في عام ١٨١٧. وقد بلغ عدد صفحات معاهدة فرساي (٢٣٠) صفحة ويمكن تلخيص مضمونها على الوجه الآتي:

- **القسم الأول:** ويتضمن ميثاق عصبة الأمم، وقد أُدرج هذا الميثاق في مقدمة جميع المعاهدات التي عقدت مع الدول المندحرة في الحرب. وكان ذلك بناء على إلحاح الرئيس الأمريكي (ولسون) الذي أصر على أن ميثاق عصبة الأمم يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من تسويات الصلح.
- **موضوع الحدود:** نصت معاهدة فرساي على إعادة الالزاس واللورين إلى فرنسا، كما حصلت فرنسا على مناجم الفحم في منطقة السار التي تقرر

أن تعهد إدارتها لمدة خمس عشرة سنة إلى لجنة خاصة تحت إشراف عصبة الأمم، وأن يجري استفتاء فيها بعد انقضاء تلك الفترة ليقرر سكانها مستقبلهم بالاتحاد مع ألمانيا أو مع فرنسا أو البقاء تحت أشراف عصبة الأمم. كما حصلت بلجيكا على ثلاث مدن مهمة هي ايوبن ومالمدي ومورسن وتقرر أجراء تصويت في القسم الشمالي من (شلزويك) لتقرر الاغلبية الدانمراكيه هناك مصيرها. وعند إجراء التصويت فضل السكان الانضمام إلى الدانمرك وقد تم ذلك كما حصلت الدولة البولندية الناشئة على(٥/٦) منطقة بوزن والقسم الأكبر من منطقة بروسيا الغربية. وكان من ضمن ما حصلت عليه بولندا ذلك الجزء من ألمانيا الذي عرف باسم الممر البولندي وينتهي عند ميناء (دانتزك) بغية تمكين بولندا من الاتصال ببحر البلطيق. وقد جعلت مدينة (دانتزك) ميناءً حراً تحت إشراف عصبة الأمم على أن تقوم بولندا بإدارتها بالنيابة عن عصبة الأمم، كما تنازلت ألمانيا عن مدينة (ممل) إلى الحلفاء ثم أعطيت إلى لتوانيا لإدارتها في عام ١٩٢٣) وقسمت سيليزيا العليا بين بولندا وجيكسلوفاكيا (سابقاً)، ونالت الأولى أكثر أقسامها.

- **المستعمرات الألمانية:** تنازلت ألمانيا عن كافة مستعمراتها وكافة حقوقها وامتيازاتها في الخارج. وقد قسمت دول الحلفاء تلك المستعمرات والحقوق والامتيازات فيما بينها. فقد حصلت اليابان على المستعمرات الألمانية في الشرق الأقصى، وحصلت بريطانيا على إفريقيا الشرقية الألمانية (تنجانيقا) ووضعت إفريقيا الغربية الألمانية (ناميبيا) تحت انتداب إفريقيا الجنوبية، وقسمت مستعمرتا الكاميرون وتوكو بين بريطانيا وفرنسا، كما تقرر وضع الجزر الألمانية الواقعة جنوب خط الاستواء من المحيط الهادي تحت

الانتداب الأسترالي ووضعت جزيرة ساموا تحت إشراف نيوزيلندة. كما تنازلت ألمانيا عن جزر ماريان ومارشال وكارولين في المحيط الهادي أيضاً ووضعت تحت الانتداب الياباني.

- **التسلح:** تضمنت معاهدة فرساي بنوداً عديدة كان غرضها ضمان أمن جيران ألمانيا عن طريق إضعاف قوة ألمانيا العسكرية. ويشير البعض إلى هذه البنود بوصفها (ضمانات عسكرية) كان لفرنسا وإصرارها دور واضح في إدراجها في المعاهدة. فقد نصت المعاهدة على تحديد عدد الجيش الألماني بما لا يزيد عن ١٠٠,٠٠ رجل، وتحديد القوة البحرية الألمانية بست بوارج حربية وست طرادات خفيفة وست مدمرات وأثني عشر مركب طوربيد ومنعت ألمانيا من صنع الغواصات، كما منعت من صنع الطائرات ومن تأسيس قوة جوية ألمانية كما منعت من صنع المدرعات والدبابات أو استيرداها، ومن صنع الغازات السامة، وقررت المعاهدة إلغاء الخدمة العسكرية الواردة فيها.
- **التعويضات:** اعتبرت المادة رقم (٢٣١) من معاهدة فرساي ألمانيا مسؤولة عن الحرب العالمية الأولى. وكانت الغاية من إدراج هذه المادة في المعاهدة لتبرير إجبار ألمانيا على دفع غرامة حربية على سبيل التعويض عن الأضرار والخسائر التي لحقت بدول الحلفاء والدول الملحقة بها من جراء الحرب. إلا أن دول الحلفاء الكبرى لم تتفق على مقدار ما يجب على ألمانيا دفعة من تعويضات وقد ترك أمر تقريرها إلى لجنة خاصة تشكلت لهذا الغرض عرفت بـ (لجنة التعويضات) وقد توصلت هذه اللجنة في نيسان ١٩١٢١ إلى تقديرها قيمة التعويضات بمبلغ (١٣٢) مليار مارك ذهبي.

ولم تختلف المعاهدات الأخرى التي فرضت على الدول الأخرى المندحرة في الحرب عن معاهدة فرساي كثيراً في خطوطها العامة. وهذه المعاهدات هي:

- **معاهدة سان جرمان مع النمسا:** وقعت معاهدة سان جرمان في ١٠ أيلول ١٩١٩، وقد اعترفت النمسا فيها بمسؤوليتها في قيام الحرب العالمية الأولى، وكان لزاماً عليها بالتالي أن تدفع غرامة حربية، كما حدد جيشها بما لا يزيد على (٣٠,٠٠٠) رجل. ومنعت من الاتحاد مع ألمانيا. وقد نصت المعاهدة على تنازل النمسا عن مناطق واسعة فقد تنازلت عن التيرول الجنوبية وتريستا وترتيتو وجزر دالماشيا إلى إيطاليا، وعن بكوفينا إلى رومانيا، وعن البوسنة والهرسك وساحل دالماشيا إلى الدولة اليوغسلافية الجديدة، وعن بوهيميا ومورافيا وقسم من النمسا الجنوبية وسيليزيا النمساوية إلى جيكسلوفاكيا- وعن غاليسيا وتشن إلى بولندة. وبهذه التنازلات تحولت النمسا من إمبراطورية مساحتها ١١٥,٠٠٠ ميل مربع وسكانها (٣٠) مليون نسمة إلى دولة صغيرة مساحتها ٢٣,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها حوالي ٦,٥ مليون نسمة.
- **معاهدة نويي مع بلغاريا:** وقعت هذه المعاهدة في قصر نويي بباريس في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٩. وقد نصت على تنازل بلغاريا عن ترافيا الغربية وسواحل بحر أيجة إلى اليونان. وعن بعض المناطق الاستراتيجية المهمة في غرب بلغاريا إلى يوغسلافيا كما حددت المعاهدة جيشاً بلغاريا بما لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ رجل وصودرت قوتها البحرية، وأجبرت على دفع غرامة حربية حدد مقدارها (٤٥٠) مليون دولار تدفع على مدى (٣٧) سنة ابتداءً من ١ كانون الثاني ١٩٢١. وقد حولت هذه المعاهدة بلغاريا إلى

أضعف دولة في البلقان بعد ألبانيا، من حيث المساحة والموارد والسكان والقوة العسكرية.

- **معاهدة تريانون مع المجر:** وقعت هذه المعاهدة في قصر تريانون الكبير المجاور لفرساي في ٤ حزيران ١٩٢٠ مع المجر (هنغاريا) وقد خسرت المجر بموجب هذه المعاهدة مناطق واسعة. فقد تنازلت عن كرواتيا – سلافونيا وجزءاً من بانات إلى يوغسلافيا، وعن بقية بانات وترنسلفانيا وجزءاً من السهل الهنغاري في الغرب إلى رومانيا وعن سلوفاكيا وبعض الأراضي الواقعة في شرف وجنوب الكاربات إلى جيكسلوفاكيا، وعن سلوفاكيا وبعض الأراضي الواقعة في شرق وجنوب الكاربات إلى جيكسلوفاكيا، وعن هنغاريا الغربية الألمانية إلى النمسا (كانت هذه الحالة الوحيدة التي نالت فيها إحدى الدول المندحرة أراض إضافية) كما تنازلت المجر عن فيوم، منفذها إلى البحر وترك أمر تقرير مستقبل هذه المنطقة إلى مفاوضات تجري بين إيطاليا ويوغسلافيا. كما حددت المعاهدة جيش المجر بما لا يزيد على (٣٥,٠٠٠) رجل. وقد تحولت المجر بعد هذه المعاهدة من دولة كبيرة مساحتها (١٢٥,٠٠٠) ميل مربع وعدد سكانها اكثر من (٢٠) مليون نسمة إلى دولة صغيرة مساحتها (٣٥,٠٠٠) ميل مربع وعدد سكانها (٨) ملايين نسمة، كما خسرت (٣) ملايين نسمة من أبنائها المجريين الذين تقرر إلحاقهم مع أراضيهم بالدول المجاورة.
- **معاهدة سيفر مع الدولة العثمانية:** وقعت معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ وكانت آخر معاهدة من معاهدات الصلح. وقد تضمنت تسوية الصلح مع الدولة العثمانية بعض التعقيدات أيضاً. فقد كانت تلك الدولة ميداناً للتنافس

من أجل النفوذ السياسي والاقتصادي بين الدول الأوروبيــة الكـبرى قبـل نشوب الحرب العالمية الأولى . وبعد قيام الحرب عقدت أكثر مـن معـاهدة بخصوص تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية مثل معاهدة لنــدن لسـنة ١٩١٥ التي وعدت فيها إيطاليـا بالحصول على بعض المناطق العثمانية. واتفاقيـة سايكس – بيكو السيئة الصيت في عام ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا وروسـيا القيصرية بخصوص تقسيم الدولة العثمانية. وخلال الحرب أيضـاً وعـدت بريطانيا الشريف حسين (بموجب مراسلات حسين– مكماهون المعروفة في عام ١٩١٥– ١٩١٦) بإقامة دولة عربية مسـتقلة، كمـا وعـدت الحركـة الصهيونية (بموجب وعد بلفور المشؤوم في عام ١٩١٧) بإقامة وطن قومـي يهودي في فلسطين. وكانت اليونان تتطلع إلى الاستحواذ على أجـزاء مـن الدولة العثمانية (في آسيا الصغرى بصورة خاصــة) لقـاء اشـتراكها فـي الحرب إلى جانب الحلفاء.

تنازلت الدولة العثمانية في معاهدة سـيفر عـن جميـع السـكان غـير الأتـراك فأقيمت بذلك مملكة مستقلة في الحجاز بزعامة الشريف حسين بن علي ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. والعــراق وفلسـطين والأردن تحت الانتداب البريطاني ومنحت اليونان إدارة مدينة أزمير لمدة خمس سـنوات على أن يعقب ذلك استفتاء لتقرير مصيرها، وحصلت إيطاليا على رودس وجـزر الدوديكانيز (أعطت إيطاليا جزر الدوديكانيز إلى اليونان فيما بعد) كما حصلـت اليونان أيضاً على بعض الجزر التابعة للدولة العثمانية في بحـر أيجـة وعلـى شرقي تراقيا. كما نصت معاهدة سيفر على إعطاء الاستقلال للأرمـن علـى أن يقوم الرئيس (ولسون) بتعيين حدود الدولة الأرمنية المقترحة كما تقـرر تدويـل المضائق التركية ونزع سلاح الأراضي المجـاورة لـها. وأن تبقـى اسـطنبول

والمنطقة الأوروبية تحت السيادة التركية ووافقت الدولة العثمانية على حماية الأقليات وتأليف لجنة مالية للنظر في أمور التعويضات وعلى إعادة نظام الامتيازات الأجنبية، وإعادة الصفة الشرعية للمعاهدات والامتيازات والشركات لصالح الحلفاء.

أذلت معاهدة سيفر الدولة العثمانية إذلالاً كلياً وإنزالها إلى دولة ثانوية ذات رقعة صغيرة وسيادة مقيدة بحيث أصبحت في الحقيقة عبارة عن محمية من المحميات لا غير. وعلى أية حال فان معاهدة سيفر لم تبرم لأن الوطنيين الأتراك، بزعامة (مصطفى كمال أتاتورك) رفضوها وقد حلت معاهدة أخرى محلها فيما بعد وهي معاهدة (لوزان) المعقودة في ٢٤ تموز ١٩٢٣. وكانت شروط هذه المعاهدة أفضل بكثير من المعاهدة السابقة بالنسبة للأتراك وبموجب معاهدة لوزان صودق على انفصال البلاد العربية عن تركيا وعلى امتلاك بريطانيا لقبرص وامتلاك إيطاليا لجزر الدوديكانيز. وقد استردت تركيا جزءاً من تراقيا الشرقية وجزيرتي امبروز وتنيدوس في بحر أيجة لكن جزر بجر أيجة الأخرى أعطيت لليونان كما أعيدت أزمير إلى تركيا.

ولم نفرض معاهدة لوزان غرامة حربية على تركيا كما لم نفرض قيوداً عسكرية عليها باستثناء قرار عدم تسليح سواحل الدردنيل والبسفور (سمح للأتراك بوضع حامية عسكرية في اسطنبول وغاليبولي) وتقرر فتح المضائق التركية للسفن الحربية حسب قواعد خاصة. كما تقرر إلغاء الامتيازات الأجنبية في تركيا. والحق بالمعاهدة اتفاق خاص عقد على حدة بين تركيا واليونان بخصوص نقل السكان اليونانيين من الأراضي التركية(باستثناء مدينة اسطنبول إلى اليونان ونقل السكان الأتراك الموجودين في اليونان (باستثناء تراقيا إلى تركيا. وغني عن القول أن معاهدة (لوزان) كانت تعد نصراً للأتراك فقد حافظوا

بموجبها على حدودهم القومية وتحرروا من السيطرة الأجنبية ونـــالوا اســتقلالهم القومي.

وقد أثار مؤتمر الصلح والتسويات التي توصل إليها جدلاً ونقاشاً واســـعاً وقد وجهت انتقادات كثيرة إلى المؤتمر وتسويات الصلح أهمها بان المؤتمـــر لـــم يسمح للدول المندحرة في مناقشة تسويات الصلح بل أن هذه التسويات فرضـــت عليها فرضاً. وسيطرة مندوبي الدول الكبرى الثلاث فرنسا وبريطانيا والولايـــات المتحدة على المناقشات وإصدار القرارات وإنّ المعاهدات التي فرضـــت علـــى الدول المندحرة تضمنت شروطاً قاسية جداً وقـــد حملـــت فـــي طياتـــها بـــذور الصراعات التي عصفت بأوروبا في ثلاثينات القرن العشرين وأدّت في النهايـــة إلى قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩.

وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى مؤتمر الصلح، فـــإن إحدى أهم إيجابيات مؤتمر الصلح هي وضع ميثاق (عصبة الأمم المنظمة الدولية الجديدة التي كان ظهورها تلبية لحاجة مهمة وهي ضمان السلام العـــالمي علـــى أسس جديدة وثابتة من خلال مشاركة جميع الدول في هذه المنظمة التي أخـــذت على عاتقها وإن لم تنجح في ذلك فيما بعد، مهمة فض النزاعات بين الدول عـــن طرق المفاوضات والوسائل السلمية وتوثيق التعاون بين الدول وتنميته.

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥):

بدأت الحرب العالمية الثانية في أول أيلول ١٩٣٩ وانتهت في أوروبا فـــي الثامن من أيار ١٩٤٥. كما انتهت في الشرق الأقصى باستسلام اليابان في الثاني من أيلول ١٩٤٥. وقد دامت هذه الحرب حوالي ست سنوات واشـــتركت فيـــها

معظم دول العالم. وتسببت عنها من الخسائر البشرية والعمرانية ما يعادل خسائر حروب العصور الحديثة بكاملها.

أسباب الحرب غير المباشرة:

كانت الحرب العالمية الثانية حصيلة أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة. فبالنسبة للأسباب غير المباشرة للحرب العالمية الثانية. فمع أنها موضوع اجتهاد واختلاف كبير بين أوساط المؤرخين إلا أن ذلك لم يمنع من اتفاقهم على بعضهما وعلى النحو التالي:

١. **معاهدة فرساي:** مما لاشك فيه أن معاهدة فرساي ، التي كانت قد فرضت شروطاً قاسية على ألمانيا خلقت شعوراً كبيراً بالمرارة بين الألمان وولدت لديهم رغبة شديدة في الانتقام وهكذا عملت السياسة الألمانية، سواء في عهد جمهورية فايمار أو في العهد النازي على التخلص من قيود تلك المعاهدة. وفي حين لجأت الدول إلى أساليب سلمية لتحقيق ذلك الهدف اتبع النازيون أساليب عنيفة لتحقيقه.

وجدير بالذكر أن معظم شكاوى الألمان، كانت قد انتهت في أواخر عام ١٩٣٨. فقد ألغيت التعويضات، وصرفت الأنظار عن مواد معاهدة فرساي المتعلقة بنزع السلاح وأعيد تسليح منطقة الراين وتم توحيد النمسا مع ألمانيا، وأعيد الألمان الذين كانوا يقطنون في إقليم السوديت بتشيكلوسوفاكيا إلى حظيرة ألمانيا. وفوق ذلك أعربت بريطانيا عن استعدادها لتعويض ألمانيا عما فقدته من مستعمرات. وعادت ألمانيا من جديد دولة عظمى ولعله لم يعد هناك من أثر لمعاهدة فرساي في نفوس الألمان سوى الرغبة في الثأر من أولئك الذين وضعوا شروطها.

٢. **الصراع حول المستعمرات:** فقد حدث أن بعضاً من الدول جردت من مستعمراتها كلياً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كما هو الحال بالنسبة لألمانيا. في حين لم تقنع دول أخرى بنصيبها من المستعمرات كايطاليا مثلاً. وخلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى شهدت بعض الدول تطوراً اقتصادياً كبيراً كما هو الحال مع ألمانيا واليابان مما دفع بالأولى إلى المطالبة بإعادة مستعمراتها القديمة بل إعادة تقسيم العالم من جديد، وحمل الثانية على استخدام القوة من أجل الحصول على مزيد من المستعمرات. وقد أثار هذا النشاط معارضة الدول الاستعمارية القديمة مما أدى بالتالي إلى خلق تناقضات واتفاقات بين الدول وحمل بعضاً منها على التكتل كما هو الحال مع التكتل المعروف بمحور روما – برلين– طوكيو وقد قرب هذا من فرص اندلاع حرب عالمية ثانية.

٣. **أطماع هتلر التوسعية:** كان الرأي العام خارج ألمانيا قد أجمع خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وبعدها مباشرة على أن هتلر كان المسؤول الوحيد عن إثارة الحرب العالمية الثانية بدليل أن هجومه على بولندا لم يستهدف احتلال دانزك، والممر البولندي فحسب بل تعداهما إلى احتلال بولندا بأسرها مما حمل الكثيرين على الاعتقاد بان هتلر لم يكن يروم استعادة المناطق التي فقدتها ألمانيا في معاهدة فرساي فحسب، وإنما السيطرة على بولندا بأكملها.

وبعد انقضاء الحرب العالمية الثانية تصدى المؤرخون لدراسة أسباب تلك الحرب، وللتعرف على مدى مسؤولية هتلر في نشوبها فقد تباينت آراؤهم تبايناً شديداً خصوصاً تجاه المسألة الأخيرة. فقد أعرب تايلر (الذي قد عمل محاضراً للتاريخ في عدد من الجامعات البريطانية ووضع الكثير من المؤلفات في التاريخ الأوربي الحديث). عن اعتقاده بان هتلر لم يكن يزعم إثارة حرب

واسعة النطاق، وإن كل ما كان يريده هو حرب خاطفة ضد بولنــــدا. وبحســـب رأي تايلر فان أهداف هتلر كانت مشابهة لأهداف زعماء ألمانيا الســـابقين مثـــل الإمبراطور وليم الثاني. والمستشار (شترسيمان مع فارق وحيد بينـــهما هـــو أن هتلر اتبع وسائل أشد عنفاً. وكان هتلر من وجهة نظر تايلر قناص فرص لامعـــاً حقق مكاسب كبيرة أما نتيجة أخطاء ارتكبها خصومه أو نتيجة لحـــوادث غـــير متوقعة. كما حدث مثلاً، إبان أزمة تشيكوسلوفاكيا فـــي شـــباط ١٩٣٩، حينمـــا طالب السولفاك حكومة براغ أن تمنحهم مزيداً من الاستقلال. وقد استغل هتلـــر تلك الحادثة للتدخل في شؤون تشكيوسلوفاكيا واحتلالها بالتالي.

وطرحت جمهرة كبيرة من المؤرخين نظرية مفادها أن هتلر كـــان قـــد خطط منذ البداية لشن حرب واسعة النطاق، وكان يدفعه إلى ذلك عوامل مختلفـــة منها أنه كان يريد أن يمحو عار الهزيمة الذي لحق بألمانيا إبان الحرب العالميـــة الأولى، وأنه كان يطمح إلى الاستيلاء على أراضٍ واسعة في الاتحاد الســـوفيتي، والقضاء على النظام الشيوعي فيه واعتبروا احتلال بولندا بمثابة خطوة ضرورية لتحقيق ذلك الهدف وأشاروا إلى أن ميثاق عدم الاعتداء الذي وقعـــه هتلـــر مـــع الاتحاد السوفيتي في آب ١٩٣٩ كان مجرد مناورة قصد بـــها تضليـــل الاتحـــاد السوفيتي وبقاءه على الحياد لحين حسم مسألة بولندا وقد استندت النظرية الأخيرة إلى إحدى الجمل التي أوردها هتلر في كتابة (كفاحي) وعلى ما جاء في مذكـــوات هو سباخ، وهي خلاصة كان قد كتبها مساعد هتلر الكولونيل هو ســـباخ خـــلال اجتماع عقده هتلر مع جنرالاته في تشرين الثاني ١٩٣٧، شـــرح فيـــه خطتـــه لجنرالاته. وإذا ما صحت هذه النظرية فان من شأن ذلك أن يقلل من مســـؤولية سياسة التهدئة كسبب في الحرب لأنها -أي الحرب- كانت مسألة مفروغاً منـــها

إنْ آجلاً أو عاجلاً. وبغض النظر عن تلك الخلافات فان مما لاشك فيه أن هتلر كان مسؤولاً إلى حد كبير عن إثارة الحرب العالمية الثانية.

٤. **عجز عصبة الأمم:** كذلك كان من أسباب الحرب العالمية الثانية، غير المباشرة، عجز عصبة الأمم في تحقيق الأهداف المرجوة من تأسيسها. فقد أريد من تأسيس العصبة أن تكون جهازاً للمحافظة على السلم في العالم. وحل الخلافات بين الدول بالوسائل السلمية وتنفيذ مقررات مؤتمر الصلح في باريس. إلا أن العصبة فشلت في تحقيق تلك الأهداف فلم تستطع على سبيل المثال تحقيق نزع شامل للسلاح. ولم تتمكن من منع اليابان من الاعتداء على منشوريا في عام ١٩٣١. وفشلت في فرض عقوبة ضدها لما استولت على الصين في عام ١٩٣٧. كذلك لم تستطع من منع إيطاليا من الاعتداء على الحبشة واستعمارها. وهكذا أصبحت الخلافات الدولية تحل بعيداً عن العصبة.

٥. **سياسة التهدئة:** أشار فريق من المؤرخين إلى أن سياسة التهدئة كانت في قيام الحرب العالمية الثانية. وقالوا بأنه كان يجب على بريطانيا وفرنسا. باعتبارهما القطبين الرئيسين لتلك السياسة، أن تبادرا إلى وضع خطة عمل ثابتة ضد ألمانيا. قبل أن تصبح دولة قوية وكان بإمكان بريطانيا وفرنسا أن تلقيا هتلر من خلال قيامها بهجوم ضد ألمانيا في عام ١٩٣٦. رداً على احتلال منطقة الراين، لكن تقاعسها عن القيام بذلك العمل، دفع هتلر إلى المضي قدماً في تجاوزاته، واكسبه مزيداً من الهيبة في نفوس الألمان. ولعل المواقف الاستسلامية لبريطانيا وفرنسا إبان مؤتمر ميونيخ (أيلول ١٩٣٨)، حملت هتلر على الاعتقاد بأنهما سوف تواصلان سياستهما الاستسلامية مرة أخرى مما جعله يصمم على المغامرة بحرب ضد بولندا.

وحمل تشمبرلن، رئيس الحكومة البريطانية، الذي كـــان رائـــداً بـــارزاً لسياسة التهدئة، قدراً كبيراً من المسؤولية عن قيام الحرب العالمية الثانية بـــالنظر إلى أنه لم يتخذ مواقف حاسمة ضد هتلر. وكان قد أُثير جدل بالنظر إلى أنه لـــم يتخذ مواقف حاسمة ضد هتلر. وكان قد أُثير جدل مفاده أن مطالبة الألمان بميناء دانزك، بطريق عبر الممر البولندي كانت معقولة أكـــثر مـــن مطالبتـــها بـــإقليم السوديت في تشيكوسلوفاكيا (وكان الأخير يضم ما يقرب من مليون مـــن غـــير الألمان)، وأنه كان من الصعب على بريطانيا وفرنسا أن تدافعا عن بولندا. لأنـــها كانت أضعف عسكرياً من تشيكوسلوفاكيا، وبالتالي كان ينبغي على تشـــمبرلن أن يتصدى لمخططات هتلر إبان مؤتمر ميونخ وأن يساند قضية تشيكلوسلوفاكيا فيه.

٦. **مسؤولية الاتحاد السوفيتي في قيام الحرب العالمية الثانيـــة:** كذلـــك كـــان للاتحاد السوفيتي دور في آب ١٩٣٩. وكان ينبغي عليه أن يتحالف مع الـدول الغربية ومع بولندا من اجل ممارسة الضغط ضد هتلر. وحمله على التخلـــي عن مخططاته العدوانية. ومن ناحية أخرى كان البريطانيون لا يبدون حماســة للتحالف مع الاتحاد السوفيتي وكان تشمبرلن، شأنه في ذلك شأن البولنديـــين، لا يثق بالاتحاد السوفيتي. وكان تشمبرلن يعتقد بأن الاتحاد السوفيتي ضعيـــف من الناحية العسكرية.

وقد برر المؤرخون السوفيت من جانبهم توقيع بلادهم على معاهدة عـــدم اعتداء مع ألمانيا، على أساس أنها خطة تكتيكية من شـــانها أن تمنـــح الاتحـــاد السوفيتي وقتاً كافياً يمكنه من إعداد نفسه لمواجهة غزو ألماني محتمل.

٧. **دور سباق التسلح في التمهيد للحرب:** بعد أن فشلت عصبة الأمم في تحقيـــق نزع شامل وعادل للسلاح أخذت كل دولة تعمل على انفراد على زيادة قوتـــها العسكرية. وكان ازدياد قوة أية دولة يدفع جيرانها في العادة إلى مجاراتها فـــي

قوتها بل التفوق عليها. وهكذا أحدث سباق تسلح شديد في العالم. فتضخمت أعداد الجيوش. ورصدت مبالغ ضخمة لتمويل التسلح وقد زاد هذا من فرص اندلاع الحرب.

السبب المباشر:

كانت معاهدة فرساي قد انتزعت من ألمانيا ميناء دانزك الواقع إلى بحر البلطيق، والممر البولندي (وهو شريط من الأرض عرضه ٢٥ ميلا كان يصل بولندا ببحر البلطيق) وسلمتها إلى بولندا. وقد ترتب على هذا أن شطرت ألمانيا إلى شطرين، وأصبحت الوسيلة الوحيدة للاتصال بينهما، هو خط حديدي يخضع لإشراف بولندا.

ومع أن ألمانيا كانت قد عقدت معاهدة عدم اعتداء مع بولندا في عام ١٩٣٤، مدتها عشر سنوات، إلا ان العلاقات بين الطرفين أخذت تتوتر منذ أواخر عام ١٩٣٨. عندما اندلعت اضطرابات في بعض من المناطق البلولندية. التي يقطنها الألمان مما اضطر السلطات البولندية إلى طرد أعداد كبيرة من الألمان من أراضيها. وقد ردت ألمانيا على ذلك بالمثل. واستمرت عمليات الطرد المتبادلة بين الطرفين حتى كانون الثاني ١٩٣٩. حينما تم التوصل إلى حل لها. مما خفف ممن حدة التوتر بين البلدين. غير أن هذا التحسن في العلاقات لم يستمر طويلاً إذ بدأت الصحافة الألمانية تشن حملات ضد بولندا بين حين وآخر متهمة البولنديين بإساءة معاملة الأقلية الألمانية. وازدادت حدة هذه الحملات منذ أواخر آذار ١٩٣٩ .

وحدث في الوقت نفسه أن بدأت الحكومة الألمانية تثير من جديد مسألة إعادة ميناء دانزك إليها. والسماح لها بإنشاء طريق للسيارات وآخر لقاء تم بين

وزير الخارجية الألماني ونظيره البلولندي في أواخر آذار ١٩٣٩ أوعز الأول إلى الثاني دراسة مطالب ألمانيا. ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا كانت قد تقدمت بنفس تلك المطالب إلى بولندا منذ أواخر تشرين الأول ١٩٣٨، لكنها لم تلح في حينه.

وفي أواخر نيسان ١٩٣٩، بعث هتلر بمذكرة إلى الحكومة البلولندية أكد فيها المطلبين السابقين، وأبدى استعداداً لمنح بولندا حرية التجارة في ميناء دانزك. والتوقيع على معاهدة عدم اعتداء جديدة معها. واقترح عليها كذلك حضور مؤتمر دولي، على أمل أن يساعد البلدين على حل خلافاتهما.

ومن الواضح أن مطالبة ألمانيا باستعادة ميناء دانزك كان لها ما يبررها بالنظر لوجود أقلية ألمانية كبيرة العدد فيه، إلا أن الحكومة البلولندية خشيت من أن يكون ذلك الطلب مقدمة لعدوان ألماني ضدها ولا سيما وأنه جاء بعد فترة وجيزة من احتلال تشيكوسلوفاكيا وزاد من مخاوف الحكومة البلولندية أن الرأي العام الألماني كان يندد بسياسة بولندا اتجاه الأقلية على إثارة الاضطرابات في ميناء دانزك. من طريق تأسيس جيش من المتطوعين من سكان الميناء الموالين لألمانيا وإمداده بالأسلحة.

وكانت بريطانيا قد تعهدت في ٣١ آذار ١٩٣٩ وبالاتفاق مع فرنسا بتقديم المساعدة إلى بولندا في حالة تعرضها إلى أي اعتداء ضدها. وقد شجع هذا الحكومة البلولندية على رفض مطالب ألمانيا. ورفضت حضور المؤتمر المقترح خوفاً من أن يحل بها ما حل بتشيكوسلوفاكيا أبان مؤتمر ميونخ وقد رد هتلر على ذلك بان ألغى في ٢٨ نيسان ١٩٣٩. معاهدة عدم الاعتداء مع بولندا الموقعة في عام ١٩٣٤. كما ألغى في اليوم ذاته الاتفاقية البحرية مع بريطانيا الموقعة في عام ١٩٣٥ احتجاجاً على قرار الحكومة البريطانية في ٢٧ نيسان

١٩٣٩ بتطبيق نظام الخدمة الإلزامية في بريطانيا الذي اعتبره هتلر عملاً عدائياً ضد ألمانيا.

ومن جانب آخر بدأت بريطانيا وفرنسا مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي منذ نيسان ١٩٣٩ لعقد تحالف معه، اعتقاداً منهما بأن هذا لتحالف المنشود من شأنه أن يمكنهما من أن تنفيذ الوعد الذي قطعتاه على نفسيهما بتقديم المساعدة إلى بولندا. إلا أن المفاوضات باءت بالفشل لعوامل منها أن بولندا رفضت الموافقة على مرور القوات السوفيتية في أراضيها وكذلك بسبب أطماع السوفيت الكبيرة في منطقة بحر البلطيق.

وكانت ألمانيا قد أقدمت من جانبها على عقد حلف عسكري مع إيطاليا في أيار ١٩٣٩. سمي (الحلف الفولاذي) الذي نصت المادة الثالثة منه على أنه في حالة ما إذا تورط أحد الطرفين المتعاقدين خلافاً لرغباتهما في حرب مع دولة أو اكثر فإن أحد الطرفين يسارع فوراً إلى الوقوف إلى جانب الطرف الآخر كحليف ويمده بكل ما لديه من قوى عسكرية في البر والبحر والجو. وفضلاً عن ذلك اغتنمت ألمانيا فرصة فشل المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة، والاتحاد السوفيتي من جهة لفتح باب المفاوضات مع الاتحاد السوفيتي. فأرسلت وزير خارجيتها ويبنتروب إلى موسكو ووافق الأخير في ٢٣ آب ١٩٣٩ في عقد ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي. وألحق بالميثاق بروتوكول سري اقتسمت الدولتان بمقتضاه مناطق النفوذ في أوروبا الشرقية بحيث أصبحت فنلندا، ولا تفيا واستونيا والجزء الشرقي من بولندا وبسارابيا مناطق نفوذ للسوفيت في حين جعلت الأجزاء الغربية من بولندا علاوة على لتوانيا مناطق نفوذ لألمانيا.

وبعد أن تمت ألمانيا تلك الإجراءات لم يعد هناك ما يمنعها من شن هجوم ضد بولندا. وكان هتلر يعتقد بان بريطانيا وفرنسا سوف لا تغامران في

التصدي له. وكان ينظر إلى الضمانات التي قدمتها بريطانيا إلى بولندا باعتبارها خدعة. وفي فجر اليوم الأول من أيلول ١٩٣٩، بدأ الألمان هجوماً واسع النطاق على بولندا مفتتحاً الحرب العالمية الثانية التي أخذ يتسع نطاقها. في ٣ أيلول ١٩٣٩. أصبحت بريطانيا في حالة حرب مع ألمانيا ومن ثم أعلنت فرنسا الحرب ضدها أيضاً. وبذلك اندلعت الحرب العالمية الثانية واستمرت ست سنوات واشتركت فيها معظم دول العالم ونتج عنها خسائر مادية وبشرية هائلة.

الجبهات الشرقية والشمالية الغربية:

١. الغزو الألماني لبولندا:

في فجر اليوم الأول من شهر أيلول ١٩٣٩، شنت ألمانيا، وبدون أن تعلن الحرب بصورة رسمية هجوماً صاعقاً وعنيفاً ضد بولندا. وخصص الجيش الألماني لهذا الهجوم (٤٢) فرقة عاملة و(١٦) فرقة أخرى احتياطية عبئت فيه خمسة جيوش وانطلقت في اتجاهين: شمالي بقيادة الجنرال (فون بوك) وتضم مجموعته الجيش الثالث والجيش الرابع. وجنوبي بقيادة الجنرال (فون رونشتيدت) وتضم مجموعته الجيوش: الثامن والعاشر والرابع عشر حيث اعتبر الجهد الرئيسي للهجوم. ولقد قيدت هذه الحرب بشكل خاطف وأعطت الجيوش الألمانية فيها الدليل الأول أو التطبيق الأول لنظرية حرب المدرعات الخاطفة.

كان الجيش البولندي يضم (٣٠) فرقة مشاة و(١١) لواء من الفرسان بالإضافة إلى لواءين مدرعين، إلا أنه كان يفتقر إلى التجهيز والاعتدة وقد تمكن الألمان من الحصول على حسم سريع للمعركة. وأسهمت أعداد ضخمة من الطائرات الألمانية في الهجوم. وكان عددها يزيد على ألفي طائرة. وقد تمكنت هذه الطائرات من تدمير القوة الجوية البولندية التي كانت تتألف من أربعمائة

طائرة قديمة في غضون ساعات قليلة من بدء الهجوم كما أنزلت الطائرات الألمانية الخراب بالمدن البولندية. وبالمطارات والسكك الحديدية فيها. وشلت تحركات القوات البولندية وحطمت بالتالي معنوياتها. وفي السابع من أيلول ١٩٣٩ أفلحت القوات الألمانية في اختراق الخطوط الدفاعية البولندية المقامة على الحدود. وعجز الجيش البولندي عن الصمود أمام تلك الجحافل الضخمة خصوصاً وأن جزءاً كبيراً منه كان يرابط على الحدود الشرقية لبولندا.

وفي ١٧ أيلول ١٩٣٩ بدأت القوات السوفيتية زحفها على بولندا من جهة الشرق. واستطاعت بعد يومين الالتقاء بالقوات الألمانية وقد اضطرت الحكومة البولندية على أثر الهجوم الأخير إلى أن تغادر إلى رومانيا. وفي ٢٨ أيلول ١٩٣٩ اضطرت بولندا إلى إعلان الاستسلام بعد أن يئست نهائيا من الحصول على أية مساعدة خارجية، بالرغم من إلحاحها الشديد في طلب تلك المساعدة. واقتسمت ألمانيا والاتحاد السوفيتي بولندا. فاستحوذ الاتحاد السوفيتي على المناطق الشرقية من بولندا التي قدرت مساحتها بحوالي (٧٧,٠٠٠)كم٢. وعدد سكانها (١٣) مليون نسمة، معظمها من الأوكرانيين والروس البيض. وادعى الروس أن احتلالهم لتلك المناطق كان بمثابة عودة الحق إلى نصابه باعتبار أنها كانت تشكل فيما مضى جزءاً من أوكرانيا وروسيا البيضاء. أما ألمانيا فقد استولت على المناطق الغربية من بولندا ووضعت الأقسام الوسطى منها تحت حمايتها. وقد بلغت مساحة المناطق التي استولت عليها ألمانيا من بولندا (٧٣٠٠) ميل مربع، وعدد سكانها (٢٢) مليون نسمة.

وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا، أعلنتا الحرب على ألمانيا في ٣ أيلول ١٩٣٩، رداً على غزو الأخيرة لبولندا، إلا أنهما لم تقوما بأية إجراءات عسكرية ضد ألمانيا باستثناء قيام الفرنسيين بتعزيز خطوطهم الدفاعية على طول

الحدود مع ألمانيا وخاصة خط ماجينو وشنهم غارات محدودة ضد عدد من المواقع الألمانية الحدودية. أما بالنسبة إلى بريطانيا فقد نقلت بعضاً من قواتها إلى فرنسا، واتخذت هذه القوات مواقع لها على الحدود الفرنسية والبلجيكية. كذلك قام سلاحا الجو البريطاني والفرنسي بأعمال استطلاعية.

٢. الغزو السوفيتي لفنلندا:

على الرغم من أن ألمانيا كانت قد وقعت على معاهدة عدم اعتداء مع السوفيت قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية . لكن الأخيرين لم يحسوا بأي اطمئنان تجاه ألمانيا. وكانوا يتوقعون أن تقوم بهجوم ضدهم ولم يبد هتلر من جانبه ارتياحاً من الاتحاد السوفيتي الذي حصل - وبدون تقديم أية خسائر على أراض واسعة في بولندا تزيد عن تلك التي حصلت عليها ألمانيا. لذلك راح السوفيت يعملون بهمة ونشاط في تعزيز حدودهم الجديدة وبسط نفوذهم في منطقة بحر البلطيق وتنفيذاً لهذا طلب. الاتحاد السوفيتي من دويلات بحر البلطيق أن تمنحه بعضاً من الامتيازات العسكرية والاقتصادية.

ولبت هذه الدويلات دون إبطاء ذلك الطلب ففي أواخر أيلول ١٩٣٩. وقعت استونيا معاهدة مع الاتحاد السوفيتي حصل الأخير بموجبها على بعض من القواعد البحرية والجوية في استونيا كذلك عقد الاتحاد السوفيتي ميثاقاً مع لاتفيا في ٥ تشرين الأول ١٩٣٩. حصل بمقتضاه على قواعد عسكرية في لاتفيا ثم تبع ذلك عقد معاهدة تعاون عسكري مشترك بين الاتحاد السوفيتي بموجبها على بعض من القواعد البحرين والجوية في استونيا، كذلك عقد الاتحاد السوفيتي ميثاقاً مع لاتفيا في ٥ تشرين الأول ١٩٣٩م حصل بمقتضاه على قواعد عسكرية في لاتفيا، ثم تبع ذلك عقد معاهدة تعاون عسكري مشترك بين الاتحاد السوفيتي

ولتوانيا في ١٠ تشرين الأول ١٩٣٩م، تنازل الاتحاد السوفيتي بموجبها عن فلنا مقابل حصوله على حق مرابطة قوات برية محددة في لتوانيا.

وبعد أن حقق الاتحاد السوفيتي مطالبه في تلك الدويلات التفت إلى فنلندا وتقدم إليها بعدد من المطالب من بينها التنازل له عن بعض الجزر والخلجان والموانئ لإقامة قواعد بحرية وجوية سوفيتية فيها، بحجة الدفاع عن لينيغراد، التي لم تكن تبعد أكثر من (٣٢) كيلومترا عن الحدود الفنلندية، بوجه أي هجوم قد تقوم به فنلندا، وكان الاتحاد السوفيتي قد زعم أن فنلندا كانت تخطط للاستيلاء على مناطق واسعة من الاتحاد السوفيتي بالتعاون مع ألمانيا.

رفضت فنلندا الاستجابة لمطالب الاتحاد السوفيتي. مما حدا بالأخير إلى إعلان الحرب على فنلندا. ومما يسترعي الانتباه إلى أن الاتحاد السوفيتي ادعى أن فنلندا هي التي بادرت بالعدوان ضد الاتحاد السوفيتي. وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩- دفع الاتحاد السوفيتي قواته لاحتلال فنلندا. معتمداً على تفوقه في الوحدات الميكانيكية والدبابات. وكان الاعتقاد السائد أن فنلندا ستسحق بضربة واحدة سياسية – عسكرية. وأن الحرب لن تستمر سوى فترة قصيرة على نحو ما حدث لبولندا وغيرها من دول أوروبا التي لم تصمد أمام حرب الصاعقة الحديثة.

وتقدمت القوات السوفيتية (من جنود الخط الثاني) وهي على ثقة بتقرير نتيجة الحرب بسرعة. وكانت القوات الفنلندية قد نظمت دفاعها على خط مانرهايم وعلى جهة واسعة تمتد بصورة موازية لمورمانسك ولينيغراد (من الشمال إلى الجنوب) وقامت القيادة الفنلندية بتوجيه قواتها عبر طرق الغابات المنتشرة في وسط فنلندا وشمالها. وقد نفذت القوات الفنلندية الصغيرة تحركاتها بسرعة ومرونة كبرى. واستطاعت تدمير القوات السوفيتية المتقدمة وإلحاق

الخسائر الكبيرة بها وإيقاف تقدمها. وأثبتت التحصينات الدفاعية في خط مانرهايم كفاءتها وقدرتها على مجابهة الهجوم. كما أثبتت القوات السوفيتية ضعفها في عدد من النقاط مثل احتراق الدبابات بسرعة بسبب عمل محركاتها بالبنزين سريع الاشتعال، وضعف تصفيحها، بالإضافة إلى القصور في تسليح المدفعية السوفيتية. وقد برهنت هذه المعارك الأولى على الكفاءة العالية والتدريب الجيد للقوات الفنلندية. بالإضافة إلى الروح المعنوية العالية. مقابل ضعف مستوى التدريب في قوات الاتحاد السوفيتي.

وقد ترك فشل الاتحاد السوفيتي في اجتياح فنلندا أصداء بعيدة ترددت في العالم كله. كما تركت شعوراً من الاستياء في أوساط القيادة السوفيتية. فأصدر ستالين أوامره بتعيين تيموشنكو لقيادة الجبهة الكاريلية وكلفه باقتحام الخط الدفاعي في مانرهايم والاستيلاء على فنلندا. وذلك في شهر كانون الثاني ١٩٤٠. وعندما وصل تيموشنكو كانت الاشتباكات مستمرة في إطار من الاستنزاف دون حدوث معارك حاسمة. وقد عمل تيموشنكو على إجراء استطلاع لمناطق القتال والقيام بدراسة موقف الوحدات المقاتلة. مع إجراء دراسة دقيقة للمواقع الدفاعية الفنلندية في خط مانرهايم. وعندما أنهى دراسته بدأ في إعداد الخطة الجديدة للعمليات، فأمر بصنع نموذج مجسم لتحصينات خط مانرهايم بهدف تدريب القوات. ووضع مخطط العمليات. وأمر بإنشاء المستودعات الضخمة لحفظ الذخائر والمواد التموينية ثم عمل على إعادة تنظيم القوات ودفع بأسلحة المدفعية حتى الخط الأول للاشتباك. وتم تحسين خطوط المواصلات. وطلب قوات جديدة. وكانت عملية تدريب القيادات والقوات تنفذ خلال ذلك على النموذج المجسم خلف الخطوط السوفيتية واستمر الأعداد للمعركة الحاسمة طول شهر كانون الثاني ١٩٤٠. وعندما انتهت الاستعدادات وأصبح تيموشنكو على ثقة بقدرة القوات

على بدء التنفيذ حدد موعد استئناف الأعمال الهجومية ضد الجبهة الفنلندية بقوات الجيوش الرابع عشر والتاسع عشر والخامس عشر والثالث عشر والسابع وقد تم تركيز الجهد على جنوب الجبهة وفي منطقة عمل الجيشين السابع والثالث عشر. وأمكن تحقيق التفوق في الوسائط والقوى في هذه المنطقة.

وفي صباح يوم أول شباط ١٩٤٠، بدأت المرحلة الثانية من الحرب السوفيتية الفنلندية، وقد تم التمهيد للهجوم بكثافة من نيران المدفعية لم يشهد تاريخ الحرب مثيلاً له من قبل. وأمكن بواسطة هذا التمهيد إضعاف المقاومة الفنلندية في خط مانرهايم. ثم انطلقت القوات السوفيتية، وظهر الوجه الحقيقي لها بحيث لم تعد تتوقف عند المقاومات ولم تعد تسقط في الكمائن التي كان ينظمها الفنلنديون على نحو ما كان يحدث في المرحلة الأولى من الحرب وأعطى التدريب الجيد ثماره. كما ساعد التفوق الساحق في المدفعية على تدمير جميع المقاومات. واحتل الجنود السوفيت الخط الدفاعي (مانرهايم) وأخذت المقاومة الفنلندية في التراجع أمام ثقل الهجوم السوفيتي وقوة صدمته، وكانت المدفعية السوفيتية تعمل في الليل والنهار بفضل الإمداد المستمر والمنظم بصورة جيدة، ولم يتمكن الفنلنديون بالمقابل من توفير الإمدادات لقواتهم. وخلال هذه المرحلة ظهر تنسيق التعاون الجيد بين صفوف الأسلحة السوفيتية، فكان المهندسون والمشاة يزيلون الموانع ويفتحون الثغرات تحت حماية المدفعية. ثم تتدفع القوات الميكانيكية والدبابات. وقد استخدم المقاتلون السوفيت الزحافات المقطورة بالدبابات لتأمين السرعة في نقل المشاة والوصول بهم إلى قلب المعركة. وكانت المدفعية تقدم معاونتها في كثير من الأحيان بالرمي المباشر. كما كانت تستخدم قذائفها الشديدة الانفجار للرمي أمام الملاجئ المحصنة وفق المخطط الذي تم وضعه خلال مرحلة التدريب على هيكل التحصينات الدفاعية

الفنلندية ونظراً لان التحصينات الفنلندية كانت مجردة من الستائر الأمامية المصنوعة من الأسمنت المسلح. فقد كانت تتساقط بسرعة أمام ضربات المدفعية السوفيتية المركزة، وتفتح واحدة بعد الأخرى. في حين استمر تراجع القوات الفنلندية من موقع دفاعي إلى موقع دفاعي آخر في الخلف.

وتابعت القوات السوفيتية تقدمها كالآلة الضخمة التي تسحق كل عقبة في طريقها. ورغم شجاعة الفنلنديين وتصميمهم على متابعة المقاومة فقد اضطروا إلى التراجع. وعجزت قواتهم الاحتياطية الصغيرة عن التحرك بسبب الهجمات المركزة التي نظمتها القيادة السوفيتية، وسرعة تطوير العمليات السوفيتية، وبصورة خاصة في شمال بحيرة لادوغا. وفي ٢٥ شباط وبعد معارك مستمرة ومتصلة استولت القوات السوفيتية على كويفستا، وهي المركز الشرقي لخط مانرهايم الدفاعي. فعمل تيموشنكو على نقل ثقل الهجوم ضد فيبوري، ودفع القوات للتقدم بسرعة فوق الجليد الذي كان يغطي خليج كرونشتاوت.

وكانت هذه المناورة الجريئة والحاسمة كافية لتطويق الموقع الفنلندي الذي استمر في مقاومته. وفي ٣ آذار ١٩٤٠، وصلت القوات السوفيتية إلى مخارج فيبوري وأصبح موقف الفنلنديين يائساً تماماً وظهر عجزهم عن مجابهة القوات الميكانيكية المتقدمة إلى خطوط دفاعهم فاضطروا إلى الاستسلام، والقبول بالشروط التي فرضها الاتحاد السوفيتي. وتم التوقيع على الاتفاقية في يوم ١٢ آذار ١٩٤٠ توقف القتال بعد مائة يوم تقريباً من بدء الحرب.

وقد تميزت المرحلة الثانية من الحرب، من ١ شباط حتى ١٢ آذار بتنظيمها الجيد والمتوافق مع معطيات الحرب الحديثة. ويعود فضل النجاح فيها، بالدرجة الأولى للقيادة الجيدة والتنظيم الكبير الذي وضعه وأشرف عليه

تيموشنكو. ولقد حصل الجيش الأحمر خلال الحرب السوفيتية – الفنلندية على خبرة في خوض العمليات الهجومية على مستوى الجبهة وفي خرق المناطق المحصنة. ونفذت القوات السوفيتية هجومها في ظروف الشتاء المثلج وعلى الأراضي التي تكثر بها القنوات والمستنقعات. ومارست قوات المشاة والمدفعية الدور الأساسي في اختراق الدفاع المحصن المعادي وقام الطيران والأسطول الحربي بدعم هجوم القوات البرية، أما الدبابات والقوات الميكانيكية ووحدات المظلات فإنها لم تستخدم على نطاق واسع في هذه الحرب. كما أفاد الاتحاد السوفيتي من تجربة هذه الحرب، فألغى استخدام الدبابات الخفيفة العاملة بوقود الطائرات (البنزين والكازولين) وطور تسليح مدفعيته. وتبع ذلك تطور مماثل في التنظيم القتالي وزج القوات المتتابع والاحتفاظ بقوة احتياطية.

ولقد فتحت الحرب السوفيتية – الفنلندية، والأحقاد التي رافقتها المجال لثورة عامة بدأت في حزيران ١٩٤١، حيث انضمت فنلندا إلى ألمانية، وزجت في الحرب ضد الاتحاد السوفيتي خمس فرق وجيشين فنلنديين بضمان (٢٢) فرقة دعمت القوات الألمانية عند هجومها على الأراضي السوفيتية.

٣. الغزو الألماني للدانمارك:

كان الألمان قد أوقفوا نشاطهم العسكري بعد احتلالهم بولندا. ولعل ذلك يرجع إلى عوامل من بينها حلول موسم الشتاء الذي يجعل من العمليات العسكرية أمراً صعباً وكذلك بسبب رغبة الألمان في استكمال الاستعدادات اللازمة للقيام بعمليات جديدة.

ومهما يكن من أمر، فقد استأنف الألمان نشاطهم العسكري منذ ربيع عام ١٩٤٠ عندما قرروا شن هجوم على الدانمارك والنرويج هو حادث تعقب مدمرة

بريطانية للسفينة الألمانية (التمارك) إلى داخل فيورد نرويجي، وإنقاذهـا (٣٠٠) أسير بريطاني كانوا على متنها. وقد أثار هذا الحادث سخط هتلـر ودفعـه إلـى إصدار قرار ببدء الهجوم ضد كل من الدانمارك والنرويج. وقد بدأ الهجوم بالفعل على كلتيهما في آن واحد في ٩ نيسان ١٩٤٠.

وقد قامت القوات الألمانية وبدون أي سابق إنذار. متجاهلـة فـي ذلـك معاهدة عدم الاعتداء التي كانت قد عقدتها ألمانيا مع الدانمـارك. وقـرر ملـك الدانمارك وحكومته عدم المقاومة وصدرت الأوامر إلى القوات الدانماركية بـأن تلقي سلاحها. وهكذا سقطت الدانمارك بيد ألمانيا وفرضـت الأخـيرة حمايتـها عليها.

٤. الغزو الألماني للنرويج:

وجدت النرويج نفسها متورطة في الحرب رغم حيادهـا ودخلـت فـي منطقة الحصار الألماني. وكانت (الشركة البحرية النرويجية) قـد أجـرت فـي تشرين الثاني ١٩٣٩ أحدث مراكبها التجارية لبريطانيا وكـانت سـفن الشـحن الألمانية تدخل في متاهة الجزر الساحلية لتعود بخامات الحديد السويدي الممتـاز الذي يشحن من (نارفيك).

وكان تشرشل وزير البحرية في ذلك الوقت قد طلب فـي بدايـة تشـرين الأول ١٩٣٩ لغم الممرات الواقعة في شمال بيرغن وفي الفـترة ذاتـها أظـهر الأميرال (رايدر) لهتلر خطـورة احتـلال الإنكلـيز للـنرويج وزادت الحـرب السوفيتية الفنلندية من حدة هذا التهديد في نظرهم. وكان هذا التـهديد فـي نظـر الألمان والخوف من احتلال النرويج مبرراً لأن الحلفاء كانوا يأملون فـي تليـن الحياد الاسكندنيافي، ويحاولون الحصول على تصريح بعبور قوة غزو مخصصة

لدعم فنلندا. ولكن النرويج والسويد رفضتا هذه المخاطرة بعد أن ثبط عزيمتهما المثل الأخير الذي تخلى فيه الحلفاء عن بولندا رغم كل التعهدات المعطاة لها واقترحت فرنسا القيام بحصار بقطع الطريق البحري إلى (مورمانسك) وفتح جبهة اسكندنافية بيد أن جرأة هذا السياسة الاستراتيجية لم تكن تستند إلى أية قوة كافية. وطبق البريطانيون في ٥ شباط ١٩٤٠ خطة أكثر تواضعاً - إرسال لواءين أو ثلاثة ألوية إلى الجبهة الفنلندية عن طريق نارفيك ولوليا وكان بوسع هذه الخطة قطع (طريق الحديد) واحتلال تروندهايم وبيرغن وستافجر بكتائب إنكليزية، وقد جمدت هذه الخطة فرقتين في بريطانيا. وفي كانون الأول سمح لرايدو بوضع خطط تستهدف القيام (بغزو سلمي) للنرويج بالاتفاق مع الوزير النرويجي القديم. وكان الطرفان المتنازعان يتبعان طريقين متلاقيين مع جهل كل طرف منهما بنوايا الطرف الآخر.

وكان حادث تعقب المدمرة البريطانية للسفينة الألمانية (التمارك) إلى داخل فيورد نرويجي وإنقاذها (٣٠٠) أسير بريطاني على متنها. قد أثار سخط هتلر وأمر باستعجال القيام بعملية الهجوم على النرويج التي كان من المقرر القيام بها اعتباراً من ١ مارس مع إنذار سابق مدته أربعة أيام. وفي ٢٦ آذار اقترح رايدو القيام بعملية وقائية ينفذها نسق أولي مؤلف من (٨٨٥٠) جندي. وأسطول للنقل ودعم جوي مؤلف من ألف طائرة.

ورفعت أيضاً تحضيرات الحلفاء وعززت، واتخذ قرار بتاريخ ٢٨ آذار بإجراء عمليات النقل يوم ٥ نيسان ١٩٤٠. وقد أجلّ البريطانيون هذا التاريخ حتى ٨ نيسان. ولكن إرادة التدخل هذه بقيت تابعة لمبادرة ألمانية وبتاريخ ٣ نيسان علمت حكومة لندن بوجود دلالات لحشد جنود في المكلبورغ، وحشد

من المراكب في شستيتن حمولتها ٢٠٠,٠٠٠ طن. وبتاريخ ٦ نيسان أعلن أحد الدبلوماسيين المحايدين العاملين في كوبنهاغن عن احتمال تحرك فرقة ألمانية تنقلها عشر سفن إلى نارفيك. وفي ليلة نيسان ١٩٤٠. وبطبيعة الحال، لم تصدق هيئات أركان الحلفاء مثل هذا لتوسع نحو الشمال.

وفي التاريخ المحدد- ٨ نيسان- كانت القوات البحرية للطرفين في طريقها إلى أهدافها. ولكن مع ميزة مزدوجة للألمان هي ميزة المفاجأة الاستراتيجية (نارفيك) وميزة وجود خطة جذرية بصورة خاصة. وكانت عملية تقرب بحري قد تمت ليلاً بواسطة سفن سريعة تواكبها سفن حربية، وإنزال في الفجر وفي التوقيت نفسه في كل النقاط المحددة. وقد تم نقل الأسلحة الثقيلة، والتجهيزات والذخائر على سفن شحن وصلت في التاريخ ذاته. أي أنها أرسلت من ألمانيا في وقت مبكر قبل الوقت الذي أبحرت فيه سفن الحلفاء . وكان الألمان قد تبنوا فكرة الفصل بين الوحدات التي خففت إلى أقصى الحدود. وبين وسائلها للقتال. وكانت المخاطرة كبيرة جداً. وكان رايدو قد أدلى بالتصريح التالي (لقد نجحت بعض العمليات التي خضناها في كثير من المناسبات وخالفنا فيها كل القواعد عندما تمت المخاطرة إلى أبعد الحدود في إعداد عملياتها حتى أنها حرمت من دعم بحري متواصل.

وقد شُكّلت ست مجموعات ـ مجموعة نارفيك- (٢٠٠٠) جندي و(٢) طراد و(١٠) مدمرات. ومجموعة تروندهايم- (١٧٠٠) جندي و(١) طراد و(٤) مدمرات مجموعة بيرغن- (١٩٠٠) جندي و(٣) طرادات و(٢) نسافة وأسطول صغير من زوارق الطوربيد. مجموعة كريستيانساند- (١١٠٠) جندي و(١) طراد و(٣) نسافات. مجموعة أوسلو- (٢٠٠٠) جندي و(٣) طرادات و(٣) نسافات مجموعة ـ ايفرسوند- (١٥٠) جندي و(٤) كاسحات الغام.

كانت هذه العملية التي أعدت في مهل زمنية رائعة وموزونة إلى حد كبير دون الاعتماد على أي درس من دروس الماضي وتعاليمه أول عملية اشتركت فيها الأسلحة الثلاثة. وقد أخذت هيئة أركان البحرية مسؤولية المرحلة البحرية. وتم النقل الجوي بأمر هيئة الأركان الجوية إلى أن تم الإنزال على اليابسة. وكان الجنرال (فون فالكنهورست) القائد الذي عين لجيش النرويج يملك تحت تصرفه الفيلق ١٠ الجوي المعزز. وبين ٣و٥ نيسان ١٩٤٠ غادرت وشتيتن، وأبحرت المجموعتان ١و ٢ بتاريخ ٦ نيسان قبل منتصف الليل بقليل. وقد اكتشف الحلفاء جزءاً منها في صباح ٧ نيسان وهاجمتها القاذفات البريطانية بعد الظهر دون نجاح. ثم أصبحت الرؤية سيئة.

وبالرغم من هذه المعلومات الإيجابية التي اعتبرها الحلفاء معلومات غير مؤكدة استدعت الأميرالية الإنكليزية سفنها. وأفرغت حمولة أربعة طرادات من وحدات الإنزال في الفيرث، وأتاحت للخصم بهذا الشكل وقتاً لا يقدر بثمن وعندما تأكدت هذه المعلومات وتم التثبيت منها في مساء ٨ نيسان كان الأسطول البريطاني الجاهز للعمل لا يضم سوى (٣) سفن قتال و(٦) طرادات و(٢١) مدمرة. وبدلاً من الإسراع مباشرة بالإبحار إلى النقاط التي يحتمل إجراء الإنزال فيها. غير هذا الأسطول اتجاهه في عدة مناسبات للبحث عن العدو في البحر واستمر يجول فيه حتى ١٠ نيسان ١٩٤٠. وفي هذا التاريخ كانت العمليات الألمانية قد انتهت. وبلغ الألمان كل الأهداف واحتلوها، ولكن عملية الاحتلال لم تتم بدون مقاومة نرويجية وتعرض الألمان لخسائر سببتها البطاريات الساحلية. فانحرفت (الكونيفسبرغ) أمام بيرغن. وأغرقت إحدى الغواصات (سفينة الكارلسروه).

وحدث أول رد فعل بريطاني في ١٠ نيسان ١٩٤٠ في الممر البحري لنارفيك بواسطة خمس مدمرات. وحدث رد الفعل من جديد في ١٢ نيسان بواسطة (وارسبيت) و٩ مدمرات التي أغرقت المدمرات العشر الألمانية بمحاذاة مدينة نارفيك بيد أن هذا النجاح لم يمنع الـ(٢٥٠٠) رجل من البحارة من تعزيز نواة الفرقة الجبلية للجنرال (ديتل) التي تحتل نارفيك.

كانت التدابير التي اتخذها الحلفاء مفككة، وغير ملائمة للموقف في غالب الأحيان. وكانت تعاني من انتقاص لأهمية الإمكانات الألمانية، وتعاني خصوصاً من سوء تنظيم القيادة. وكان من الواجب التنسيق بين القوات البرية والبحرية والجوية، بيد أن المركزية كانت في لندن، التي كانت أشبه بنقطة هندسية للقطاعات المختلفة المعزولة عن الشاطئ النرويجي. وتسلمت البحرية القيادة إلى أن تم الإنزال وكان هذا منطقياً جداً. وكان من الواجب أن ينتج التعاون فيما بعد بواسطة تسويات تتم بصورة ودية بين الإنكليز والفرنسيين والنرويجيين. وبقي الطيران الذي أرسل للدعم تحت أوامر وزارة الطيران. ومع كل هذا كان للقائد البحري في أقصى الشمال سلطة على القوات المشاركة في العمليات بدءاً من ٢٠ نيسان ١٩٤٠ ولكن في منطقة ضيقة.

وكان عنصر التنسيق الوحيد في القمة هو لجنة وزارية مؤلفة من أربعة أعضاء برئاسة تشرشل اعتباراً من ٤ نيسان يناقشون الخطط الاستراتيجية مع مجالس رؤساء هيئات الأركان ولم تكن هذه اللجنة تملك أي مذهب حربي، أو معارف تقنية كما لا يمكن الحصول منها على تحكيم كامل وأدان تشرشل هذا الوضع القائم في نهاية نيسان بقسوة. أرسل إلى تشامبرلن رئيس الحكومة رسالة كتب فيها (هناك ستة رؤساء هيئات أركان وثلاثة وزراء والجنرال أسمى (رئيس السكرتارية) وهم جميعاً يملكون حق التصويت في عمليات النرويج (فيما عدا

نارفيك) ولكن ليس هناك مسؤول واحد منهم عن إنشاء قيادة سياسة عسكرية سواكم) وصدرت التوجيهات للعمليات المشتركة في النرويج وكل منها مستقل في مصدره عن الآخر من وزارة البحرية (التي كانت تفكر خصوصاً بفرض الحصار ومن وزارة الحربية (الميالة لوجهات النظر الفرنسية)، ومن وزارة الطيران المهمة خصوصاً بالدفاع الجوي عن بريطانيا).

وبتاريخ ١ نيسان كانت لجنة التنسيق ما تزال عاكفة على دراسة المسألة النرويجية بواسطة رؤساء الأركان وبالرغم من نداءات الحكومة النرويجية العاجلة المستفيضة. وبتاريخ ١٣ نيسان تأجل أيضاً القيام بإنزال تجريبي يقوم به (٣٠٠) رجل في تامسوس. نظراً للافتقار إلى المعلومات وبتاريخ ١٤ نيسان بعد الاطلاع على النجاح البحري أمام نارفيك، بدل اتجاه لواء بريطاني ونصف لواء فرنسي من القناصة الآليين. فبدلاً من نارفيك حولا إلى تامسوس. وأفرط الحلفاء في التفاؤل بعد التردد ولكن وسط اضطراب كبير.

وتأخر الهجوم على تروندهايم عدة مرات، ثم ثبت بتاريخ ٢٦ نيسان في أقرب وقت. ثم تم التخلي عن هذه الخطة خوفاً من ردود فعل الطيران الألماني. وكان الحلفاء يجهلون بالطبع ضعف العدو. وفي يوم ٢٠ نيسان لم يكن هناك إلا (٤٠٠٠) جندي على اليابسة. وقليل من الذخيرة، وبعض العتاد، وسربين من الطائرات الساحلية بالإضافة إلى سرب من القاذفات الثقيلة وفي معسكر الحلفاء كان الخوف من الخسائر في السفن وخاصة في السفن الكبيرة، والازدراء التام لعامل الزمن، يسودان هذه الفترة على النقيض مما يسود المعسكر الألماني من روح الحسم وتقبل المخاطر.

وقد تركت العمليات التي أجلت فترة طويلة ثم شرع بها أخيراً بشكل كماشة بين تامسوس واندالسنيس. انطباعاً بعدم الثقة وضعف الإدارة لدى

البريطانيين، في حين كانت القيادة الفرنسية، الأكثر خرماً من القيادة الإنكليزية راغبة بإرسال فرقتين إضافيتين. وكان الإنكليز يرغبون بصورة جلية أن يقودوا العمليات وحدهم. وقادوها بالفعل بطريقة بالغة السوء. وبلغ من سوء قيادتهم أنهم استنكفوا أخيراً بتاريخ ٢٥ نيسان عن القيام بالعمليات رغم احتجاج الجنرال غاملان في ٢٦ نيسان، وفي النهاية قبل رينو إجلاء مقهوراً، نتيجة بعض الأخطاء التقنية الأولية وهكذا غطى انعدام خطة موضوعة مسبقاً على قواعد موضوعية(كمعرفة الموانئ وإمكاناتها ومناطق هبوط الطائرات) والعجز المأساوي للتلاؤم بسرعة مع الأمر الواقع.

واقتصر التدخل الفرنسي - البريطاني في النرويج على سلسلة من المعارك الظافرة لقوات مشتركة في شمال وجنوب الممر البحري لنارفيك والاستيلاء على هذه المدينة بتاريخ ٢٨ أيار وعلى إخلائها في ٨ حزيران في الوقت الذي كان فيه الجيش النرويجي يدافع عن آخر مواقعه. ولقد توجت هذه الحملة بمجموعها، التي تتسم بفائدة تكتيكية هامة، واستمرت شهرين بخسائر قليلة نسبياً-(١٨٦٩) بريطانياً و (٥٣٠) فرنسياً وبولندياً (١٣٣٥) نرويجياً و (٥٢٩٦) ألمانياً. واعتراف الألمان بخسارة (٣) طرادات و (٢٤٢) طائرة واغرق في هذه العمليات سفينة حربية إنكليزية هي (الجلوريوس) و(٢) طراد. وأصيبت (٣) طرادات بأضرار. وأغرقت (٩) مدمرات (واحدة منها فرنسية وأخرى بولندية) وأعطيت (٨) مدمرات. كما أغرقت (٦) غواصات (واحدة منها فرنسية وأخرى بولندية).

ونجحت الضربة الألمانية الجريئة، وكشف سلوك طريق المخاطرة عن أية طريق مجز. مع أن المخاطر لم تكن محسوبة جيداً ولكن كان واضحاً للعيان حتى بالنسبة للمراقبين المعاصرين لذلك الوقت أن الاحتلال المفاجئ لإقليم تسابق

عليه خصمان بالرهان يضع المعسكر المعادي في وضع صعب يضطـــره إلـــى الرد بصورة غير متماسكة. أو يكون رده على الأقل متردداً بطيئاً.

الجبهة الغربية:

١. الهجوم الألماني على الأراضي المنخفضة:

كان نهر الموز أول خط طبيعي للدفاع عن الأرض الهولندية، ويمتد نحو الشمال بواسطة الايسل وقد احتلت هذا الخط (٢٢) كتيبة من قطعـــات الحـــدود بمهمة تغطية، ووزعت على أربع قيادات إقليمية.

وشكل خط (جريت– ليني) موقع المقاومة بين الرأس الجنوبي للزيـدرزي والنيدر– راين. هذا الموقع الذي احتله الفيلق الرابع في الشمال والفيلق الثاني فـي الجنوب. وكلف لواءان مختلطان بالدفاع عن خط البيتوف بيـــن النيـــدر– رايـــن والموز. وأخيراً مكلف الفيلق الثالث بصورة أولية والفرقة الخفيفة بالدفـــاع عـــن خط (بيل –– رآم) بين الموز وقناة فيرت.

وكان لهذا الموقع نقطتا ضعف هما: عدم كفاية قوات جنـــوب النيـــدر– راين وانكشاف جناحه الأيمن. وقد اضطر الهولنديون لربطـــه بيســـار الـــترتيب البلجيكي للحصول على تواصـــل الخـــط واســـتمراره. ولكـــن إرادة الطرفيـــن بـــاحترام الحياد منعت إجراء المفاوضات. وهكذا فإن الترتيب الدفاعي البلجيكي، بدلاً من أن يصعد من مايسايك لملاقاة اليمين الهولندي في منطقة البيل، تراجـــع على طول قناة وز –– اسكو باتجاه الموقع المحصن لانغرس. ولتغطيـــة الجنـــاح الجنوبي من خط (الجريب– ليني) اضطر الهولنديون أيضاً إلى تنظيـــم موقـــع– جانبي في الوول احتله لواء، ارتبط بالواجهة الجنوبية من المعقل الوطني.

وكان هذا المعقل الهولندي يغطي نفسه في الجنوب بالحواجز الهامة للهاريقفلية، وهوندش دييب والمرفيده التي تحرسها (٣) كتائب مشاة و ٣ كتائب مدفعية. وتمر واجهته الشرقية على الايسلمير، والفوررينشم والاوتريشب ويتصل بالزيدرزي في مويدن. وقد خصصت له خمسة أفواج واتبعت الواجهة الشمالية قناة أمستردام إلى ايمويدن. وكان الفيلق الأول في الاحتياط على مقربة من الجبهة البحرية بين هاآرلم ودلفت.

وكانت القيادة العليا الهولندية قد تابعت عن قرب أحداث النرويج وعززت الحراسة على المطارات. وأعدت احتياطاً متحركاً على مقربة من لاهاي. وبما أن أعضاء هذه القيادة كانوا أقل تفاؤلاً أو أكثر واقعية من زملائهم في بلجيكا وفرنسا، فقد استشموا النذر سريعاً من جراء تحليق الطيران الألماني بشكل كثيف. وفي فجر ١٠ أيار كان الجيش الهولندي بحالة إنذار ومستعداً للعمل، ونفذ عدداً من التدميرات ووضع الحواجز والعوائق شرق الموز.

ومع كل هذا لم يقل شأن المفاجأة وشمولها لأنها أتت من الأجواء. أولاً على صورة قصف كثيف للمطارات. ثم بهبوط فرقتين محمولتين جواً بعد القصف الجوي مباشرة في داخل (المعقل الهولندي) (لاهاي وروتردام)، وعلى محيطه (دوردريشت، جشر مويرديك) وكانت مهمة هذه الوحدات ومجموعات المظلين هي السيطرة بأسرع ما يمكن على المطارات، والاستيلاء على الجسور الأساسية، وخاصة جسر مويرديك، ولاهاي.

وقد زجت قيادة المعقل المركزي الفيلق الأول الاحتياطي، ووحدات من مراكز التدريب في المعركة إذ وجدت نفسها فجأة أمام وضع لم نتوقعه مطلقاً، وفي الوقت ذاته أمرت القيادة العليا الهولندية الفيلق الثالث والفرقة الخفيفة بالانسحاب من خط بسيل- رآم. على أن يحتل الفيلق خط وول-ليني، وتعمل

الفرقة ضد محور مويرديك- روتردام وتخلصه وذلك طبقاً للخطة ولكن في وقت مبكر وبأقل مما هو متوقع.

وقد أكدت المعلومات عن سقوط بعض المظلين فوق جسر مويرديك وفي سهل وولها فن (روتردام) وفي جنوب دلفت وفي هوك فان هولاند. وفي غضون ذلك وقع الهجوم الجبهوي. ومنذ الساعة الرابعة صباحاً كان أحد الارتال المدرعة يقتحم عنوة بيل - رآم في جنيب، وينزل وحدة تمسكت بالأرض، وتم اجتياز الموز، وشنت كتائب الحدود واحتلت آرنهايم بدءاً من الساعة ١١. وبما أن التشويش قد أصاب الاتصالات الهاتفية، فقد حرف خطأ في الاتصال بالفرقة الخفيفة عن مهمتها الهجومية. وتحالف كل هذا ضد القيادة العليا الهولندية. ومع ذلك استعيدت كل المطارات الواقعة حول لاهاي في المساء. ووقع حوالي ألف ألماني في الأسر، وكان ثمن هذا العمل هو زج كل الفيلق الأول تقريباً في المعركة، ومع كل هذا بقيت الجسور الأساسية بيد العدو.

وتفاقم الوضع بعد ذلك فقد أخلى الفيلق الثالث والفرقة الخفيفة بانسحابها بأمر من القيادة — الجبهة التي كان أمامها ٣٥ فرقة معادية بالضبط تضم فرقة مدرعة هي الفرقة التاسعة. وقد انقضت هذه الأخيرة وسارعت بالهجوم، ووصلت في مساء ١٢ إلى جنوب الموز على شكل سهم وانطلق بسرعة لتعزيز المظلين الذين تم إسقاطهم فوق جسر مويرديك.

وكانت الفرقة الميكانيكية الخفيفة الأولى قد تمركزت بتاريخ ١١ أيار بين قناة تورنهوت (في بلجيكا) ونيلبورغ، وعلى قناة ويهلمينا. وكانت المهمة ذات الاستعجال الأول هي تحرير جسر مويرديك. وقد استخدمت لهذا الغرض مفرزة فرنسية وكتيبة هولندية جاءت من بريدا، ولكن قصف طائرات (الشتوكا) الانقضاضية أحبط هذه المحاولة.

وكان اندفاع فرقة البانزر التاسعة قد دق إسفيناً بين مجموعتين للقـــوات في شمال كتلة الجيش الهولندي المشتبك على خط جريب- ليني وفـــي المعقـل. وفي الجنوب في البرابان الشمالي وزيلاند. فرقتان آليتـــان فرنسـيتان والفرقـة الميكانيكية الخفيفة ٢٥ الفرنسية مع بعض القطعات الهولندية المنسحبة.

وبتاريخ ١٣ أيار وفي الوقت الملائم تماماً دفعـت قيـادة الجيـش ١٨ الألماني بعض الفرق من الخط الثاني خلف فرقة البـانزر ٩ فـي هـذه الثغـرة وأعطيت لمجموعة مؤلفة من فرقة البارنزر ٩ ومن قوات الحرس النازي مهمـة اجتياز المويرديك والهجوم على روتردام لتخليص الـ (٧٠٠٠) جندي من القـوات المحمولة جواً وجنود المظلات الذي أخفقوا وسارت مجموعة أخرى مؤلفة مـــن الفرقة (٢٥٤) بين الموز ومارك باتجاه ويلمنستاد. وتضافر عمل أربع فرق فـي الوقت نفسه ضد زيلاندا ونحو الموقع المحصن لانغرس، فـــي حيـن هوجمتـا لواجهة الجنوبية لهذا القسم الأخير من قبل فيلق اليمين التابع للجيش السادس.

وتلقى الجنرال (جيرو) الأمر بسحب الفرقة المتقدمـــة وتجميـع جيشـه السابع إلى الغرب من الاسكو وظهرت مناورة بريدا غير مجدية تماماً في مبدئـها ذاته لأنها لم تكن تأخذ الترتيب الهولندي بعين الاعتبار والأرض وأقنيـة الميـاه والمتطلبات الحقيقية، وبعد شهر من بدء العمليات في النرويج، أظهر تحليـل تـم بصورة أدق أنه عند افتراض قيام الألمان بغزو للبلاد المنخفضة، ينبغي ان تتلقـى هذه البلدان دعماً جوياً قبل كل شيء، وأن من المهم بصورة خاصة التمركز بقـوة في جزر زيلاندا، وليست هناك أية إشارة إلا لغارة جوية إنكليزية واحـدة علـى وولهافن في ١٠-١١ أيار ١٩٤٠.

وفي الوقت الذي كانت فيه العمليات تحسم المعركة في الجنوب، هوجـم خط جريب - ليني بتاريخ ١٧ أيار من قبل الفرقة ٢٠٧ التي نجحت في القيـام

باختراق محلي. وفي فجر ١٤ وصلت الفرق الثلاث من الفيلق العاشر أمام الجبهة الشرقية من (المعقل) وكانت أوتريشت مهددة بالقصف الكثيف. وتم نفس الابتزاز بالتهديد في روتردام، وتبعه هنا تنفيذ بربري خرّب المدينة والميناء، وأباد سكانها المدنيين واتخذت الحرب كل طابعها الشنيع وأمام وضع أصبح لا مخرج منه، وليس أمامه أي احتمال أو إمكانية بالمساعدة قررت القيادة العليا الهولندية بتاريخ ١٤ أيار وقف القتال في كل مكان ووقع الاستسلام بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٠، ولكنه لم يشمل زيلاندا حيث كانت الفرقة الفرنسية ٦٠ وجزء كبير من الفرقة ٦٨ متمركزة فيها. فقد تابعت فيها هذه الوحدات القتال بالاشتراك مع وحدات هولندية حتى تاريخ ١٧ أيار و١٩٤٠.

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه العمليات تحسم المعركة في الجنوب، هو حجم خط جريب- ليني بتاريخ ١٧ أيار من قبل الفرقة ٢٠٧ التي نجحت في القيام باختراق محلي. وفي فجر ١٤. وصلت الفرق الثلاث من الفيلق العاشر أمام الجبهة الشرقية من(المعقل) وكانت أوتريشت مهددة بالقصف الكثيف. وتم نفس الابتزاز بالتهديد في روتردام، وتبعه هنا تنفيذ بربري خرب المدينة والميناء وأباد سكانها المدنيين. واتخذت الحرب كل طابعها الشنيع وأمام وضع أصبح لا مخرج منه، وليس أمامه أي احتمال أو إمكانية بالمساعدة. قررت القيادة العليا الهولندية بتاريخ ١٤ أيار وقف القتال في كل مكان ووقع الاستسلام بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٠، ولكنه لم يشمل زيلاندا حيث كانت الفرقة الفرنسية ٦٠ وجزء كبير من الفرقة ٦٨ متمركزة فيها. فقد تابعت فيها هذه الوحدات القتال بالاشتراك مع وحدات هولندية حتى تاريخ ١٧ أيار ١٩٤٠ وانتهت المرحلة الأولى من المأساة الهولندية في وقت قياسي بيد أن المفاجأة كانت شاملة في كل المجالات حتى أن أية قيادة عليا غير هذه القيادة لم يكن بوسعها أن ترد بشكل أسرع ولا بقوة أكبر.

٢. الهجوم الألماني على بلجيكا:

كان الموقع قناة البرت، الذي تحتله ٤ فيالق و ٨ فرق بين معقل ابين – ايمايل والجبهة الشرقية من الموقع المحصن لانغرس كثافة ضعيفة جداً أمام العائق الطبيعي لمايستريخت مع أن قائد إحدى الفرق قد أشار لخطورة هذا الوضع فقد كانت قناة الموز– اسكوالتي ترسم قوس دائرة في الليمبورغ تشكل موقعاً للتغطية تحتله بعض الوحدات الخفيفة، ومعها مفارز استطلاعية في جسر مايسايك على الموز.

ونظراً لعدم وجود أي اتفاق حتى على الصعيد غير الرسمي أو المحلي مع القيادة الهولندية كان ممر الليمبورغ الذي لا يبلغ عرضه في سيتار سوى ٧ كم و ٣٠ كم على ارتفاع مايستريخت يشكل جداراً منيعاً أمام الموقع البلجيكي وكان الجميع يجهلون كل شيء عنه، ولم يتخذ أي تدبير لوضع جهاز مراقبة على الحدود الألمانية الهولندية. مع أن تدمير جسور قناة لبرت كان مرتبطاً بانتهاك هذه الحدود.

وكانت القيادة الإقليمية لجنوب – الليمبورغ قد وزعت كتائب الحدود الخمس على جبهة تمتد ٨٠ كم تقريباً وعلى ثلاثة خطوط. ولم يكن بوسعها أن تأمل بهذه الوسائط الضعيفة الحصول على نتائج كبرى على الصعيد التكتيكي، ولكن الجانب الأكبر من التدمير قد جرى فعلاً، وخاصة في جسور الموز في مايستريخت. ومما لا شك فيه أن هذا التدمير أخر الارتال الألمانية المكلفة بالإسراع لتعزيز المجموعات التي أسقطت من الجو. وقد استخدمت هنا قوافل الطائرات الشراعية، والتي ركب كل طائرة منها عشرة رجال أحسن تدريبهم

وتوفرت لهم قيادة ممتازة. وكانت أهداف هذه الطائرات حصن ايبن– ايمايل والمناطق المجاورة لجسور قناة البرت الثلاثة.

وقد أحدثت الطائرات الشراعية الألمانية بتاريخ ١٠ أيار ١٩٤٠ مفاجأة تامة وتفسر هذه المفاجأة المادية والمعنوية والفكرية وحدها بأن بضع مجموعات من الرجال، المعزولين فوق معقل من المواقع أو في داخل المواقع قد استطاعوا التثبت بالأرض. وانتظار دعم تأخر في الوصول، وتامين النجاح الغريب لهذه العملية الجريئة. ومنعت منعاً شبه تام ردود الفعل من الجانب البلجيكي.

وشنت بعض الهجمات المضادة الفورية بأعداد قليلة ودون أي تحضير وكان قادة الكتائب البلجيكية الثلاثة لا يملكون أي احتياط. في حين كان قائد الفرقة السابعة لا يملك سوى سرية دراجات واحدة. وبقي قائد الفيلق الأول جاهلاً بالوضع لافتقاره إلى الاتصال مع هيئات الأركان. ولم تتخذ قيادة الجيش قراراً وتحزم أمرها إلا بتاريخ ١١ أيار ١٩٤٠، فأنذرت الجزء الهام من فيلق الخيالة الذي كان موجوداً على الاورث.

وقد قتل الضابط المكلف في نهاية المطاف بالأمر بنسف الجسور (برتبة رائد) بأول قنبلة من القنابل وعزل الألمان مفارز تدمير الجسور البلجيكية عن المعركة. وأخليت المناطق المجاورة لها وسكتها المفارز الألمانية. وحطمت ردود الفعل المحلية بالنيران الألمانية. وأصبحت الأرتال المعادية حرة في اجتياز قناة البرت في نقطتين– فلد فيزلت وفروانهوفن.

وفي ١١ أيار ١٩٤٠ كان خرق الفيلق الأول البلجيكي الذي لم يعزز في الوقت المطلوب في منطقة طونغر أمراً واقعاً. واستسلم حصن ابين — ايمايل وتم

التخلي عن الجزء الجنوبي من موضع قناة البرت. وأعطـــى (الأمــر) بــإخلاء الموقع المحصن في (ليبج) واتجهت كل الأفكار بعدئذ إلى شد الجيش على موقـع متأخر. بفرض القتال. في حين قاتلت فرقة واحدة هي الفرقـة السـابعة وكـانت الفرق الأخرى في حالة سيئة بسبب الانسحابات والتراجعـات السـيئة للمواقـع المتقدمة بسبب نفس الخسائر والأضرار التي تنجم عن معركة حقيقية لأنـها لـم تصمم مناورة تأخيرية منسقة في العمق، ولأنها تمسـكت بنظريـات تقليديـة لا تتلاءم جيداً مع الوضع الحقيقي.

أما الهجوم على أعالي الموز، فقد اجتـاز الألمـان الحـدود الألمانيـة البلجيكية بين والميدي وبورغ رولاند. ونفذت كل التدميرات المحضرة. وتلقـت الكتائب الثلاث من قناصة الآردين الآمر بالانسحاب إلى موقع تلقي علـى الأورث وهوجمت سريتان من الكتيبة الثالثة قبـل انطلاقـهما. وأثبتـت مقاومتـها فـي شابريهيز وبودانج فعالية مثل هذه الوحدات وإمكاناتها في قتال الإعاقة. وخسـر رتل ألماني مدرع في هذه الإعاقة أربع إلى خمس ساعات ولم يتمكن من بلـوغ هدفه في نهاية النهار.ومن جهة أخرى، تم إسقاط (٤٠٠) مظلي في نقطتين همـا نبمي وفنيتري ولكن المجموعة التي شكلوها وجدت نفسها مشتتة إلى حـد كبـير وطوقت وحدات قناصة الآردين منطقة ليكليز بسرعة. وكـان مـردود هـؤلاء المظليين معدوماً تقريباً حتى من وجهة النظر المعنوية.

وقد تم فصل الجيش المدرع الألماني بقيادة (خون كليست) بثلاثة فيـالق مدرعة. ففي الجنوب الفيلق المدرع بقيادة (غودريان) ويتألف من ثلاثة أرتـال — فرقة البانزر باتجاه ملاوتلانج وبوبون، وفرقة البانزر ٢ باتجاه ليبرامون، وفرقـة البانزر ١٠ باتجاه آرلون فلورنفيل. وفي الوسـط الفيلـق المـدرع ٤١ بقيـادة (رينهاردت) والفرقتان السادسة والثامنة تزحفان إلى موزونفيل ومونتيرميه. وفـي

الشمال الفيلق المدرع ٣٩ بقيادة (هوث) والفرقتان الخامسة والبانزر ٧ تزحفان باتجاه دينان وهو.

وقد عرقلت هذه الحملة نوعاً ما التدميرات والسدود التي أقيمت في طريقها تلك السدود غير المحمية بالنيران. والتي كان من الممكن تجاوزها بسلوك طرق جانبية، ولم يشكل تدخل بعض الفرق الفرنسية الخفيفة أيضاً مانعاً جدياً لتقدمها. وكانت هذه الفرق الأربع الخفيفة من الخيالة الآلية في حقيقة الأمر مع ٢ لواء خيالة التي تتبع الجيشين التاسع والثاني ومكلفة بتغطية تمركز وتعزيز القوات على موقع المقاومة بالاندفاع أسرع ما يمكن للتماس مع العدو ومساعدة قطعات التغطية البلجيكية وإعاقة التقدم الألماني.

وفي ١٠ أيار ١٩٤٠ وقع أول تماس ألماني على الحدود البلجيكية الساعة السابعة صباحاً، وكان معدل التقدم في نهاية النهار يعادل ١٦ كم. وفي ١١ أيار بالرغم من وجود ٤ فرق خيالة خفيفة و٢ لواء خيالة، تقدمت المدرعات الألمانية من ٢٥ إلى ٣٥ كيلومتراً، متبعة المسالك، وفي ١٢ أيار ١٩٤٠ انسحبت الوحدات الفرنسية الخفيفة إلى الموز وتقدمت المدرعات الألمانية ٢٥ كم.

لقد أهملت القيادتان العامتان الفرنسية والبلجيكية، التقليديتان أكثر مما يجب، الخصائص المميزة الاستراتيجية والتكتيكية لكتلة مرتفعات الآردين. وقصرتا باتباعها مذهبين عسكرين لا يقبلان كحلول صالحة إلا الحلول المبنية على الأسلوب والتعقل. واستبعدتا منهما مناورة المشاغلة والقتال التأخيري وتغطية أعمال النسف والتدمير بالنيران وحرب العصابات. ولا يعرف أية حربية استبعدت كل هذه الأمور.

انهيار الجبهة الغربية:

معركة سيدان:

كان الجيشان الثاني والتاسع يحتلان موقع الشيرز والموز، على مواجهة عرضها (٥٠) كيلومتراً، مع فرقتين ذات صفات عسكرية خفيفة هما الفرقة ٧١ و٥٥، وفرقة الحصون (١٠٢) وفرقة ٦١، ومحاطة على أجنحتها بفرق عاملة جيدة. وكان هذا التوزيع معتمداً. وكانت مهمة أفضل الفرق على الشيرز هي التصدي لاحتمال الالتفاف على خط ماجينو. وكان من المتعارف عليه ان قطاع سيدان لن يتعرض لأي خطر.

وقد أشارت المعلومات إلى وجود عدد من الدبابات الألمانية في كتلة الآردين الجبلية التي كان الاعتقاد يسود بأنها وعرة وغير سالكة. وفي ليلة ١٢-١٣ أيار ١٩٤٠ زجت الفرقة ٧١ في الخط الأول الأمر الذي أثار بعض الفوضى وتم دخولها إلى هذا الخط ببطء أثار بعض المتاعب وأعيد النظر في الترتيب الدفاعي في الساعات الأخيرة وتحت تهديد الهجوم. وكان مثل هذا العمل دليلاً على التردد والضعف لدى قائد وحدة كبرى.

وكانت القيادات مطمئنة طبقاً لإيمانها بالعقيدة العسكرية الفرنسية إلى أن المهاجم سيخفف التماس في البدء ثم يضيف هذا التماس ويجلب مدفعية ويقوم بالتمهيد للهجوم بالنيران . وسيركب هجوماً منهجياً لفتح الطريق أمام الدبابات. ونظراً لأن الطيران الفرنسي كان فعالاً نشيطاً في ١٢ أيار كانت القيادة الفرنسية تعتقد بأنه سيفرض وجوده في ١٣ أيار أيضاً أمام الطيران الألماني. ومع ذلك أرسل الجنرال (جورج) في ١٣ أيار ثلاث فرق إلى الجبهة المهددة هي الفرقة ٣ المدرعة الاحتياطية، وفرقة المشاة الآلية ٣، وفرقة المشاة ١٤.

وفي صباح ١٣ أيار قام الطيران الألماني بـــهجمات انقضاضيـــة علـــى المواقع وزاد الألمان من حدة هذه الهجمات في نهاية صبيحة ذلك اليـــوم دون أن يحصل على نتائج مادية كبيرة بيد أنه أحدث نوعاً من الشلل المعنوي للقطعـــات. ودفعت الدبابات الألمانية والمدافع المضادة للدبابات إلى المـــوز، وأخـــذت تقـــوم برميات مباشرة على فتحات التحصينات. وفي الساعة ١٥ فتحت مدفعية الميـــدان الألمانية النار. وكانت بطاريات المدفعية الفرنسية قد ردت عليها. ولكـــن ردهـــا كان ضعيفاً متقيداً بمبدأ الاقتصاد بالذخيرة. وقد اضطرت المدفعية الفرنسية إلـــى عدم تركيز نيرانها في حين كان تحت تصرف فرقة البانزر الأولى التي تـــهاجم في الوسط ٨ كتائب مدفعية و٣ كتائب مهندســـين. وكـــانت مدافـــع ٢٠٠ دبابـــة تدمـــر الأبراج الإسمنتية لدونشيري.

وكانت فرقة البانزر الأولى وكتيبة ألمانيا الكبرى تقتحمان بشـــكل ســـهم معابر الموز. بين جليروتورسي، وتستثمران نجاحاتها وتستوليان علـــى مراصـــد غابة المارفي، ثم تنحرفان منقضتين نحو الجنوب الغربي. وكانت المقاومة أمـــام هذا التقدم السريع مفككة، عنيفة في بعض النقاط، وضعيفة جداً في بعض النقـــاط الأخرى. وقد تجمعت كل عوامل المفاجأة لتفتت معنويات القطعات. التي كـــانت تعتبر منذ البدء قطعات قليلة المتانة لأنها متمركزة في قطاع يعتبر هادئـــاً. وقـــد تطور هذا الوضع إلى أن وصل إلى مرحلة الذعر الجمـــاعي فـــي المؤخـــرات فاختلطت قوافل المدفعيين، وقطرات القيادة، وقطعات المشاة، والأرتال على كـــل الطرق. وقد شهد بهذا الوضع القادة والمنقذون. ونجد هنا من جديد، ولكن علـــى مقياس أكبر ما حدث في ١١ أيار على قناة البرت. ولم تكن الدبابات في مســـاء ١٣ أيار قد عبرت الموز بعد. وكان بوسع هجمات مضادة حازمة القضاء علـــى رأس الجسر الألماني وذلك باعتراف القادة الألمان أنفسهم. فقـــد كـــانت هنـــاك

وحدات احتياطية مؤلفة من كتيبتي مشاة وكتيبتي دبابات. وكانت هذه القوات الاحتياطية قد تلقت أمراً في الساعة ١٥٠٠ بالانتقال إلى خط للانطلاق في غابة المينبير والغابة الكبرى. ومن هذه الوحدات الأربع لم تصل سوى اثنتين في نهاية الليل. ولم تجد الاثنتان الأخريان الأماكن المحددة لهما. ولم يكن هناك أية وحدة جاهزة للهجوم المضاد في فجر يوم ١٤ أيار. ولهذا كان من الواجب تأخير قيام هذا الهجوم بيد أن اللواء الأول المدرع (البانزر) كان قد بدأ عبور النهر منذ الساعة الخامسة من هذا الصباح. وأخذ يتجه سائراً نحو الجنوب للتصادم مع هذه التشكيلات الفرنسية. وقد وصل إلى جناح المجموعة الغربية في الساعة ٨٣٠ ودمرها. وبدحرها انتهى الهجوم المضاد الفرنسي.

ومن جملة أسباب الهزيمة الافتقار إلى تقنية جيدة لعمل الأركان وازدراء عامل الوقت. وكان من الشائع في مدرسة الحرب العليا في باريس أن توضع أوامر رائعة من دون شك. ولكنها مصممة كسيناريو حقيقي. تذكر فيه كل المناورات. وتكرر وتوضح وتفصل على هيئة من الوقت في تداخل منطقتي، ولكن بوسع اقل توقف أن يضطر هيئة الأركان إلى إعادة النظر في كل شيء. ولم يكن للوقت أية قيمة نظراً لأن كل شيء ينبغي أن يكون منهجياً. وكان الألمان يدرسون في الوقت ذاته طريقة قيادة أكثر ديناميكية، وأسرع ومستندة إلى الأوامر التحضيرية، والأوامر الجريئة والأوامر الشفوية على الأرض. في حين كان الفرنسيون والبلجيكيون على العكس ينفردون بإعطاء الأوامر العامة التي تنقل من مستوى إلى آخر. وكانوا يهتمون بصورة أكثر بعدم نسيان أي تفصيل من التفاصيل في الأوامر فيما عدا وصول هذه الأوامر إلى المنفذين في الوقت المطلوب، وهنا أيضاً حدث جمود في الفكر العسكري.

وشهد يوم ١٤ أيار ١٩٤٠ القضاء على فرقتي المشـــاة ٥٥ و ٧١. ولـــم يتمكن هجوم مضاد جديد، اعد بالفرقة المدرعة الاحتياطية ٣ وفرقة المشاة الآليـة ٣ من الانطلاق إلا بتاريخ ١٥ أيار مقتصراً على ١٦ دبابـــة بسـبب الشـــروط التقنية غير الملائمة وبسبب عجز على المستوى المادي على ما يبدو.

وفي ١٥ أيار ١٩٤٠ اتخذت المعركة في الجانب الألماني اتجاهاً آخـــر. فقد تلقت فرقتا البانزر أو ٢ التابعتان لغورديان الأمـــر بالتوجـــه إلـــى الغـــرب، باجتياز قناة الآردين، في حين كانت فرقة البانزر ١٠ التي تدعـــم جنـــاح هـــذه الحركة تنتظر تبديلها من قبل الفيلق ١٤. وكان الوضع على وشك الاستقرار فـــي ميسرة الجيش الفرنسي الثاني أمام مفصلة ستون، بينما كانت الكتلة الألمانية تنتقل إلى مؤخرات الجيش التاسع. وبعد أن حطمت هذه الكتلة مقاومـــات جيـــدة فـــي فندريس. بدأ استثمار النصر بتاريخ ١٦ أيار باتجاه سيني- لابي ومونتكورنيـــه. وهكذا خرقت جبهة الجيش الفرنسي التاسع بقيادة الجنرال (كوراب) بعد أن تـــم الالتفاف عليه.

٢. معركة ديفان:

كان للجيش التاسع في ١٠ أيار ١٩٤٠ في موقع الموز القطعات التاليـة- الفرقة الفرنسية ١٠٢ في قطاع ميزيير- مونتيرميه والفرقة ٦١ بيـــن ريغـــان- فومي، وفيرو- مولهاين. وكان من واجب الفرقة ٢٢ أن تتمركـــز بيـــن فـــيرو وهاستير. كما كانت مهمة الفرقة ١٨ التمركز بين هاستير وآنية. وفرقة المشـــاة الآلية ٥ بين آنية ريبيون، وحيث سترتبط بـــالمدافعين البلجيكيين عـــن موقـــع نامـــور المحصن الفرقة ٨.

وكان الحلفاء يعتمدون على مهلة خمسة أيام بيد أن طليعة المجموعات المدرعة بقيادة الجنرال هون كانت قد وصلت دينان (جسر مدمر) بعد ظهر يوم ١٢ أيار وهويس هو على ستة كيلومترات من أسفل النهر الذي لم يدافع عنه بصورة مباشرة برغم الأوامر الصريحة الصادرة عن القيادة للدفاع عنه. وعبرته بعض العناصر العادية في ساعة مبكرة من الليل، وتمسكت بالضفة اليسرى، وعززت بكتيبة بهذا الشكل من السيطرة على حوض آنيه.

وحاولت الكتيبة ٧ من رماة فرقة روميل (غرفة البانزر) عبور الموز في بوفيني إلا أن محاولتها منيت بالإخفاق، ولكن القرية والهضبة كانتا قد احتلتا عند الظهر. وكان لجبهة رأس الجسر في هذا الوقت طول يعادل ٥ كم وعمق يعادل ٣ كم. وهكذا اتسم الجانب الألماني بالجرأة. وساد في مواجهته التردد وضعف الإرادة. والبطء في اتخاذ القرار والتنفيذ.

وإزاء فكر عسكري متردد. وقيادة بعيدة أكثر مما ينبغي، كان هناك بالتناظر نوع من الافتقار إلى الروح القتالية. ولكن مقرات القيادة لم تتوان عن القيام بالهجمات المضادة القوية أو عن مهمة الصمود دون فكرة التراجع عن تلك الصيغ الموضوعة بشكلها التام. وكان الأمر العام رقم ١٣، الصادر عن الجنرال (جورج) بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٠ الساعة العاشرة ينص على ما يلي (نفاذ عمليات يوم ١٤ بمنتهى القوة. وان أي ضعف لن يكون موضع تسامح).

وهناك نقطة واحدة واضحة إلى حد قليل، أن تدخل فرقة الاستطلاع المدرعة ١ التي أنذرت بتاريخ ١١ أيار، وتركت عاطلة عن العمل بتاريخ ١٣ أيار شرق شارلروا بسبب تردد الجنرال بيوت، ووضعت تحت تصرف الجيش في صباح يوماً ١٤ أيار وقد وصلت إلى منطقة إعادة التجمع. وكان على هذه الفرقة أن تهاجم بتاريخ ١٥ أيار، ولكن المدفعية لم تكن موجودة وكانت

المحروقات ناقصة، ولم تصل المؤن إلا في حوالي الساعة الثامنة. وفي الساعة التاسعة كانت فرقتا البانزر ٧ و٥ هما اللتان انتقلتا إلى الهجوم. والتفتتا على فرقة الاستطلاع المدرعة من الجناحين ونشب قتال غير حاسم. وكان لدى فرقة الاستطلاع المدرعة خمسون دبابة عندما انسحبت، وخسرت في هذا الانسحاب أكثر من ٣٠ دبابة. ولكنها عزلت حوالي مائة دبابة ألمانية خارج القتال.

وكان الجيش ٩ على وشك التصفية من قبل الألمان، عندما قررت القيادة العامة تغيير قائدة في ١٥ أيار ١٩٤٠. وقد هرع الجنرال (جيرو) إلى فرفينز في ما بعد الظهيرة، ولم يعرف في بادئ الأمر سوى حالة تفتت الوحدات وعلم خلال الليل بوصول الدبابات الألمانية إلى مؤخرات الجيش في مونتكورنيه. ولم يجد فيما بعد أية فرصة لمعرفة معلومات أخرى. فقد تفتت الفيلق ٩ والفيلق ١٢ كما تفتت فرق بكاملها. ولم يبق منها سوى مفارز منعزلة تحاول العبور بالعنف أو تستلم. واعتباراً من ١٦ أيار ١٩٤٠ اندفعت ٤ أرتال، و٦ فرق بانزر باتجاه الغرب على المحاور الآتية. فيليفيل، لاندريسي ، كامبري، آراس (فرقتا البانزر ٥و٧) ومحور ميزيير، غيز، لوكاتوليه (فرقتا البانزر ٦و٨) محور مونتكورنية. ريبميون، سان كنتان، البرت، ابفيل (فرقة البانزر) ومور كريسي، بيرون، أميان (فرقة البانزرا).

٣. معركة الليس البلجيكية:

اتخذ الجنرال الألماني (فون براوخيتش) قرار معركة الليس في مقر قيادة الجيش ٦ في انيفين بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٤٠، معتمداً ومصدقاً على مبادرة (فون بوك) و(فون رايخناو). وقد شنت منذ الصباح بعض الهجمات العنيفة بين

كورتريه وмينان ضد فرقتين بلجيكيتين هما الفرقتان أو الثلاث اللتان كانتـــا قــد حلتا مكان البريطانيين.

وفي ٢٤ أيار ١٩٤٠، توغلت ٥ فرق ألمانية بسرعة على جبهة الليـــس وبدءاً من هذه المحطة بدأت القيادة العامة البلجيكية التي تريد المحافظـــة علـــى الاتصال مع قوة الحملة البريطانية، التي تقع مفصلـــها فـــي مينـــان- حـــالوين باستخدام قواتها الاحتياطية، ثم بأخذ وحدات من جناحها الأسر الذي لم يهاجم بعد لتغذية معركة الإيقاف. وأرسلت إليها فرقة المشاة ١٠ لسد الثغرة فـــي الجبهـــة المهاجمة، كما أرسلت الفرقتين ٩و٥ لإقامة مواقع دفاعية جانبية مائلـــة. وعنــد نهاية اليوم الأول من المعركة كان أكثر من ثلث القوات البلجيكية قـــد زج فـــي حومة قتال الجناح الأيمن.

ونقل (فون بوك) جهده الرئيسي إلى نقطة اتصال جيشـــه ٦و١٨ شـــمال دينز بعد أن لاحظ في ٢٥ أيار أن الجناح الأيسر الجيش ٦ الألماني لـــم يـــبرح مكانه أمام موقع الحدود حالوين- فالانسين حيث لم تكن المعارك بالإضافة إلـــى كل هذا سوى معارك فردية ومشتتة لا يربط بينها أي رابط. واحتدمت المعركـــة عندئذ على طول جبهة الجيش البلجيكي الذي ذابت وحداته الاحتياطية فيما بعـــد بسرعة.

لقد اكتشف الحلفاء بأن تطور الهجوم الألماني المستمر منذ فجر ٢٤ أيـار ١٩٤٠ ضد الجيش البلجيكي وحده، يجعل مناورة انسحابه إلى الايزر صعبة جـداً وكان رد الفعل هذا هو رد الفعل الوحيد أمـــام حـــدث يـــهم الجيـــوش الثلاثـــة المحصورة في الجيب مباشرة. وقرر الحلفاء ضرورة القيام بمعركة شاملة كـــانت ممكنة، وأن ينظموا دون تأخير احتياطاً عاماً من قوات الحلفاء كـــانت عنـــاصر مجهزة ومعدة في الجيوش الثلاثة. وأن يقاتلوا من الخطوط الداخلية بين الجناحين

وكان الدعم الكثيف لهذا الهجوم من قبل الطيران البريطاني والفرنسي ضرورياً وكان مرتبطاً بالاتفاق بين لندن وباريس وكانت هذه المسألة لوحدها فقط تتطلب تنسيقاً كاملاً في أعلى مستوى.

وفي ٢٥ أيار ١٩٤٠ كان هناك ١٣ فرقة ألمانية أمام الجيش البلجيكي و٣ فرق أمام الجبهة البريطانية الشرقية. وتحيط ١٠ فرق بالبروزليل — فلانسين و١٠ فرق كلها مدرعة تقريباً في مواجهة خط الأقنية. وكانت قوات الحلفاء المطوقة تضم ٤٦ فرقة. ولم يكن الوضع من الناحية العددية وضعاً ميؤوساً منه.

كان الجنرال (ويغان) في باريس يجهل أن الجيش البلجيكي قد هوجم كلياً. وكان الجنرال (بلانشار) على علم بهذا غير أنه كان يعمل أو بالأحرى امتنع عن العمل، كما لو أن هذه المعركة لا تهم مجموعة الجيوش التي يقودها إلا بصورة ثانوية. وكان مقر القيادة العامة للجيش البلجيكي يقود معركته بصورة منعزلة عن الحلفاء. ولكنه ارتكب خطأ عدم وضع القيادة العليا للحلفاء أمام مسؤولياتها مطالباً بتنسيق للعمليات. وكانت الفوضى تسود الأفكار كما سادت الاتصالات. وكان قائد قوة الحملة البريطانية يتصرف بمفرده. وقد فهم خطورة الهجوم على الليس وأحس بخطرة، ولكنه لم يهرع لمساعدة البلجيكيين باستخدام كل قواته المتوفرة بما فيها فرقتان أمكن تخليصهما. وذلك لغرض هجوم ويغان لاحتلال منطقة ايبر، توقفاً لقطع الجبهة البلجيكية.

أما الجنرال بلانشار فلم يشاهد ملك بلجيكا إلا في ٢٥ أيار، أي بعد ٤٢ ساعة من المعركة. ولم يتوصلا معاً إلى أي شيء إيجابي في تلك المقابلة. وكان قائد مجموعة الجيوش الأولى مصراً على الاعتقاد أيضاً بإمكانية الإخلاء. وكان التضامن بين الحلفاء أيضاً في ٢٦و ٢٧ أيار.

وفي ٢٦ أيار ١٩٤٠ في الساعة ١٢,٤٠ أمر الجنرال (فون بوك) جيشه بالهجوم وتدمير القوات المعادية في منطقة روليه، في حين تطوق جبهتا الشمال والشرق في المنطقة المحصنة في ليل. وكانت الفرصة سانحة أكثر مما يجب للقضاء على الجيش الفرنسي الأول في الوقت ذاته.

ولم يفهم بلانشار بصورة صحيحة الوضع الحرج لهذا الجيش الأخير بالرغم من تحذير بعض الجنرالات إلا في يوم ٢٦ أيار. وتقرر أخيراً إخلاء (إصبع القفاز) ولكن هنا أيضاً انتصر الأسلوب على التعجل الملح. فقد أعدت مرحلتان ليلة ٢٦-٢٧، وليلة ٢٧-٢٨. وطالما كان الوضع كذلك إلا أن الجيش البلجيكي قد تلقى مهمة الانسحاب إلى الايزر. ولم تتساءل القيادة العامة عما إذا كان هذا الانسحاب ممكناً.

ومرة أخرى وصلت القرارات متأخرة كثيراً، واعتباراً من ٢٧ أيار افتتحت ٣ فرق بانزر قناة الباسيه، ووصلت إلى مشارف ليل، وقطعت طريق التراجع الرئيسي.

وفي اليوم ذاته خرقت الجبهة البلجيكية في المنطقة جنوب تيلت، نظراً لعدم وجود قوات احتياطية. وتخلت قوة الحملة البريطانية بأمر من قائدها عن موقع الحدود، وكانت في طريقها إلى الانسحاب نحو الشمال. وهكذا أدت كل الأخطاء التي تجمعت وتراكمت إلى مأساة مزدوجة -استسلام الجيش البلجيكي، الذي تم توقيفه بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٤٠ والتطويق الكامل لـ ٦ فرق من الجيش الأول حول ليل. وقد دافعت هذه الفرق عن ليل بصورة رائعة طيلة ثلاثة أيام وجمدت ٧ فرق ألمانية. بيد أنها اضطرت إلى الاستسلام فيما بعد.

٤. معركة دنكرك:

وهي المعركة التي صفت فيها القوات الألمانية قوات الحلفاء المنسحبة من بلجيكا وفرنسا بعد انهيار الجبهة الغربية في الحرب العالمية الثانية. ولقد رافق هذه العملية انسحاب جزء كبير من قوات الحلفاء بحراً إلى بريطانيا.

عندما حل صباح يوم ٢٤ أيار ١٩٤٠ كانت الحملة الألمانية الخاطفة على فرنسا وبلجيكا وهولندا، قد أوشكت على تحقيق الهدف النهائي للمرحلة الأولى من الحملة. وهو تحطيم جيوش الحلفاء وأسر من يتبقى من جنودها داخل الجيب الذي تم تطويقها فيه بشمال غربي فرنسا وغربي بلجيكا. إذ كانت الفيالق المدرعة التابعة لمجموعة جيوش (فون رونشتدت) قد أتمت اختراقها الاستراتيجي العميق عبر خط الدفاع الفرنسي عند (سيدان) والتفت حول الجناح الأيمن لقوات الحلفاء المتقدمة في بلجيكا. ووصلت إلى شاطئ (المانش) وحاصرت مينائي (بولوني) و(كاليه) ولم يبق بالتالي غير ميناء (دنكرك) كمنفذ وحيد للفرار عن طريق البحر لقوات الحلفاء التي أصبحت خاضعة لضغط شديد متزايد بين مطرقة (فون رونشتدت) الزاحفة من الجنوب الغربي وسندان مجموعة جيوش (فون بوك) الزاحفة من الشرق. وكان من المتوقع زيادة قوة الضغط على هذا الجيب بمجرد أن تستسلم القوات البلجيكية، وتترك الجنب الشمالي للجيب مفتوحاً. وهو الأمر الذي كان وشيك الحدوث.

وفي صباح ٢٤ أيار ١٩٤٠، اجتازت دبابات الفرقة المدرعة الأولى. التابعة للفيلق المدرع ١٩ الذي كان بقيادة (غودريان) قناة مائية واقعة على بعد ٢٤ كلم إلى الجنوب الغربي من (دنكرك). كما اجتازت هذه القناة إلى اليمين من الفرقة المدرعة المذكورة الفرقتان المدرعتان السادسة والثامنة التابعتان للفيلق

المدرع ٤١ الذي كان بقيادة (رينهارد) ولقد نجحت هذه الفرق المدرعة الثلاث في شق طريقها بسرعة. رغم عدم صلاحية الأرض بسبب مياه السدود. ولذلك كانت هناك نسبة كبيرة منها في حاجة إلى الإصلاح وإعادة الصيانة. خاصة بعد أن قطعت مئات الكيلومترات، منذ بدأت زحفها السريع عبر غابات (الآردين). ولكن جزءاً كبيراً من الدبابات المعطلة كان يمكن إصلاحه بواسطة وحدات الصيانة المتحركة في وقت قليل لا يتعدى يوماً واحداً في معظم الحالات.

وفي الوقت نفسه كانت الفرقتان المدرعتان الخامسة والسابعة التابعتان للفيلق المدرع ١٥، الذي شكل رأس الرمح لمجموعة جيوش (فون بوك) قد أجبرت القوات البريطانية على الانسحاب من (آراس) إلى ما وراء قناة (لاباسيه) واحتلت التلال المشرفة على حوض نهر (لينس). وفي الوقت نفسه كانت بقية جيوش المجموعة تضغط على الجيش البلجيكي الموشك على الانهيار. ولذلك أسرعت الفرقتان البريطانيتان المنسحبتان من (آراس) إلى الشمال لتدعم القوات البلجيكية. وبذلك كانت معظم القوات البريطانية والفرنسية على بعد نحو (٦٩) كلم من (دنكرك). وأصبح تشرشل الذي كان قد تولى رئاسة الوزارة البريطانية منذ ١٠ أيار ١٩٤٠ يخشى أن يضطر خلال أسبوع واحد أن يعلن نبأ أكبر كارثة عسكرية حلت ببريطانيا طوال تاريخها كله. وبات يعتقد انه لن يمكن إنقاذ أكثر من ٢٠ أو ٣٠ ألف جندي عن طريق البحر. نظراً لأن السفن والشواطئ كانت معرضة لقصف جوي شديد. كما كان من المحتمل أن تصبح بعد قليل واقعة تحت رمي المدفعية. وفضلاً عن ذلك فإن القوات نفسها كانت متورطة في قتال متلاحم. بحيث كان من المستحيل لأكثر من آلاف قليلة منها أن تفك الالتحام طالما استمر الألمان في هجومهم. وكان في استطاعة أي اندفاع قوي بالمدرعات

أن يشطر الجيب إلى شطرين. نظراً لقلة الدبابات والمدافع المضادة للدبابات لدى القوات البريطانية والفرنسية.

وفجأة التقطت أجهزة الاستقبال اللاسلكي البريطانية في الساعة الحادية عشر والدقيقة الثانية والأربعين رسالة ألمانية صادرة من مركز قيادة (فون رونشتدت) تتضمن أمراً بوقف الهجوم في الوقت الحاضر على (دنكرك) وان لا تتجاوز الدبابات خط القنوات والأنهار عند (لينس- بيتون- سانت -أومير- غرافلين). وان تعود الوحدات التي تخطت هذا الخط بعدة كيلومترات إلى حدود هذا الخط مرة أخرى.

وفي هذا الوقت كان (هتلر) مجتمعاً مع (فون رونشتدت) في مقر قيادة مجموعة الجيوش (أ) بمدينة (شارلفيل) الواقعة إلى الغرب قليلاً من (سيدان) لبحث الموقف العسكري في جيب (دنكرك) ولذلك تصدر الأمر الصادر من قيادة (فون رونشتدت) بوقف تقدم القوات وعدم تجاوزها الخط المذكور بعبارة (بناء على أوامر الفوهرر) لا يسمح بتخطي الخط العام... الخ).

ولقد أثار هذا الأمر الصادر من (هتلر) عبر (فون رونشتدت) بوقف تقدم القوات الألمانية مؤقتاً نحو (دنكرك) والطرق المؤدية إليها والذي استمر ساري المفعول لمدة ثلاثة أيام أثار جدلاً بين المؤرخين الغربيين والقادة الألمان الذين شاركوا في إحداث هذه المعركة وكتاب المذكرات من السياسيين والقادة العسكريين الغربيين الذين ساهموا بدرجات مختلفة في عمليات هذه المرحلة فاتجه بعضهم، ومن بينهم (تشرشل) إلى تحميل (فون رونشتدت) وحده تبعة هذا الأمر وما ترتب عليه من إضاعة فرصة القضاء الكامل على قوات الحلفاء، وذلك بحكم حرصه على دباباته المرهقة ورغبته في عدم تحميلها مزيداً من الخسائر والأعطال حتى تكون في حالة صالحة للعمليات في المرحلة الأخيرة

من الحملة على فرنسا. واتجه البعض الآخر إلى تفسير أمر التوقف المذكور برغبة (غورنغ) بصفته القائد العام للسلاح الجوي الألماني، في أن يعهد للطيران بتوجيه الضربة الأخيرة الحاسمة ضد قوات الحلفاء المنسحبة من (دنكرك) بعد أن أنجز الجيش البري حتى ذلك الوقت تلك العمليات الحربية الباعثة على الدهشة. وكسب مجد النصر أمام العالم أجمع. ولذلك طلب من (هتلر) أن يعهد إلى السلاح الجوي مهمة الإجهاز على الجيش البريطاني وإرغامه على الاستسلام بتدمير المرافئ التي ينسحب منها.

ورغم وجود جوانب جزئية من الحقيقة ضمن الآراء المتعلقة برغبة (غورنغ) المذكورة، إلا أن ذلك لا يفسر الدافع الحقيقي لقرار (هتلر)، هو دافع سياسي يتعلق بالاستراتيجية العليا للحرب كما كان (هتلر) يتصورها. إذ كان انفوهرر يريد عقد صلح معقول مع فرنسا. وإعطاء بريطانيا فرصة مناسبة لتقبل فكرة الصلح بعد ذلك ووفقاً لشروطه. ولذلك كبح جماح قواته المدرعة عند مشارف (دنكرك) ليجنب الإنكليز إذلالاً عسكرياً مؤلماً ويسهل عليهم بالتالي قبول تسوية سلمية تسمح لألمانيا بالسيطرة المطلقة على القارة الأوروبية وتركيز جهودها العسكرية بعد ذلك ضد الاتحاد السوفيتي، ويؤيد هذه الفكرة مجرى العمليات الحربية نفسها، في الفترة من ٢٤ أيار حزيران ١٩٤٠، حيث استحكمت عملية إجلاء معظم قوات الحملة البريطانية وقوات فرنسية كبيرة عبر (دنكرك) كما يؤكدها عديد من أقوال القادة الكتاب من كلا الجانبين المتحاربين.

وفي يوم ٢٢ أيار ١٩٤٠ طار (تشرشل) إلى باريس) للاجتماع برئيس الوزراء الفرنسي (رينو) والجنرال (غاملان) وبحث الإجراءات المضادة اللازمة لإيقاف الهجوم الألماني. ولم يطرح على بساط البحث معهم احتمالات سحب القوات البريطانية عبر ميناء (دنكرك). ولكنه أصر في الوقت نفسه على رفض

إرسال مزيد من أسراب المقاتلات البريطانية (هـــاريكين) أو (ســبيتفاير) إلـــى فرنسا حرصاً منه على توفير الحماية الجوية التي ستتطلبها عملية الإجلاء التـــي أطلق عليها أسم عملية(دينامو)، فضلاً عن متطلبات الدفاع الجوي عن بريطانيـــا نفسها في المستقبل القريب بعد انهيار فرنسا الكامل الذي بات وشيكاً.

وفي ليلة ٢٥ أيار ١٩٤٠ اتخذ اللورد (غــورت) قــائد قــوات الحملـــة البريطانية في فرنسا قراراً حاسماً بالانسحاب نحو (دنكرك) بعد أن أصبح مقتنعـاً تماماً بعدم جدوى الاستمرار في القتال في مثل هذه الظروف خاصة وأن القيـــادة العليا الفرنسية أصبحت في القتال غير مسيطرة مطلقاً علـــى الموقـــف وأنـــها لا تنوي شن أي هجوم مضاد فعال من جنوب الجيب كما كان مفروضاً وفي الوقـت نفسه وصل الجنرال (بلانشار) قائد الجيش الأول الفرنسي إلى قرار مماثل وعلـى أن يتم الانسحاب على ثلاث مراحل لإقامة رأس جسر دائـــم عنـــد (دنكـــرك) واجتمع الاثنان في صباح ٢٥ أيار لبحث خطط الانسحاب. ولكن (غـــورت) لـــم يفصح لزميله الفرنسي عن نيته في الإجلاء السريع لقواته عن طريق البحر فـــور وصولها إلى (دنكرك) إثر إقامة النطاق الدفاعي. وعند عودة (غورت) إلى مقـــر قيادته مساء ذلك اليوم تلقى رسالة من (ايدن) وزير الخارجية البريطـــاني يبلغـــه فيها رسمياً أن اعتبار سلامة قوات الحملة يجب أن يكون فوق كل اعتبـــار. وأن المرافئ شرقي (غرافلين) يجب أن تستخدم منطلقـــاً للجـــلاء.وســـيؤمن ســـلاح الطيران حماية كاملة للعملية. كما ستوفر البحرية أسطولاً من السفن والقـــوارب لهذا الغرض.

وفي تمام الساعة ٦,٤٥ من مساء يوم ٢٦ أيار، أرسلت قيـــادة البحريـــة البريطانية إشارة لاسلكية إلى وحداتها المعدة للاشتراك في عملية الإجلاء والـــى قيادة الحملة البريطانية في فرنسا تقول فيها (ستبدأ دينامو) وبعـــد ســـاعتين مـــن

صدور الأمر بالتنفيذ. وصلت السفينة البريطانية الأولى إلى (دنكرك) ونقلت إلى سطحها (١٤٢٠) جندياً بريطانياً تحت قصف مدفعية (غوديريان) المتوسطة الأمر الذي ترتب عليه مقتل (٢٣) رجلا وجرح (٦٠) آخرين. وفي صباح اليوم التالي وصلت إلى مقربة من شاطئ (دنكرك) (٥) سفن نقل أخرى. إلا أن شدة القصف المدفعي الألماني حالت دون تحميلها بالجنود واضطرت للعودة فارغة ولكن المحاولات البحرية استمرت طوال اليوم ونجحت السفن في إجلاء بعض القوات بحيث بلغ عدد الجنود الذين تم إجلاؤهم في نهاية يوم ٢٧ أيار منذ بدء العملية (٧٦٦٩) جندياً وأوضح ذلك استحالة سحب غالبية القوات البريطانية إذ استمر الضغط الألماني على هذا النحو.

ومما زاد الأمور تعقيداً بالنسبة إلى تنفيذ عملية (دينامو) بفاعلية أن ملك بلجيكا، وقائد جيشها العام في الوقت نفسه طلب عقد هدنة مع الألمان في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٧ أيار، ولم يعلم الجنرال (ويغان) بذلك التطور الخطير في الموقف إلا في الساعة ٦,٣٠ من مساء اليوم نفسه أما اللورد (غورت) فلم يعلم به إلا في منتصف الليل نظراً لأنه كان في جولة خارج مقر قيادته. ولذا فقد فوجئ بمواجهه ثغرة اتساعها نحو (٣٢) كلم بين (ايبر) والبحر ستنتج إثر استسلام الجيش البلجيكي الذي وافق عليه الملك (ليوبولد) في الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٨ أيار بعد تلقيه شروط الاستسلام من الجانب الألماني في العاشرة من مساء يوم ٢٧ أيار، لذلك أرسل فرقة المشاة الثالثة بقيادة (مونتغمري) خلال الليل على الفور إلى مكان الثغرة لتسدها بسرعة بقدر الإمكان ونتيجة لذلك اصبح الجنرال (بروك) قائد الفيلق الثاني البريطاني يواجه ضغطاً شديداً من جانب قوات مجموعة جيوش (فون بوك) الزاحفة من الشرق، والتي أصبحت طلائعها على بعد نحو (٥٦) كلم من (دنكرك) على حين كانت فرقة المشاة البريطانية الثانية وقوات

فرنسية تحاول منع تقدم قوات مجموعة (فون رونشتدت) الزاحفة من الجنوب الغربي. والتي وصلت يوم ٢٨ أيار إلى مسافة (٨) كلم فقط من (دنكرك).

ومنذ يوم ٢٩ أيار ١٩٤٠، أصبح الانسحاب نحو رأس جسر (دنكرك) سباقاً محموماً على الطرق المؤدية إليه تشترك فيه (٤) فرق بريطانية. استطاعت أن تنسحب في ليلة واحدة. وقوات فرنسية تحت القصف الجوي الألماني وكانت هذه القوات تترك ثم تواصل سيرها إلى الشواطئ سيراً على الأقدام حيث تنتظر دورها في ركوب القوارب والمراكب الشراعية والسفن المختلفة الأخرى التي اشتركت في العملية. والتي بلغ عددها نحو (٨٦١) سفينة، ولم تكن القوات التي يجري إجلاؤها تحمل معها سوى أسلحتها الفردية في أفضل الحالات. أما العتاد والأسلحة الثقيلة فقد تركت على مشارف (دنكرك) وعلى الشواطئ بعد أن خرب معظمها.

وفي ليلة ٢٩- ٣٠ أيار كانت جميع الفرق البريطانية و(٥) فرق فرنسية، قد دخلت رأس جسر (دنكرك) وفي يوم ٣٠ أيار تم إجلاء نحو (٥٣) ألف جندي وبذلك بلغ إجمالي القوات التي أجليت نحو (١٢) ألف جندي من بينهم نحو (١٥) ألف جندي فرنسي فقط. الأمر الذي أثار سخط رئيس الوزراء الفرنسي (رينو) عندما اجتمع مع (تشرشل) في باريس في اليوم التالي ٣١ أيار والذي تم فيه إجلاء نحو (٨٦) ألف جندي بريطاني آخر ونتيجة لذلك لم يتبق سوى جنود الفيلق الأول فقط بقيادة الجنرال (هارولد الكسندر) والمؤلف من (٣) فرق مشاة من بينها الفرقة التي كان يقودها (مونتغمري) (وكان يضم نحو ٢٠ ألف جندي)، الذي عهد إليه بالدفاع عن رأس الجسر حتى انتهاء عملية (دينلمو). إثر إبحار اللورد (غورت) إلى بريطانيا بأوامر من (تشرشل) ليلة ١ حزيران ١٩٤٠ حتى (رينو) وعداً بإعطاء أسبقيه بعد ذلك لإجلاء القوات الفرنسية، ولذلك

حشدت البحرية البريطانية نحو (٤٠٠) مركب وقارب مدني، تطوع أصحابها للمشاركة في عملية الإجلاء. لتأمين سرعة إجلاء أكبر عدد ممكن من القوات الفرنسية، وقد ساعد هدوء البحر وصفاء الجو في مضيق (دوفر) على تسهيل عمل القوارب والمراكب الشرعية التي اشتركت في الإجلاء عند يوم ٣١ أيار حتى ٤ حزيران ١٩٤٠.

وفي فجر يوم ٢ حزيران لم يكن قد بقي في (دنكرك) سوى (٤) آلاف جندي بريطاني لديهم ٧٩ مدفع مضادة للطائرات و(١٢) مدفعاً مضاداً للدبابات ولكن كان لا يزال فيها أكثر من (٩٢) ألف جندي فرنسي. وخلال يومي ٢و٣ حزيران وليلة ٤ حزيران تم إجلاء (٥٢٩٢١) جندياً فرنسياً بالإضافة إلى أربعة آلاف جندي بريطاني المتبقين. وانتهت عملية (دينامو) تماماً في فجر يوم ٤ حزيران ١٩٤٠ وتوقف القتال في (دنكرك) في الساعة التاسعة من صباح اليوم نفسه وقد بلغ مجموع القوات التي تم إجلاؤها خلال هذه العملية (٣٣٨٢٦٦) جندياً، من بينهم نحو (٢٢٤) ألف جندي بريطاني ونحو (١١٥) ألف جندي فرنسي. وخلف المنسحبون وراءهم إلى مشارف وشواطئ (دنكرك) نحو (٢٣٠٠) مدفع من مختلف الأنواع، و(٩٠) ألف بندقية و(٨) آلاف رشاش و(٧) آلاف طن من الذخيرة ومئات الدبابات وحاملات مدافع البرن المدرعة وآلاف المركبات.

وقد قدم السلاح الجوي البريطاني حماية جوية في معظم مراحل تنفيذ العملية ساعدت على تخفيف الخسائر إلى حد كبير بواسطة قوة ضمت نحو (٤٠٠) طائرة مقاتلة، استطاعت أن تسقط (٢٦٢) طائرة ألمانية من قاذفات القنابل والمقاتلات، وذلك مقابل خسارة بلغت (١٦٠) طائرة مقاتلة بريطانية و ٧٥ طياراً. ولكن الطيران الألماني استطاع رغم ذلك أن يغرق (٢٤٣) سفينة وزورقاً

من مختلف الأنواع والأحجام (من بينها ١٦٦ سفينة وزورقاً بريطانية) وقد استطاعت الزوارق والمراكب المدنية الصغيرة أن تنقل من الشواطئ نحو (٩٨٧٨٠) جندياً إلى السفن الكبيرة في عرض البحر أو إلى الشاطئ الإنكليزي مباشرة. وعلى حين نقلت السفن من الميناء نفسه نحو (٢٣٩٤٤٦) جندياً والواقع أن الطيران الألماني لم يركز جهوده الفعلية طوال العملية سوى خلال يومين فقط ولذلك كانت خسائر الحلفاء قليلة نسبياً.

وهكذا أنقذت بريطانيا صفوة جنودها العسكريين نتيجة خطأ (هتلر) في التقدير السياسي لموقف بريطانيا التي استمرت في الحرب ضد ألمانيا النازية رغم هزيمة فرنسا واستسلامها. ولم تقبل في ظل قيادة (تشرشل) العنيدة الخضوع للسلام الهتلري.

٥. الإيطاليون يعلنون الحرب على بريطانيا وفرنسا:

على الرغم من أن إيطاليا كانت قد عقدت مع ألمانيا ميثاق الحلف الفولاذي في أيار ١٩٣٩. والذي تعهدت فيه كلتا الدولتين بتقديم المساعدة الواحدة إلى الأخرى في حالة اشتباكهما في حرب مع دولة أو أكثر، إلا أن إيطاليا تخلفت عن نصرة حليفتها ألمانيا عندما ابتدأت الحرب العالمية الثانية ولعل ذلك يعود إلى عوامل منها أن إيطاليا كانت تشعر بالحاجة إلى مزيد من الوقت لتوطيد نفوذها في ألبانيا وشمال إفريقيا والحبشة، ولنقل بعض من مصانعها من شمال إيطاليا إلى جنوبها ولاستكمال استعداداتها العسكرية، ولإرجاع ملايين الإيطاليين الذين كانوا يعملون في فرنسا، ولتحسين الوضع المالي في إيطاليا من خلال المعرض الدولي الضخم الذي تزمع إقامته في روما في عام ١٩٤٢ تخليداً للذكرى السنوية العشرين للزحف على روما.

وأخيراً وبعد أن أحس موسوليني بأن الحرب تسير لصالح حليفته ألمانيا، أعلن في ١٠ حزيران ١٩٤٠ الحرب على بريطانيا وفرنسا وكان يرمي من وراء ذلك الحصول على أراض على حساب فرنسا ومستعمراتها وقد اشتركت القوات الإيطالية في الهجوم على فرنسا. مما اضطر الأخيرة إلى أن ترسل بعضاً من قواتها للتصدي للإيطاليين وأدى هذا بدوره إلى زيادة متاعب فرنسا العسكرية.

٦. استسلام فرنسا وعقد الهدنة مع ألمانيا:

عقدت الحكومة الفرنسية اجتماعاً في ١٢ حزيران ١٩٤٠ لدراسة آخر تطورات الموقف العسكري في فرنسا. وقد وصف الجنرال (ويغان) (وكان قد تولى منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء منذ ١٩ أيار ١٩٤٠ خلفاً للجنرال جاملان، ثم اصبح بعد انسحاب الحلفاء قائداً عاماً للجيش الفرنسي) الوضع الحربي في فرنسا أصبح ميؤوساً منه. وحث الحكومة الفرنسية على الإسراع في الاستسلام وتوالت الأحداث في فرنسا فاستقال (رينو) من رئاسة الحكومة في ١٧ حزيران وخلفه المارشال (بيتان) (وهو الذي قد لمع اسمه إبان معركة فردان عام ١٩١٦ وهي من معارك الحرب العالمية الأولى الشهيرة). وقد أعلن الأخير بياناً على الشعب الفرنسي نادى فيه إلى توقف القتال وحطم هذا البيان البقية الباقية من معنويات الجيش الفرنسي.

وقد اتخذت حكومة بيتان من مدينة (منيشي) مقراً لها، وكانت باكورة أعمالها أنها قدمت طلباً إلى الألمان بوقف القتال تمهيداً لعقد هدنة بين الدولتين. ووافق الألمان على طلب بيتان. وفي ٢٢ حزيران ١٩٤٠ وقع الفرنسيون شروط الهدنة مع ألمانيا في (كمبين) وهي نفس المكان الذي سبق وان وقع الألمان فيه

على الهدنة مع الحلفاء في تشرين الثاني ١٩١٨ واختيرت نفس عربة القطار التي جرى التوقيع فيها على تلك الهدنة، للتوقيع على الهدنة الجديدة، وكان اندحار فرنسا في الحرب العالمية الثانية نتيجة عوامل عديدة من بينها:

١. المشاكل والانقسامات الداخلية التي كانت تمزق فرنسا.

٢. افتقار فرنسا إلى القيادات السياسية الكفؤة.

٣. نقص الأسلحة والدروع والقوة الجوية.

٤. تولى القيادات العسكرية المحافظة مسؤولية توجيه دفة الحرب، وقد تمسكت هذه القيادات بأساليب الحرب القديمة وتجاهلت التطورات الكبيرة التي طرأت على الأسلحة وفنون القتال. واعتقدت بان خط (ماجينو) كفيل بصد أي هجوم يقوم به الألمان سيتم عبر بلجيكا كما حدث في الحرب العالمية الأولى، في حين تبنى الألمان خطة جديدة لمهاجمة فرنسا تقوم على اجتياح منطقة الآردين والاندفاع صوب السوم.

٥. ميل القيادات العسكرية في فرنسا إلى مهادنة (هتلر):

وإبعاد الحرب عن فرنسا على أمل أن يوجه (هتلر) هجومه نحو الشرق ضد الاتحاد السوفيتي وبمقتضى شروط الهدنة أصبح الألمان يحتلون ما يقرب من نصف مساحة فرنسا، إذا احتلوا الجزء الشمالي من فرنسا بما فيه العاصمة باريس والأجزاء الغربية منها المطلة على القنال الإنكليزية والمحيط الأطلسي حتى الحدود الأسبانية، وتمتعوا في المنطقة الأخيرة بكل الحقوق التي تتمتع بها سلطات الاحتلال باستثناء ما يتعلق منها بالإدارة المحلية وأصبح في وسع الألمان أن يؤسسوا في هذه المنطقة قواعد لغواصاتهم. وكان على فرنسا أن تتحمل جميع نفقات جيوش الاحتلال المرابطة في أراضيها. كما كان عليها أن تسرح جميع

قواتها البرية والبحرية والجوية، وحدد الجيش الفرنسي بـ (١٠٠) ألف مقاتل، وهو نفس الرقم الذي كان قد فرض على ألمانيا في معاهدة فرساي، كذلك توجب على فرنسا أن تطلق سراح جميع الأسرى الألمان، وعلاوة على ذلك استردت ألمانيا من فرنسا مقاطعتي الألزاس واللورين.

وقد ترك الألمان إلى حكومة بيتان، التي اشتهرت بحكومة فيشي، حكم الأجزاء التي بقيت بعيداً عن متناول احتلالهم حتى ساحل البحر المتوسط. وكانت تلك الحكومة تتمتع باستقلال اسمي فقط. وجدير بالذكر، أن ديغول الذي كان قد غادر فرنسا إلى بريطانيا أسس حكومة في المنفى أصبحت تعرف بحكومة فرنسا الحرة وكانت تتخذ من لندن مقراً لها. وقد تمكن ديغول من تكوين قوة من المتطوعين الفرنسيين للحرب بجانب الحلفاء وكان معظمهم من بحارة البوارج الفرنسية الراسية في الموانئ البريطانية وفي الإسكندرية وقد انقسمت فرنسا وإمبراطوريتها الاستعمارية بين مؤيد لحكومة فيشي، ومؤيد لحكومة فرنسا الحرة فيما ظلت المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا وفي سوريا ولبنان على ولائها للحكومة الأولى، وأعلنت مستعمرتا الكاميرون وأفريقيا الاستوائية الفرنسية عن تأييدها لحكومة فرنسا الحرة، وظل هذا الانقسام سائداً طيلة الحرب العالمية الثانية.

وفي ٢٤ حزيران ١٩٤٠ وقعت فرنسا اتفاق الهدنة مع إيطاليا، وقد نص هذا الاتفاق على إيقاف إطلاق النار في كافة المستعمرات الفرنسية، وإيجاد مناطق منزوعة السلاح على الحدود بين فرنسا وإيطاليا. وأخرى بين ليبيا من جهة، وتونس والجزائر من جهة أخرى. وتعهدت فرنسا بإخلاء قواعدها البحرية في كل من طولون بفرنسا وبنزرت وهوان في شمال إفريقيا، كما التزم الاتفاق في فرنسا بأن تسلم إلى إيطاليا كل اعتدتها على الجبهة الإيطالية. وحصلت إيطاليا بموجب

الاتفاق على حقوق كاملة في استخدام ميناء جيبوتي ومنشآته، وفي استغلال الجزء الفرنسي من سكة حديد جيبوتي - أديس أبابا. ولم يتضمن اتفاق الهدنة شيئاً من مطالب إيطاليا الإقليمية في الأراضي الفرنسية. إذ عارض (هتلر) مطالب ايطاليا في فرنسا، التي كانت تشمل على سافوي وينس وكورسيكا، علاوة على تونس في شمال إفريقيا.

محاولة الألمان غزو الجزر البريطانية:

كانت بريطانيا قد عمدت بعد إعلانها الحرب على ألمانيا في ٣ أيلول ١٩٣٩ على مهاجمة الأساطيل الألمانية الحربية والتجارية في عرض البحار، كما فرضت حصاراً شديداً حول ألمانيا. وحاولت الأخيرة فك هذا الحصار عن طريق استخدام سلاح الغواصات. وكانت بريطانيا خلال ذلك تحصل على مساعدات من دول الكومنولث باستثناء ايرلندا.

ولما أعلنت فرنسا عن انسحابها من الحرب بعد توقيعها على اتفاق الهدنة مع ألمانيا في حزيران ١٩٤٠. أصبح خطر الغزو الألماني يتهدد بريطانيا بصورة متزايدة لاسيما وأنها أصبحت وحيدة في الميدان. وتوقع الكثيرون ان تنهار بريطانيا خصوصاً وأنها كانت في ظروف لا تحسد عليها. إذ فقدت كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد، تركها البريطانيون في (دنكرك) بعد انسحابهم منها. وحتى التفوق التقليدي الذي كان تتمتع به بريطانيا في الميدان البحري لم يعد مؤثراً بما فيه الكفاية بدليل أن التدخل البريطاني في (دنكرك) بعد انسحابهم منها. وحتى التفوق التقليدي الذي كان تتمتع به بريطانيا الميدان البحري لم يعد مؤثراً بما فيه الكفاية بدليل أن التدخل البريطاني في النرويج انتهى بالفشل كما احتل ميزان القوة البحرية لصالح ألمانيا بخروج فرنسا والأراضي المنخفضة من

القتال، بعد سقوطها بيد الألمان. وقد حملت تلك الظروف السيئة التي أحاطت بريطانيا عدداً من النقاد العسكريين، ومن بينهم تشرشل نفسه إلى الاعتقاد بأنه كان في مقدور هتلر أن يحقق نصراً عسكرياً على بريطانيا لو أنه أسرع في غزوها بعد انهيار فرنسا، لكن الذي حدث هو أن (هتلر) انتقل في إكمال غزو فرنسا، وفي توطيد سيطرته عليها، مما أتاح فرصة جيدة أمام بريطانيا لكي تعيد تنظيم قواتها العائدة من (دنكرك) وتسليحها من جديد.

وجدير بالذكر أن (هتلر) عرض على بريطانيا مشروعاً للصلح بعد انتصاره على فرنسا فقد قام نائبه (رودولف هس) بزيادة خاطفة إلى مدريد في تموز عام ١٩٤٠، التقى خلالها بالسفير البريطاني في مدريد و(الدوق وندسور)، وعرض عليها مشروعاً للصلح. وقد بعث (وندسور) على الفور برسالة إلى أخيه ملك بريطانيا والى (ونستون تشرشل) داعياً إياهما إلى قبول الصلح.

تجاهلت بريطانيا عرض السلام الألماني ولذلك لم يكن بد من نشوب الحرب بين الدولتين. وكان هتلر قد أعد خطة لغزو بريطانيا عرفت بعملية (أسد البحر) وتتلخص في القيام بعملية إنزال على جبهة واسعة تمتد من مضيق دوفر في الشرق حتى النهاية الجنوبية للجزيرة البريطانية في الغرب. ثم احتلال (لندن). وجدير بالذكر أن تلك الخطة كانت موضع شك من قبل فريق من الباحثين فقد قيل إن (هتلر) نفسه أدرك صعوبة تنفيذ الخطة وهذا ما حمل البعض إلى الاعتقاد بان الخطة كانت نظرية اكثر منها عملية وان (هتلر) توخى منها أغراضاً دعائية واستدلوا على ذلك بأن (هتلر) لو كان قد عقد العزم على غزو بريطانيا بالفعل، لما سمح للقوات البريطانية وحلفائها الذين كانوا محاصرين في (دنكرك) بالجلاء إلى بريطانيا.

معركة بريطانيا:

بعد أن بدأ هتلر بيأس من احتمال التوصل إلى تسوية سلمية سريعة مع بريطانيا، قرر في أوائل تموز في ١٩٤٠ البدء في هجوم جوي بحري بواسطة الغواصات على طرق إمداد بريطانيا البحرية لغرض الحصار عليها وإجبارها على طلب الصلح، وقد بدأت الهجمات الجوية الألمانية على القوافل البحرية البريطانية في ١٠ تموز ١٩٤٠ فوق بحر المانش. بهدف شل حركة الملاحة فيه، واجتذاب المقاتلات البريطانية إلى القتال بعيداً عن أرض بريطانيا نفسها. بيد أن قيادة المقاتلات البريطانية تجنبت ابتلاع هذا الطعم لأن ظروف القتال فوق المانش كانت لا تناسبها كثيراً بسبب أن الرادار لم يكن يعطي إنذاراً مبكراً كافياً في هذه الحالة يتيح الوقت اللازم لتحقق اعتراض فعال من جانب المقاتلات البريطانية في الوقت والمكان المناسبين لها.

نتيجة لذلك أوقفت البحرية البريطانية القوافل الكبيرة في المانش منذ منتصف تموز ١٩٤٠، ثم أوقفت أيضاً القوافل الساحلية الصغيرة عند نهاية الشهر حتى يتم تجهيز السفن بغلالة ساترة من البالونات لحمايتها من القاذفات المنقضة (شتوكا) ولهذا أخذت قيادة السلاح الجوي الألماني تدفع مقاتلاتها فوق (دوفر) والمناطق الساحلية الأخرى القريبة من الشاطئ الفرنسي لتهاجم المدمرات البريطانية الراسية هناك. وتشتبك مع المقاتلات البريطانية، فقامت البحرية نتيجة لذلك بسحب مدمراتها من هذه القواعد الأمامية لتخفيض بعض العبء عن قيادة المقاتلات.

وقد أسفرت عمليات الهجوم الجوي الألماني في مرحلته الأولى الموجهة ضد حركة الملاحة البريطانية، والتي استغرقت من ١٠ تموز حتى ١٢ آب

١٩٤٠ عن إغراق (١٨) سفينة نقل صغـيرة و(٤) مدمـرات وإسـقاط (١٤٨) مقاتلة بريطانية، مقابل إسقاط (٢٩٦) طائرة ألمانية مختلفة الأنواع. وفي أوائـل آب أصدر هتلر أوامره الأخيرة بضرب الجزيرة البريطانية نفسـها مـن الجـو. لتصعيد الضغط عليها إلى درجة كبيرة تكفل إخضاع إرادتها السياسية.

وقال (غورنغ) لكبار ضباطه وهم يراجعون خطط العمليـات الهجوميـة (أن ألمانيا بممارستها السيطرة الجوية عن طريق سلاحها الجوي يمكنها مجابهـة المزايا الإستراتيجية لموقع الجزر البريطانية، وبمجرد القضـاء علـى السـلاح الجوي البريطاني سيكون الطريق مفتوحاً لغزو بريطانيا). ثم عـرض تفـاصيل الخطة التي تتلخص في شن هجوم مركز لمدة أربعة أيام على قواعد المقـاتلات في جنوب بريطانيا، على أن يدفع الهجوم بعد ذلك تدريجياً إلى الشمال حتى يتـم طرد السلاح الجوي البريطاني من قواعده كلها. وفي الوقت نفسه يجري قصـف مصانع الطائرات نهاراً أو ليلاً. وقدر لهذه العملية أن تتـم خـلال (٤) أسـابيع. وحشد لتنفيذها نحو (١٣٣٠) قاذفة قنابل ونحو (٣١٦) قاذفة منقضـة (شـتوكا) ونحو(٩٦٣) طائرة مقاتلة.

وكان يواجه هذه القوة المهاجمة نحو (٩٥٦) مقاتلة بريطانية من مختلـف الأنواع (من بينها ٥٢٧ طائرة هاريكين و ٣٢١ سـينغاير). ولـم يكـن هنـاك احتياطي من الطيارين بخلاف المتخرجين الجـدد كـل أسـبوع. ولكـن قيـادة المقاتلات كان لديها شبكة من محطات الرادار – الذي كان آنذاك اختراعاً إنكليزيـاً متقدماً حديث العهد – ومراكز مراقبة وغرف عمليات متطـورة ترتبـط بـهذه المحطات أتاحت للقيادة المذكورة التي كان يرأسها الماريشـال (جـو داودنـغ)، إمكانية ممتازة للإنذار المبكر وتوجيه قواتها بطريقـة منظمـة أثنـاء المعـارك الجوية. وقد تم تدعيم هذه الشبكة المتكاملة من وسائل الدفاع الجوي خلال شـهر

حزيران وتموز اللذين لم تتعرض فيهما الأرض البريطانية للقصف الجوي، كما تم خلال الفترة نفسها تحسين كفاءة طائرات (الهاريكين) و(لسبيتفاير) بتزويدها بمراوح ذات سرعة ثابتة، وزيادة قوة تحملها، وذلك للتغلب على نواحي النقص الفنية التي ظهرت فيها خلال معركة فرنسا في أيار. وبهذه الوسائل مجتمعة حصلت قيادة المقاتلات على ميزة أفضلية الكيف الذي تمتعت به في مواجهة الكم الألماني. وقد بدأ الهجوم الألماني يوم ١٢ آب ١٩٤٠ خمس محطات رادار في جنوب شرق إنكلترا، وبالاتجاه على ثلاثة مطارات أمامية.

وتمكن الإنكليز من إصلاح محطات الرادار المصابة قبل فجر اليوم التالي، ولذلك أمكن توجيه المقاتلات بطريقة مجتمعة منتظمة ضد تشكيلات الطائرات الألمانية المهاجمة قرب الساحل، رغم تباعدها لتشتيت قوات الدفاع الجوي، ولهذا أمكن إسقاط (٤٧) طائرة ألمانية خلال هذا اليوم، مقابل (١٣) طائرة بريطانية خلال سلسلة الهجمات التي جرت على (١١) مطاراً، واستخدمت فيها (١٤٨٥) قاذفة ومقاتلة ألمانية.

وفي ١٥ آب ١٩٤٠ قام السلاح الجوي الألماني بهجوم واسع النطاق، بعد أن عزز قواه ببعض المقاتلات الجديدة، ضد (٥) مطارات و(٤) مصانع طائرات، واشتركت فيه (٨٠١) قاذفة و(١١٤٩) مقاتلة. وخسر الألمان (٧٦) طائرة خلال اليوم كله مقابل (٣٤) طائرة بريطانية. وإثر ذلك أوقف (غورنغ) مهاجمة محطات الرادار، لأن عمليات إصلاحها بسرعة جعلته يعتقد بعدم جدوى قصفها. واستمرت الهجمات ضد المطارات حتى ٦ أيلول ١٩٤٠، وأسفرت عن تدمير خمسة منها تماماً في جنوب شرق إنكلترا وإصابة (٦) من المحطات الكلاسيكية والتحويلية السبع الموجودة هناك، والتي يعتمد عليها نظام التوجيه الأراضي. وقد تكبدت قيادة المقاتلات خسائر شديدة في الفترة من ٢٣ آب حتى

٦ أيلول ١٩٤٠ بلغت (٤٦٦) مقاتلة و(١٠٣) مــن الطيــارين قتلــوا و(١٢٨) آخرين أصيبوا بجروح خطيرة. على حين فقدت القوة الألمانيــة الجويــة (٣٨٥) طائرة.

وبناء على أوامر من (هتلر)، أمر (غورنغ) بتوجيه الهجوم إلى (لنــدن) يوم ٧ أيلول ١٩٤٠ لتدميرها، على أمل أن يؤدي ذلك إلــى تحطيــم معنويــات الشعب البريطاني وقد أدى تحويل الهجوم الجوي الألماني على لندن في سلســلة من الغارات النهارية الضخمة، إلى إعطاء الفرصة لقيادة المقاتلات كــي تصلــح مطاراتها ومنشآتها الأخرى، وتعود إلي الاشتباك مع الطائرات الألمانية بطريقــة أكثر قوة، وتكبيدها خسائر فادحة بلغت جملتها في يوم ١٥ أيلــول (٥٦) طــائرة مقابل (٢٦) مقاتلة بريطانية. مما أدى إلى عدول (غورنغ) عن أسلوب الغــارات النهارية لخطورة المقاتلات البريطانية على القاذفات الألمانيــة التــي اشــتركت (١٢٣) قاذفة منها في غارة هذا اليوم تحت حماية (٦٧٩) مقاتلــة، ومــع ذلــك أسقطت منها (٣٤) قاذفة ويرجع ذلك في الواقع إلى خطأ تكتيك حماية المقــاتلات الألمانية للقاذفات الذي كان يقضي بملازمة المقاتلات لتشكيلات القاذفــات مــن مسافات قريبة. وتجنب تكتيكات الدوريات الحرة، الأمر الــذي أتــاح للمقــاتلات البريطانية فرصة التجمع والهجوم بتفوق ومبادأة. واستمرت الغارات الليلية بشــدة حتى نهاية تشرين الأول ١٩٤٠، ثم بدأت تخف تدريجياً، ولكنها لــم تكــن ذات فاعلية كبيرة من الناحية العسكرية، نظراً لأن السلاح الجوي الألماني لــم يكــن معداً من الناحية الفنية لهذه الغارات بصورة جيدة. كما أنه لم يكن العدد الكــافي من القاذفات بعيدة المدى أو الأطقم المدربة الكافية. وقد بلغــت جملــة خســائر الطيران الألماني خلال الفترة من ١٠ تموز ١٩٤٠ وحتى ٣١ تشرين الأول مــن العام نفسه (١٧٣٣) طائرة مقابل (٩١٥) مقاتلة بريطانية.

وهكذا انتهت معركة بريطانيا الجوية بفشل الهجوم الألماني في تحقيق أهدافه الإستراتيجية والسياسية، علاوة على تكبده خسائر فادحة في الطائرات والطيارين. ولم تؤد (٢١٩٥٠) طلقة طيران للقاذفات الألمانية قامت بها خلال شهور آب وأيلول وتشرين الأول وألقت خلالها (١٩٠٤٢) طناً من القنابل شديدة الانفجار و(٧٥١) طناً من القنابل الحارقة، إلى القضاء على السلاح الجوي البريطاني أو على صناعة الطائرات الحربية في بريطانيا، التي استطاعت أن تنتج خلال عام ١٩٤٠ ما مقداره (٤٢٨٣) مقاتلة و(٣٧١٠) قاذفات، مقابل (٢٤٢٤) مقاتلة و(٣٩٠٤) قاذفات انتهجتها ألمانيا في العام نفسه.

ويرجع الانتصار البريطاني إلى جودة المقاتلات (السبيتفاير) و(الهاريكين) وكفاءة الطيارين وكفاءة (داودنغ) منظم الدفاع الجوي الأساسي، وفاعلية شبكة الرادار. وترجع أسباب الفشل الألماني إلى ضعف مدى المقاتلات الألمانية الذي لم يكن يتعدى دائرة منطقة (لندن) الأمر الذي حد من عمق الغارات النهارية للقاذفات، وبالتالي لم تستطع أن تؤثر على الصناعة الجوية البريطانية التي كانت مركزة داخل البلاد. كما يرجع أيضاً إلى أن السلاح الجوي الألماني لم يكن معداً أصلاً للقصف الإستراتيجي وإنما للمعاونة الأرضية والتكتيكية، وفقاً لنظريات الحرب الخاطفة، ولذلك لم تكن لديه قاذفات بعيدة المدى وكانت حمولة معظم قاذفات محددة نسبياً فضلاً عن أخطاء (هتلر) في عدم بدء الهجوم في وقت مبكر.

جبهة شمال أفريقيا:

بدأ الإيطاليون بنقل مسرح العمليات العسكرية إلى إفريقيا، حينما شنوا هجمات على عدد من المناطق التي كانت خاضعة تحت سيطرة الاستعمار

الفرنسي والبريطاني. وقد شجعهم على القيام بتلك الهجمات هو استسلام فرنسا وانشغال بريطانيا بمعالجة الهجوم الذي كانت تتعرض له من قبل ألمانيا.

معركة سيدي براني:

أعلن (موسوليني) الحرب على فرنسا وبريطانيا في ١٠ حزيران ١٩٤٠ رغم علمه بأن القوات المسلحة الإيطالية غير مؤهلة مطلقاً لظروف الحرب. ولم يكن لدى المارشال (إيتالو بالبو) القائد العام الإيطالي في ليبيا عند إعلان الحرب، أي خطط عمليات لغزو (مصر). وفي نهاية حزيران حل المارشال (رودولفوغرازياني) محل (بالبو) الذي قتل في حادث طائرة فوق (طبرق).

ولما أصبح من الواضح ان الطيران البريطاني قد كسب معركة بريطانيا الجوية، وأنه ليس في الأفق السياسي والعسكري ما ينبئ بانهيار بريطانيا. وأن عملية غزو بريطانيا التي تظاهر (هتلر) بالاستعداد للقيام بها في صيف ١٩٤٠ لن تتم في وقت قريب . أصدر (موسوليني) أمراً قاطعاً إلى (غرازياني) في ٢٩ آب ١٩٤٠ بوجوب الإسراع في تنفيذ الهجوم على المواقع البريطانية في مصر، ولا سيما بعد أن ترددت الشائعات حول احتمال إجراء مفاوضات ألمانية – بريطانية بوساطة سويدية. لذا بدأ (غرازياني) الاستعداد ضمن حدود الإمكانات المتاحة لتنفيذ تعليمات (موسوليني).

وفي ٧ أيلول ١٩٤٠ أصدر (موسوليني) أمراً أخيراً إلى (غرازياني) بالتقدم داخل (مصر) خلال يومين، فاضطر (غرازياني) إلى إجراء الترتيبات اللازمة لتنفيذ الأمر وهو غير مقتنع به نظراً إلى افتقاره الشديد لآليات النقل الكافية وللقوى المدرعة القادرة على القيام بقتال الصحراء، ولضخامة المشكلات

الإدارية التي ستواجهها قواته غير المحمولة والمؤلفة من وحدات مشاة بصفة رئيسة.

كانت القوات الإيطالية في ليبيا، عشية إعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا. تضم نحو (٢١٥) ألف جندي معظمهم من جنود المشاة وبعض وحدات المدفعية والدبابات فضلاً عن الوحدات الإدارية وسرايا الصحراء المتحركة ووحدات حرس الحدود. وكانت التشكيلات القتالية الأساسية تتألف من (٩) فرق إيطالية نظامية وفرقتين ليبيتين (١و٢) و(٣) فرق من متطوعي الشباب الفاشي المسماة (القمصان السوداء) (١ و٢ و٤). وكانت الفرقة النظامية تضم (١٣) ألف جندي. والفرقة الليبية وفرقة القمصان السوداء تضم (٨) آلاف جندي وكانت هذه القوات خاضعة لقيادة عامة تسمى (القيادة العامة لشمالي إفريقيا) وموزعة على جيشين هما - الجيش العاشر المواجه لمصر في برقة ويضم (٧) فرق. والجيش الخامس المواجه لتونس في طرابلس. وكانت الأسلحة بصفة عامة من أنواع قديمة. كما كانت العربات محدودة العدد وضعيفة القدرة على السير في الصحراء. فضلاً عن أن المعنويات كانت متدنية بسبب ظروف المعيشة السيئة والتمايز الكبير بين أحوال الضباط والجنود (ولا سيما بالنسبة إلى الوحدات الليبية). وضعت الثقة في النظام السياسي الفاشي، وذلك باستثناء فرق (القمصان السوداء) المعبأة بدعايات الحزب الفاشي والمعدة معنوياً من أجل الحرب.

وكان الطيران الإيطالي يضم (٣١٢) طائرة في ليبيا وجزر (الدوديكاينز) في بحر (أيجة) منها (١٤٠) قاذفة قنابل (سافوي ماركيتي) و(كلبروني) و(١٠١) طائرة مقاتلة (فيات) و(ماكي) و(٧٢) طائرة من أنواع أخرى. وكانت القاذفات الإيطالية، بصفة عامة تتفوق على معظم القاذفات البريطانية الموجودة في الشرق الأوسط آنذاك بالنسبة إلى حمولة القنابل وبعد المدى.

كما أن المقاتلة الرئيسية الإيطالية كانت تتفوق إلى حد ما على المقاتلات الرئيسة البريطانية من طراز (غلادياتور) من حيث السرعة والمدى بيد أن مستوى الصيانة وقطع الغيار واحتياطي الوقود والخدمات الأرضية وإدارة العمليات الجوية، كانت أقل قدرة وكفاءة عما كان متاحاً للطيران البريطاني. أما بالنسبة إلى البحرية، فقد كان لإيطاليا تفوق بحري ملحوظ في البحر المتوسط. بسبب امتلاكها لعدد أكبر من القطع الحربية في هذا المسرح.

وكانت القوات البريطانية تخضع في قيادتها العامة إلى الجنرال (ارشيبالد ويفل) ومقره في (القاهرة)، حيث كان يشرف على وضع الخطط العامة لمسرح عمليات شمالي إفريقيا والشرق الأوسط. ويساعده في ذلك الجنرال (مايتلاند ويلسون) القائد السابق (لقوة الصحراء الغربية) وكانت القيادة العملياتية المباشرة للبريطانيين في يد اللواء (ريتشارد أوكونور) الذي أقام مقر قيادته في مدينة (مرسى مطروح) منذ أن تسلم مهامه من (ويلسون) في ٦ حزيران ١٩٤٠.

وكانت القوات البريطانية المنتشرة في الجزء الغربي من مصر، والتي تحمل اسم (قوة الصحراء الغربية) تتألف من - الفرقة المدرعة السابعة بقيادة اللواء (اومور كريغ) وتضم لواءين مدرعين (٤و٧) ويحتوي كل لواء على فوجين مدرعين، بالإضافة إلى مجموعة الدعم السابقة (جحفل لواء) التي تضم كتيبتي مشاة محمولتين وفوج ميداني والفرقة الهندية الرابعة (مشاة) بقيادة اللواء (نويل بير سفورد بيرس) وتضم لوائي مشاة (١١,٥)بدلاً من ثلاثة ألوية حسبما كان متبعاً آنذاك بالإضافة إلى لواء بريطاني احتياطي (لواء المشاة ١٦).

وكان الجنود العاملون في هذه الوحدات من جنسيات مختلفة- بريطانية وهندية ونيوزيلاندية وكاميرونية ومصرية وكان العدد الإجمالي للقوات زهاء

(٣٦)ألف جندي موزعين على تشكيلات قتالية غير كاملة العدد أو العتـاد وتعـاني من نقص واضح في المدفعية بمختلف أنواعها والذخائر وعربات النقل.

أما الطيران البريطاني، فكان لديه في مصر وفلسطين (٩٦) قاذفـة قنـابل من طراز (بلنهايم) و(بومباي) و(٧٥) طائرة مقاتلة من طراز (غلادياتور) (بمـا في ذلك سرب الطيران المصري المكلف بالدفاع عن القـاهرة) و(٣٤) طـائرة للتعاون مع الجيش من طراز (لايساندر) و(١٠) طـائرات مائيـة مـن طـراز (سندرلاند) أي ما مجموعة (٢٠٥) طائرات. ولكن الطيران البريطاني كان يتمتع بميزة ارتفاع مستوى تدريب طياريه ورجال الخدمات الأرضية.

وقد تمركزت الفرقة المدرعة السابعة (باستثناء اللواء المـدرع السـابع) بالقرب من (مرسى مطروح) أي أن مجمل القوات المنتشرة كـان عبـارة عـن اللواء المدرع الرابع وقوة (سلبي) وبعض الوحدات المصرية. في حيـن كـانت سرية الخيالة الخفيفة (هوسار ١١) المجهزة بسيارات مدرعة موزعة بين (سـيدي براني) و(السلوم) كما كانت دوريات سلاح الحدود المصرية المتحركـة تراقـب الحدود من الساحل حتى مواجهة حصن (مادلينا) الإيطالي جنوباً، وواحة (سـيوه) إلى الجنوب الغربي من (مرسى مطروح).

وكانت الخطة العامة للجنرال (ويفل) الموضوعة علـى أسـاس نقـص القوات الموجودة في مصر. هي آخذ موقف الدفاع الاستراتيجي النشط بواسـطة القوات الخفيفة المنتشرة بين (سيدي براني) والحدود. ثم التراجع المنظـم نحـو (مرسى مطروح)في حالة وقوع هجوم إيطالي قوي، والتمسك بموقـع (مرسـى مطروح) ريثما يتم وصول التعزيزات اللازمة لشن هجوم معـاكس والانسـحاب عند الضرورة القصوى نحو منطقة (الضبعة) بين (العلمين) و(مرسى مطروح).

كانت قوات الجيش العاشر الإيطالي التي عــهد إليــها ببــدء العمليــات الهجومية تتألف من - الفرقتين الليبيتين (١و٢) وفرقة القمصـــان الســوداء (٤). وفرق المشاة (٦٢ و٦٣ و٦٤) النظامية، ومجموعة الجنرال (ماليتي) المدرعـــة التي ضمت (٤) كتائب دبابات خفيفة وكتيبة دبابات متوسطة وكتيبتين مختلفتيـــن وقرر(غرازياني) مهاجمة مصر علـــى محوريــن- (الســلوم) و(عمرحلفايــا). مستخدماً في ذلك الفرقتين الليبيتين والفرقة (٦٣٢) ومجموعة (ماليتي) المدرعــة و فرقة القمصان السوداء الرابعة واحتفظ بالفرقتين (٦٢ و٦٣) كاحتياطي قـــرب طبرق.

بدأ الهجوم الإيطالي في ١٣ أيلول ١٩٤٠ بعــد رمـــي تمــهيدي شــديد بالمدفعية على (مسعود) و(السلوم) وقدمت المقاتلات الحماية الجوية للمــــهاجمين بواسطة تشكيلات كانت تصل أحياناً إلى (١٠٠) طائرة، في حين قصفت القاذفات الإيطالية المطارات البريطانية الأمامية وتجمعات القوات عند (ســـيدي برانـــي) و(مرسى مطروح). وكانت مجموعة الدعم السابعة، التابعـــة للفرقـــة المدرعــة البريطانية السابعة، منتشرة بين (سيدي براني) والحدود كستارة أماميـــة للقـــوات الرئيسية في (مرسى مطروح). ولقد اشتبكت هذه المجموعة في قتال تأخيري مـــع القوات الإيطالية دون أن تتورط في معارك ثابتة حتى اليوم على (ســيدي برانـــي) وتوقف الزحف الإيطالي عند قرية (المقتلة) الواقعة شرقي (سيدي براني) وعلـــى بعد (١٣٠) كلم تقريباً داخل الأراضي المصرية.

واضطر (غرازياني) إلى إطالة فترة إيقاف العمليات الهجوميـــــة ريثمـــا يتمكن من حل المشكلات الإدارية التي تواجه قواته بواسطة إصـــــلاح الطريـــق الساحلي الذي دمر إبان الهجوم، ومد خط أنابيب ميـــاه حتـــى (ســيدي برانـــي) واستكمال النقص الذي تعانيه الوحدات في عربات النقل والمعدات والأسلحة قبـــل

مواصلة التقدم نحو (مرسى مطروح). إلا أن الطيران البريطاني عرقل جهود (غرازياني) إذ قامت طائرات البحرية التابعة لحاملة الطائرات (ايلوستريوس) بنشر الألغام في ميناء (بنغازي) يوم ١٧ أيلول ١٩٤٠، مما أدى إلى غرق مدمرة إيطالية، وقذفت بالطوربيد مدمرة أخرى وسفينتي نقل فأغرقتها في اليوم نفسه. كما أغارت قاذفات (بلنهايم) خلال الليل على مطار (بنينة) القريب من (بنغازي) ودمرت (٣) قاذفات إيطالية رابضة على الأرض وفي الليلة نفسها قصفت المدمرات البريطانية من البحر الطريق الساحلي عند (السلوم) و(سيدي براني) وكررت هذا القصف عدة مرات في خلال الأسابيع التالية.

وفي الوقت نفسه نشطت دوريات صغيرة من السيارات المصفحة البريطانية ودوريات (قوة الصحراء بعيدة المدى) في إحداث الاضطراب بالمناطق الخلفية لإزعاج القيادة الإيطالية وتشتيت جهودها وإضعاف المعنويات وتضافرت كل هذه الجهود مع ضعف معنويات القيادة والقوات الإيطالية، وانشغال القيادة العامة في إيطاليا بمواجهة متطلبات الإعداد لغزو اليونان، والتصدي لحل مصاعب إمداد القوات في ليبيا بسبب تعرض السفن لهجمات الأسطول والطيران البريطانيين. وأدت هذه العوامل إلى تجميد موقف الجيش العاشر الإيطالي تماماً. وتوزيع قواته داخل مجموعة من المعسكرات الدفاعية المتناثرة في الصحراء ابتداء من (المقتلة) على الساحل حتى (صوفافي) الواقعة في عمق الصحراء على مسافة (٨٠) كلم تقريباً من (المقتلة).

وكان كل معسكر من المعسكرات الإيطالية يتألف من مجموعة مواقع دفاعية تقع كلها ضمن مستطيل طوله (١٥٠٠-٢٥٠٠ متر) وعرضه (١٠٠٠-١٥٠٠) ويحيط به في معظم الحالات خندق مضاد للدبابات خلفه حائط ترابي تناثر فيه الألغام إلا أن الجانب الغربي من المعسكر كان خالياً تقريباً من الألغام

ويشكل مدخلاً للعربات والقوات. وتتركز داخل المعسكر بطاريات مدفعية ميدان وأخرى مضادة للدبابات وأحياناً بعض الدبابات.

وكان تباعد المعسكرات بعضها عن البعض الآخر يجعلها غير قادرة على تبادل الدعم بالنيران. فضلاً عن أن قلة الدبابات والوحدات المحمولة فيها كانت تحول دون إمكانية تنفيذ الدعم المتبادل عبر المناورة بالقوات. وفي الوقت نفسه كانت القوات الموجودة في العمق العملياتي. سواء في (سيدس براني) أو شرقي (بقبق) غير مدرعة أو محمولة. ومن ثم انعدمت قدرتها على التدخل الفعال لمساندة المعسكرات المنعزلة في الخط الأمامي أو شن هجمات معاكسة مناسبة.

لقد كان (موسوليني) يدرك تخلف معظم الأسلحة والمعدات الإيطالية البرية وبخاصة المدرعات والمدفعية والآليات القادرة على السير في الرمال، لذلك حاول منذ بدء الحرب أن يحصل على أسلحة ومعدات ألمانية، إلا أن الألمان رفضوا الاستجابة لهذه المطالب. موضحين أن السلاح الألماني يجب أن يستخدمه الألمان حتى يعطي فاعليته.

ولقد عرض (هتلر) على (موسوليني) إبان اجتماعهما في مقر (برنر) يوم ٤ تشرين الأول ١٩٤٠ فكرة إرسال فيلق مدرع ألماني إلى ليبيا مع بعض الوحدات الخاصة الأخرى. ولكن (موسوليني) لم يتحمس للفكرة. وأوضح أن المرحلة التالية من العمليات والتي من المفترض أن يتم فيها الاستيلاء على (مرسى مطروح) لن تتطلب مساعدة ألمانية. وأن الحاجة إلى الدبابات الثقيلة والعربات المدرعة والقاذفات المنقضة ستبدأ عند إنجاز المرحلة التي تلي ذلك وهي التقدم حتى الإسكندرية والاستيلاء عليها.

واتفق الزعيمان على إرسال الجنرال (فـون تومـا) خبـير المدرعـات الألماني إلى (برقة) لدراسة المشكلة على الطبيعة. وقد ذكر (فـون تومـا) فـي تقريره بعد ذلك أن مشكلات الإمداد والتموين التي تعتمد علـى النقـل البحـري أساساً، تجعل من الأفضل تأجيل فكرة إرسال أي قوات ألمانية إلـى الصحـراء الغربية. ريثما يتم الاستيلاء على (مرسى مطروح) لاستخدامها كمرفـأ قريـب لإمداد القوات بحاجاتها الإدارية. وعلى هذا الأساس تأجلت فكرة إرسال الفيلـق المدرع الألماني. ولهذا تكاملت الظروف الإستراتيجية الملائمة للهجوم البريطـاني المعاكس. الذي كان (ويفل) و(أوكونور) يعدان له منذ ١١ أيلول ١٩٤٠.

وقد شجع الجنرال (ويفل) على المضي قدماً فـي التخطيـط لهجومـه. القرار الذي كانت وزارة الحربية البريطانية قد اتخذته في ١٠ آب ١٩٤٠ (قبـل بدء الهجوم الإيطالي) حول إرسال تعزيزات بشرية ومادية إلى قـوات الشـرق الأوسط من بريطانيا ومختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانيـة. بعـد أن بـدأت تطمئن نسبياً لعملية إعادة تسليح القوات الموجودة في الجزر البريطانية. وتأكدت من عدم جدية (هتلر) في تنفيذ عملية غزو بريطانيا في صيف ١٩٤٠. اثر ذلـك بدأت قوافل الإمداد البحري تتحرك أساساً عن طريق رأس الرجاء الصـالح ثـم البحر الأحمر حتى قناة السويس. كما كانت معظم الطائرات المرسلة من بريطانيا أو الولايات المتحدة تصل إلى (غانا) ومنها إلى مصر عبر أجواء نيجيريا وتشـاد والسودان.

ونتيجة لهذا القرار، وصلت إلى مصر ابتداء من الأسبوع الأخير مـن آب حتى نهاية كانون الأول ١٩٤٠ إمدادات كبيرة نسبياً من الرجال والعتـاد بلغـت نحو (١٢٦) ألف رجل (من بينهم نحو ٦٠ ألف رجل مـن الوحـدات الإداريـة ورجال خدمات الطيران) ولقد جاءت هـذه الإمـدادات مـن بريطانيـا والـهند

واستراليا ونيوزيلندا وفي منتصف تشرين الأول وصل فوج المدرعـات الملكـي السابع، وكان يضم حوالي (٤٨) دبابة من طراز (ماتيلدا) وأسرع (ويفل) بضمـه إلى قوة الصحراء الغربية لأهميته الميدانية، بالإضافة إلـى بعض التعزيـزات الأخرى على مستوى وحدات الهندسة والإشارة والمدفعية المختلفة، كما أضـاف إلى القوة وحدة تضم مختلف الصنوف حملت اسم مجموعـة لـواء (سـلبي) (٣ أرتال مشاة ومجموعة عربات مدرعة ومدافع ميدانية ويبلـغ عـدد المجموعـة حوالي ١٧٥٠ رجلاً).

ووصلت إلى السلاح الجوي البريطاني في خـلال الفـترة نفسـها (٤١) قاذفة قنابل ثقيلة طراز (ويلنغتون) و(٨٥) قاذفة متوسطة طراز (بلنـهايم) و(٨٧) مقاتلة طراز (هاريكان) وتحسن موقف الذخائر وقطع الغيار كثيراً بالنسـبة إلـى القوات البرية والجوية والبحرية.

وقد حصل اللواء (اوكونور) عشية المعركة على صور جوية ومعلومـات من الاستخبارات حول أماكن توضح قوات (غرازياني) النهائية. وتبين له أنه تـم تعزيز الجيش الإيطالي العاشر بفرقتين إضـافيتين وأصبـح عـدد الفـرق (٩). ووضع اوكونور خطة العملية التي أطلق عليها اسم (كومباس).

وفي ٦ كانون الأول ١٩٤٠ بدأ تنفيذ العملية بتحريـك الفرقـة الهنديـة الرابعة من منطقة تمركزها في (معاطن باغوش) إلى (بير الكنائس) والواقع علـى بعد (٦٤) كلم إلى الجنوب الغربي من (مرسى مطروح) على الطريـق المـؤدي إلى (سيرة) وذلك على أساس أن التحرك هو تدريب عملي آخر. إلا أنها أخـبرت في اليوم التالي أن التحرك يستهدف تنفيذ الهجوم الحقيقي الذي سيجري صبـاح يوم ٩ كانون الأول ١٩٤٠.

وفي ٧ كانون الأول هاجمت (١١) قاذفة (ويليتغتون) أقلعت من (مالطة) مطار (طرابلس) ودمرت (٢٩) قاذفة وطائرة إيطالية كانت رابضة فيه وطوال يوم ٨ كانون الأول حلقت (٣) أسراب من المقاتلات الإيطالية فوق مراكز تجمع القوات البريطانية المتقدمة، دون أن تتمكن من رصد التحرك البري بسبب كثافة الغيوم المنخفضة في ذلك اليوم. وفي الليل هاجمت (٢٩) قاذفة (ويليتغتون) و(بلنهايم) ومطار (بنينة) قرب (بنغازي) ودمرت (١٠) طائرات إيطالية على الأرض. كما هاجمت قاذفات أخرى المسكرات الإيطالية الأمامية والمطارات المتقدمة.

وتقدمت قوة (سلبي) نحو (المقتلة) في ليلة ٨-٩ كانون الأول في حين قصفت السفن الحربية البريطانية لمدة (٩٠) دقيقة عند منتصف الليل. فقد غطى تقدم قوة (سلبي) نشر لواء من الدبابات الهيكلية بالقرب من (مرسى مطروح)، وفي صباح اليوم التالي (٩ كانون الأول) بدأت قوة (سلبي) هجومها على (المقتلة). وفي هذه الأثناء كان اللواء الهندي الحادي عشر (التابع للفرقة الهندية الرابعة) قد اقترب ليلاً من معسكر (نيبيوه) مدعوماً بفوج الدبابات الملكي السابع وبتغطية من مدفعيه الفرقة الهندية الرابعة (٧٢) مدفعاً فأطلق الحامية الإيطالية بعض الطلقات والقذائف المضيئة. ثم جرى هجوم خداعي في الفجر من جهة الشرق بواسطة كتيبة فصلت مؤقتاً عن اللواء واستمرت في إطلاق النار على المعسكر لمدة ساعة. ونجحت في جذب أنظار الإيطاليين إليها. ثم أوقفت إطلاق النار عمداً لخداع الإيطاليين. وفي الساعة ٧,٠٠ بدأت مدفعية الفرقة قصفاً تمهيدياً على المعسكر. تبعه على الفور تقدم دبابات (ماتيلدا) نحو الطرف الشمالي الغربي للمعسكر. في حين تقدمت المشاة المحملة في شاحنات وحاملات

(البرت) على جناح الدبابات، واستطاعت هذه القوة التغلب بسرعة على قوة مدرعة إيطالية ضمت نحو (٢٠) دبابة متوسطة كانت خارج المعسكر.

ثم اقتحمت الدبابات المشاة (بعد أن ترجلت من شاحناتها) حيث اشتبكت مع حاميته. إلا أن القوة المهاجمة واصلت هجومها دون توقف تدعمها نيران بعض مدافع الميدان التي صاحبتها إلى مقربة من المعسكر وأخذت تسدد نيراناً محكمة من مسافات قريبة على جيوب المقاومة. وفي الساعة ١٠,٤٠ أنهت القوة الاستيلاء على المعسكر، بعد أن قامت كتيبتا مشاة (واحدة هندية وثانية كاميرونية) بتطهير المقاومات. وقد أسفرت المعركة عن مقتل الجنرال (ماليني) وأسر (٢٠٠٠) جندي ووقوع كميات كبيرة من المؤن والمياه في أيدي المهاجمين الذين خسروا (٨) ضباط و(٤٨) جندياً.

وعندما كانت (تيبيوه) دائرة كان اللواء الهندي الخامس يتقدم غرباً نحو معسكر (طومارغرب) ثم لحقت به دبابات الفوج الملكي السابع، مع مدفعية الفرقة الهندية الرابعة في الساعة ١١.٠٠ بعد أن تعطلت (٦) دبابات من الفوج المدرع السابع نتيجة لاصطدامها بألغام أثناء خروجها من (نيبيوه) وبدأ الهجوم على المعسكر بقصف مدفعي تلاه اقتحام بالدبابات من الغرب عززته المشاة التي ترجلت من عرباتها على مسافة (١٢٠) متراً من المعسكر، وقد واجه المهاجمون مقاومة أكثر عنفاً نظراً لزوال عامل المفاجأة. إلا أن المعسكر سقط في الساعة ١٦,٠٠٠ من اليوم نفسه. باستثناء جزء صغير منه في أقصى الطرف الشمالي الشرقي.

ثم تقدمت (٦) دبابات ومعها كتيبة مشاة هندية نحو معسكر (طومار شرق) حيث تعرضت لنيران الركن الذي لم يكن قد سقط بعد من (طومار غرب) ولهجوم معاكس قامت به بعض الدبابات الخفيفة والمشاة الإيطالية التي خرجت

من (طومار شرق) وصد الهنود الهجوم المعاكس. ولكن هبوط الظلام حال دون استكمال التقدم داخل المعسكر. رغم أن الدبابات كانت قد بدأت اقتحامه فعلاً.

وطوال هذا الوقت كان اللواء المدرع الرابع التابع للفرقة السابعة يحمي الجناح الغربي للغرفة الهندية الرابعة. وقد هاجم في أثناء ذلك معسكر (العزيزية) الواقع شمال (طومار غرب) لاعتقاده بوجود تمركز مدرعات إيطالي بالقرب منه، ولكن تبين ان فيه نحو (٤٠٠) جندي بدون دبابات. فتم الاستيلاء على المعسكر وأسر جنوده. كما استولى اللواء المدرع الرابع على (١٠٠) شاحنة كانت تسير على الطريق الساحلي. ثم تقدمت مصفحات سرية (الهوسار ١١) وبعض دوريات الدبابات الخفيفة غرباً. وقطعت طريق (بقبق سيدي براني) مع حلول الظلام.

وفي هذه الأثناء كانت مجموعة المعاونة السابقة التابعة للفرقة المدرعة السابقة تراقب (رابية) و(صوفافي) عن بعد، وتحمي الجناح الجنوبي للفرقة الهندية الرابعة في حين كان اللواء المدرع السابع يقف كاحتياطي عند الثغرة، مؤمنا بذلك قاعدة خلفية قوية وجاهزة لتغطية أي انسحاب أو مواجهة أي طارئ.

وكانت قوة (سلبي) طوال النهار تشاغل حامية (المقتلة) لمنعها من الانسحاب. إلا أن عاصفة رملية قوية هبت وسهلت انسحاب الفرقة الليبية الأولى غرباً، ثم قامت بإعداد تحصينات دفاعية على بعد(١٠) كلم غربي (المقتلة) في محاولة للدفاع عن (سيدي براني).

وفي صباح يوم ١٠ كانون الأول ١٩٤٠ استكمل اللواء الهندي الخامس تطهير (طومار شرق) في حين قام لواء المشاة البريطاني ١٦ بالتقدم شمالاً نحو (سيدي براني) في الساعة ٦,٠٠ لقطع الطريق غرب المدينة من دون

انتظار وصول المدفعية والدبابات التي ستدعم هجومه. ولذلك ألحقت به المدفعية الإيطالية بعض الخسائر. ثم وصلت إليه المدفعية والدبابات في الساعة ٨,٣٥ وانضمت إليه الكتيبة الكاميرونية التابعة للواء الهندي ١١ وتم له التغلب على المقاومة الإيطالية. وسقط معسكر (سيدي براني) وتحصيناته نهائياً في الساعة ١٦,٠٠ بمؤازرة قوة (سلبي) الزاحفة من (المقتلة). وبذلك تم القضاء على بقايا الفرقتين الليبيتين (١و٢) وفرقة القمصان السوداء (٤) ووقع معظم جنود هذه الفرق في الأسر. وبلغت خسائر اللواء ١٦ في ذلك اليوم (١٦) ضابطاً و(٣٦٠) جندياً.

وفي هذه الأثناء تحرك اللواء المدرع السابع نحو منطقة (بقبق) وأسر عدداً كبيراً من الجنود الإيطاليين، في حين أمر اللواء المدرع الرابع في نهاية يوم ١٠ كانون الأول بقطع طريق انسحاب حامية (صوفافي) من جهة الغرب. بيد أن هبوط الظلام حال دون تنفيذ ذلك الأمر بنجاح، ولذلك استطاعت الفرقة الإيطالية (٣) الانسحاب في خلال الليل. ووجدت مجموعة المعاونة السابعة المعسكرات خالية في صباح ١١ كانون الأول الذي انتهت فيه آخر مقاومة إيطالية في معركة (سيدي براني) ووصلت فيه مجموعة المعاونة السابعة إلى مسافة (١٦) كلم تقريباً من (ممرحلفايا).

وفي يوم ١٢ كانون الأول لم يبق في الأرض المصرية أي قوات إيطالية سوى حامية (السلوم) التي قصفتها البحرية البريطانية في ١١ كانون الأول، وفي ١٦ كانون الأول ١٩٤٠ انسحب الإيطاليون من السلوم و(كابوتزو) طريق (طبرق - البردية).

بلغت جملة الخسائر الإيطالية في الفترة ٩-١١ كانون الأول ١٩٤٠ نحو (٣٥)ألف أسير، وغنم البريطانيون (٣٣٧) مدفعاً و(٧٣) دبابة سليمة. وكان

مجمل خسائر البريطانيين (٦٢٤) بين قتيل وجريح ومفقـود . وهكـذا انتـهت معركة (سيدي براني) التي كان (غرازياني) قد خسرها استراتيجياً في الواقع قبل أن تبدأ، والتي سار تنفيذها بصورة قريبة للغاية من التخطيط الذي وضـع لـها، بسبب ضعف ردود فعل القيادة الإيطالية. التي أثبتت فشلاً ذريعاً في الاسـتطلاع وتقديـر نوايا العدو، وضعفاً شديداً في المبادرة واستخدام المدرعات والطـيران اللذين يشكلان أساس حرب الصحراء.

امتداد الحرب إلى منطقة البلقان:

نشبت الحرب في البلقان على أثر الهجوم الذي قامت به إيطاليـا ضـد اليونان من ألبانيا، التي كان الإيطاليون قد استولوا عليها في نيسان . وكان قـرار الهجوم على اليونان قد اتخذ من جانب (موسوليني) وحده وقد قصد (موسـوليني) به أن يثبت استقلاله عن حليفه (هتلر). بل أنه حاول أن يقلد (هتلر) في خطواتـه، فقد اعترف (موسوليني) بأن احتلال (هتلر) لرومانيا، هو الذي حفزه على احتـلال اليونان. ومع أن قادة الأسلحة الثلاثة في إيطاليا كانوا قد عارضوا الهجوم علـى اليونان لأسباب تتعلق بعدم ملائمة الوقت المحدد له، لوجود عوارض طبيعية فـي اليونان تجعل من الهجوم مهمة صعبة، لكن موسوليني أصر علـى القيـام بـه. ولذلك وجه إنذاراً إلى الحكومة اليونانية في تشـرين الأول ١٩٤٠. اتـهم فيـه اليونان بانحيازها إلى الحلفاء وعدم مراعاتها الحياد وطالبها بالموافقـة علـى أن تحتل إيطاليا بعضاً من المناطق الإستراتيجية في اليونان.

وجدير بالذكر أن الجنرال (دي فيشي)، الحاكم الإيطالي العام في جـزر (الدوديكانيز) كان قد بعث ببرقية إلـى (موسـوليني) قـال فيـها (أن طـائرات البريطانيين وسفنهم تجد المأوى والوقود والمـؤن فـي المطـارات والموانـئ

اليونانية). وقبل أن يعطي الإيطاليون الفرصة لليونان لكي ترد على الإنذار. اجتازت قواتهم الحدود اليونانية في ٢٨ تشرين الأول ١٩٤٠. وقد اختار (موسوليني) هذا الموعد بالذات لأنه يصادف ذكرى عملية (الزحف على روما).

وقاوم اليونانيون الغزاة وتمكنوا من إبعادهم عن أراضيهم، بل إنهم توغلوا في ألبانيا نفسها ولمسافة ثلاثين ميلاً. وأثار الغزو الإيطالي لليونان امتعاض هتلر، لأنه كان قد سبق له أن نصح (موسوليني) بعدم القيام به. وكان (لهتلر) عدد من التحفظات على غزو إيطاليا واليونان منها أنه قد يؤدي إلى اندلاع الاضطرابات في البلقان ومن ثم إثارة قلق الاتحاد السوفيتي كما أنه سوف يترك آثاراً سلبية على دول البلقان. ويحول دون انضمامها إلى جانب دول المحور، هذا بالإضافة إلى أن الغزو سوف يترتب عليه تأجيل العمليات العسكرية التي كانت ألمانيا تزمع القيام بها في مصر، وستضطر ألمانيا إلى أن ترسل بعضاً من قواتها إلى اليونان لمحاربة البريطانيين فيها. ولا سيما وأنهم أقاموا قواعد فيها. بإمكانها أن تستخدم في شن غارات جوية ضد رومانيا وجنوب إيطاليا.

وبادر (هتلر) إلى إنقاذ حليفه من المأزق الذي وقع فيه. فطلب من بلغاريا بالسماح لقواته بعبور أراضيها، واستجابت بلغاريا لطلبه مرغمة. أما بالنسبة ليوغسلافيا، فقد عقدت حكومتها ميثاقاً مع هتلر، أصبحت تدور بموجبه في فلكه. لكن هذه الحكومة سرعان ما سقطت نتيجة انقلاب قام به عدد من الضباط اليوغسلاف. وتأسست حكومة جديدة في يوغسلافيا مناهضة لهتلر. وأثار هذا حنق (هتلر) فلم تمض عشرة أيام على الانقلاب حتى شرع (هتلر) في مهاجمة يوغسلافيا واليونان في وقت واحد. وفي ١٧ نيسان ١٩٤٠ استسلمت يوغسلافيا لهتلر، وبعد أيام قليلة احتل (هتلر) أثينا بالرغم من المقاومة الباسلة

التي أظهرها اليونانيون. وبالرغم من اشتراك البريطانيين في القتال إلى جانبهم. وقد تعقبت القوات الألمانية البريطانيين إلى جزيرة (كريت) التي كان البريطانيون قد لاذوا بها بعد هزيمتهم أمام الألمان. فطردتهم منها واستولت على الجزيرة في أيار ١٩٤١.

لقد كان احتلال الألمان لجزيرة كريت، بمثابة إنجاز عسكري هام لهم إذ أصبحت قاعدة يمكن من خلالها الانقضاض على الأسطول البريطاني في البحر المتوسط. وقطع خطوط التموين عبر البحر المتوسط بالنفط وعلى شمال إفريقيا أيضاً. إلا أن هتلر لم يستثمر تلك الإمكانيات. وحول اهتمامه كلياً صوب الاتحاد السوفيتي.

الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي:

على الرغم من أن ألمانيا كانت قد عقدت معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي في آب عام ١٩٣٩. مدتها عشر سنوات. إلا أن العلاقات بين الطرفين أخذت تتدهور في السنة التالية بسبب اختلافهما حول تقسيم مناطق النفوذ بينهما في أوروبا. فقد كان الاتحاد السوفيتي الذي يشاطر ألمانيا سياستها التوسعية ينظر بعين القلق إلى المكاسب التي حصلت عليها ألمانيا بعد انتصارها على فرنسا في حزيران عام ١٩٤٠. فبادر بعد أيام قليلة فقط من توقيع الهدنة بين ألمانيا وفرنسا إلى مطالبة رومانيا بأن تتنازل له عن (بسارابيا) وشمال (بوكوفينا) وتم له ما أراد. ولم تقف مطامع الاتحاد السوفيتي عند هذا الحد بل تجاوزته إلى منطقة البلطيق إذ احتل جمهوريات الاتحاد السوفيتي كما احتل الاتحاد السوفيتي فنلندا في مطلع السنة التالية.

ومهما يكن من أمر، فقد اقترح (هتلر) على الحكومة السوفيتية في تشرين الأول ١٩٤٠ إجراء مفاوضات جديدة بينهما. وعلى أثر ذلك قام وزير الخارجية السوفيتية (مولوتوف) بزيارة إلى برلين في ١٢ تشرين الثاني. اجتمع خلالها بهتلر، وعرض الأخير على (مولوتوف) فكرة انضمام الاتحاد السوفيتي إلى دول المحور وأعربت الحكومة السوفيتية في مذكرة بعثت بها إلى ألمانيا في ٢٥ تشرين الثاني عن موافقتها على ذلك شريطة الاعتراف لها ببعض الحقوق وهي:

١. أن يسمح لها بإقامة عسكرية في منطقة المضائق التركية.
٢. أن توافق اليابان على منحها بعض الامتيازات الاقتصادية في جزيرة سخالين.
٣. أن تطلق يد الاتحاد السوفيتي في فنلندا.
٤. أن يتولى الاتحاد السوفيتي الإشراف على بلغاريا.

وقد أعرب (هتلر) عن استيائه الشديد من هذه المذكرة التي أفصحت عن الأطماع التوسعية للسوفيت، لا سيما وأن بعضاً منها كان يتعارض مع أطماعه، ولعله وجد في تلك المذكرة تحديا لنفوذه الذي أصبح يعم معظم أوربا مما زاد في كراهيته للاتحاد السوفيتي. وأقنعه بضرورة اتخاذ إجراء حاسم وسريع ضده.

١. عملية باربا روسا:

في ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ أصدر (هتلر) التوجيه رقم ٢١ الذي أطلق عليه الاسم الرمزي (عملية بارباروسا) نسبة إلى فريدرك الأول أحد الأباطرة

الألمان القدامى. وكان قد حكم خلال الفترة الممتدة بين عام ١١٢٣-١١٩٠ واشتهر بفتوحاته في الأراضي السلافية ونجح في ضم بروسيا الشرقية ولذلك اتخذ هتلر منه مثالاً يحتذى به. وبدأ هتلر الأمر بقوله (على القوات الألمانية المسلحة أن تستعد لسحق روسيا السوفيتية، في حملة سريعة قبل انتهاء الحرب ضد إنكلترا ويجب تدمير الكتلة الأساسية من الجيش الروسي في غرب روسيا بواسطة عمليات حربية تتمثل في دفع أسافين مدرعة عميقة والحيلولة دون تراجع أي قوات سليمة قادرة على القتال إلى داخل مساحات روسيا الواسعة).

وهكذا قرر(هتلر) تحت نشوة انتصاراته الخاطفة في الغرب أن يشن حرباً خاطفة أخرى في الشرق تخضع الاتحاد السوفيتي، أو على الأقل الجزء الأوروبي منه حتى الأورال تقريباً، وتصبح ألمانيا النازية بالتالي سيدة أوروبا بأكملها بلا منازع. وتضطر بريطانيا أيضاً في هذه الحالة إلى قبول الصلح معها بشروطها وكان لابد من أن يلجأ إلى أسلوب (الحرب الخاطفة) هذه المرة أيضاً حتى يتسنى له تحطيم القوة العسكرية الضخمة للاتحاد السوفيتي في وقت سريع قبل أن يعبئ السوفيت قواهم ومواردهم البشرية والاقتصادية بالكامل وحتى لا يضطر إلى خوض حرب طويلة في جبهتين مثلما حدث في الحرب العالمية.

وتحقيقاً لذلك فقد تم حشد قوة عسكرية ضخمة لتنفيذ أهداف هذه العملية الخاطفة الهائلة بلغ مجموعها (١٥٣) فرقة ألمانية من بينها (١٩) فرقة مدرعة، و(١٤) فرقة مشاة ميكانيكية تضم (٣٧١٢) دبابة ومدفع مدرع ذاتي الحركة ولديها جميعاً نحو (٤٧٢٦٠) مدفع وهاون من مختلف الأنواع، وتدعمها قوة تتألف من نحو (٤٩٥٠) طائرة من مختلف الأنواع، من بينها نحو (٢٠٠٠) طائرة للخط الأول. بالإضافة إلى (١٤) فرقة رومانية، و(١٨) فرقة فنلندية، وفرقتين هنغاريتين. وكانت هذه الدول حليفة لألمانيا النازية وقتئذ. وقد كانت

الـ (١٥٣) فرقة ألمانية هذه تمثل نسبة ٧٠,٣% من جملة عدد فرق الجيش الألماني البالغ عددها حينئذ ٢١٧,٥ فرقة. ولم يكن لهذا الجيش قوات تقاتل في جهات أخرى في ذلك الوقت سوى فرقتين في ليبيا مع (رومل) وكانت الـ (٦٢,٥) فرقة المتبقية موزعة في أنحاء ألمانيا وأوربا المحتلة. وقد قسمت هذه القوات إلى ثلاث مجموعات جيوش رئيسية بالإضافة إلى قوات الجبهة الفنلندية (وكان ملحقاً بها ٨ فرق ألمانية) تبعاً للتقسيم الذي فرضته الظروف الجغرافية والطبوغرافية والتنظيم الإداري والسياسي للمناطق المتآخمة لحدود الاتحاد السوفيتي الغربية.

مجموعة جيوش الشمال بقيادة المارشال (فون ليب) وكانت مؤلفة من جيش مشاة يضم (٢٠) فرقة ومجموعة مدرعة (البانزر ٤) بقيادة الجنرال (هوبنر) وتتألف من فيلقين مدرعين يضم (٣) فرق مدرعة و(٣) فرق مشاة ميكانيكية. ويعزز المجموعة الأسطول الجوي الأول البالغ عدد طائراته من الخط الأول نحو ٤٠٠ طائرة. وكان هدف هذه المجموعة تحطيم الجيوش السوفيتية في الشمال واحتلال دويلات البلطيق ولينيغراد.

مجموعة جيوش الوسط بقيادة المارشال (فون بوك) وكانت مؤلفة من جيشي مشاة التاسع بقيادة الجنرال (ستراوس) والرابع بقيادة الجنرال (فون كلوغ) ويضمان معاً (٣٣) فرقة مشاة، بالإضافة إلى مجموعة (البانزر ٣) بقيادة الجنرال (هوث) وتعمل تحت قيادة الجيش التاسع، وهي مؤلفة من الفيلقين المدرعين ٥٧,٣٩ اللذين يضمان (٤) فرق مدرعة و(٣) مشاة ميكانيكية ومجموعة (البانزر٢) بقيادة الجنرال (غوريريان) وتعمل تحت قيادة الجيش الرابع، وهي مكونة من الفيالق المدرعة الثلاثة (٢٤ و٤٦ و٤٧) وتضم (٥) فرق مدرعة و(٣) مشاة ميكانيكية. ويعزز جيوش الوسط هذه البالغ جملة عدد

فرقها (٥٠) فرقة (من بينها ١٥ فرقة مدرعة وميكانيكية) الأسطول الجوي الثاني البالغ عدد طائراته من الخط الأول نحو (١٠٠) طائرة. وتهدف هذه المجموعة إلى تحطيم القوات السوفيتية الموجودة في (بيلوروسيا) غرب (الدنيبر) والدفينا الغربي، والاستيلاء على (سمولنسك) تمهيداً للزحف بعد ذلك نحو قلب البلاد ومركزها الرئيسي العاصمة (موسكو).

مجموعة جيوش الجنوب بقيادة الماريشال (فون رونشتدت) وكانت مؤلفة من ثلاثة جيوش مشاة ألمانية، وجيشين رومانيين و تضم هذه الجيوش جميعاً (٤١) فرقة ألمانية (١٤) رومانية، فضلاً عن مجموعة (البانزرا) بقيادة الجنرال (فون كليست) وتضم (٥) فرق مدرعة و(٣) فرق مشاة ميكانيكية ويدعم هذه المجموعة الجنوبية الأسطول الجوي الرابع وكان لديه نحو (٦٠٠) طائرة من الخط الأول. وتهدف هذه المجموعة إلى تحطيم الجيوش السوفيتية الموجودة هناك غربي (الدنيبير) والاستيلاء على (كييف) و(أوديسا) تمهيداً لاحتلال أوكرانيا كلها وشبه جزيرة القرم وحوض (الدونيتز) ثم القفقاس وحتى الفولغا.

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك (٢٤) فرقة مشاة وفرقتان مدرعتان وفرقتان ميكانيكيتان في الاحتياطي العام فضلاً عن الجبهة الفنلندية التي كانت تضم (١٨) فرقة فنلندية و(٨) فرق ألمانية كما سبق ذكره. وقد بلغت جملة القوة البشرية الألمانية المعدة لعملية (بارباروسا) نحو (٣ ملايين و٢٠٠ ألف) جندي وضابط وكان يواجه هذه القوات من الجانب السوفيتي وقت وقوع الغزو الخاطف المفاجئ فجر يوم ٢٢ حزيران ١٩٤١ وفقاً لما أورده (جوكوف) في مذكراته. وكان يشغل منصب رئيس هيئة أركان الحرب وقتئذ (١٤٩) فرقة ومجموعة من ألوية المشاة المستقلة موزعة على النحو التالي:

- في منطقة البلطيق: (١٩) فرقة مشاة و(٤) فرق مدرعة، وفرقتان ميكانيكيتان ومجموعة ألوية واحدة.
- في المنطقة الغربية (بيلوروسيا): (٢٤) فرقة مشاة و(١٢) فرقة مدرعة و(٦) ميكانيكية وفرقتا خيالة.
- في منطقة (كييف) (أوكرانيا): (٣٢) فرقة مشاة و(١٦) مدرعة و(٨) ميكانيكية و(٢) خيالة.
- في منطقة (أوديسا) (أقصى الجنوب عند البحر الأسود) المواجهة لرومانيا: (١٣) فرق مشاة و(٤) فرقة مشاة ومجموعة ألوية مشاة كانت ترابط في أقصى الشمال المواجهة لفنلندا على جبهة طولها (١٢٧٥) كيلومتراً أما طول الجبهة الممتدة من البلطيق حتى البحر الأسود عند (أوديسا) فكان يبلغ نحو (٢١٠٠) كيلومتر.

وبهذا يكون مجموع القوة السوفيتية الموجودة في المناطق التي تعرضت للهجوم الألماني (١٧٠) فرقة ومجموعتا ألوية منها (١٤٩) فرقة في المناطق الرئيسية للهجوم والممتدة من (البلطيق) حتى (اوديسا) تضم (٨٨) فرقة مشاة و(٣٦) فرقة دبابات و(١٨) فرقة ميكانيكية و(٧) فرق خيالة. ومن بين الـ (١٤٩) فرقة هذه كانت (٨) فرق ترابط في خط الدفاع الأمامي الممتد على مسافة تتراوح بين (١٠و٥٠) كيلومتراً من الحدود (المشاة في النسق الأول والدبابات في النسق الثاني) أما القوات الرئيسية المتبقية فكانت ترابط إلى مسافة تتراوح بين (٨٠) و(٢٠٠) كيلومتر من الحدود. أما على الحدود نفسها فكانت توجد وحدات صغيرة نسبياً من حرس الحدود التابع لوزارة الداخلية.

ولكي تكون الصورة موضوعيه وواضحة لإجراء مقارنة سليمة بين القوى العسكرية المتجابهة في ٢٢ حزيران ١٩٤١ وطوال الشهور الأولى من الحرب لابد من التوضيح بان التشكيلات السوفيتية لم تكن موازية لمثيلاتها الألمانية سواء من حيث عدد الجنود أو كمية الأسلحة ونوعيتها في معظم الحالات وكذلك من حيث درجة استيعابها للأسلحة الحديثة والتنظيم الملائم للحرب السريعة فضلاً عن اختلاف مستوى تدريبها، وخبراتها العملية وتفهمها لأساليب القتال الحديث. فلقد فاجأت الحرب الجيش السوفيتي وهو في حالة إعادة تنظيم وتسليح كاملة لم تتم بعد. ولم يكن الجيش في حالة تأهب للقتال الفوري ولم يكن لديه إنذار مسبق بوقت كاف لاحتمال وقوع هجوم ألماني إذ أن أمر التأهب والاستعداد التام للحرب الذي أصدرته وزارة الدفاع وهيئة أركان الحرب ليلة ٢٢ حزيران لم يكن قد وصل إلى كثير من الوحدات في الوقت المناسب بسبب قلة أجهزة اللاسلكي ووسائل الاتصال المباشر وقد ساهم بطبيعة الحال سوء تقدير الموقف سياسياً من جانب (ستالين) لاحتمالات الحرب مع ألمانيا النازية في هذا الوقت بالذات على مضاعفة آثار عدم التأهب للقتال وبالتالي تضم آثار عنصر المفاجأة التي تحقق بالكامل تقريباً وعلى النحو النموذجي المطلوب لأسلوب الحرب الخاطفة.

وكانت النتيجة أن أحرزت القوات الألمانية المهاجمة تفوقاً كبيراً في نقاط الهجوم سواء كماً أو كيفاً أو معنوياً فانطلقت مجموعات البانزر الضخمة في هجومها المركز الهادف إلى تحقيق اختراق استراتيجي عميق إلى مؤخرة القوات السوفيتية تسبقها غارات الطيران الذي أحرز تفوقاً جوياً كاملاً منذ البداية، نتيجة لتدمير نحو (١٢٠٠) طائرة معظمها على الأرض من الضربة الجوية الأولى وخلال اليوم الأول فقط. كما يقول (جوكوف) في مذكراته. وسهل لها مهمتها

اضطراب القيادات السوفيتية وعدم معرفتها السريعة لحقيقة تطورات القتال بسبب عمليات التخريب لخطوط التلفون والتلغراف وقتل راكبي الدراجات البخارية حاملي الرسائل بواسطة جماعات خاصة معظمها العناصر الأوكرانية والليتوانية. وقلة أجهزة الاتصال اللاسلكي لدى الوحدات.

وحققت عمليات البانزر نجاحاً أكبر في قطاع مجموعة جيوش الوسط في (بيلوروسيا) نظراً لأن القيادة الألمانية كانت قد حشدت قوتها الرئيسية هناك، على حين لم تكن القيادة السوفيتية تتوقع ذلك في مخططاتها قبل الحرب وإنما توقعت في حالة نشوب حرب مع ألمانيا أن تكون الضربة الرئيسية في (أوكرانيا) حيث الثروة الزراعية والصناعية الضخمة، ولذلك حشدت في مواجهة جيوش الجنوب في منطقتي (كييف) و(أوديسا) (٤٥) فرقة مشاة و(٢٠) فرقة مدرعة و(١٠) ميكانيكية و (٥) خيالة. ولذلك تعثر زحف قوات (فون رونشتدت) هناك فترة أطول نسبياً عن باقي القطاعات.

أما في الوسط فقد كان يوجد (٢٤) فرقة مشاة و(١٢) فرقة مدرعة و(٦) فرق ميكانيكية وفرقتان خياله، في مواجهة (٣٣) فرقة مشاة ألمانية و(٩) فرق مدرعة (بانزر) و(٦) فرق مشاة ميكانيكية. ورغم التقارب في عدد التشكيلات المدرعة والميكانيكية لديهم، فقد كان للألمان ميزة التفوق في أسلوب استخدام المدرعات في حشود مركزة تعمل في تعاون تام مع طائرات الهجوم الأرضية، وبقية الوحدات المعاونة لها من مدفعية ذاتية الحركة، ومشاة ميكانيكية فضلاً عن تفوق نوعية دباباتهم بالنسبة لمعظم الدبابات السوفيتية وقتئذ، والتي كان جزء كبير منها من أنواع قديمة مثل (ت ٢٦) و(ت٢٧) و(ت٣٧) و(ب.ت٥) و(ب.ت٧) على حين كانت الأنواع الحديثة القوية المتفوقة على الدبابات الألمانية وهي (ت ٣٤) و(ك.ف١) لم ينتج منها بعد سوى (١٨٦١) دبابة فقط، تسلمت

الوحدات منها (١٠٠٠) دبابة (ت٣٤) و(٥٠٠) (ك. ف١) عشية نشوب الحــرب. وكانت الوحدات لا تزال تتدرب عليها. ولذلك لم تستخدم في الأيام الأولى لعملية (باربا روسا) ولم تظهر فاعليتها المرجوة إلا تدريجياً فيما بعد.

ونتيجة لذلك كله أحرزت قوات (فون بوك) سلسلة من النجاحات في بـدء القتال بواسطة عمليات التطويق المزدوج (كماشة) التي قـامت بـها مجموعتـا البانزر الثالثة والثانية بقيادة (هوت) و(غوديريان) أدت إلـى احتـلال (منسـك) عاصمة بيلوروسيا (روسيا البيضاء) في ٢٩ حزيران وأسر عدد كبير من قـوات الجيشين العاشر والثالث حولها وحول (بيلوسـتوك) ثـم واصلـت التشـكيلات المدرعة الألمانية زحفها نحو (الدنيبر) فبلغته يوم ١٠ تموز وعبرته فـي اليـوم نفسه. وفي ١٥ تموز كانت (سمولنسك) الواقعة على عمق نحو (٦٤٠) كم داخـل الحدود السوفيتية مهددة بالحصار. ولكن رغم هذه الهزائم الخطرة بالنسبة للجيـش السوفيتي، إلا أن روح المقاومة كانت تتزايد. ولـم تنقطـع محـاولات الـهجوم المعاكس على أجنحة طرفي الكماشة الألمانية. ولم تؤد عمليات التطويق الضخمة إلى انهيار معنوي كبير للقوات المحاصرة، بل كانت تصمد وتقاتل وتفلـت أجـزاء منها من حلقات الحصار.

وبعد سقوط (منسك) وإلحاق خسائر ضخمة بقوات الجبهة الغربية خـلال الأسبوعين الأولين من الحرب الخاطفة وفشل الهجمات المعاكسة السوفيتية التـي تمت على عجل وبدون تنسيق سليم وفي ظل عدم إحاطة دقيقة بحقيقـة الموقـف العسكري الناجم عن الضربة المفاجئة فـي ٢٢ حزيـران، اضطـرت القيـادة السوفيتية العليا إلى اتباع مبدأ الدفاع الاستراتيجي على طول الجبهة، حتـى يمكـن أن تجنب قواتها مضار القيام بهجوم لا تستطيع القيام به فعلياً، وحتى تتمكن مـن

حشد قواتها الاحتياطية الكاملة. واختيار اللحظة المناسبة للتحول إلى الهجوم المضاد العام لانتزاع المبادرة الاستراتيجية من أيدي الألمان.

ولضمان نجاح خطة الدفاع الإستراتيجي هذه حددت القيادة السوفيتية العليا أهم أهداف الدفاع في وقف القوات الألمانية على الخطوط الدفاعية أطول زمن ممكن لكسب أكبر قدر من الوقت تنقل أثناءه القوات الموجودة في أعماق البلاد إلى منطقة القتال ويتشكل خلاله الاحتياطي الجيد ويتم توزيعه بالطريقة المناسبة، وتكبيد المهاجمين أفدح الخسائر وإنهاكهم بهدف تحقيق التوازن في القوى إلى حد ما وكذلك ضمان التدابير التي اتخذها الحزب والحكومة لإجلاء السكان والمنشآت الصناعية إلى أعماق البلاد وكسب الوقت اللازم لتحويل الصناعة إلى احتياجات الحرب.

وعلى الرغم من عنف الضربة الألمانية الأولى، وشدة الخسائر المادية والبشرية المترتبة عليها، وظهور بعض حالات الانهيار النفسي وعدم التماسك لدى بعض الوحدات والأفراد في الأيام الأولى، فقد فقدت الحرب الخاطفة أحد مقومات نجاحها وهو الانهيار المعنوي. إذ اشتدت روح المقاومة والعناد في القتال.

وساعد على ذلك توفر العمق الجغرافي الكبير الذي أنهك حركة المدرعات المندفعة بسرعة في زحفها إلى المؤخرات، ومكن القيادة السوفيتية من دفع أجزاء كبيرة من احتياطها العام، والبدء في تعبئة (٥) ملايين و٣٠٠ ألف رجل للقوات المسلحة في الفترة من ٢٣ حزيران حتى ١ تموز ١٩٤١. وهكذا تمكنت هذه القيادة من إلحاق خمسة جيوش مشاة من احتياطاتها بقيادة الجبهة الغربية التي أصبح تيموشينكو وزير الدفاع يرأسها في الفترة من ٢٧ حزيران حتى ١٠ تموز ١٩٤١. كما قامت بالبدء في إعداد سلسلة متوالية من خطوط

الدفاع في اتجاه (موسكو) منذ منتصف تموز وصل عمقها إلى ٢٥٠-٣٠٠ كيلومتر من (الدنيبر) حتى خط موجايسك، وفي اتجاه لينيغراد في الشمال بلغ عمق الخطوط الدفاعية ١٠٠-١٢٠ كيلومتراً، وصاحب ذلك كله شن بعض الهجمات المضادة الأكثر إعداداً وتنسيقاً، الأمر الذي أكسب الدفاع الإستراتيجي العام إيجابية وفعالية أكثر.

ولذلك كله انخفض معدل تقدم الجيوش الألمانية المهاجمة. فبعد أن كان معدل هذا التقدم يبلغ في المتوسط أثناء (١٨) يوماً الأولى من الحرب (٢٠-٣٠) كيلومترا في اليوم أصبح هذا المعدل بعد ذلك في أيلول وتشرين الأول من العام نفسه (٥) كيلومتر في المتوسط يومياً في اتجاه لينيغراد و (٢,٥) كيلومتر/يوم في اتجاه الجنوب الغربي، بعد أن كان هذا المعدل في الجهات الثلاث(٢٠ و٣٠ و٢٠) كلم على التوالي. وقد كانت سلسلة المعارك الدفاعية الشديدة والتي تتخللها مجموعة قوية من الجهات المضادة التي دارت عند (سمولنسك) في الفترة من ١٠ تموز حتى ١٠ أيلول ١٩٤١ أحد النماذج البارزة الناجحة في تحقيق الهدف العام المتمثل في كسب الوقت، وإرهاق العدو، رغم الخسائر التي تحملتها القوات السوفيتية في هذه المعركة، وسقوط عدد كبير من الأسرى في حصار المدينة بعد تطويقها بقوات (هوت) و(غوديريان) المدرعة.

وقد بدأت معارك (سمولنسك) وغيرها من المعارك الدفاعية العنيفة التي كانت تدور في آن واحد عند (كييف) و(اوديسا) وفي منطقة البلطيق على مشارف لينيغراد، إلى خسائر الألمان إلى حد كبير هدد باستنزاف احتياطياتهم من الرجال والتشكيلات القتالية والوقود والعتاد. وبالتالي أصبحت مغامرة الحرب الخاطفة على حافة هاوية الفشل لأن ميزان القوى في الموارد البشرية والمادية بدأ يميل تدريجياً لصالح الجيش السوفيتي بعد أن فشل سباق الزمن الذي بنيت

عليه (عملية باربا روما) في منع عملية بنـــاء الاحتياطـات البشـرية والمادية وإعدادها، أو تحطيم قوى الإنتاج الحربي الرئيسية التي جرى نقل معظمها إلـى المؤخرة البعيدة لتدعيم القاعدة الصناعية الموجودة أصلاً هناك قبل الحرب. ذلـك لأن الخسائر الألمانية أدت إلى أن يصبح العجز في عدد الجنـود اللازم فـي التشكيلات المقاتلة من المشاة مثلاً في أوائل أيلول ١٩٤١ كالآتي- أكـثر مـن (٤٠٠٠) رجل في كل فرقة ضمن (١٤) فرقة مشاة واكثر من (٣٠٠٠) رجـل في كل فرقة ضمن (٤٠) فرقة أخرى، واكثر من (٢٠٠٠) رجل في كل فرقـة ضمن (٣٠) فرقة أخرى. واقل من (٢٠٠٠) رجل في كل فرقـة ضمـن (٥٨) فرقة أخرى.

وقد انخفض احتياطي القيادة العامة للعملية كلها من (٢٨) فرقة عند بداية الهجوم في ٢٢ حزيران ١٩٤١ إلى (٣) فرق فقط عنـد نهايـة صيـف العـام المذكور. وبلغت جملة خسائر الأفراد الألمان حتى ٢٦ أب ١٩٤١ نحـو (٤٤٠) ألف رجل، وتم استبدال (٢١٧) ألف رجل منهم فقط في نهايـة آب مـن جملـة قوات احتياطي الاستبدال في ألمانيا وعددها (٤٠٠) ألف رجل كما بلغـت نسـبة قوة الدبابات الصالحة للقتال بالنسبة إلى قوتها المفترضة الأصلية في نهايـة آب ١٩٤١-٥٣% في مجموعة البانزر الأولى (في الجنوب)، ٢٥ % في المجموعـة الثانية و ٤١% في المجموعة الثالثة (في الوسط) و٧٠% في المجموعة الرابعـة (في الشمال). ثم تزايدت هذه النسب.

وتزايدت أعداد الدبابات الغير صالحة للقتال حتى غدت في نهاية أيلـول ١٩٤١ تعـادل ٧٠-٨٠%، ٥٠%، ٧٠-٨٠%، ١٠٠%. وذلـك كلـه وفقـاً للأرقـام الألمانية حتى أن الوحدة المدرعة السادسة بقيادة (مونزل) على سـبيل المثال قد انخفضت قوة دباباتها الصالحة للقتال في ١٤ أيلول ١٩٤١ إلـى (١٠)

دبابات فقط، من مجموع (١٥٠) دبابة كانت لدى تشكيلها الأصلي. كما أن سوايا المشاة الميكانيكية أصبحت تتكون من (٥٠) رجلاً فقط. ولقد أدت شدة معارك (سمولنسك) واستمرار صمود (كييف) في الجنوب و(لينيغراد) في الشمال إلى انتهاء مرحلة الزحف السريع الخاطف. وفشل الهدف الرئيسي لعملية (بارباروسا) وهو تحطيم الكتلة الرئيسية للجيش السوفيتي غرب (الدنيبر).

٢. معركة روستوف:

عندما بدأ وضع الخطط الألمانية الهجومية موضع التنفيذ فيما عرف بعملية (بارباروسا) في ٢٢ حزيران ١٩٤١، أخذ خطر الغزو الألماني يقترب تدريجياً من (روستوف) بعد انتهاء معركة كييف في ٢٦ أيلول ١٩٤١، أخذت (مجموعة جيوش الجنوب) بقيادة (فون رونشتدت) تركز جهودها في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي لاستكمال السيطرة على حوض نهر (الدنيبر) واحتلال شبه جزيرة (القرم) وحوض (الدونيتز) الغني بموارده المعدنية وصناعاته الحيوية، ومصب (الدون) حيث توجد (روستوف).

وكانت هذه المجموعة تتألف وقتئذ من جيش (البانزرا) بقيادة (فون كليست) والجيش ٦ بقيادة (فون رايخناو) والجيش ١١ بقيادة (فون مانشتاين) والجيش ١٧ بقيادة (هوث) وضمت هذه الجيوش (٤١) فرقة ألمانية، من بينها ٣ فرق بانزر (مدرعة) وفرقتا مشاة محمولة. كما كانت هناك قوات عدة دول حليفة لألمانيا تقاتل تحت قيادة (مجموعة الجنوب) ضمت (٣) فرق مشاة محمولة إيطالية، وفرقتا مشاة سلوفاكية و(٦) ألوية رومانية و(٣) ألوية هنغارية. وكانت تواجه القوات الألمانية والمتحالفة معها قوات الجبهة الجنوبية الغربية بقيادة

(تيموشنكو) التي ضمت الجيوش ٦ و ٢١ و٣٨ و ٤٠، و(الجبهة الجنوبية) بقيـــادة (تشيرفيشينكو) التي ضمت الجيوش ٩ و١٢ و١٨.

وكان جيش (البانزرا) المؤلف من فيلقي (البـــانزر ٣و١٤) يشـــكل رأس الحربة المدرعة لزحف (مجموعة جيوش الجنوب) وقـــد انطلـــق بعـــد معركـــة (كييف) إلى (دنيبر وبتروفسك) ومنها إلى (اوســـيينكو) قـــرب شـــاطئ البحـــر المتوسط. حيث التقى بالجيش ١١، وحوصرت (نتيجة لالتقـــاء طرفـــي كماشـــة الجيشين) قوات من الجيشين الســـوفيتيين ٩و١٨ فـــي ٦ تشـــرين الأول ١٩٤١. ووقع في الاستراتيجية لتصفية الجيب المذكور في ١١ تشرين الأول نحـو (١٠٦) آلاف جندي سوفيتي. وأثر ذلك في جمع جيش (البـــانزرا) تشـــكيلاته وزودهـــا باحتياطيه من الوقود، ثم بدأ تقدمه شرقاً نحو (روستوف) على طول شاطئ بحـــر (آزوف) وإلى يساره كان الجيش ١٧ يزحف نحو (فورشيلوف غـــراد) وشـــمال نهر (الدونيتز) والى يسار الجيش ١٧ كان الجيش ٦ قد استولى علـــى (ســـومي) وأخذ يزحف في اتجاه (خاركوف) و(بلغورود) على حين اتجه الجيش ١١ إلـــى داخل شبه جزيرة (القرم).

وأخذ (هتلر) يلح على قيادة (مجموعة جيـــوش الجنـــوب) بضـــرورة أن يركز كل من الجيشين ١٧و٦ زحفهما في اتجاه الجنوب الشـــرقي لدعـــم جيـــش (البانزرا) والبقاء على اتصال قريب به، وذلك على الرغم من تحذيـــر (هـــالدر) بأن ذلك سيخلف ثغرة واسعة بين (مجموعـــة جيـــوش الجنـــوب) و(مجموعـــة جيـــوش الوسط) ويترك جناح الأخير الجنوبي (الأيمن) مكشوفاً وفي ١١ تشـــوين الأول توقف زحف الجيشين ١٧و٦ بسبب سوء الأحوال الجوية وكثرة الأمطـــار التي حولت الأرض إلى وحل أعاق حركة الآليات، أما في الجنوب فكان الجـــو لا يزال حسناً ولذلك واصل جيش (البانزرا) تقدمه ووصل فـــي ١١ تشـــرين الأول

إلى نهر (ميوس) إلى الشمال الغربي من مدينــــة (تاغــانروغ) حيــث اصطـــدم بمقاومة سوفيتية شديدة وتوقف عن التقدم في ١٤ تشرين الأول وذلك نظراً لبــدء تساقط الأمطار بغزارة.

وساعد بطء وتوقف الزحف الألماني لعدة أيام الجهود السوفيتية المكثفـــة التي كانت تجري من أجل نقل آلات المصانع الهامة في (خــــاركوف) وحـــوض (الدونيتز) إلى مناطق تجميعها الجديدة في شرق وجنوب الاتحاد السوفيتي.

ونظراً لشدة الخسائر التي تحملتها القوات السوفيتية التابعــــة لكـــل مـــن الجبهة الجنوبية الغربية والجنوبية في منطقتي (خاركوف) و(بافلوغراد) أمــــرت القيادة العامة السوفيتية بإجراء انسحاب لقوات الجبهتين بغية تقصـــير خطوطـــها وتقويتها وتشكيل احتياطي. وتم الانسحاب إلى خـــط يمتـــد مـــن (كاســـتورنوي) وتشكل نتيجة لذلك جيش احتياطي جديد هو الجيش ٣٧ الذي حشد في المنطقـــــة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من (فورشيلوف غراد).

وفي ١٧ تشرين الأول سقطت (تاغرنروغ) بيد المهاجمين، وفي نهايـــــة الشهر وصلت القوات الألمانية إلى (خاركوف) وأجزاء من حـــوض (الدونيـــتز) وأصبحت على مقربة من (روستوف) وفسر (فون رونشتدت)عمليـــة الانســـحاب السوفيتي المذكورة بأن هدفها هو تقليل القوات السوفيتية فــــي هـــذه القطاعـــات لتعزيز منطقة (موسكو) أو (روستوف) ولذلك أصدر أوامره لجيوشه بـــأن تقـــوم بمطاردة عامة رغم اشتداد الأمطار وكثرة الوحل وابتداء تهاطل الثلـــوج وشـــدة إرهاق قواته ونتج عن محاولة تنفيذ هذه المطـــاردة اضطـــرار الجيـــش ٦ إلـــى التوقف تماماً في ٤ تشرين الثاني عند نهر (الدونيتز) بـــالقرب مـــن (بلغـــورود) وأبلغ (رايخناو) قيادة (فون رونشتدت) أنه فقد التماس مـــع القـــوات الســـوفيتية المنسحبة. وأنه لن يستطيع مواصلة التقدم قبل أن تتجمع قواته وتنظيـــم عمليـــات

إمدادها الإدارية. وفي الوقت نفسه توقف الجيش ١٧ بالقرب مـــن (سلافيانســك) و(ارتيموفسك) أما جيش (البانزرا) فقد أحرز قليلاً من التقدم في اتجاه (رســتوف) بسبب شدة المقاومة السوفيتية ومشكلات الطقس ونقص الوقود، ثم شـــن هجومـــاً جديداً في ٥ تشرين الثاني على الجيش استطاع أن يدفعه شرقاً حوالي ٣٢ كلـــم بعد قتال عنيف استمر لمدة ثلاثة أيام وتحول فجأة بعد ذلك في اتجـــاه الجنـــوب مهاجماً الجيش ٥٦، المشكل حديثاً من قوات منطقة شـــمال القوقـــاز العســكرية والذي كان يحمي طريق الاقتراب المؤدي إلى (روستوف) و(الدون) الأسفل.

وفي ١٦ تشرين الثاني وصل جيش (البانزرا) إلى داخـــل (روســتوف) حيث دار قتال عنيف من شارع إلى شارع بين قوات فرقة المشاة المحمولـــة ٦٠ وبين المدافعين من جنود الجيش ٥٦، الذين شنت دباباتهم مـــن طـــراز (ت٣٤) هجمات معاكسة عدة في شوارع المدينة. وبعد أربعة أيام من القتال العنيف، الذي تكبدت فيه القوات الألمانية خسائر فادحة سقطت (روستوف) فـــي أيـــدي جيـــش (البانزرا) ووقع نحو (١٠) آلاف جندي سوفيتي في الأســـر. وتقـــول المصـــادر الألمانية بصدد تبريرها لصعوبة الاستيلاء على (روستوف) أن المعركـــة حيـــن بدأت يوم ١٦ تشرين الثاني كانت درجة الحرارة ٢٠ تحت الصفر.

ولم يكن سقوط المدينة في ٢٠ تشرين الثاني نهاية المعركة. بـــل كـــان بداية مجددة لها. إذ شن الجيش (٥٦) هجوماً مضاداً مساء اليـــوم نفســـه عـــبر (الدون) على (روستوف) محاولاً تطويقها من الغرب، وقد واجه الألمان صعوبـــة شديدة في صد المهاجمين المتقدمين ببسالة في وجه الرشاشات. وكـــان صمـــود الجيش (٥٦) وهجماته المضادة المحلية مجرد جزء من المخطط العـــام للـــهجوم المضاد، الذي شرع الماريشال (تيموشنكو) في تنفيذه ضد جيش (البانزرا) الـــذي شكل هجومه نتوءاً متقدماً عن بقية (مجموعة جيوش الجنوب) واستهدفت عمليات

الجيش ٥٦ تثبيت وشغل الجيش المذكور داخل (روستوف) على حين تقوم بقية قوات (الجبهة الجنوبية) بشن هجوم مضاد استراتيجي على جناحه الشمالي لتعزله عن بقية جيوش (مجموعة الجنوب) وتقطع طريق تراجعه نحو نهر (ميوس).

والواقع أن الهجوم المضاد المذكور كان قد بدأ يوم ١٧ تشرين الثاني أثناء احتدام القتال داخل (روستوف) نفسها، بواسطة الجيش ٣٧ الذي دعمه على جناحه الجنوبي الجيش ٩ والجيش ١٨ على جناحه الشمالي. وبلغ إجمالي التشكيلات السوفيتية المشتركة في هذا الهجوم (٥) ألوية دبابات و(٩) فرق خياله و(٢٢) فرقة مشاة، وذلك في مواجهة (١٤) فرقة ألمانية من بينها (٣) فرق مدرعة وفرقتان محمولتان. ويجب الأخذ في الاعتبارات الفرق السوفيتية كانت أقل عدداً في تشكيلها من الفرق الألمانية وأقل تسليماً في هذه المرحلة من الحرب. (كان لواء الدبابات السوفيتي يضم نحو ٧٠ دبابة في حالة استكمال قوته، وفرقة المشاة كانت تضم على الأكثر نحو ٨٠٠٠ جندي، على حين أن الفرقة المدرعة الألمانية كانت تضم نحو ١٨٠ دبابة في حالة استكمال قوتها، وفرقة المشاة الألمانية كانت تضم بين ١٠و١٢ ألف جندي في حالة اكتمال قوتها).

وقد حقق هجوم الجيش ٣٧ تقدماً قدره نحو (١٦) كلم في اليوم الأول، ثم نحو (٣) كيلومترات في الأيام التالية. ولم يستطع الجيش ١٧ والجيش ٦ أن يقوما بأي عمليات لتخفيف الضغط السوفيتي على جيش (البانزرا) وتزايد الضغط على الفرقة المحمولة ٦٠ من الشمال الشرقي لروستوف، وأصبحت خطوط المواصلات مهددة بالقطع، ولذلك أمر (فون رونشتدت) جيش (البانزرا) في ٢٨ تشرين الثاني بالانسحاب نحو نهر (ميوس)، وعندما علم (هتلر) بالأمر حضر

مسرعاً إلى مقر قيادة (مجموعة جيوش الجنوب) في (بولتافا) وبصحبته كل من (براوخينش) و(هالدر) وطلب إيقاف الانسحاب موضحاً أنه سيرفض في المستقبل أي طلب من القادة العسكريين بالانسحاب، وأصدر أمراً بذلك فعلاً في ٣٠ تشرين الثاني فطلب (فون رونشتدت) إعفاءه من القيادة لأنه لا يتحمل المسؤولية في مثل هذه الحالة. ولا يقبل مثل هذا التدخل المباشر في إدارة عمليات قواته، وقبل (هتلر) طلبه وعين (رايخناو) قائدا لمجموعة (جيوش الجنوب) بدلاً عنه.

وكان الأمر بالانسحاب يجري تنفيذه بالفعل، ولذلك أمر (هتلر) بأن تتوقف القوات شرق نهر (ميوس) بنحو (١٠) كلم في ١ كانون الأول ولكن (فون كليست) ورئيس أركانه العقيد (زيتزلز) أوضحا للجنرال (هالدر) تلفونياً خطورة البقاء في هذه المواقع نظرا للضعف الذي أصبحت عليه فرقهم المدرعة الثلاث.

واضطر (هالدر) إلى الاتصال بجودل، رئيس أركان القيادة العليا الألمانية، كي يشرح لهتلر خطورة الموقف. أثر ذلك استقبل (هتلر) الجنرال (فون براوخينش) في الساعة ١٥,٣٠ من اليوم نفسه وناقش معه الموقف، وفي إثناء النقاش اتصل (فون رايخناو) تلفونياً بهتلر مباشرة. بحكم أنه كان من الضباط النازيين المقربين إليه، وطلب منه الموافقة على الانسحاب إلى الضفة الغربية لنهر (ميوس) نظراً لأن القوات السوفيتية اخترقت مواقع فرقة (ليبستاندرات س.س) (إحدى فرق الحرس النازي المقاتلة) فوافق (هتلر) على الانسحاب فوراً.

وهكذا انسحب جيش (البانزرا) إلى نهر (ميوس) و(وتاغانروغ) مسجلاً بذلك أول انسحاب وهزيمة جزئية لحملة (باربا روسا قبيل هزيمة (موسكو) وكان للنصر في (روستوف) أثره المعنوي على القوات السوفيتية التي كانت تستعد لشن هجومها المضاد الكبير في جبهة موسكو، الذي بدأ في ٦ كانون الأول

١٩٤١. وكان صدام (هتلر) مع (فون رونشتدت) في (روستوف) بداية لسلسلة طويلة من الصدامات مع الجنرالات والمارشالات الألمان الذين حملهم مسؤولية فشل الحرب الخاطفة في الاتحاد السوفيتي التي سبق لهم أن قادوها بنجاح كامل في بولندا وفرنسا والبلقان.

٣. معركة سيفاستوبول:

تدخل هذه المعركة في إطار التصدي للهجوم الألماني على الأراضي السوفيتية في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية وتمتد من ٣٠ تشرين الأول ١٩٤١ حتى ٣ تموز ١٩٤٢. ففي ٢٢ حزيران ١٩٤١، هاجمت القوات الألمانية الاتحاد السوفيتي بثلاث مجموعات جيوش - مجموعة جيوش الشمال بقيادة المارشال (فون ليب)، ومهمتها احتلال دول البلطيق و(لينيغراد). ومجموعة جيوش الوسط بقيادة المارشال (فون بوك) ومهمتها احتلال (بيلوروسيا) و(سمولنسك) والزحف نحو العاصمة (موسكو). ومجموعة جيوش الجنوب بقيادة المارشال (فون رونشتدت) ومهمتها احتلال أوكرانيا وشبه جزيرة القرم والقفقاس والتقدم حتى نهر (الفولغا).

وبعد أن تمكنت مجموعة جيوش الجنوب من احتلال (كييف) عاصمة أوكرانيا في ٢١ أيلول ١٩٤١. اندفع جناح هذه المجموعة الأيمن نحو البحر الأسود ووصل إلى مشارف شبه جزيرة القرم في تشرين الأول. ثم تقدم الجيش الألماني الحادي عشر بقيادة (فون مانشتاين) داخل شبه الجزيرة، وحاولت طلائعه اقتحام مدينة (سيفاستوبول) ولكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة أجبرتها على التوقف في ٣٠ تشرين الأول ١٩٤١.

وفي أوائل تشرين الثاني أنشأت القيادة السوفيتية العليا (منطقة سيفاستوبول الدفاعية) تحت قيادة الأميرال (اكتيابرسكي) القائد العام لأسطول البحر الأسود. ودخل في تشكيل المنطقة وحدات حامية (سيفاستوبول) ووحدات بحرية وطيران أسطول البحر الأسود. والجيش الساحلي المستقل (تحت قيادة الجنرال بتروف) ولقد بدأت قوات (منطقة سيفاستوبول الدفاعية) الاشتباك مع الوحدات الأمامية من الجيش الألماني الحادي عشر منذ ٣٠ تشرين الأول ١٩٤١. وصدت جميع محاولات القوات الألمانية للاستيلاء على المدينة من الحركة حتى يوم ٢٦ تشرين الثاني. وتميزت تلك المرحلة بالتعاون الوطيد بين القوات البرية السوفيتية المدافعة، والمدفعية الساحلية ومدفعية سفن أسطول البحر الأسود وطيران البحرية.

وبعد فشل محاولات الهجوم الألماني من الحركة أوقف الألمان هجومهم وبدؤوا الأعداد لهجوم مدبر بدأ مع مطلع شهر كانون الأول ١٩٤١. ولقد استطاعت قوات (منطقة سيفاستوبول الدفاعية) التمسك بالمدينة مدة (٢٥٠) يوماً صدت في خلالها عدة هجمات رئيسية لاقتحام المدينة، جرى أهمها في ١٧ كانون الأول ١٩٤١و ٧ حزيران ١٩٤٢.

وطوال تلك الفترة كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت القيادة السوفيتية العليا، تتمثل في توفير الإمداد والتعزيزات المستمرة للمدينة، تحت ظروف الحصار وفي ظل السيطرة الجوية المعادية، وفي ٣ تموز ١٩٤٢ تمكنت القوات الألمانية من الاستيلاء على المدينة بعد إخلاء قوات (منطقة سيفاستوبول) الدفاعية لها، طبقاً لأوامر القيادة السوفيتية العليا.

معركة الأطلسي:

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في ١ أيلول ١٩٣٩، كان لدى ألمانيا (٥٦) غواصة من مختلف الأنواع، (٤٦) منها كانت صالحة للعمل فوراً، ولكن عدد الغواصات القادر منها على العمل في المحيط الأطلسي لم يكن يزيد عن (٢٢) غواصة، والـ (٢٤) الأخرى كانت من الأنواع الصغيرة قصيرة المدى لا تصلح للعمل إلا في بحر الشمال والمانش ومعنى هذا أن عدد الغواصات التي يمكن أن تكون عاملة في أي وقت في الأطلسي لا يزيد عن (٧) غواصات. باعتبار أن سبعاً أخرى ستكون في القواعد لإعادة التموين والصيانة والتزويد بالذخيرة وسبع ستكون في طريقها لاستبدال السبع غواصات العاملة وهكذا.

وفي ٣ أيلول، بعد دخول بريطانيا الحرب في اليوم نفسه، أغرقت غواصة ألمانية سفينة نقل ركاب أمريكية تدعى (أثينا) على أنها سفينة نقل جنود بريطانية نظراً لأنها كانت تسير في الليل وقد أطفأت أنوارها وسارت في خط متعرج، ونفت الحكومة الألمانية رسمياً أن تكون إحدى غواصاتها قد أغرقت السفينة المذكورة، وذلك نظراً لأنها لم تكن ترغب في استفزاز أميركا وجرها إلى الحرب في هذه المرحلة المبكرة، كما أنها لم تكن ترغب في تصعيد القتال ضد بريطانيا وفرنسا قبل أن تفرغ من اجتياح بولندا، ولذلك كانت التعليمات التي أصدرها الأميرال (دونيتز) قائد سلاح الغواصات الألماني تقتضي بالتدقيق في سفن النقل قبل مهاجمتها بالطوربيد ما لم يكن من الواضح أنها تحمل جنوداً أو عتاداً أو تسير داخل قوافل بحرية محمية بالسفن الحربية، كما كانت تقتضي بعدم مهاجمة السفن الفرنسية لعدم استفزاز الجيش الفرنسي الضخم الساكن في حصون ماجينو فيقوم بمهاجمة خط سيغفريد الألماني. لقد كانت هذه التعليمات المشددة

مبنية على أوامر (هتلر) العليا والتي رافقت مرحلة الحرب الزائفة في بداية الحرب العالمية الثانية.

وقد غرق ١٢٨ من المدنيين ركاب السفينة (أثينا) في هذا الهجوم الأول للغواصات الألمانية. وقد زعمت وزارة الدعاية الألمانية برئاسة (غوبلز) أن (تشرشل) وزير البحرية البريطانية هو الذي أمر بإغراق السفينة للإساءة لسمعة ألمانيا وجر أمريكا إلى الحرب. والواقع أن قائد الغواصة الألمانية أخطأ في تقديره لطبيعة السفينة كما انه لم يخطر قيادته لاسلكيا بما حدث وانتظر حتى عاد إلى قاعدته في نهاية شهر أيلول، ثم بلغ (دونيتز) شخصياً بحقيقة ما حدث فأمره بنزع التقرير الخاص بالعملية من يوميات الحرب الخاصة بالغواصات.

وكانت الضحية الثانية للغواصات الألمانية حاملة الطائرات البريطانية (كوراجيوس) التي أغرقت يوم ١٧ أيلول في غرب بحر المانش بواسطة (٣) طوربيدات أطلقت عليها دفعه واحدة من غواصة كانت تكمن انتظاراً لقافلة من سفن النقل. وقد غرق معها قائدها و٥١٨ من رجالها، وهاجمت المدمرات المصاحبة للحاملة الغواصة بقنابل الأعماق ولكنها غطت إلى عمق (٢٥٠) قدماً، وأفلتت من الدمار، وعادت إلى قاعدتها في ألمانيا حيث احتفلت البحرية بطاقمها الذي حقق أول نصر حربي في قتال الغواصات الألمانية.

وشجع هذا النصر الأميرال (دونيتز) على التخطيط لمزيد من العمليات المماثلة ضد الوحدات الكبيرة الهامة في الأسطول البريطاني المتفوق على الأسطول البريطاني تفوقاً ساحقاً في سفن السطح واختار قاعدة الأسطول البريطاني (سكابافلو) الرئيسية الموجودة وسط مجموعة جزر (اوركني) بشمال (اسكتلندا) هدفاً للعملية التالية، وقد تمكنت إحدى الغواصات الألمانية بقيادة الكابتن (جونثربرين) التسلل إلى داخل القاعدة (بعد دراسة مسبقة لمسالكها وحالة

المد والجزر الخ) ليلة ١٣ تشرين الأول ١٩٣٩ وأغرقت البارجة البريطانية (رويال أوك) بدفعه من ٣ طوربيدات ثم تسللت عائدة إلى قاعدتها سالمة برغم محاولات المدمرات البريطانية المطاردة لها بقنابل الأعماق.

ولقد استقبل الأميرال (رايدر) قائد عام الأسطول الألماني بحارة الغواصة وقلد قبطانها وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى وقلد كافة رجال طاقم الغواصة الوسام نفسه من الدرجة الثانية، كما رقي (دونيتز) نفسه إلى رتبة أعلى، واستقبل (هتلر) بعد ذلك قائد ورجال الغواصة في مقره ببرلين. وأثناء ذلك تصاعدت عمليات الغواصات الألمانية ضد سفن النقل البريطانية على مقربة نسبية من الجزر البريطانية، ففي أيلول أغرقت (٤١) سفينة حمولتها (١٥٣) ألف طن، وفي تشرين الثاني أغرقت (٢١) سفينة حمولتها (٥٢) ألف طن وفي كانون الأول أغرقت (٢٥) سفينة حمولتها (٨١) ألف طن. وقد أسفرت عمليات الغواصات الألمانية خلال الأربعة شهور الأولى من الحرب عن إغراق (١١٦) سفينة نقل وصيد بريطانية جملة حمولتها (٤٢٣٧٦٩) طناً.

وفي كانون الثاني ١٩٤٠ أغرقت (٤٠) سفينة حمولتها (١٧٠) ألف طن. وفي آذار سحبت الغواصات من العمل في أعالي البحار لتقوم بمساندة عملية الغزو البحري والجوي للنرويج التي بدأت في ٩ نيسان ١٩٤٠، حيث اشتركت (٣١) غواصة في حماية سفن النقل الألمانية القائمة بالعملية، وهكذا تقلص نشاط الغواصات خلال آذار ونيسان وأيار نظراً لحاجة الغواصات لأعمال صيانة وإصلاح بعد حملة النرويج، ولذلك لم تبدأ فاعلية حرب الغواصات في الظهور مرة أخرى إلا اعتباراً من حزيران. وأتاح سقوط فرنسا خلال هذا الشهر إمكانية العمل للغواصات من القواعد البحرية الفرنسية المطلة على الأطلسي مثل ميناء (برست) و(سان نازير) الواقعة على خليج (بسكاي) القريب من أسبانيا. الأمر

الذي أدى إلى اختصار نحو (٧٢٠) كلم كانت تقطعها الغواصات من قبل للتوجه إلى أهدافها في الأطلسي قرب الجزر البريطانية حينما كانت تخرج من قواعدها الأصلية في ألمانيا.

وفي هذا الوقت لم تكن المدمرات البريطانية تعمل لمسافة أبعد من (١٥) درجة إلى الغرب من الجزر البريطانية ضد الغواصات الألمانية التي تهاجم قوافل سفن النقل التي تحمل إلى بريطانيا الإمداد والمؤن من العالم الخارجي، ولذلك أخذت الغواصات تنشط خارج هذه الدائرة، وعملت البحرية البريطانية على زيادة مدى عمل المدمرات إلى أن وصلت به إلى ١٩ درجة نحو الغرب من بريطانيا في تشرين الأول ١٩٤٠. وهكذا انتقل القتال بين الغواصات الألمانية والقوافل البحرية البريطانية بعيداً عن المياه الساحلية تماماً إلى عرض المحيط الأطلسي. ومنذ ذلك الحين بدأت المعركة الكبرى التي عرفت بمعركة الأطلسي والتي بدأها (هتلر) في صيف ١٩٤٠ ليتوافق إيقاعها مع إيقاع الهجوم الجوي الإستراتيجي على الجزر البريطانية، فتعاني بريطانيا من ثقل الحصار البحري والقصف الجوي، وتجبر على طلب عقد الصلح مع ألمانيا التي كانت تود التفرغ للقتال ضد الاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٤١.

وفي هذه المرحلة الأولى من معركة الأطلسي لجأ (دونيتز) إلى استخدام غواصاته في الهجوم على السفن التي تسير بدون حراسة أو بحراسة ضعيفة وهي طافية فوق سطح الماء أثناء الليل للاستفادة من سرعة الغواصة في هذه الحالة، نظراً لأنها تستخدم لمحركيها الديزل اللذين لا تستطيع استخدامها تحت سطح الماء لحاجتهما إلى الأوكسجين. ولذلك تلجأ لاستخدام محركاتها الكهربائية البطيئة السرعة والتي لا تستطيع أن تسير بهما لأكثر من (٦٠) ميلاً ولمدة أكثر من (٢٤) ساعة. وقد أتاح له هذا التكتيك مزايا أفضل في الهجوم بطبيعة الحال

طالما كانت ظروف انعدام الحراسة أو ضعفها توفر له فرصة استخدامه. ولذلك كانت هذه الفترة الذهبية في حرب الغواصات الألمانية والتي سجلت إصابات ضخمة في سفن النقل البريطانية، وعرفت أسماء أبطال قادة الغواصات الذين سجلوا أكبر أرقام الإصابات والحمولات أمثال (برين) قائد الغواصة رقم ٤٧ التي سبق أن أغرقت البارجة (رويال أوك) في (سكابافلو) (الذي استطاع ان يغرق بغواصته وحدها ٢٨ سفينة مجموع حملتها ١٦٠ ألف طن حتى تاريخ غرق غواصة وموته معها في ٧ آذار ١٩٤١ نتيجة قنابل الأعماق التي أطلقتها (مدمرة بريطانية) وقائد الغواصة رقم ٩٩ (اوتوكرتشمر) الذي بلغ إجمالي السفن التي أغرقها (٤٤) سفينة نقل ومدمرة مجموع حمولتها (٢٦٦٦٢٩) طناً (أسر كرتشمر ومعظم رجاله بعد إصابة غواصته بقنابل أعماق من مدمرة بريطانية اضطرتها للصعود فوق سطح الماء والاستلام للمدمرة ليلة ١٦ آذار ١٩٤١).

وفي ١٧ آب ١٩٤٠ أصدر (هتلر) أمراً بفرض حصار شامل على الجزر البريطانية، وكان معنى ذلك مهاجمة أية سفينة تحاول أن تصل إلى بريطانيا أو تخرج منها أياً كانت جنسيتها، وسهل هذا الأمر على الغواصات الألمانية مهمتها كثيراً، حيث لم يعد مطلوباً منها تمييز جنسية السفن القريبة من نطاق الحصار المفروض حول الجزر البريطانية. وعموماً فقد بلغت جملة الخسائر التي لحقت البحرية البريطانية خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٠ نتيجة عمليات الغواصات الألمانية حول الجزر البريطانية في الأطلسي (٣٤٥) سفينة نقل مجموع حمولتها (١٧٥٥٠٠٠) طن. وكانت أعلى نسبة من هذه الخسائر خلال شهر تشرين الأول الذي أغرقت فيه (٦٣) سفينة مجموع حمولتها (٣٥٢) ألف طن، وذلك نتيجة لتنفيذ تكتيك هجومي جديد من قبل الغواصات الألمانية عرفت باسم (قطيع الذئاب) الذي كان يجري تطبيقه بواسطة

مجموعة من الغواصات تشترك في مهاجمة قافلة بحرية واحدة في الوقت نفسه بحيث تقوم إحدى الغواصات ببدء الهجوم لتجتذب إليها سفن الحراسة على حين تقوم البقية بالانفراد بالقافلة وتفرق منها أكبر عدد ممكن من السفن أما بهجوم على أحد جوانب القافلة البعيدة عن المكان الذي تجري فيه مطاردة الغواصة الأولى. أو مهاجمة أحد الطوابير الوسطى من القافلة أو الاثنين معاً وفقاً للظروف.

وقد طبق هذا التكتيك لأول مرة ليلة ١٩ تشرين الأول ١٩٤٠ حين هاجمت (٥) غواصات ألمانية القافلة البريطانية (هـ أكس ٧٩) (وكانت الغواصة البادئة بالهجوم والتي اكتشفت القافلة هي غواصة (برين) رقم ٤٧ التي استدعت الغواصات الأخرى بعد رصدها للقافلة صباح ذلك اليوم وأدى الهجوم إلى إغراق (١٤) سفينة دفعة واحدة خلال هذه الليلة وسبع أخرى في الليلة التالية كانت ضمن قافلة ثانية، كما أغرقت مجموعة من (٦) غواصات أخرى (١٧) سفينة كانت ضمن قافلة ثالثة في الليلة التي تمت فيها مهاجمة القافلة الأولى، وهكذا بلغ مجموع السفن التي أغرقت في الهجمات الجماعية الثلاث (٣٨) سفينة مجموع حمولتها (٣٢٥) ألف طن.

ومع مجيء فصل الشتاء ساءت الأحوال الجوية وكثرت العواصف الشديدة في الأطلسي مما أدى إلى تقلص نشاط الغواصات كثيراً لأنها لا تستطيع أن تهاجم عادة في مثل هذه الظروف الجوية غير الملائمة وتكون مهمة طاقمها الأساسية هي المحافظة على سلامة الغواصة نفسها. ولذلك هوجمت قافلة واحدة فقط في كانون الأول ١٩٤٠، وأغرقت منها (١٠) سفن نقل وطراد. وأغرقت (٢٦) سفينة أخرى كانت تبحر منفردة، مما جعل جملة الخسائر خلال هذا الشهر الأخير من العام (٣٧) سفينة حمولتها (٢١٣) ألف طن. ومع بداية عام ١٩٤٢

بدأ أفول العصر الذهبي للغواصات الألمانية خاصة من حيث مدى حرية العمل المتاحة لها، نتيجة لزيادة كفاءة الوسائل المضادة لها وارتفاع مستواها كماً ونوعاً. وكان ذلك نتاج عدة عوامل تكاملت مع بعضها لبعض وأدت إلى هذه النتيجة التي ساهمت في تقرير مصير معركة الأطلسي فيما بعد.

وأول هذه العوامل كان حصول الأسطول البريطاني على (٥٠) مدمرة قديمة من الولايات المتحدة، بعد مفاوضات مطولة بين (تشرشل) و(روزفلت) أدت إلى موافقة الأخيرة على إعطاء بريطانيا هذه المدمرات القديمة الفائضة لدى البحرية الأمريكية لتستخدمها ضد الغواصات الألمانية مقابل إعطاء الولايات المتحدة قواعد جوية في غيانا البريطانية وجزر الهند الغربية وثاني هذه العوامل كان إخضاع قيادة الدفاع الساحلي للبحرية البريطانية، ومن ثم تحقق للأخيرة استخدام طيران هذه القيادة بفاعلية في حراسة القوافل وإجبار الغواصات على الغوص تحت سطح الماء فترة طويلة حتى تفلت منها السفن (نتيجة لبطء حركتها تحت الماء وعدم قدرتها على الرؤية بدون أن يطفو التلسكوب الخاص بها) وثالث هذه العوامل كان تطور الرادار البريطاني واستخدام الطائرات له كأداة للبحث عن الغواصات أثناء قيامها بالدوريات بعيدة المدى فوق الأطلسي، ولم تكن هذه الدوريات تنطلق فقط من الجزر البريطانية ٦ وإنما أيضاً من جزيرة (ايسلنده) الواقعة في أقصى شمال الأطلسي، وبذلك ضاقت مسطحات الماء غير المغطاة بدوريات الطائرات البريطانية. ولكن بقيت ثغرات عدة لا تغطيها الطائرات حول جزر (آزور) وغيرها من مناطق المحيط الأطلسي.

ونتيجة لتفاعل هذه العوامل الملائمة لبريطانيا انخفضت الخسائر في شهر كانون الثاني ١٩٤١ إلى (٢١) سفينة حمولتها (١٢٧) ألف طن و(٣٩) سفينة حمولتها (١٩٧) ألف طن في شباط . ويرجع الارتفاع النسبي في خسائر

شباط إلى رفض بعض السفن الالتزام بالسير داخل قوافل ومن ثم أصبحت خارج مدى حماية سفن الحراسة المرافقة للقوافل كما يرجع إلى تركيز الغواصات وقتئذ على مهاجمة الطريق الجنوبي للقوافل القريب من سواحل سيراليون بإفريقيا وفي آذار عادت الغواصات إلى مهاجمة طريق القوافل الشمالي جنوب جزيرة (ايسلنده) وهناك جرت الهجمات على قوافل محمية بقوة أدت إلى إغراق الثلاث غواصات الشهيرة والتي كان يقودها كل من برين وشيبكة وكرتشمر. ومنذ أواخر عام ١٩٤٠ كانت المعركة في الأطلسي تدار من كلا الطرفين بطريقة منظمة تتزايد إحكاماً في الإشراف على الغواصات من جانب (دونيتز) وعلى سفن الحراسة والقوافل والطيران المعاون من قبل قيادة البحرية البريطانية، إذ كان لدونيتز غرفة عمليات في مقر قيادته بفرنسا توضح على خرائطها باستمرار كافة معلومات المخابرات والاستطلاع عن تحركات السفن المعادية وكذلك أماكن تواجد الغواصات. وكان للبحرية البريطانية غرفة مماثلة في (لندن) تصدر منها الأوامر للقوافل التي يبدو أنها قريبة من خطر الهجوم الألماني بالغواصات لكي تغير طريقها بطريقة تبعدها عن الخطر المحتمل وتقربها من دوريات الطيران.

وفي أيار ١٩٤١ ارتفع حجم الخسائر التي لحقت بالسفن البريطانية نتيجة عمليات الغواصات في الأطلسي مرة أخرى، إذ أغرقت (٥٨) سفينة حمولتها (٣٢٥) ألف طن، كما أغرقت في حزيران (٦١) سفينة أخرى حمولتها (٣١٠) آلاف طن. وعادت نسبة الخسائر في الانخفاض خلال شهر تموز فأغرقت (٢٢) سفينة حمولتها (٩٤) ألف طن، وفي آب (٢٣) سفينة حمولتها (٨٠) ألف طن.

وفي أيلول ارتفعت الخسائر إلى (٥٣) سفينة حمولتها (٢٠٢) ألف طن تحقق معظمها نتيجة هجمات جماعية وفقاً لتكتيك (قطيع الذئاب) ضد قافلة مؤلفة من (٦٤) سفينة كانت تسير في أقصى شمال المحيط الأطلسي قرب جزيرة

(غرين لاند) تحت حماية (٣) سفن حراسة صغيرة ومدمرة. وقد بدأ الهجوم ليلة ٩ أيلول واشتركت فيه (٤) غواصات بضربات تم بعضها وسط طوابير السفن داخل القافلة والبعض الآخر من جوانبها وكانت السفن القليلة المضادة للغواصات في حركة دائمة بين مناطق الهجوم الجماعي وهي شبه عاجزة عن منعه لأنها حينما كانت تهاجم إحدى الغواصات تنفرد البقية بسفن القافلة مرة أخرى فتضطر سفن الحراسة إلى المسارعة لمكان الهجوم الجديد. وهكذا أثبت تكتيك (قطع الذئاب) فاعلية ليس فقط في الهجوم وإنما أيضاً في دفاع الغواصات عن بعضها البعض بطريقة غير مباشرة.

وقد أغرقت في الليلة الأولى من الهجوم (١١) سفينة دون ان تصاب أي غواصة، ولذلك استنجدت القافلة طالبة دعمها بسرعة بمزيد من سفن الحراسة خاصة وأن إحدى سفن الحراسة الأصلية قطرت ناقلة بترول مصابة نحو جزيرة (ايسلنده) وقد وصلت سفينتا حراسة إضافيتان مساهمتان في إغراق غواصة ألمانية، ولكن ذلك لم يحول دون إغراق (٧) سفن أخرى في تلك الليلة. ولهذا وصلت سفن حراسة جديدة في اليوم التالي من بينها مدمرتان استطاعتا إغراق غواصة أخرى وترتب على ذلك توقف الهجوم.

وقد أغرقت خلال تشرين الأول ١٩٤١، (٣٢) سفينة مجموع حمولتها (٥٧) ألف طن، أما في تشرين الثاني فأغرقت (١٣) سفينة فقط حمولتها (٦٢) ألف طن. وفي كانون الأول أغرقت (٩) سفن فقط حمولتها (٤٦) ألف طن. وقد جرت خلال هذا الشهر أكبر معركة فشلت فيها الغواصات الألمانية حتى ذلك الوقت طوال سنوات معركة الأطلسي، إذ هاجمت الغواصات قافلة تحركت من جبل طارق نحو بريطانيا تحت حراسة مشددة شاركت فيها حاملة طائرات تدعى (اوداسيتي) و(٣) مدمرات و(٧) سفن حراسة صغيرة وسفينتان شراعيتان. كما

شاركت الطائرات من قاعدة عملها ثم استقبلتها طائرات عاملة من بريطانيا بمجرد أن دخلت القافلة في مدى عمل هذه الطائرات. وقد بدأت القافلة رحلتها في ١٤ كانون الأول وهوجمت بواسطة (٩) غواصات في ١٦ من الشهر نفسه. واستمرت الهجمات حتى يوم ٢٣، وكانت المحصلة النهائية لهذا القتال الضاري بين الغواصات وسفن الحراسة والطائرات إغراق حاملة الطائرات يوم ٢١، وإغراق مدمرة وسفينتي نقل، مقابل إغراق (٥) غواصات ألمانية.

وفي ٧ كانون الأول ١٩٤١ هاجمت اليابان قاعدة (بيرل هاربر) الأمريكية في المحيط الهادي، ودخلت الولايات المتحدة طرفاً مباشراً في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء اعتباراً من ١١ كانون الأول ١٩٤١ بعد إعلان ألمانيا الحرب عليها تضامناً مع حليفتها اليابان. ومن ثم دخلت معركة الأطلسي مرحلة جديدة تماماً من حيث اتساع مدى العمليات ودخول الأسطول الأمريكي المعركة (ومعه الطيران الأميركي) طرفاً فعالاً إلى جانب الأسطول البريطاني.

واستمرت معركة الأطلسي حتى ١٩٤٤ حيث قام (دونيتز) بسحب غواصاته من الأطلسي في أيار ١٩٤٤ بحيث لم يتبق له سوى غواصتين في المياه الأمريكية ومثلهما في غرب إفريقيا، وركز جهوده في الدفاع المباشر من القارة الأوروبية ضد الغزو المرتقب في بحر الشمال والمانش حيث كان نجاح الغواصات محدوداً للغاية بسبب النشاط الجوي المضاد الفعال للغاية. وهكذا انتهت معركة الأطلسي التي استمرت نحو (٤) سنوات كاملة تحملت بريطانيا والولايات المتحدة خلالها خسائر فادحة، إلا أن ضخامة الإنتاج الصناعي ووفرة المواد الخام لدى الحلفاء بالإضافة لامتلاكم ميزات تقنية متطورة في الإلكترونيات حسمت المعركة لصالحهم.

١. دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب:

انحياز الولايات المتحدة إلي جانب الحلفاء:

على الرغم من أن الولايات المتحدة كانت تتبع في حقل السياسة الخارجية مبدأ العزلة، إلا أن ذلك لم يحل دون مراقبتها للأحداث التي كانت تجري في أوروبا، واتخاذ مواقف منها. فعلى سبيل المثال لم تكن الولايات المتحدة تبدي ارتباطاً إلى دول المحور بسبب سياساتها التوسعية وعدم احترامها للمواثيق الدولية.

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية اتخذت الولايات المتحدة موقفاً محايداً منها، وفرضت حظراً إلى تصدير الأسلحة إلى جميع الدول دون استثناء لكنها عادت بعد قليل فغيرت موقفها لصالح دول الحلفاء. إذ حث الرئيس الأمريكي روزفلت الكونكرس الأمريكي في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٩، على تعديل قانون الحياد، واستجاب الكونكرس لطلبة، وبموجب هذا التعديل الذي أصبح يعرف بنظام (ادفع واحمل) وسمحت الولايات المتحدة ببيع المعدات الحربية إلى بريطانيا وفرنسا، شريطة أن تسدد أثمانها نقداً. وأن لا تشحن على ظهر سفن أمريكية.

وبعد أن انهارت فرنسا أمام ألمانيا في حزيران ١٩٤٠، وبقيت بريطانيا وحيدة في الميدان ازداد تعاطف الولايات المتحدة مع بريطانيا فأعلن روزفلت في خطاب ألقاه في جامعة فرجينيا في ١٠ حزيران ١٩٤٠، عن عزم الولايات المتحدة على تقديم المساعدات إلى الدول التي قام النازيون باعتداء عليها. كما أعلن روزفلت في ٢٩ تموز من العام ذاته عن تفسير جديد لمبدأ مونرو (وهو المبدأ الذي يدعو إلى عزلة أمريكا في سياستها الخارجية عن

أوروبا وعدم السماح للدول الأوروبية بالتدخل في الشؤون الأمريكية) بحيث أعطى للولايات المتحدة حق حماية المستعمرات الأوروبية في العالم الجديد. منعاً من انتقال المستعمرات الفرنسية والهولندية في أمريكا الجنوبية إلى أيدي الألمان الذي كانوا قد ألحقوا الهزيمة بفرنسا وهولندا.

وسعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعزيز قدراتها العسكرية فعقدت اتفاقاً مع كندا في آب ١٩٤٠، سيطرت بموجبه على جميع وسائل كندا الدفاعية كذلك استغلت الولايات المتحدة الأمريكية فرصة حاجة بريطانيا الماسة إلى السلاح، بعد أن فقدت كثيراً من الأسلحة بعد سحب قواتها من (دنكرك) في مطلع حزيران ١٩٤٠ لابتزازها، فعرضت عليها تجهيزها بكافة ما تحتاجه من أسلحة، مقابل أن تقدم بريطانيا إلى الولايات المتحدة أحدث اختراعاتها التقنية، وبحوثها العلمية إضافة إلى عدد من القواعد العسكرية. وتطبيقاً لهذا عقدت الولايات المتحدة اتفاقاً مع بريطانيا في مطلع أيلول ١٩٤٠ أمده (٩٩) عاماً أعطت بموجبه (٥٠) مدمرة إلى بريطانيا، مقابل تأجيرها وبدون مقابل عدداً من القواعد الجوية والبحرية في جزيرة (نيوفاندلند)، وفي جزر الهند الغربية، وفي غيانا البريطانية، وفي الشهر نفسه أصدرت الولايات المتحدة أول قانون للخدمة الإلزامية في تاريخ حياتها.

وواصلت الولايات المتحدة انحيازها إلى دول الحلفاء ودعمها لها ضد دول المحور فباعت إلى بريطانيا في النصف الثاني من عام ١٩٤٠ نمو مليون بندقية و ٨٤ ألف مدفع رشاش، ودفعت بريطانيا ثمن تلك الأسلحة نقداً مما أثر على أوضاعها المالية وبهدف ضمان الحصول على أرباح طائلة جراء صفقات الأسلحة التي كانت الولايات المتحدة تبيعها إلى بريطانيا وللحيلولة دون هزيمة بريطانيا بعد أن نجح الألمان في دحر فرنسا فقد ابتكرت مشروع (الإعارة

والتأجير) وهو المشروع الذي قد تقدم به روزفلت إلى الكونكرس في كانون الثاني ١٩٤١، وأصبح نافذ المفعول اعتباراً من ١١ آذار ١٩٤١، وقد خول الرئيس الأمريكي بمقتضاه صلاحية منح القروض والمساعدات لأية دولة يرى أن الدفاع عنها ضرورة لأمن الولايات المتحدة نفسها وقد رصد الكونكرس مبلغ سبعة آلاف مليون دولار كدفعة أولى لتمويل هذا المشروع. وفي حزيران من العام نفسه قررت الولايات المتحدة تجميد الاعتمادات الألمانية والإيطالية فيها. وفي الشهر التالي أبلغ الرئيس الأمريكي الكونكرس بأن القوات البريطانية احتلت بالتعاون مع القوات الأمريكية جزيرة (أيسلندا) (الواقعة شمال شرق المحيط الأطلسي) وبأنه أمر الأسطول الأمريكي بحماية الخطوط البحرية التي تربط الولايات المتحدة بتلك الجزيرة.

وتطورت علاقات التحالف بين الولايات المتحدة وبريطانيا منذ آب ١٩٤١ حينما حدث لقاء بين الرئيس الأمريكي (روزفلت)، ورئيس الحكومة البريطانية (تشرشل) في جزيرة (نيوفاندلند) واتفقا خلاله على وضع بعض الترتيبات التي من شأنها أن تضمن سلامة بلديهما من خطر ألمانيا وحلفائها. وأصدرا في اجتماعها هذا إعلاناً بالمبادئ التي سميت فيما بعد بـ (ميثاق الأطلسي) لتنظيم العمل ليس خلال فترة الحرب فحسب بل بعد هزيمة ألمانيا أيضاً وكان من بين المبادئ التي تضمنها هذا الميثاق، وضع حد للحركة الاستعمارية، وعدم إجراء تغييرات في حدود الدول دون رغبة الشعوب المعنية، واحترام حق الأمم في اختيار نوع الحكومة التي تريدها، ومساواة الدول في الحصول على المواد الخام، وحرية الملاحة في البحار، ونبذ استخدام القوة في تسوية الخلافات الدولية.

وفي أواخر أيلول ١٩٤١ اشتركت الولايات المتحدة في مؤتمر انعقد في موسكو، ضم إضافة إليها، ممثلين عن بريطانيا والاتحاد السوفيتي. وأصدر المؤتمر قراراً ينص على أن تقوم الولايات المتحدة وبريطانيا بتزويد الاتحاد السوفيتي بالإمدادات.

وفي نهاية تشرين الأول ١٩٤١، أزاح الرئيس الأمريكي النقاب عن مهاجمة الألمان سفناً في مناطق قريبة من أمريكا، علاوة على مدمرتين أمريكيتين هوجمت إحداهما في شهر أيلول، والأخرى في تشرين الأول ١٩٤١ واضطرت تلك الهجمات الولايات المتحدة إلى تسليح سفنها التجارية.

٢. تدهور العلاقات الأمريكية - اليابانية:

كانت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان يسودها طابع التوتر بوجه عام. ويعزى ذلك إلى تضارب مصالح الدولتين ولا سيما في منطقتي الشرق الأقصى والمحيط الهادي. فقد استأنفت اليابان سياستها التوسعية على حساب الصين منذ عام ١٩٧٣ مما أقلق الأمريكيين الذين كانوا يمتلكون منطقة نفوذ فيها. وراحوا ينددون بالعدوان الياباني على الصين، وبانتهاك اليابان حرمة المعاهدات والقوانين الدولية. ومن جانب آخر شجب اليابانيون التدخل الأمريكي في الصين وتقديمهم المساعدات العسكرية والمالية إليها.

وقد حاولت اليابان استغلال ظروف الحرب العالمية الثانية لتحقيق مكاسب استعمارية في منطقة جنوب شرق أسيا. فاتجهت أنظارها إلى الهند الصينية والى إندونيسيا. وكانت المنطقتان تخضعان لسيطرة فرنسا وهولندا على التوالي، وقد هزمت كلتاهما أمام ألمانيا، وكانت الهند الصينية تستأثر باهتمام خاص من قبل اليابان بالنظر لما تمتلكه من مواد ضخمة من المطاط والفحم

والحديد والقصدير وغيرها إضافة إلى أهميتها الاستراتيجية التي تكمن في إمكانية استخدام موانئها البحرية كقواعد للهجوم على بورما والملايو. وحصلت اليابان على موطئ قدم لها في الهند لصينية بموجب اتفاق وقعته مع حكومة فيشي في أواخر أيلول ١٩٤٠.

كذلك سعت اليابان إلى مد سيطرتها على إندونيسيا، التي كانت تتمتع أيضاً بأهمية استراتيجية كبيرة، إذ أن احتلالها يؤدي إلى تهديد كل من بورما والهند والفليبين علاوة على استراليا ونيوزيلندة، ومن جانب آخر كانت إندونيسيا مشهورة بمواردها الغزيرة من النفط والمطاط والمعادن والفحم. وكانت تعتبر المصدر الرئيسي لتأمين احتياجات الولايات المتحدة من المطاط والقصدير. ونتيجة لذلك أبدت الولايات المتحدة معارضة شديدة لإطماع اليابان في إندونيسيا. بل أنها حذرتها من مغبة القيام بأية محاولة لاحتلالها وقد ردت اليابان على هذا التحذير بأن وقعت ميثاقاً في برلين مع ألمانيا في أيلول ١٩٤٠ وجاء فيه:

١. تعترف اليابان بإقامة نظام جديد في أوروبا بزعامة ألمانيا وإيطاليا.
٢. تعترف ألمانيا وإيطاليا بإقامة نظام جديد في شرق أسيا بزعامة اليابان.
٣. تتعهد الدول الثلاث بأن تساعد بعضها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً إذا تعرضت أي منها لهجوم من دولة غير مشتركة حالياً في الحرب الأوروبية، أو في النزاع الصيني - الياباني.

وردت الولايات المتحدة من جانبها على الإجراء الياباني بأن زادت علاقاتها مع بريطانيا وثوقاً فابتدأت مباحثات معها في تشرين الأول ١٩٤٠، أسفرت عن عقد اتفاق إنكلو- أمريكي بشأن العمليات العسكرية المشتركة في المحيط الهادي. وسمحت بريطانيا بموجبه للولايات المتحدة باستخدام قاعدتها

البحرية في سنغافورة، وموانئ استراليا ونيوزيلندة. ووعدت الولايات المتحدة بريطانيا بمساعدتها في نقل قواتها من استراليا إلى بورما والملايو، وبحشد قوة بحرية أمريكية ضخمة في المحيط الهادي. وهكذا تأزمت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

ومهما يكن من أمر فقد بذلت محاولات لإزالة أسباب التوتر بين الدولتين حينما جرت مفاوضات تمهيدية بينهما في كانون الثاني ١٩٤١، ثم اتبعت بمفاوضات أخرى وعلى مستوى أعلى منذ آذار ١٩٤١، وقد عرضت الحكومة الأمريكية على اليابان في شهر التالي، عقد معاهدة شريطة الموافقة على عدد من المقترحات من بينها - سحب القوات اليابانية من الصين، وتخليها عن فكرة ضمها إليها، وأن تلتزم اليابان بانتهاج سياسة الباب المفتوح فيها. وقد أعربت اليابان في معرض ردها على تلك المقترحات عن استعدادها لعقد معاهدة مع الولايات المتحدة شريطة منحها حق الحصول على المواد الأولية الإستراتيجية في جنوب غرب المحيط الهادي، وحصولها على مساعدات اقتصادية كبيرة من الولايات المتحدة، وموافقة الأخيرة على حياد الفليبين واعترافها بالاحتلال الياباني لمنشوريا وأخيراً وقف مساعداتها إلى الصين. وأعلنت الحكومة الأمريكية عن موافقتها على المقترحات اليابانية من ناحية المبدأ شريطة إدخال بعض التعديلات عليها.

وازدادت العلاقات تدهوراً بين الولايات المتحدة واليابان في تموز عام ١٩٤١ عندما أعلنت اليابان فرض حمايتها على الهند الصينية الفرنسية. وردت الولايات المتحدة وفرضت حظراً على تصدير النفط إلى اليابان. لكن اليابان كانت قد عقدت العزم على السيطرة على المحيط الهادي وجنوب شرق أسيا مهما كلف الأمر. وأصدرت الحكومة اليابانية في ختام جلسة عقدتها في أيلول ١٩٤١

وحضرها الإمبراطور الياباني نفسه تهديداً مفاده (إذا لم يظهر هناك أي أمل في قبول مطالبنا قبل أواسط تشرين الأول، فلا بد من الشروع في الحرب دون إبطاء ضد الولايات المتحدة وبريطانيا وهولندا) واتخذ القرار النهائي بمهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا في مؤتمر لاحق عقد في مطلع تشرين الثاني من عام ١٩٤١. ولقد صيغ هذا القرار على النحو التالي:

١. تبدأ العمليات العسكرية في مستهل كانون الأول ١٩٤١ وعلى الجيش والأسطول أن يكملا استعداداتهما للحرب قبل هذا الموعد.

٢. يجب أن تستمر المفاوضات مع الولايات المتحدة طبقاً للخطة المرسومة.

ومما لا شك فيه أن اليابان أرادت من النقطة الثانية إشغال الحكومة الأمريكية وتهدئة مخاوفها وصرف انتباهها، على أمل أن تضمن لهجومها المرتقب عنصر المفاجأة، وزيادة في التمويه بعثت الحكومة اليابانية أحد العاملين في السلك الدبلوماسي فيها إلى الولايات المتحدة. في ٥ تشرين الثاني ١٩٤١، وهو نفس اليوم الذي اتخذ فيه القرار النهائي بمهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا، ليساعد زميله في إدارة دفة المفاوضات الجارية هناك.

وعادت الولايات المتحدة إلى تقديم مشروع جديد إلى اليابان في ٢٦ تشرين الثاني يرمي إلى إيجاد حلول شاملة للقضايا المتنازع عليها وتألف المشروع من شقين الأول إعداد إعلان مشترك عن المبادئ الأساسية للسياستين الأمريكية واليابانية في المحيط الهادي. وتضمن الشق الثاني سلسلة من الاقتراحات وهي.

١. عقد ميثاق عدم اعتداء متعددة الأطراف.

٢. انسحاب القوات اليابانية من الصين والهند الصينية.

٣. الاعتراف بحكومة تشان كاي تشيك كالحكومة الشرعية الوحيدة في الصين.

٤. عقد اتفاق تجاري بين البلدين على أساس الدولة المفضلة.

٥. وضع نظام ثابت لتحويل الدولار الأمريكي والين الياباني.

وفي ٧ كانون الأول عام ١٩٤١ سلم الوفد الياباني للمفاوضات مذكرة إلى الحكومة الأمريكية. أعلن فيها عن رفضه المقترحات الأمريكية الأخيرة. وفي اليوم نفسه قام اليابانيون بهجوم على ميناء بيرك هاربر.

٣. الهجوم الياباني على بيرك هاربر:

قامت اليابان بالتخطيط لتصفية المستعمرات الفرنسية والبريطانية والهولندية والأمريكية في القارة الآسيوية والمحيط الهادي. ولما كانت السيطرة البحرية تشكل أساس قدرة اليابان على تحقيق أهدافها التوسعية هذه، لذلك كان لا بد لها من التفكير في شل قدرة الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي، على التدخل الفعال في بداية العمليات الحربية الخاطفة الهادفة إلى الاستيلاء على معظم المستعمرات البريطانية والهولندية والأمريكية بسرعة، لخلق أمر واقع عسكري وسياسي يصعب على الولايات المتحدة وبريطانيا تغييره بعد ذلك خاصة في ظل انتصارات ألمانيا النازية في أوربا.

وبعد تولي الأميرال (ايسوروكويا ماماتو) قيادة البحرية اليابانية في آب ١٩٣٩ بدأ يفكر في خطة جريئة لتوجيه ضربة مفاجئة لقاعدة (بيرل هاربر) الأمريكية الموجودة بجزر هاواي على بعد (٢٠٩٠) ميلاً بحرياً إلى الجنوب الغربي من(سان فرانسسكو) على الساحل الغربي للولايات المتحدة. وتبعد عن اليابان نحو (٥٦٠٠) كم. وذلك نظراً لإنهاء القاعدة الرئيسية للأسطول الأمريكي

في المحيط الهادي والمعتبرة في مأمن من أي هجوم بحري ياباني في فعال وخارج مدى أي قاذفة قنابل يابانية. وكان (ياماماتو) من ضباط البحرية القلائل المؤمنين بفاعلية حاملات الطائرات وسيادتها المستقبلية على بقية القطع الحربية الأخرى بما فيها البوارج خاصة بعد تجربته تولي قيادة أول حاملة طائرات يابانية عام ١٩٢٨. ولذلك رسم خطته على أساس إرسال قوة من حاملات طائرات سراً إلى أقرب مسافة ممكنة من جزيرة (أوهاو) حيث يوجد ميناء (بيرل هاربر) على أقرب مسافة ممكنة من جزيرة (أوهاو) ومدينة (هونولولو) ثم تقوم الطائرات بالطيران من هناك وتهاجم الميناء المذكور فجأة وتدمر أكبر عدد ممكن من السفن الحربية الأمريكية الرئيسية الموجودة به. بالإضافة إلى تدمير الطائرات الرابضة في مطارات الجزيرة لضمان عدم مطاردة حاملات الطائرات أثناء رحلة العودة إلى اليابان.

وتأكدت أهمية توجيه ضربة جوية مفاجئة لبيرل هاربر عندما حشدت الولايات المتحدة قوة كبيرة من أسطولها هناك خلال شهر أيار ١٩٤٠ لتكون بمثابة قوة رادعة لليابان في سياستها التوسعية في جنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادي، كما زادت قناعة (ياماماتو) في مدى صلاحية حاملات الطائرات للقيام بهذه المهمة إثر نجاح الهجوم الجوي الليلي الذي شنته الطائرات البريطانية من فوق ظهر حاملة طائرات على القاعدة البحرية الإيطالية (تارانتو) يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٤٠ ونجاحها في إغراق ثلاث بوارج كانت راسية هناك بعد إصابتها بالطوربيدات مشكلة بذلك أول سابقة بالغة الأهمية في عمليات حاملات الطائرات في تاريخ الحرب البحرية ضد البوارج التي كانت معتبرة حتى ذلك الوقت القطع البحرية الأساسية في أي سلاح بحري في العالم.

وقام (ياماماتو) الذي ظل في شهر كانون ١٩٤٠ يحتفظ بفكرته هذه كسر خاص به، بإعداد خريطة لبيرل هاربر في قمرته الخاصة الموجودة بسفينة القيادة البارجة (ناجاتو) التي كانت تحمل باستمرار أحدث المعلومات عن القاعدة المذكورة وفقاً لآخر تقارير المخابرات والتي تشمل عدد ونوعيات السفن الحربية الموجودة بها. وطبيعة الدفاعات البحرية والجوية وعمق المياه داخل وخارج الميناء وسرعة التيار وظروف المناخ والتضاريس في جزيرة (أوهاو). وقد أطلق على العملية الهجومية، التي أخذ يخطط لها تنفيذيا ابتداء من كانون الأول ١٩٤٠ بعد أن باح بنيته الخاصة إلى رئيس أركانه للمرة الأولى، اسم (العملية زد).

وقد اختار (ياماماتو) خليجاً معنياً في الجزر اليابانية يشبه خليج بيرل هاربر لإجراء التدريبات الطويلة الدقيقة لطياري حاملات الطائرات الذين لم يعرفوا الهدف الحقيقي من تدريباتهم إلا عشية الإبحار إلى بيرل هاربر تقريباً.

وقد عكف الفنيون في الصناعة الحربية على تصميم قنابل خاصة خارقة للدروع لتحملها القاذفات التي ستقصف البوارج والطرادات من ارتفاع عالٍ نسبياً. وطوربيدات خاصة لقاذفات الطوربيد التي ستهاجم البوارج الراسية على بعد نحو (٥٠٠) متر فقط من شاطئ خليج بيرل هاربر الذي لا يزيد عمق الماء فيه عن (٤٠ قدماً) تكون قادرة على الطفو السريع بعد اصطدامها بالماء عند إسقاطها من الطائرة حتى لا تنغرز في طين قاع الخليج.

وجرى تدريب طياري قاذفات الطوربيد على إصابة نماذج للبوارج الأمريكية بنماذج غير متفجرة من هذه الطوربيدات ومن مسافة (٥٠٠) متر تقريباً الأمر الذي تطلب إطلاقها من ارتفاعات منخفضة للغاية وضمن سرعة بطيئة للطائرة (تبلغ ١٥٠ عقدة) كما تم تدريب طياري القاذفات على إصابة سفن

تسير بطريقة متعرجة بسرعة كبيرة حتى بلغت نسبة الإصابة المباشرة في هذه الحالة ٥٠%، وتدرب طيارو الطائرات المنقضة على إصابة الطائرات الرابضة في المطارات وأجاد الجميع الإقلاع والهبوط من فوق ظهر الحاملات. وفي الوقت نفسه جرى إعداد مجموعة من غواصات الجيب الصغيرة التي ستحملها غواصات كبيرة إلى قرب بيرل هاربر لتطلقها من هناك حيث تتسلل إلى داخل الميناء، وتهاجم السفن الراسية فيه بالطوربيدات أثناء الغارة الجوية أو بعدها (تزن الغواصة الجيب اليابانية ٤٦ طناً ويبلغ طولها ٧٨ قدماً ومجهزة بمحرك كهربائي قوته ٦٠٠ حصان وتبلغ سرعتها القصوى ٢٣ عقدة وهي مسلحة بطوربيدين عيار ١٨ بوصة).

وفي ٥ تشرين الثاني ١٩٤١ أصدر (ياماماتو) أمره الأول الخاص بالعملية إلى الأميرال (ناجامو) قائد القوة البحرية المكلفة بتنفيذها، التي تألفت من (٣١) سفينة تضم (٦) حاملات طائرات وبارجتين وطرادين ثقيلين وطراد خفيف و(٩) مدمرات و٣ غواصات و(٩) ناقلات وقود وتموين وفي ٢٢ تشرين الثاني تجمعت القوات سراً في خليج (تانكان) بإحدى جزر (كوريل المنعزلة اليابانية الواقعة على بعد نحو (١٦٠٠) كلم إلى الشمال من (طوكيو) استعداداً لتلقي الأمر الأخير بالإبحار إلى قرب جزر هاواي.

وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤١ أصدر (ياماماتو) أمره إلى (ناجامو) بالإبحار لتنفيذه العملية، وفي فجر اليوم التالي بدأت القوة رحلتها وهي في حالة صمت لاسلكي تام، وفي الوقت نفسه كان هناك إرسال لاسلكي مزيف يظهر لأجهزة التنصت الأمريكية أن حركة اللاسلكي البحرية العادية للأسطول الياباني تسير كما هي، ولذلك اعتقدت المخابرات الأمريكية أن حاملات

الطائرات اليابانية موجودة في قواعدها الأصلية طوال فترة رحلتها السرية نحو (بيرل هاربر).

وفي فجر يوم كانون الأول تلقى (ناجامو) في عرض المحيط الهادي رسالة لاسلكية من (ياماماتو) تقول (اصعد جبل نييتاكا) وكانت تعني نفذ الهجوم على (بيرل هاربر) وأرسلت في الوقت نفسه رسائل بالشفرة إلى سفير اليابان في (واشنطن) وكذلك إلى سفراتها في جنوب شرق آسيا وقنصلها في (هونولولو) كي يقوموا بإحراق أوراقهم السرية. وفي ٥ كانون الأول ١٩٤١ أرسل أحد جواسيس اليابان في جزيرة (اوهاو) رسالة الشفرة اللاسلكية إلى طوكيو تفيد بعدم وجود أي حاملة طائرات أمريكية في (بيرل هاربر). وكان (ياماماتو) يتوقع أصلاً وجود (٣) أو (٤) حاملات طائرات أمريكية هناك. ورغم هذا فقد استمرت قوات (ناجامو) في اقترابها من (بيرل هاربر) لأنه أصبح من المتعذر العدول عن الهجوم خاصة وأن البوارج الأمريكية كانت لا تزال راسية هناك.

و قبيل فجر ٧ كانون الأول ١٩٤١ وصلت القوات إلى نقطة تبعد نحو (٣٦٨) كلم إلى الشمال من (بيرل هاربر) دون أن تعترضها أي سفينة أو طائرة أمريكية للاستطلاع. ومن هناك بدأت الموجة الأولى من الطائرات إقلاعها من فوق سطح حاملات الطائرات الست في الساعة السادسة صباحاً وفي خلال (١٥) دقيقة كانت القوة الجوية المؤلفة من (١٨١) طائرة قد أقلعت كلا في طريقها نحو (بيرل هاربر) بقيادة الضابط الطيار المسؤول عن القوة الجوية المشتركة في العملية ويدعى (فوشيدا) وكانت تضم (٤٢) طائرة مقاتلة و(٤٨) قاذفة قنابل و(٥١) قاذفة منقضة و(٤٠) قاذفة طوربيد. وفي حوالي السادسة وخمس وأربعين دقيقة التقطت إحدى محطات الرادار الأمريكية الخمس المتحركة حركة الطائرات اليابانية وهي لا تزال على مسافة نحو (٢٠٨) كم من (بيرل

هاربر) وابلغ الجنديان اللذان كانا يعملان عليها ما شاهداه على شاشة الرادار من اقتراب مجموعة كبيرة من الطائرات إلى الملازم الموجود في مقر قيادة الإنذار الجوي تليفونيا. إلا انه اعتقد أن هذه الطائرات إما تكون إحدى دوريات الطيران الأمريكي العادية أو تكون مجموعة القاذفات الأمريكية ذات الأربع محركات طراز (ب- ١٧) القادمة من كاليفورنيا لتعزيز قوة الاستطلاع الجوي بالجزيرة وبالفعل كانت (١٢) قاذفة من هذا النوع تقترب من الجزيرة وقتئذ من جهة الشمال الشرقي.

وهكذا أفلتت آخر فرصة للقوة البحرية الأمريكية في تجنب المفاجأة اليابانية التي قدر لها أن تتحقق بصورة كاملة، إذ بدأت الطائرات اليابانية هجومها على ميناء (بيرل هاربر) في تمام الساعة ٧,٥٥ بالتوقيت المحلي. وقبل أن يبدأ (فوشيدا) هجومه مباشرة أرسل إشارة لاسلكية إلى قيادته أشار فيها إلى تحقيق المفاجأة الكاملة. واستمر هجوم الموجة الأولى لمدة نصف ساعة الذي لعبت فيه قاذفات الطوربيد الدور الحاسم ضد السفن الحربية الرئيسية الراسية في الميناء كما هاجمت الطائرات المنقضة والمقاتلات أيضاً المطارات الموجودة بالجزيرة ودمرت العديد من طائراتها المصطفة بجانب بعضها (صفت الطائرات على هذا النحو لتسهيل حراستها ضد أي عمليات تخريب بريطانية كانت القيادة الأمريكية تتوقعها من عملاء اليابان في الجزيرة).

ثم وصلت الموجة الثانية من الطائرات اليابانية في الساعة الثامنة وخمسين دقيقة وكانت تضم (١٧٠) طائرة من بينها (٨٠) طائرة منقضة و(٣٦) طائرة مقاتلة والباقي من قاذفات القنابل وقد واجهت هذه الموجة مقاومة أرضية مضادة للطائرات أكثر فاعلية من تلك التي واجهتها طائرات الموجة الأولى، ولذلك بلغت خسائرها (٢٠) طائرة مقابل (٩) طائرات فقدت في الموجه الأولى

التي تحققت فيها المفاجأة الكاملة. واشتركت المقاتلات في مهاجمة الطائرات الرابضة على الأرض برشاشاتها وقام اثنان من طياريها أصيبت طائراتهما بالانقضاض فوق حظائر الطائرات والاصطدام بها بطريقة انتحارية سجلت أول عمليات (الكاميكاز) الانتحارية اليابانية التي استخدمت بعد ذلك في مراحل الحرب المتقدمة.

وفي حوالي الساعة ٩,٤٥ بدأت الطائرات اليابانية في العودة إلى حاملاتها الرابضة على مسافة (٣٢٠) كم تقريباً إلى الشمال من (بيرل هاربر) مخلفة وراءها سحباً عالية من الدخان الأسود الكثيف المتصاعد من حرائق السفن ومنشآت الميناء والمطارات ونتج عن الهجوم غرق خمس بوارج وإصابة ثلاث بوارج أخرى بأضرار شديدة جعلتها غير صالحة لفترة طويلة. وإصابة ثلاثة طرادات بأضرار شديدة وإغراق مدمرتين وإصابة مدمرتين أخرتين بأضرار شديدة وإغراق سفينة بث الغام وإصابة سفينتين أخرتين بأضرار شديدة إحداهما سفينة تموين والأخرى سفينة إصلاح وصيانة، هذا فضلاً عن تدمير (١٨٨) طائرة وإعطاب (١٥٩) طائرة أخرى. وقتل نتيجة لذلك الهجوم (٢٣٣٥) من العسكريين الأمريكيين في البحرية والجيش والطيران بالإضافة إلى (٦٨) من المدنيين وجرح (١١٧٨) آخرين.

وفقدت القوة الجوية اليابانية (٢٩) طائرة كما أغرقت (٥) غواصات جيب وغواصة كبيرة ولقد عادت الطائرات اليابانية كلها إلى الحاملات حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً. وعرض (فوشيدا) على (ناجامو) معاودة الهجوم مرة أخرى على (بيرل هاربر) قبل الرحيل لاستكمال إغراق (٧٢) سفينة من مختلف الأنواع كانت لا تزال موجودة هناك خاصة وأن الطيران الأمريكي قد دمر على الأرض. إذ لم تستطع أن تقلع خلال الهجمات الجوية سوى ثلاث مقاتلات

أمريكية فقط. ولكن (ناجامو) خشي معاودة الهجوم وآثر العودة السريعة بأسطوله خاصة وأن عدم وجود حاملات الطائرات الأمريكية في (بيرل هاربر) كان يثير مخاوفه من حيث احتمال مطاردتها له إذا كانت قريبة منه. ولذلك استدارت القوة البحرية اليابانية عائدة في حوالي الواحدة والنصف ظهراً ووصلت إلى اليابان سالمة في الفترة ما بين ٢٤ و٢٦ كانون الأول ١٩٤١.

لقد كان ضعف وسائل الاستطلاع البحري والجوي وتخلف وسائل الإنذار الراداري وحداثة استخدامها فضلاً عن وجود حالة من الاسترخاء التابعة عن الثقة الكبيرة في القوة الأمريكية التي تشكل رادعاً لليابان هي الأسباب الحقيقية للتقصير والإهمال الذي أدى إلى نجاح الهجوم الياباني على (بير هاربر).

وبعد يوم واحد من الهجوم الياباني على (بيرل هاربر)، أعلنت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا الحرب على اليابان. كما أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا وإيطاليا في ١١ كانون الأول ١٩٤١. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة طرفاً في الحرب العالمية الثانية. وكان من الأسباب الأخرى لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية ما يأتي:

١. خوف الولايات المتحدة من احتمال سيطرة ألمانيا على كل أوروبا وما قد يؤدي ذلك من إلحاق أضرار بمصالح الولايات المتحدة الاقتصادية.
٢. رأت الولايات المتحدة أن تدخل الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا بدلاً من أن تضطر إلى دخولها لوحدها في المستقبل بعد أن يتم النصر لدول المحور على بريطانيا وفرنسا.

٣. قلق الولايات المتحدة تجاه سياسة اليابان التوسعية في الشرق الأقصى جنوب شرقي آسيا والتي أصبحت تهدد مصالح الولايات المتحدة في هذه المناطق.

وفي نفس اليوم أعلنت فيه الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا وإيطاليا وقعت دول المحور اتفاقاً عسكرياً جديداً بينها. نص على أن تواصل ألمانيا وإيطاليا واليابان الحرب على بريطانيا والولايات المتحدة بصورة مشتركة وبمختلف الوسائل المتوافرة لديها حتى نهاية الحرب. وتعهدت الدول الثلاث بأن لا توقع أي منها هدنة أو صلحاً من جانب واحد.

معركة سنغافورة:

وهي المعركة التي خاضها الجيش الياباني ضد القوات البريطانية أبان الحرب العالمية الثانية. لقد اضطرت القوات البريطانية في الفترة من ٨ كانون الأول ١٩٤٢ إلى ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٢ إلى التراجع أمام تقدم اليابانيين في شبه جزيرة (ملايو) (ماليزيا حالياً) واللجوء إلى جزيرة (سنغافورة) في أقصى الجنوب في محاولة يائسة لتجنب الهزيمة الشاملة. ومع انتقال آخر جندي بريطاني من منطقة (جوهور) إلى (سنغافورة) نسف البريطانيون في ٣١ كانون الثاني الجسر الذي كان يربط بين الملايو وجزيرة (سنغافورة).

وقد وضع قائد القوات البريطانية في الجزيرة الفريق (آرثر برسيفال) خطة دفاعية تستند إلى اعتقاده بان اليابانيين سيهاجمون الجزيرة من الشمال الشرقي، واختار تكتيكيا دفاعياً يتلخص في منع المهاجمين من النزول على الخط الساحلي المليء بالمستنقعات والخلجان الصغيرة (طوله ١١٢ كلم) وبخاصة في الجهة الشمالية منه، والتعامل معهم في حال نجاحهم في الإنزال. ووزع قواته

(٨٥ ألف رجل، من بينهم ١٥ ألف أداري غير محارب) على ثلاثة قطاعات القطاع الشمالي - الفرقتان الهندية ١١ والبريطانية ١٨، القطاع الغربي - الفرقة الأسترالية ٨. والقطاع الجنوبي- قوات مختلطة تتضمن لواءين ملاوين ومقاتلين صينيين.

وكان موقف البريطانيين القتالي قبيل المعركة يعاني من مجموعة ثغرات أبرزها- انخفاض معنويات القوات وتدني مستواها القتالي، وانعدام الغطاء الجوي والدعم البحري وقصر نظر قائد القوات نفسه. وتقاعس المدنيين عن تقديم العون للقوات المدافعة.

وفي هذا الوقت عرض القائد الياباني الفريق (توموبوكي ياماشيتا) على أركانه خطته لغزو الجزيرة. وحدد مهام قواته (حوالي ٣٠ ألف رجل قوام على الجيش ٢٥) على النحو التالي - ينزل جزء من فرقة الحرس الإمبراطوري بقيادة (نيشيمورا) في جزيرة (أوبين) في مساء ٧ شباط ١٩٤٢ لإيهام البريطانيين لهجوم خداعي في الشرق. وفي مساء اليوم التالي (٨ شباط) تعبر الفرقتان ٦ بقيادة (ماتسوي) و١٨ بقيادة (موتاغوتشي) باتجاه الزاوية الشمالية الغربية من الجزيرة. ويلحق بهما في ٩ شباط الجزء المتبقي من فرقة الحرس الإمبراطوري وتندفع قوات الفرقتين ٥و١٨ باتجاه مدينة (سنغافورة) على ثلاثة محاور رئيسية.

وتعزيزاً لخداع العدو بفكرة الهجوم من الشرق أمر (ياماشيتا) في وقت سابق (٥ شباط بأن تقام مخيمات مزيفة في مواجهة القاعدة البحرية الواقعة في شمالي الجزيرة. وأن تتحرك قوافل من الشاحنات باتجاه الشرق نهاراً، ثم تعود إلى نقطة انطلاقها في الغرب ليلاً. وقد استند القائد الياباني في قرار الإسراع بالهجوم إلى عاملين هامين- أولهما النقص الشديد في ذخيرة قواته. ولا سيما

ذخيرة مدافع الميدان والثاني دقة المعلومات التي جمعتها وحدات الاستطلاع عن منطقة العبور.

وظهرت علامات الارتباك على أوامر (برسيفال) منذ أن انطلت عليه خدعة تحرك الشاحنات اليابانية من الغرب إلى الشرق وتحشد قوات من الحرس الإمبراطوري في الشرق وزاد الأمر سوءاً إلى البريطانيين شروع اليابانيين في ٢٥ شباط بقصف المطارات الشمالية والقاعدة البحرية وعقد المواصلات الرئيسية، ومواصلة القصف في يومي ٦و٧ شباط وقد تنبه قائد الفرقة الأسترالية ٨ في القطاع الغربي الجنرال (هنري بينيت) إلى اتجاه الهجوم الياباني المتوقع وأمر في ليلة ٧ شباط باستطلاع الخط الساحلي الممتد بين مصبي نهري (مالايو) و(وسكوداي). وتجمعت لديه معلومات عن حشود اليابانيين في منطقة الاستطلاع. فطلب إلى القيادة العليا تزويده بطائرة لمراقبة مدفعيته. ولكن القيادة أبلغته بأنها لا تملك طائرة صالحة للعمل، الأمر الذي سمح لليابانيين بتجميع زوارق الاقتحام وتحميلها بقوات الإنزال البرمائي دون صعوبة.

وفي فجر ٨ شباط قصفت الطائرات اليابانية الأستراليين في القطاع الغربي ورمتهم بنيران الرشاشات. وفي فترة بعد الظهر قصفت المدفعية اليابانية دفاعات الأستراليين الأمامية ومقر قيادتهم وخطوط اتصالاتهم. ثم تضاءلت حدة القصف قليلاً عند الغروب إلا أنها تزايدت بعد ذلك بعنف، حتى اعتقد (برسيفال) و(بينيت) أن اليابانيين سيواصلون القصف لمدة ثلاثة أو أربعة أيام. ولم يجدا بالتالي ضرورة لقصف مراكز تجمعهم. ولكن (برسيفال) فوجئ بعد ساعات قليلة بهجوم الموجة الأولى من قوات الإنزال الياباني على مواقع المشاة الأمامية من الفرقة الأسترالية.

وبدأ (ياماشيتا) غزو الجزيرة في حوالي الساعة ٢٢,٠٠ من يوم ٨ شباط ١٩٤٢ بعد أن قامت وحدات الحرس الإمبراطوري في الشرق بهجومها الخداعي المقرر. وانطلقت من المنطقة الواقعة بين (بولو) و(ماراي) ثلاثة زوارق اقتحام باتجاه مشاة اللواء ٢٢ من الفرقة الأسترالية ٨ في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة. وقد حال الظلام دون منع الزوارق من الوصول إلى مسافة قريبة من شاطئ الجزيرة. وحين أبصرها الأستراليون واجهوها بنيران غزيرة غير مركزة بسبب فقدان الاتصال بأطقم الأنوار الكاشفة التي لم تبادر إلى إضاءة منطقة الإنزال. واستفاد المهاجمون من تأخر مدافع الأستراليين عن تنفيذ الإيقاف، ونجحوا في إقامة راس جسر على الشاطئ وإحداث ثغرات في الخط الدفاعي الساحلي. ورغم الخسائر التي تكبدتها موجتا الإنزال الأولى والثانية كان الجنود اليابانيون يهرعون فور نزولهم إلى مؤخرات مواقع المدافعين، ويشتبكون معهم في قتال تلاحمي.

وفي الساعة ٩,٠٠ من يوم ٩ شباط ١٩٤٢، كان اللواء ٢٢ المكلف بحماية المنطقة الشمالية - الغربية من الجزيرة قد تفكك، وتبعثر جنوده باضطراب كبير إبان تراجعهم. وكان اليابانيون قد بدؤوا التوجه جنوباً نحو (أماكينغ) حتى أدركوا مواقع الأستراليين القريبة من (أماكينغ) ومطار (تينفا)، بعد أن فشلت محاولة (برسيفال) و(بينيت) في الإعداد لهجوم معاكس في الصباح الباكر. مدعوماً بما تبقى من الطائرات البريطانية في الجزيرة (١٠ هاريكان و٤ سوردفيش). وبسقوط (أماكينغ) وتراجع الأستراليين إلى طريق (جورونغ) في اليوم نفسه، أصبح الجزء الأكبر من القطاع الغربي تحت سيطرة جنود الفرقتين اليابانيتين ٥و١٨ الذين كانوا قد انتقلوا إلى الجزيرة مع وحدات من المدفعية عبر

مضيق (جوهور) في الوقت الذي انتقل القسم المتبقي من فرقة الحرس الإمبراطوري في الغرب إلى شمالي الجزيرة.

انتقل (ياماشيتا) إلى الجزيرة في مساء ٩ شباط للوقوف على خطة تطوير الهجوم باتجاه مرتفعات (جورونغ) الممتدة مسافة ٤١٨ كلم بين مصبي نهري (جورونغ) و(كرانجي) والفاصلة بين القطاع الغربي وطريق (بوكيت تيما) المؤدي إلى مدينة (سنغافورة وكان (بينيت) في هذا الوقت قد استعاد توازن قواته في القطاع الغربي، رغم الأنباء التي تواترت عن تدفق الدبابات المتوسطة (من طراز تايب ٩٤) إلى أرض الجزيرة عبر الجسر الذي قام المهندسون اليابانيون بإصلاحه. في حين كان (برسيفال) يفكر في خطة دفاعية تحمي العاصمة (سنغافورة) في حال وصول القوات اليابانية إلى (بوكيت تيما) التي تبعد عن العاصمة زهاء ٨ كلم.

وقد اختار (بينيت) الصمود في قطاعه واستثمار مناعة مرتفعات (كورونغ) رغم خلوها من الحواجز الضرورية المضادة للمشاة والدبابات (ألغام وأسلاك وخنادق) بينما قرر (برسيفال) إقامة خط دفاعي دائري حول مدينة (سنغافورة) للمحافظ على مستودعات التموين والمستشفيات وخزانات المياه. وقد أطلع قائدي المنطقة الجنوبية السير (لويس هيث) و(سيموتر) على خطته، ثم أبلغ قائدي الجبهتين الآخرين وضباط أركانهما بها. وكان من النتائج المباشرة لهذه الخطة انسحاب اللواءين الأستراليين ٢٢و٢٧ (الفرقة الأسترالية ٨) في ١٠ شباط من خط (جورونغ) إلى تلال (بوكيت تيما) دون استشارة (بينيت) وضياع آخر فرصة لإيقاف اليابانيين في الغرب.

حاول الفيلد مارشال (ويفل) قائد قوات الحلفاء في (بورما- الفلبين تدارك خطورة تدهور الموقف. إبان زيارته للجزيرة في ١٠ شباط وأمر بشن

هجوم معاكس فوري. غير أن وصول الدبابات اليابانية إلى (بوكيت تيمـــا) بعــد ظهر اليوم ذاته ضاعف من حالة الفوضى السائدة، وأدى إلـــى تشـــتيت القـــوات المنتشرة في التلال. ما عدا جنود كتيبتي (أرغيل) و(ســـذو لاند) الذيـــن حـــاولوا إيقاف الدبابات دون جدوى ثم انسحبوا منتصف الليل باتجاه الشرق مـــا ممكـــن اليابانيين من السيطرة على طرق حيوية. وقطع اتصالات الحلفـــاء بيـــن شـــمال الجزيرة وجنوبها.

وفي صباح ١٣ شباط كانت الفرقتان الهندية ١١ والبريطانية ١٨ وبقايـــا الفرقة الأسترالية ٨ قد تراجعت إلى خط دفاعي دائري بطول ٤٤,٨ كلـــم حـــول مدينة (سنغافورة) التي كانت تعمها في هذا الوقت أسوأ حالات الاضطراب بسبب تدفق اللاجئين إليها من مدنيين وعسكريين. وانصرف الســـكان إلـــى الســـلب أو البحث عن الملاجئ، وفقدان المياه، وانتشار الأمراض. وكـــان القـــائد اليابـــاني يفـــكر في الخطة الممكنة لاحتلال مدينة (سنغافورة) آخذاً في الاعتبار صعوبـــة تحقيق هدفه بمحاصرتها أو بخوض حرب شوارع في داخلها نظراً إلى النقـــص في تموينه وذخائره والى تفوق الحلفاء العددي بنسبة ٣ إلى ١. ولجأ إلى ما يشـــبه المغامرة لإجبار (رسيفال) على الاستسلام قبل أن يتسنى له التراجع إلى المدينـــة فأمر في اليوم ذاته (١٣ شباط) بإلقاء منشورات من الجو تدعو (برســـيفال) إلـــى الاستسلام ووجه إلى المواقع البريطانية رمايات مدفعية كثيفة لإيـــهام المدافعيـــن بأن القصف سيمتد فترة طويلة وتابع الضغط على الخـــط الدفـــاعي بالطـــائرات والدبابات.

ولقد نشطت في خلال يومي ١٣و١٤ شباط الاتصـــالات البرقيـــة بيـــن (تشرشل) و(ويفل) من جهة و(برسيفال) و(ويفل) من جهة ثانية وتركـــزت فـــي بادئ الأمر على ضرورة الدفاع عن المدينة مهما كلف الأمر، ثم انتهت إلى منـــح

(برسيفال) حرية تقدير الموقف واتخاذ القرار المناسب. وساء الوضع في المدينة في ١٥ شباط ١٩٤٥ إلى درجة دفعت (برسيفال) إلى عقد مؤتمر ضم جميع القادة العاملين تحت رمته للاطلاع على تقديراتهم وأسفر المؤتمر عن قرار بالاستسلام دون قيد أو شرط في اليوم نفسه.

وكان لسقوط (سنغافورة) في أيدي اليابانيين نتائج معنوية كبيرة، لأنه كان تجسيداً لانهيار هيبة بريطانيا في جنوبي شرقي آسيا، كما كانت له نتائج مادية تتمثل في تحديد حرية تحرك الأسطول البريطاني في الشرق نظراً إلى أن الجزيرة كانت مصدراً هاماً للنفط ومحطة رئيسية لقوات الحلفاء البحرية والجوية في الشرق الأقصى.

وقد ساعدت انتصارات اليابانيين على تحقيق جميع أهدافهم التوسعية في منطقة جنوب شرق آسيا. فاستولوا على هونك كونغ في ٢٥ كانون الأول ١٩٤١. وإندونيسيا في آذار ١٩٤٢. وغدا اليابانيون يهددون استراليا ونيوزيلندة. وكان قسم من القوات اليابانية قد حول وجهته بعد سقوط الملايو إلى بورما، فدخل عاصمتها (رانكون) في ٧ آذار ١٩٤٢. ونجحت الهند من الاحتلال الياباني بسبب حلول موسم الرياح الموسمية. وكذلك بسبب انشغال اليابانيين في تعزيز وجودهم في المناطق التي احتلوها حديثاً. وهكذا أصبح اليابانيون يسيطرون على مساحات شاسعة من الأراضي قدرت بـ (٣,٨٠٠,٠٠) كم٢ بالإضافة إلى تلك الأراضي التي كانوا قد استولوا عليها في الصين.

استئناف القتال في الجبهة الشرقية:

١. معركة سمولنسك:

أخذت المراحل الأولى من عملية باربا روسا الغزو الألماني للاتحاد السوفيتي) شكل الحرب الخاطفة. وحققت مجموعات الجيوش الألمانية المشتركة فيها تقدماً سريعاً وعميقاً داخل الأراضي السوفيتية. ففي الأسبوع الأول من العملية (٢٢ حزيران- ٣٠ حزيران) وبينما كانت مجموعة جيوش الشمال الماريشال فون ليب تتقدم في دويلات البلطيق (استونيا وليتوانيا ولاتفيا) ومجموعة جيوش الجنوب الماريشال فون رونشتدت تندفع عبر أوكرانيا، قامت مجموعة الوسط الماريشال فون بوك بالتقدم عبر بيلوروسيا (روسيا البيضاء) محققة نجاحات كبيرة تمثلت في اختراق دفاعات الجبهة الغربية (أي مجموعة الجيوش الغربية حسب التسمية السوفيتية والاندفاع داخل الاتحاد السوفيتي مسافة لا تقل عن ٣٠٠ كلم، واحتلال (منيسك) في ٢٩ حزيران، وتدمير وأسر عدد كبير من قوات الجيش السوفيتي العاشر حول (مينسك) في ٢٩ حزيران والتقدم بعد ذلك باتجاه (سمولنسك) الواقعة على بعد (٦٤٠) كلم عن خط الحدود، بغية احتلالها والاندفاع منها نحو (موسكو).

كانت مجموعة جيوش الوسط الألمانية المكلفة بمتابعة الضغط على الجبهة الغربية السوفيتية - جيش المشاة التاسع بقيادة الجنرال (شتراوس) وجيش المشاة الرابع بقيادة الجنرال (فون كلوغ) ويضمان معاً (٣٣) فرقة مشاة. ومجموعة البانزر ٣ بقيادة الجنرال (هوث) وتعمل تحت قيادة جيش المشاة التاسع وتضم الفيلقين المدرعين ٣٩و٥٧ (٤ فرق مدرعة ٣ فرق مشاة ميكانيكية). ومجموعة البانزر ٢ بقيادة الجنرال (غوريان) وتعمل تحت قيادة

جيش المشاة الرابع، وتضم الفيالق المدرعة الثلاثة ٢٤ و٤٦ و٤٧ (٥ فرق مدرعة ٣ فرق مشاة ميكانيكية).

وفي الأول من تموز ١٩٤١، مع تقدم مجموعة الوسط نحو نهري (دفينا) و(الدنيبر) كان نسقها الأول يضم فرق مجموعتي البانزر ٢و٣، والتشكيلات الأمامية من جيشي المشاة التاسع والرابع. وكان مجموع فرق هذا النسق ٢٨ فرقة (٩ مدرعة و٦ ميكانيكية و ١٢ مشاة و فرقة خيالة ولواء ميكانيكي) وفي عدادها كلها ٢٩٠ ألف رجل و ١٠٤٠ دبابة وأكثر من ٦٦٠٠ مدفع وهاون، كان يدعمها الأسطول الجوي الثاني (١٠٠٠ طائرة قتالية). أما النسق الثاني للمجموعة فكان على بعد ١٢٠- ١٥٠ كلم وراء النسق الأول ويضم حوالي ٢٠ فرقة كانت القيادة السوفيتية قد لاحظت ضعف الجبهة الغربية أمام هذا الحشد الألماني الكبير. فعينت الماريشال (تيموشينكو). قائداً لهذه الجبهة منذ ٢٧ حزيران وألحقت بها بالإضافة إلى جيوشها الثلاثة خمسة جيوش (١٦،١٩،٢٠،٢١،٢٢) من احتياطي القيادة العامة. وكلفتها بالدفاع الصامد عن خط كراسلاف ـ لويف ومنع تقدم العدو نحو (موسكو) وعلى الرغم من هذا التدبير فان ميزان القوى بقي مائلاً لصالح الألمان. ويرجع ذلك إلى الإنهاك الذي أصاب فرق جيوش الجبهة الغربية إبان المعارك السابقة ونقص ملاكات الجيوش السوفيتية ولا سيما في الدبابات والمدفعية. وضعفت القوات الجوية المخصصة لدعم الجبهة الغربية. وتعثر الإمداد والأعتدة والذخائر.

ولقد اعتقدت القيادة الألمانية أن الفرصة مناسبة لمتابعة الهجوم بقوات النسق الأول من مجموعة جيوش الوسط دونما حاجة لانتظار وصول النسق الثاني. وقدرت أن السوفيت عاجزون عن إعداد جبهة دفاعية متماسكة بسبب تضاؤل قواتهم الأحتياطية، وأن ما تستطيع الجبهة الغربية حشده ضد جيوش

الوسط لا يتجاوز ١١ فرقة. وفي ٨ حزيران، أسندت القيادة الألمانية إلى تلك المجموعة مهمة تطويق القوات السوفيتية المنتشرة غرب نهري (دفينا) و(الدنيبر) والاستيلاء على منطقة أورشا - سمولنسك فيتبسك التي تشكل الطريق الأقصر نحو موسكو. وحددت يوم ١٠ تموز موعداً لبدء الهجوم.

والحقيقة أن وضع القوات السوفيتية في يوم بدء الهجوم ١٠ تموز كان أفضل من توقعات القيادة الألمانية بسبب تعزيز الجبهة السوفيتية بالجيوش الاحتياطية الخمسة. إلا أن الترتيب الدفاعي السوفيتي بقي أضعف مما ينبغي إذ مجمل القوات السوفيتية التي انتشرت في النسق الأول غربي (دفينا) و(الدنيبر) لم يكن يتجاوز (٢٤) فرقة. وكانت هذه الفروق منتشرة على جبهة عريضة تعادل (٣٣) كلم لكل فرقة. ووصل عرض نطاق دفاع بعض الفرق إلى (٧٠) كلم. الأمر الذي جعل عمق الخطوط الدفاعية محدوداً. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان التجهيز الهندسي للدفاعات السوفيتية ضعيفاً كما كان مفتقراً إلى المدفعية والدبابات والأسلحة المضادة للدروع. وحتى ١٠ تموز كان مجمل التسليح الثقيل في فرق النسق الدفاعي الأول عبارة عن (١٤٥) دبابة و(٣٨٠٠) مدفع وهاون. ولم يكن يدعم هذه الجبهة سوى (٣٨٩) طائرة قتالية من طرازات قديمة مما جعل التفوق الألماني بالقوى البشرية ستة إلى واحد. وبالدبابات ٦ إلى ١ وبالمدافع والهاونات ٨ إلى ١ وبالطائرات ٣ إلى ١.

وفي هذا الوضع بدأ النسق الأول من مجموعة جيوش الوسط الألمانية الهجوم في صباح ١٠ تموز. وتقدمت مجموعتا البانزر ٢ و٣ بعمق (٢٠٠)كلم وطوقتا (موغيلوف) واستولتا على (اورشا) و(سمولنسك) و(بلينا) و(كريتشيف) وبذلك أصبحت الجيوش السوفيتية ١٩ و١٦ و٢٠ في التطويق العملياتي في منطقة (سمولنسك) ولقد اندفع قسم من قوات الجيش ١٣ عبر نهر (سوج) بينما

تمكنت بقية قواته بمدينة (موغليف) بعد أن صدت هجوم الدبابات الألمانية. وعلى الجناح الأيسر للجبهة قام الجيش ٢١ بهجوم على اتجاه (بوبروبسك) واسترد مدن (روغاتشيوف) و(جلوبين) وقيد القوى الرئيسية لمجموعة البانزر الثانية فترة طويلة في المنطقة الواقعة بين نهري (الدنيبر) و(بيرنرينا) قررت القيادة السوفيتية في هذه المرحلة تنظيم هجوم مضاد عام. بعد استخدام جبهة الجيوش الاحتياطية التي أنشئت لهذا الغرض. ولقد وضعت الجيوش الاحتياطية ٢٤ و٢٨ و٢٩ و٣٠ تحت قيادة المارشال (روكوسوفسكي) وقامت بتوجيه الضربات من مناطق (بيلي) و(بارتسيفو) و(روسلافل) على اتجاهين يتلاقيان في (سمولنسك) وكانت مهمتها سحق تجمعات العدو شمال المدينة وجنوبها بالتعاون مع الجيشين ١٦و٢٠. وفي نطاق الجيش ٢١ جرى توجيه فيلق خياله (٣ فرق خياله) للقيام بإغارة عميقة على مؤخرات العدو. وتكونت إبان الأعمال القتالية بؤرتان دفاعيتان رئيسيتان الأولى في منطقة سمولنسك- يلينا، والأخرى على نهر (سوج) وما بين نهري (الدنيبر) و(بيريزينا). وانطلاقاً من ذلك تم في ٢٤ تموز تشكيل الجبهة المركزية (الجنرال كوزنيتسوف) من جيوش الجناح اليساري للجبهة (الجيشين ١٣و٢١) والجيش الثالث الآتي من الاحتياط.

وعلى الرغم من أن الهجوم المضاد العام الذي شنته القوات السوفيتية لم يتمكن من سحق التجمع المعادي عند (سمولنسك) ولم يؤد إلى نجاح ملموس فقد كان من نتائجه إيقاف زخم اندفاع مجموعة جيوش الوسط نحو (موسكو) ومساعدة الجيشين ٢٠و١٦ على اختراق التطويق وسحب قواتهما الرئيسة إلى نهر (الدنيبر). وفي ٣٠ تموز اضطرت القوات الألمانية للانتقال إلى الدفاع على الاتجاه الغربي واتخذت القيادة الهتلرية قراراً بتأجيل الهجوم على (موسكو) حتى

يتم القضاء على خطر القوات السوفيتية التي تهدد جانبي مجموعة جيوش الوسط.

وفي ٨ آب انتقل الجيش الألماني الثاني ومجموعة البانزر الثانية إلى الهجوم ضد الجبهة المركزية، مع تمديد جبهتيهما نحو الجنوب. واضطرت القوات السوفيتية إلى الانسحاب على الاتجاهين الجنوبي الشرقي والجنوبي وفي ١٦ آب أنشئت جبهة بريانسك بقيادة الجنرال (بيريمينكو) وضمت الجيشين ١٣و٥٠ ثم الحق بها الجيشان ٣و٢١ في ٢٥ آب بعد إلغاء الجبهة المركزية. وكانت مهمتها تغطية اتجاه (بريانسك) بين الجبهة الاحتياطية الماريشال جوكوف والجبهة المركزية. وفي ٢١ آب تقدم الجيش الألماني الثاني ومجموعة البانزر الثانية مسافة ١٢٠-١٤٠ كلم. فبلغا خط غومل- ستارودوب. وتوغلا عمقاً بين جبهتين بريانسك والمركزية بشكل هدد جانب الجبهة الجنوبية الغربية ومؤخرتها. وفي ١٦ آب بدأت قوات الجبهة الجنوبية الغربية وقوات الجيشين ٢٤و٤٣ من الجبهة الغربية هجوماً مضاداً بهدف سحق مجموعتي (دوخوفشينا) و(بلينا) الألمانيتين. وعلى الرغم من أن الهجوم لم يحرز تطوراً إلا أن القوات الألمانية تكبدت خسائر جسيمة في المعارك عند (بلينا).

وقررت القيادة السوفيتية القيام بأعمال نشطة تستهدف دحر مجموعة جيوش الوسط وإحباط هجومها على الاتجاه الجنوبي المتجه إلى مؤخرة الجبهة الجنوبية الغربية إلا أن محاولات قوات جبهة بريانسك لإيقاف التقدم الألماني من خلال توجيه الضربات إلى الجانب لم تحقق نجاحاً وفي الوقت نفسه نفذت هيئة القيادة العامة العليا لهذه الغاية عملية جوية في نطاق جبهة بريانسك. واشتركت فيها (٦٤٠) طائرة مقاتلة. وقد ألحق الطيران السوفيتي بمجموعة البانزر الثانية خسائر فادحة. إلا أنه لم يحبط هجوم العدو نحو الجنوب.

ووجه الألمان ضربة قوية نحو الجناح الأيمـــن لجبهـــة (الجيـــش ٢٢) واخترق دفاعه واستولى على (توروبيتس) في ٢٩ آب، مما اضطـــر الجيشـــين ٢٢و٢٩ للانسحاب إلى الضفة الشرقية لنهر (دفينا). وفي أيلول انتقلت الجيـــوش ١٦ و١٩ و٢٠ و٣٠ إلى الهجوم عند (سمولنسك) إلا أن هجومها لم يحرز نجاحاً بينما تابع الجيش ٢٤ من الجبهة الاحتياطية الأعمال الهجومية وتمكن من ســـحق التجمع الألماني عند (بلينا). وفي ١٠ أيلول انتقلـــت قـــوات الجبـــهتين الغربيـــة وبريانسك إلى الدفاع بأمر من هيئة القيادة وانتهت بذلك المرحلـــة الأولـــى مـــن المعركة والتي كان من نتائجها حسابات القيادة الألمانية للتقدم نحو (موســكو) دون توقف كما ربحت القيادة السوفيتية الوقت اللازم لتحضير الدفاع عـــن عاصمـــة البلاد وتامين الشروط المناسبة للانتصــــار فـــي معركـــة (موســكو) (١٩٤١-١٩٤٢).

وفي المرحلة الثانية من المعركة وفي إطار الهجوم السوفيتي المضـــــاد، وضعت القيادة العليا السوفيتية، بعد أخذ زمام المبادأة الإستراتيجية كلياً في ربيـــع ١٩٤٣ خططاً لعمليات حاسمة تستهدف القضاء على التجمعات الرئيسية للقـــوات الألمانية على طول الجبهة، في خلال صيـــف وخريـــف ١٩٤٣. وقـــد ســـاعد السوفيت على وضع تلك الخطط اكتشافهم لنوايا القيادة الألمانية. التـــي قـــررت القيام بهجوم عام على جيب (كورسك) في فصل الصيف، استناداً إلى اعتقادهـــا بأنها أقدر على العمل في هذا الفصل.

وبدأت خطط السوفيت تحقيق أغراضها مع فشل الهجوم الألماني علــــى جيب كورسك (٤-١٣ تموز ١٩٤٣) وانتقال القوات السوفيتية الموجودة في ذلـك الجيب إلى الهجوم على محور (أوربل) في ١٢ تموز وعلى محور (خـــاركوف) في ٣ آب في إطار هجوم عام شمل جميـــع الجبـــهات (مجموعـــات الجيـــوش)

السوفيتية. وأسندت مهمة تحرير مدينة (سباس- ديمينسك) إلـى قـوات الفريـق (فاسيلي سوكولوفسكي) الذي خصص لتحرير المدينة الجيوش - الحرس العاشـر، ٨٦،٢١،١٠،٤٩،٣٣ يدعمها الجيش الجوي الأول وقامت هذه القوات في مطلـع آب بإنشاء خط دفاعي امتد من شمالي (بارتسيفو) شمالاً إلى جنـوب (شـيفري) (جنوباً). مروراً بشرق (دورونمويوج) و(سباس- ديمينسك) أو غرب (كـيروف) وشرق (شيغري). وانتشرت في مواجهة القوات الألمانية على نسقين وكان النسق الأول -جيش الحرس العاشر شمالي (سلوزنا) والجيش ٣٣ شمال مدينة (ديوكـي) والجيش ٤٩ شرق سباس- ديمينسك والجيش ١٠ شمال كيروف.

أما النسق الثاني فكان يضـم- فيلـق الحـرس السـادس فـي منطقـة (بوستوشكا) (احتياط). والجيش ٦٨ في منطقة مدينة (فسخود) والفيلق الميكـانيكي الخامس عند (فيكيتوفا) والجيش ٢١ في (كليوتشيكي) على خـط سـكة حديـد (فيازما- بريانسك).

وكانت القوات الألمانية المدافعة عن منطقة سباس- ديمنيسك جزءاً مـن مجموعة جيوش الوسط، التي كانت تحت قيـادة المارشـال (هـانزفون كلـوغ) وتتألف من القوات الرئيسية للجيش الرابع (فيلقا المشاة ١٢و٥٥ وفيلق الدبابـات ٥٦) ومدعومة بالأسطول الجوي السادس وكانت القوات متحصنـة وراءه أو ٦ خطوط دفاعية متعاقبة ومترابطة وكان أقواها الخطان الأول والثاني.

ولما كان خط الجبهة الألمانية شرقي (سباس - ديمينسك) علـى شـكل بروز نحو الشرق قرر القائد السوفيتي أن يقطع النتوء مـن الشـمال والجنـوب بضربتين فكان على جيشي الحرس ١٠ و٣٣ مفاجأة الألمان بتوجيه الضربة مـن الشمال- بينما يندفع الجيش ١٠ من جنوب البروز لأحكام الكماشـة الخارجيـة. وفي الوقت نفسه يكون الجيش ٤٩ وجزء من الجيش ٣٣ قد طوقا مدينة سباس -

ديمينسك بكماشة داخلية من الشمال والشرق. ويتم بعد ذلك تطـــهير المقاومـــات المعزولة وتطوير الهجوم باتجاه (روسلافل).

واستند (سوكولوفسكي) في خططه على عوامل مادية ومعنوية رئيسـية إذ كانت القوات السوفيتية تتفوق على القوات الألمانية بالقوة البشـــرية (١,٥ مـــرة) والهاونات ومدافع والميدان (٢,٣ مرة) والطائرات (١,٦ مرة). أما على الصعيـد المعنوي، فكان الجنود السوفيت في وضع تحول نفسي ناتج عن الانتقـــال مـــن الدفاع الطويل إلى الهجوم المضاد العام. مع ما يعنيه ذلك مـــن تعزيـز للـــروح الهجومية ضد عدو مجبر على التخندق والدفاع.

بدأ الهجوم في ٧ آب ١٩٤٣ حسب الخطة المرسومة بيـــد أن الجيشـــين ٣٣،١٠ فشلاً في تحقيق المفاجأة كما لقي الجيشان ١٠،٤٩ مشقة فـــي اخـــتراق الخط الدفاعي الأول، الأمر الذي دفع (سوكولوفسكي) إلى تعزيز هجوم جيشـــي الحرس ٣٣،١٠ في الشمال بجزء من الجيش ٦٨، وتكثيف مهام الجيش الجـــوي الأول واستفاد الألمان من تعثر الهجوم السوفيتي، فدفعوا فرقـــة مشـــاة وفرقـــة دبابات من القوات المنسحبة من اتجـــاه (أوريـــل) وفرقـــة مشـــاة أخـــرى مـــن (روسلافل) لدعم القوات المدافعة عن منطقة (سباس-ديمينسك) وحققت وحـــدات من الفرق الألمانية المذكورة التماس مع القوات السوفيتية فـــي يومـــي ٩،١٠ آب وشنت عليها هجوماً مضاداً. إلا أن جيشي الحرس ٣٣،١٠ تمكنـــا مـــن صدهـــا وإجبارها على التراجع بعد أن وصلتهما تعزيزات من الجيشين ٦٨و٢١.

وكان الجيش ١٠ قد وجه في ١٠ آب ضربـــة إلـــى القـــوات الألمانيـــة الموجودة شمالي (كيروف) واخترق الخط الدفاعي الأول باتجاهين رئيسين لكنـــه ما لبث أن واجه هجوماً مدرعاً قامت به في ١٠و١٢ آب وحدات ألمانيـــة مـــن الفرق المذكورة والقادمة من اتجاه (أوريل) إلا أنه تمكن من صدهـــا وإجبارهـــا

على الانكفاء إلى خطوط خلفية. وكان الجيش ٤٩ قد تخطى الخط الدفاعي الأول نحو (سباس- ديمينسك) مباشرة، والثاني نحو الخط الدفاعي الثاني لمطاردة القوات الألمانية المنسحبة من (باخموتوفو) وفي اليوم ذاته تحرك الفيلق الميكانيكي الخامس من (فيكيتنوفا) وسار بشكل عرضاني على محاذاة الجبة متجهاً إلى (كيروف).

وبينما كانت المعركة دائرة قام الألمان بعملية التفاف واسعة النطاق شاركت فيها فرقتان ميكانيكيتان قامتا بهجومين مضادين على خط الفصل الواقع بين جبهة كالينين والجبهة الغربية، بغية ضرب الجناح الأيسر للجيش ٣٩ (من جهة كالينين) والجناح الأيمن للجيش ٣١ (من الجبهة الغربية) واختراق الخط السوفيتي في أضعف نقاطه، للوصول إلى مؤخرة الجبهة الغربية المشتبكة مع المدافعين عن سباس- ديمينسك. ولقد سددت الفرقتان الميكانيكيتان ضرباتهما في يوم ٩ آب ولكن الجيش ٣١ تمكن من صدهما. ومن المرجح أن الجيشين ٣١و٥ التابعين للجبهة الغربية لم يشاركا في عملية (سباس- ديمينسك) بسبب هاتين الضربتين اللتين أجبرتا القيادة السوفيتية على إبقائها في وضع الدفاع لحماية الجانب الأيمن للجيوش المقاتلة في معركة (سباس- ديمينسك).

حاول الألمان في ١٣ آب إفشال حركة التطويق، التي كانت تهدد القوات في (سباس-ديمنيسك) ولكن وحدات الدبابات التي أرسلت لهذه الغاية فشلت في مهمتها وتراجعت، كما فشلت وحدات مشاة ألمانية أخرى في التصدي لوحدات من الجيشين ٢١و٦٨ عند بافليفو. واضطرت بدورها إلى التراجع في ١٤ آب. وكانت قوات من الجيشين ٤٩ و٣٣ قد تمكنت من تحرير سباس-ديمنيسك في ١٣ آب ١٩٤٣ وواصلت مع بقية القوات مطاردة الفرق الألمانية المنسحبة حتى خط مازوفو - تيرينيو- زيمتسي- مالي سافكي. الذي بلغته في ٢٠ آب، منهية

بذلك البروز الذي كان سابقاً في الجبهة بعمق ٣٥-٤٠كلم. واتخذت عند ذلك الخط وضعية الدفاع المؤقت استعداداً للاندفاع نحو مدينتي (روسلافل) و(سمولنسك).

استؤنف الهجوم السوفيتي بعد توقف دام أسبوعاً (٢١-٢٨ آب ١٩٤٣ وتركز الجهد الرئيسي باتجاه (يلينا) في الوسط، مع ضربات باتجاهي (دوروغوبوج) و(يارتسيفو) في الشمال واتجاهي (روسلافل) و(ميليفو) في الجنوب وكان ترتيب القوات المهاجمة (من الشمال إلى الجنوب) كما يلي- الجيوش ٣١، ٦٨،٥ الحرس العاشر، ٣٣،٤٩،١٠. وكانت مهمة هذه القوات تصفية المقاومات الألمانية. ولا سيما مقاومات المنطقتين المحصنتين على شكل منفذين منيعين حول (يلينا) و(دوروغوبوج) ومتابعة التقدم باتجاه (سمولنسك).

وفي يوم انطلاق الهجوم السوفيتي، قامت فرقة ألمانية مدرعة بمحاولة لخرق الجبهة عند خط الفصل الواقع بين الجبهتين، وضرب الجناح الأيسر للجيش ٣٩، والمرور عبر هذه المنطقة الضعيفة للوصول إلى مؤخرة الجيش ٣١ المشترك في الهجوم. ولكن الجيش ٣٩ المعزز بفيلق الحرس ٥ تمكنا من صد هذه الفرقة ومنعاها من تحقيق أغراضها.

ولم تجد كافة القوات السوفيتية صعوبة في التقدم، كما لم تواجه القوات المكلفة بتنفيذ عملية يلينا- دوروغوبوج مقاومة شديدة ما عدا في (يلينا) حيث صدت في ٢٩ آب هجوماً شنته فرقة مشاة من جيش الدبابات الثالث ولواء ميكانيكي. كانا قد انطلقا من (سبليزني) في الشمال الغربي و(رودينا) في الغرب. وتم تحري (يلينا) في ٣٠ آب ١٩٤٣ و(دوروغوبوج) في ١ أيلول ١٩٤٣ وبلغ أقصى تقدم للقوات السوفيتية حتى ٦ أيلول ١٩٤٣ زهاء ٣٥ - ٤٠كلم ، وبذلك يكون أعمق تقدم لها من ٧ آب إلى ٦ أيلول ١٩٤٣ حوالي ٧٠ - ٨٠ كم.

وفي المرحلة الأخيرة من معركة (سمولنسك) شددت القيادة السوفيتية على ضرورة توجيه ضربات جبهية متوازية واعتماد أسلوب الهجوم من الحركة بشكل أساسي وتفكيك القوات الألمانية. بحيث تعجز قيادتها عن السيطرة عليها. وفي ١٥ أيلول ١٩٤٣ بدأت تحركات الجبهة على الشكل الآتي - الجناح الأيمن- الجيشان ٣١و٦٨ نحو (سمولنسك)- وفي الوسط- جيش الحرس العاشو وفيلق دبابات الحرس الثاني وفيلق خياله الحرس الثالث نحو (لابتيفو) والجيش ٣٣باتجاه (بونشينوك) - والجناح الأيسر - الجيش ٤٩ باتجاه (ستودوليشي) والجيش ١٠ باتجاه (روسلافل) أما الجيش ٥٠ فإنه لم يشترك في هذا الهجوم، بسبب إلحاقه بجبهة بريانسك منذ ١٧ آب، ليصبح الجناح الأيمن لتلك الجبهة.

وكان أول عمل يتحقق من المرحلة الأخيرة من معركة (سمولنسك) هو تحرير مدينة (بارتسيفو) في ١٦ أيلول ١٩٤٣ على يد الجيش ٣١ ثم تلا ذلك (بوتشينوك) و(ستودوليشي) في ٢٣ أيلول و(روسلافل و(سمولنسك) في ٢٥ أيلول ١٩٤٣ وقد تم تحرير المدينة الأخيرة. بعد نجاح عملية التفاف من الشرق والجنوب نفذتها الجيوش ٦٨ و٥ و٣١. وبسقوط (سمولنسك) و(روسلافل) أصدرت القيادة الألمانية أمراً بالانسحاب الشامل إلى حدود بيلوروسيا (روسيا البيضاء).

٢. معركة ستالينيغراد:

كبرى معارك الحرب العالمية الثانية وأطولها، والمنعطف الأكبر في تحول مسارها، نشبت حول مدينة (ستالينيغراد) وضمنها بين القوات السوفيتية النظامية والشعبية وقوات المحور (الألمانية أساساً) وانتهت بدحر القوات الغازية واستسلام جزء كبير منها.

إثر النجاحات التي حققتها القوات النازية المندفعة عبر الأراضي السوفيتية في بداية عملية (بارباروسا) (صيف ١٩٤١) بدأت وتيرة التقدم الألماني بالتناقص في أواخر عام ١٩٤١. إلى أن توقفت تقريباً في كانون الأول على جبهة عرضها أكثر من ألفي كيلومتر، ممتدة من ضواحي (لينيغراد) شمالاً حتى مدينة (روستوف) على بحر آزوف، وشبه جزيرة القرم تقريباً.

وكان معظم القادة الميدانيين الألمان يفضلون عدم متابعة التقدم في فصل الشتاء. والتراجع حتى الخط- مجرى نهر (الاوكا) - (الاوغرا) مروراً بغرب (ميدين) وشرق (جياسك) حتى (رجيف) بغية الاستعداد للمرحلة القادمة من الهجوم ولكن (هتلر) رفض ذلك من منطلق (أن التراجع في الشتاء أخطر على المقاتل من الصمود والدفاع) وفي الجهة المقابلة كانت القيادة السوفيتية تحشد قواتها على محاذاة الضفة الشرقية لنهر (الفولغا) بدءاً من شرق (لينيغراد) شمالاً حتى شبه جزيرة القرم جنوباً.

ولقد وضعت الخطة الألمانية لاستئناف الهجوم في عام ١٩٤٢. على أساس احتلال حقول النفط في شمال القوقاز، وإقامة خط دفاعي على طول ضفة (الدون) الغربية الممتدة من (فورونيج) حتى (ستالينيغراد) ووضعها تحت القصف المدفعي والجوي. وفي الشمال يتم احتلال مدينة (لينيغراد) لإقامة الاتصال مع القوات الفنلندية التي سبق لها أن رفضت التوغل في الأراضي السوفيتية بعد أن تم لها استرداد أراضيها في ٦ كانون الأول ١٩٤١. وفي مرحلة لاحقة تندفع القوات الألمانية نحو نهر (الفولغا) وبمحاذاته حتى تلتقي بالقوات المتجهة من (لينيغراد) جنوباً، ويتم تطويق معظم القوات السوفيتية، وينتهي الأمر بانهيار النظام السوفيتي نفسه.

وكان أبرز ما ترمي إليه القيادة السوفيتية آنـــذاك، فــك الحصـــار عـــن (لينيغراد) و(سيفاستوبول) وإبعاد العدو عن قلعة القرم، والقيام بهجوم رئيسي فـــي الجنوب عبر نهر (الدونيتز) فالمرور من بين (خـــاركوف) و(آراتيموفســـك) ثـــم الانعطاف جنوباً لتطويق منفذ (آرتيموفســـــك- تاغـــانروغ) وتحريـــر الموانـــئ الواقعـــة شمال بحر آزوف وقد حدد يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٢ موعداً للهجوم الشتوي.

ولاقى الهجوم السوفيتي بعض النجاحات، رغم الخسائر الكبـــيرة التـــي أصابت المهاجمين. وتمكن الألمان من كسر حدة الهجوم بالدفاع القوي والهجمات المعاكسة، إلا أن هذا الهجوم حقق غرضاً هاماً يتمثل في إرغـــام الألمـــان عـــن التوقف في شتاء ١٩٤١ وتجمدت أوضاع الطرفين بعد ذلك طوال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٢. باستثناء المهام الاستطلاعية وعمليات القصف الجوي.

وفي أواخر آذار ١٩٤٢، قدم (هالدر) رئيس الأركـــان الألمـــاني خطـــة العمليات المقبلة تحت اسم (فال بلاو) (الخطة الزرقاء) وملخصها الانطلاق مـــن خط مائل، يبدأ التقدم من طرفه الغربي البعيد باتجاه الجنوب الشرقي في محـــاذاة نهر (الدون) حتى خط (كورسك- خاركوف) دافعاً مجموعة جيوش (تيموشـــينكو) على النهر ثم الالتفاف حوله. وفي اللحظة المناسبة يندفع طرفا الخـــط الجنوبـــي والشرقي باتجاه الشرق قرب نهر (ميوس) وتكون مهمتهما دفع مجموعة الجيوش الجنوبية السوفيتية نحو الشمال والغرب، ثم تلتقي نهايتا الخط غرب (ستالينيغراد) مطوقة كامل مجموعتي الجيوش الجنوبية السوفيتية نحو الشمال والغرب، وبعـــد نجاح هذه المرحلة من العملية تتحول القوات الألمانية جنوباً نحو القوقاز وحقـــول النفط.

ووافق (هتلر) في البداية على هذه الخطة . ولكنه سرعان ما غير رأيه وحدد الخطة بنفسه كافة القوى المتوافرة، وتوجيه جهد العمليات الرئيسي نحو القطاع الجنوبي بهدف تدمير القوات السوفيتية غرب نهر (الدون) ومن ثم احتلال منطقة النفط، والقيام بعد ذلك باختراق منطقة القوقاز، على أن تبذل في هذه الإثناء محاولات عادية للوصول إلى مدينة (ستالينيغراد) والاكتفاء بالقضاء عليها عن طريق القصف دون تكريس جهد خاص لاحتلالها. وكان قرار (هتلر) هذا متأثرا إلى حد كبير بحاجته إلى النفط، بعد أن تحولت مسألة الوقود إلى هاجس دائم بالنسبة إلى مستشاريه.

ولتنفيذ خطة (هتلر) وضعت تحت تصرف (بوك) قوات ضخمة مؤلفة من جيش البانزر الرابع (هوث) والجيش السادس (باولوس) من أجل المحور الشمالي، للهجوم باتجاه ستالينيغراد، ومن جيش البانزر الأول (كليست والجيش السابع عشر (رووف) للمحور الجنوبي (القوقاز) على أن يوضع الجيش الحادي عشر (مانتشاين) تحت تصرفه. بعد أن ينتهي تطهير شبه جزيرة القرم. كما ألحقت بقيادة (بوك) مجموعة الجنوب التي تشكلت من الجيشين الرومانيين الثالث والرابع والجيش الإيطالي الثامن. والجيش الهنغاري الثاني، وبذلك أصبح مجموع ما وضع تحت تصرفه (٨٠) فرقة مشاة وتسع فرق مدرعة.

وفي ٢٧ حزيران ١٩٤٢، كانت مجموعة الجيوش الجنوبية بقيادة بوك منتشرة كما يلي:

المجموعة (أ): بقيادة (كليست) منتشرة في القطاع الجنوبي من القسم الجنوبي للجهة الشرقية.

المجموعة (ب): بقيادة (فون بوك) (ثم فايخس بعد أسبوع) منشرة في القطاع الشمالي من القسم الجنوبي للجبهة الشرقية الأسطول الجوي الرابع وقوامه (١٦٠٠) طائرة، ومهمته تأمين الدعم الجوي للمجموعتين.

أما على الجانب السوفيتي فلم تكن التشكيلات الكبرى وتشكيلاتها الفرعية العضوية والداعمة محددة بدقة بعد. لذا لم تعرف بالتفصيل كافة التنظيمات العسكرية المكلفة بالدفاع المباشر. ففي أقصى جنوب القسم الجنوبي من الجبهة الشرقية، كانت هناك مجموعتا جيوش (جبهتان) هما- جبهة القوقاز وجبهة ما وراء القوقاز. وكان في شمال القسم الجنوبي ثلاث جبهات جبهة فورونيج (تشكلت في ٧ تموز) والجبهة الجنوبية الغربية (مشكلة سابقاً) وجبهة ستالينيغراد (تشكلت في ١٢ تموز). إلا أن الملاك الفعلي لهذه التشكيلات من الأفراد والمعدات كان أقل بكثير من ملاكها النظري، كما أنها كانت أقل من القوات الألمانية إعداداً وتدريباً وليست لها خبرة عملية بأساليب خوض الحرب الخاطفة.

بدأ الهجوم الألماني في ٢٨ حزيران ١٩٤٢ بأن دفع (بوك) جيش البانزر باتجاه عقدة المواصلات الهامة، (فورونيج). وبعد يومين دفع الجيش السادس باتجاه الشمال الشرقي نحو الهدف نفسه، بغية تحويل المنطقة (بلفورود- ستاري أوسكول) إلى جيب تتحصر فيه الجيوش السوفيتية ٦ و٢١ و٤٠، بقيادة (تيموشينكو) بين الجيشين السادس والبانزر الرابع من الخلف، والجيش الهنغاري الثاني من الغرب.

وكانت القوات السوفيتية في تلك المنطقة تعاني من الضعف بسبب النقص الهائل في الدبابات والوسائط المضادة للدروع، وتدني ملاكات التشكيلات

من الأفراد، لذا لم يكن أمام (تيموشينكو) أي فرصة للصمود طويلاً، ولـــم يعـد بوسعه النجاة من التطويق إلا بالانسحاب.

أما هذا الوضع، ونظراً لما لمدينة (فورونيج) من أهميـــة بالنسـبة إلـى محور (كوسك- فورونيج- موسكو) أخذت القيادة السوفيتية تدفـــع باحتياطاتـــها لتعزيز الدفاع عن (فورونيج) فوصل جيش مشاة (مختلـــف صنـوف) وجيــش دبابات واحتلت الجيوش الثلاثة مواقع دفاعية على ضفة (الدون) الشرقية وفـــي الوقت نفسه، كلف جيش دبابات من (جبهة بريانسك) بضـــرب جيــش البـانزر الرابع من الجناح والمؤخرة. ولكن ذلك لم ينجح،لان التقدم الألماني كان أســـرع من الزج السوفيتي. وبحلول مساء ٢ تموز كان جيش البانزر الرابع يكاد يلتـــف حول الجيش السوفيتي ٤٠، بينما كان الجيش السادس يستعد لتطويـــق الجيشـين السوفيتيين ٢١و٢٨. وفي ٦ تموز تمكن الألمان من إقامة رأس جسر عبر نـــهر (الدون) شمال (فورونيج) وهددوا هذه المدينة من الشمال والجنوب.

كان رد فعل القيادة السوفيتية هذه المرة ســريعاً، فبـادرت إلـى اتخـاذ مجموعة من الإجراءات المتعلقة بتعظيم القيادة، وتكثيف الجهود لوقـــف التقـدم الألماني وشن الهجمات المعاكسة باحتياطات (جبهة بريانسك) وبذلك تــم إنقـاذ (فورونيج) من خلال تخفيف الضغط عليها، وصار على الألمـــان أن يخططـوا لعملية جديدة مستقلة إن أرادوا احتلالها، على اعتبار أن جيش البـــانزر الرابـع المكلف باحتلال المدينة بقي بدون مشاة، وغدت المهمة مستحيلة علـى الدبابـات وحدها. وكانت هذه أقسى نتيجة صادفت الألمان على الجبهة الشرقية حتى ذلـــك الحين. وقد ساعد على تحقيقها صمـــود الســوفيت واتصـــاف رد فعـل القيـادة السوفيتية بالسرعة والحسم. وبفضل هذه النتيجة أمكن ســحب قـوات (الجبهـة

الجنوبية الغربية) التي سبق أن خطط الألمان لتطويقها وتدميرها. وتم ذلك بشكل منظم مع كامل عتادها الثقيل.

وفي هذه الإثناء أدخل (هتلر) تعديلاً على التشكيل المكلف باحتلال (فورونيج) والمتقدم حتى أبواب (ستالينيغراد) وقسم مجموعة جيوش الجنوب إلى مجموعتين: (أ) و(ب) مهمة الأولى الاندفاع عبر القوقاز، والثانية حتى حوض (الفولغا) وسرعان ما أعفى (بوك) لأنه خالفه في قرار التحول عن (فورونيج) وبخاصة بعد أن تشكلت (جبهة فورونيج) وأصبحت خطرة جداً على جناح (بوك) ومؤخرته.

وحققت مجموعة الجيوش (ب) (جيش البانزر ٤ والجيش ٦) إبان اندفاعها عبر السهول الأوكرانية، ونجاحاً مماثلا لنجاحات القوات الألمانية في بدء غزوها للأراضي السوفيتية، مما جعل (هتلر) ومعظم قادته يعتقدون باقتراب نهاية الجيش السوفيتي. وقد تميزت هذه المرحلة من القتال في جنوب القسم الجنوبي من الجبهة الشرقية بظواهر أبرزها- انسحاب القوات السوفيتية بانتظام ونقص معلومات (هتلر) حول الحشود والارتباطات السوفيتية وأحجام قيادات الاستطلاع الألمانية عن تقديم المعلومات المخالفة لأوهام الفوهرر وامتناع القيادة السوفيتية بإمكانية متابعة القتال بنجاح.

وقدرت القيادة السوفيتية أن أفضل خط للدفاع هو منطقة منحنى (الدون) خلف قوات (تيموشينكو) المتراجعة. وهذا يفي بغرضين أولهما تجميع الاحتياطات في وسط جنوب الجبهة الشرقية، مما يجعل في الإمكان تحركها نحو الشمال أو الجنوب. وفق معطيات القتال اللاحقة، وخصوصاً من أجل زجها للدفاع عن (موسكو) والثاني إبقاء القوات في الخلف، الأمر الذي يساعد على السرية. ويعزز اقتناع (هتلر) بقرب نهاية الجيش السوفيتي. لأن هذه القوات ما

تزال مجهولة بالنسبة إلى الاستطلاع الأمـــامي، كمــا أن الدفــاع مـــن مواقـــع محضـــرة مسبقاً يؤمن الصمود بشكل أفضل. ويسهل القيام بالهجمات المعاكسة.

في هذه الأثناء كان غرور(هتلر) قد تصاعد بحيث لم يعد يتبين التنـــاقض في قراراته، بالإضافة إلى العشوائية التي كانت تتصف بها تلك القـــرارات ومـــا أصبح عليه من تشكك في جنرالاته. وفي الوقت نفسه كانت تساوره عدة مخـاوف في مقدمتها أن الحلفاء سيقومون بغزو أوروبا الغربية منعاً للانهيار التام الذي قـد يتعرض له الجيش السوفيتي وبخاصة بعد أن نقل الألمان ١٢ فرقة من الجبهــــة الغربية إلى الشرقية، إبان شهري أيار وحزيران استعداداً لهجوم صيـــف ١٩٤٢. واحتمال قيام السوفيت بعمل مضاد يستهدف مجموعة جيوش الوسط.

وعلى هذا الأساس قام (هتلر) بإرسال تشـــكيلات مـــن خـــيرة القـــوات الألمانية منذ ٩ تموز لتعزيز مجموعة جيوش الوسط على الجبهة الشرقية. وأمـــر الجيش الحادي عشر (مانشتاين) في ١١ تموز بالتوجه من (سيفاســـتوبول) بعـــد الاستيلاء عليها للمشاركة في اكتساح القوقاز. وبعد بضعة ايـــام، أصـــدر أمـــراً معاكساً يقضي بتوجه هذا الجيش (الخبير بحرب المدن) (باستثناء أحـــد فيالقـــه) لاحتلال (لينيغراد) وكان في ذلك نوع من تشتت القوى، وعدم التنفيذ بمبدأ الحشـد بعد أن تحول الجهد الرئيسي من الشمال إلى الجنوب.

وزاد (هتلر) الموقف تفاقماً، بأن اصدر في ١٣ تموز أمراً إلـــى جيـــش البانزر الرابع (هوت) الذي كان متجهاً نحو (ستالينيغراد) بهمة لم ينقـــض علـــى تسلمها غير أيام قلائل (احتلال فورونيج) بالتحول نحو الجنوب الشرقي لمســـاعدة جيش البانزر الأول (كليست) على احتلال نقاط عبور (الدون) الســـفلي، شـــرقي (روستوف) مما عرقل خطوط مواصلات (كليست) الذي لم يكـــن بحاجـــة إلـــى عون، وحال بالتالي دون الاستيلاء على مدينـــة (ســـتالينيغراد) (حســـب ادعـــاء

كليست). لا سيما بعد أن كانت القيادة السوفيتية قد أمرت، في اليوم نفسه، بانسحاب الجبهة الجنوبية، عبر (الدون) فيما عدا (روستوف) فنتج عن ذلك إطباق (هوت) على جيب فارغ. وعندما وصل (كليست) إلى نقاط عبور (الدون) وجدها مكتظة (ومسدودة) بقوات (هوت) وزاد الأمر سوءا صدور أوامر جديدة في ٢٩ تموز تقضي بعودة (هوت) ومهاجمة (ستالينيغراد) من الجنوب. بعد ترك إحدى فرقه للحفاظ على الاتصال بقوات (كليست) مع أن طلائع دبابات (هوت) كانت قد عبرت نهر (الدون).

وقد اعتبرت هذه الحركة، أهم العثرات التي طالت دون تحقيق الأهداف المقررة في خطة (هتلر) وهي احتلال القوقاز في أقصى الجنوب، والاستيلاء على (فورونيج) في الجنوب، والوصول إلى نهر (الفولغا) بعد تدمير القوات السوفيتية. وقد فرض الوضع الجديد وجوب احتلال (ستالينيغراد) بدلا من شلها بالقصف.

مقابل ذلك، ومن أجل تحسين الموقف الدفاعي، اتخذت على الجانب السوفيتي إجراءات تنظيمية أبرزها- حل (الجبهة الجنوبية الغربية) ووضع تشكيلاتها منذ انسحابها حتى منحنى (الدون) تحت الأشراف المباشرة للقيادة العليا السوفيتية حيث دمجت بجبهة (ستالينيغراد) المشكلة حديثا في ١٢ تموز من احتياطات القيادة العامة. ووضع جبهة (فورونيج) التي سبق أن تشكلت بهدف احتواء تقدم (بوك) بإمرة (فاتوتين) نائب رئيس هيئة الأركان العامة السوفيتية، ووضع جبهة (بريانسك) شمال جبهة (فورونيج) بإمرة (غوليكوف) النائب السابق لرئيس هيئة الأركان العامة. واستبدال (تيموشينكو) بالجنرال (غوردوف) القائد السابق للجيش ٦٤، الذي كان في طريقه لاحتلال مواقعه في منحنى (الدون).

وقد اعتبرت هذه الإجراءات التنظيمية بمثابة استجابة لأسلوب (جوكوف) القيادي.

وقد أخطأ (هتلر) عند استخدام جيش البانزر الرابع مرتين – الأولى عندما أرسله إلى أقصى الجنوب بغية تسريع احتلال القوقاز وحقول النفط، والثانية عندما أمر بعودته من أجل استعجال احتلال (ستالينيغراد) وبسبب هذين الخطأين أصيب الجيش بالإنهاك. وعندما اعترض(كليست) قائد مجموعة الجيوش) (أ) على ذلك، ودعمه (هالدر) رئيس الأركان الألماني، نحاهما (هتلر) معاً، وزاد ارتيابه بقادته كافة، فوضع مجموعة الجيوش (ب) تحت أمرته الشخصية، وأصبح بذلك القائد المباشر لجبهة عرضها اكثر من (٧٠٠) كلم، فكان إن عجزت مجموعة الجيوش (ب) عن إحراز أي تقدم يذكر. وللإطباق على (ستالينيغراد) قسمت هذه المجموعة إلى ثلاث مجموعات فرعية.

المجموعة الشمالية، وتكون من ثماني فرق، اثنتين بانزر، واثنتين محمولتين وأربع فرق مشاة. ومهمتها القيام بالهجوم في ٢٣ تموز، من منطقة (غولوفسكي–بيريلازوفسكي) بهدف الاستيلاء على جسر (الدون) الكبير، الواقع خلف القوات السوفيتية المتمركزة غرب (الدون).

المجموعة الوسطى، وتتكون من ثلاث فرق: اثنتين مشاة وواحدة بانزر ومهمتها التحرك في ٢٥ تموز لتوجيه ضربة من منطقة (اوبليفسكايا– فيرخني اكسنيوفسكي) باتجاه (كالاتش).

إبان قيام هاتين القوتين منع انسحاب القوات السوفيتية الدافعة من منحنى (الدون) يقوم الجيش السادس بمداهمة القوات السوفيتية من جهة الغرب، وضغطها نحو الداخل بحيث يتم فتح الطريق حتى (الفولغا).

في هذه الإثناء تستغل الوضع المجموعة الفرعية الجنوبية المكونة من ست فرق (إحداها مدرعة وأخرى محمولة وأربع مشاة) في ٢١ تموز وشكلت رأس جسر كبير فتنطلق منه نحو (ستالينيغراد) بينما تكون المجموعتان الأخريتان قد أنهتا مهمتهما في منحنى (الدون) فتتقدما نحو (الفولغا) من الغرب والشمال الغربي للمدينة.

بتنفيذ هذه الخطة، عززت مجموعة الجيوش (ب) (أي مجموعة جيوش فايخس بحيث أصبحت تعادل ثلاثين فرقة، منها حوالي عشرين فرقة ألمانية، ودعمت بأكثر من (١٢٠٠) طائرة، وبذلك وصلت القوات الألمانية المهاجمة إلى قرابة ضعف القوات السوفيتية المدافعة عن منحنى (الدون). وكان الألمان، بالإضافة إلى ذلك يتفوقون في مختلف صنوف الأسلحة كماً ونوعاً (٢ إلى ١ في الدبابات والمدفعية، ٣ إلى ١ في الطائرات) وحشد (فايخس) ١٩ فرقة ألمانية وواحدة رومانية مقابل منحنى (الدون). وفي أوائل آب عززها بفيلق من الجيش الثامن الإيطالي، الذي بدأ يصل للاشتراك في القتال.

كانت القوات السوفيتية في منحنى (الدون) تتألف من الجيشين ٦٢و٦٤ يدعمها جيشان مدرعان– الأول (١٦٠ دبابة) والرابع (٨٠ دبابة) بالإضافة إلى جيش الحرس الأول الذي كان يتمركز في زاوية المنحنى الشمالية. والذي انحصر دوره في التمسك برأس جسر جنوبي النهر قرب (كريمنسكايا). والجدير بالذكر أن القوات السوفيتية التي سيقع عليها عبء القتال الأساسي كلها كانت حديثة التشكيل (٢٢ تموز) وأن الجيشين المدرعين لم يخوضا أي قتال بعد.

ظل الوضع هادئا، باستثناء بعض المناوشات بين فيلق البانزر ٢٤ والمواقع المتقدمة للجيش ٦٢، منذ ١٧ تموز ١٩٤٢ حتى ٢٣ تموز من العام

نفسه، حيث قامت خمس فرق ألمانية بمهاجمة الجناح الأيمن للجيش ٦٢ شـمال (مانوبلين) بينما شنت قوة ألمانية أخرى هجوماً علـى الجيـش ٦٤ عنـد نـهر (تسيمالا). وبعد ثلاثة أيام من القتال العنيف تمكن فيلق البانزر ٢٤ من اخـتراق دفاعات الجيش ٦٢، ووصل حتى (كامنسكي) على نهر (الدون) محاولاً الالتفـاف حول هذا الجيش من جهة الشمال عندئذ حاول الجيش الأول المدرع. الذي كـان منتشراً خلف الجيش ٦٢ قطع القوة الألمانية المتوغلة باختراق مؤخرتها، بينمـا حاول الجيش الرابع المدرع التصدي بالمواجهة لإيقاف التقـدم الألمـاني. ولـم يتمكن هذان الجيشان من تنفيذ مهمتيهما، نظراً إلى حداثة تشكيلهما وتنـوع نمـاذج دباباتهما، وبطء مشاتها غير المحمولة وضعف قيادتها هذه المشاة التي كانت فـي معظمها من الضباط عديمي الخبرة في العمل مع التشكيلات المدرعة. إضافة إلى أنه لم تدعمها رمايات مدفعية كافية وكانا دون أي غطاء جوي.

بدأ الوضع بالتفاقم عندما تمكن فيلق البانزر ٢٤ مـن دق أسـفين بيـن الجيشين ٦٢و٦٤ من الجنوب الغربي باتجاه (كـالاتش) ورداً علـى ذلـك زج (غوردوف) في ١ الجيش ٥٧، ومعـه جـزء مـن احتياطاتـه لتقويـة خـط (لوغوفسكي- رايغورود) (الأولى على الدون والثانية على الفولغا) تنفيذاً لأمـر القيادة العامة السوفيتية في (٢٨ تموز)، كما وضع الجيـش ٥١ تحـت تصرفـه ليقوي به جنوب منحنى (الفولغا) من بحيرات (ساريا) حتـى سـهب (كـالميك) باتجاه (روستوف) و بذلك تضخمت مجموعة جيـوش (سـتالينيغراد) واتسـعت جبهتها كثيراً (أكثر من ٧٠٠ كلم) ما حتم تشكيل مجموعة جيوش (جبهة) باسـم (الجبهة الجنوبية الشرقية).

من جهة ثانية، لم يعد في استطاعة القوات الألمانية متابعة تقدمـها دون القيام بإعادة التنظيم، وفي ٣١ تموز كان معظم تشكيلات جيش البانزر الرابع قـد

عاد من مهمته الملغاة، فزجه (هوت) في الهجوم على جبهة الجيش ٥١ العريضة (٢٠٠كلم) في منطقة (فيرخني -كورمويارسكي- اورلوفسكايا) فاخترق مواقع الجيش ٥١، ووصل في ٢ آب حتى (كوتيلنيكوفو) (حوالي ١٣٥كلم عن ستالينيغراد) حيث لم يعد أمامه عوائق تذكر باستثناء نهري (اكساي) و(ميشكوفا) في هذه الأثناء، أجريت بعض التعديلات في جبهة (ستالينيغراد) فعين (لوباتين) قائداً للجيش ٦٢، و(شوميلوف) قائداً للجيش ٦٤ بدلاً عن (تشويكوف) الذي أرسل في مهمة مؤقتة إلى القطاع الجنوبي من جبهة (ستالينيغراد). وفي طريقه إلى هناك، التقى بعض الوحدات التي انقطع اتصالها بتشكيلاتها الأساسية، فأعاد تنظيمها، وأضاف إليها بعض القطاعات التي كانت تصل إلى المنطقة بالقطارات، وشكل منها كلها خطاً دفاعياً على نهر (أكساي) وليتأكد من صمود هذا الخط نشر وراءه لواء من مشاة البحرية، بعد أن استنتج من ملاحظاته على الأرض أن القوات الألمانية تقوم بحركة التفاف واسعة هدفها ضرب (ستالينيغراد) من الجنوب وبقيت هذه الوحدات متمسكة بمواقعها- رغم كثافة الهجوم الألماني. حتى ١٧ آب ١٩٤٢. حيث تراجعت وفق الخطة العامة التي كانت تطبقها القيادة العليا السوفيتية.

أما على جبهة منحنى (الدون) فقد تردى الوضع أكثر بعد إخفاق الهجوم السوفيتي المعاكس. وفقد الجيش ٦٢ معظم فرقه الثماني التي أخذت تتسلل من الطوق بمجموعات صغيرة، تاركة وراءها معظم أسلحتها الثقيلة وسقط جسر (كالاتش) الكبير وأصبح بوسع الدبابات الألمانية العبور إلى المنطقة الفاصلة بين (الدون) و(الفولغا).

ومن أهم وقائع هذه المرحلة بقاء رؤوس الجسور على (الدون) بين (كلينسكايا) و(سيرافيموفيتش) في أيدي الجيشين السوفيتيين ٢١ والحرس الأول،

دون أن يوجه إليها اهتمام يذكر من قبل القيادتين السوفيتية والألمانية على حد سواء. وسيكون لهذه الجسور دور كبير في العمليات اللاحقة.

وبحثت القيادة السوفيتية عن قائد (للجبهة الجنوبية الشرقية) التي نشأت عن إعادة تنظيم جبهة (ستالينيغراد) في جبهتين، ووجدت ضالتها في (بيريمنكو) المتميز بشبابه (٣٩) سنه، وحيويته، وروحه الهجومية، وطلب إليه (ستالين) أن يشكل هذه الجبهة من تشكيلات مضطربة في غضون أربعة أيام. وأن يتسلم قيادتها ابتداء من ٩ آب.

وصل (بيريمنكو) إلى (ستالينيغراد) في ٤ آب ١٩٤٢. وبينما كان يعيد تنظيم مقر قيادته، وقع ما يمكن أن يعتبر محكاً لأهليته القيادية ففي ٧ آب شوهدت دبابات (هوت) التي لاحظهما (تشويكوف) وأبلغ عنها في ٦ و٥ آب) مندفعة نحو (ستالينيغراد) على مسافة (٣٥) من الجنوب، حيث اكتسحت الجانب الأيسر للجيش ٦٤ وأصبحت على مسافة (٣٥) كلم من المدينة. ولم يكن بالإمكان الاستعانة بجبهة (ستالينيغراد) (غوردوف) لأن قواتها كانت تتلقى ضغطاً قوياً. كما كانت قوات (بيريمنكو) الأخرى (الجيشان ٥٧,٥١) اعجز من أن تقدم شيئاً يذكر. لذا أصبح على (بيريمنكو) أن يستثمر ما لديه فقط. فحشد إمكاناته كلها (دبابات و مدافع م/د، وراجمات (كاتيوشا) و (هاونات) للتصدي لدبابات (هوت) عند أبوب (ستالينيغراد). وقد اتخذ إجراءات صارمة لإخلاء الطرق من أجل التحركات العسكرية، بعد أن دب الذعر بين المواطنين.

وفي ٩ آب، جرى أول صدام مع دبابات (هوت) عند بلدة (ابغانيروفو) جنوب (ستالينيغراد) وتم إيقافها، مما جعل (هوت) يتخلى مؤقتاً عن فكرة الاقتحام المباشر من الجنوب. وفي اليوم التالي، وعندما كان القتال على اشده في

(ابغانيروفو) طوقت ثلاث فرق من الجيش ٦٢، الجانب الأيمن لقوات (بـيريمنكو) إثر قيامها بهجوم معاكس. وهنا ظهرت صعوبة التعـاون بيـن قـائدي هـاتين الجبهتين (بيريمنكو وغوردوف) لأنهما متساويات في الوظيفة. ونظـراً لتكـرار الشكاوى من (غوردوف) قررت القيادة وضـع الجبـهتين بـإمرة (بـيريمنكو) وعينت (غوردوف) نائباً له. إبان ذلك، كان الجيش الألماني السادس (بـاولوس) يستعد للإطباق على (ستالينيغراد) من الشمال والغرب والجنوب، بعـد أن حـدد (هتلر) يوم ٢٥ آب، موعداً لاحتلال المدينة. وعلى هذا الأساس، عممـت قيـادة الجيش السادس أمر العمليات الخاص بذلك منذ ١٩ آب، وفيه أن يبـدأ اقتحامـها في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٢٣ آب.

وحتى ظهير ٢٣ آب ١٩٤٢، تجمعـت لـدى (بـيريمنكو) المعلومـات التاليـة عن الموقف – الذعر يسود (ستالينيغراد) وهي أشبه مـا تكـون بكتلـة خشبية تحترق. قوات (هوت) على أبوب المدينة، بعد أن تمكنت في مساء اليـوم السابق من سحق الدفاعات المقامة على عجل، وصلت إلـى ضفـة (الفولغـا) الغربية (شمال المدينة) وهي متوقفة لقضاء الليل، والاستعداد لاقتحام المدينة فـي صباح اليوم التالي. والقوات الألمانية (سيدلينز) قاب قوسـين أو أدنـى مـن دق إسفين بين الجيشين ٦٤,٦٢. وأفادت معلومات الاستطلاع الجوي أن كـل مـا على الأرض يحترق. ورتلان من الدبابات تتجهان بسرعة نحو المدينـة. وقـوام كل منهما (١٠٠) دبابة وأرتال كثيفة من الشاحنات المحملة بالمشاة. ولقـد عـبر رأسا الرتلين خط (مالايا روسوشكا) (على نهر روسوشكا) وطيران العدو يفتـح لهما الطريق بقصف مركز.

وأفاد غوليكوف (في قيادة الجبهة الجنوبية الشرقية) بأن جيـش البـانزر الرابع بدأ هجومه باتجاه المدينة (من الجنوب) منذ الساعة ٧,٠٠ وتمكـن عنـد

الظهر من الاستيلاء على محطة (تتغوتا) وأن فرقة المشاة ٣٨ (السوفيتية) أصبحت في حكم المطوقة وهناك استعداد للقيام بهجوم معاكس على (تتغوتا). ولقد صد العدو في المناطق الأخرى. ومن (لوباتين) قائد الجيش ٦٢- حوالي (٢٥٠) دبابة وألف شاحنة محملة بالمشاة تتقدم مع دعم جوي قوي جداً. ولقد اكتسحت أحد أفواج فرقة المشاة ٨٧، والجناح الأيمن لفرقة الحرس ٣٥، وذلك شمال (مالايا روسوشكا).

واستمر توارد المعلومات من شتى الجهات عن تقدم الألمان. وآنذاك ظهرت عبقرية (بيريمنكو) وخاصة قدرته على التركيز وضبط الأعصاب والسيطرة على ما يجري. فكان يصدر الأوامر الآتية الخاصة بكل موقف. ولقد قدر أن ليس بالإمكان الاستغناء عن التشكيلات النظامية من أجل الدفاع عن محيط المدينة وقلبها. فقرر الاستفادة القصوى من القوى الأخرى. وعلى هذا الأساس – كلف قائد قوى الأمن الداخلي (ساربيف) بزج قواته كلها على محيط المدينة الطولي. وأصدر أمراً إلى رئيس أركان الجيش الجوي الثامن (سبليزنيف) بأن يوجه ضربة قوية إلى أرتال العدو المتقدمة مستخدماً في ذلك طائرات جبهة (ستالينيغراد) كافة. ثم أمر قائد القوة الجوية التابعة للجبهة الجنوبية الشرقية (خريوكين) بان يوجه كل ما لديه من طائرات الدعم الأرض لقصف رتل (هوت). واتفق مع مفوض الجبهة أمين عام الحزب الشيوعي الأوكراني (خروتشوف) على أن يستعد التنظيم الحزبي والمنظمات الشعبية كافة للتصدي الفعال للعدو المتقدم. وأصدر أمراً إلى مدراء المصانع بالأيدمروا، وأن يستعدوا لمقاومة العدو حتى النهاية، وإلا يتم أي تدمير إلا بإيعاز منه. كما أمر رئيس مركز تدريب الدبابات (فيكلينكو) بأن يشكل مما لديه (٣٠ دبابة و٢٠٠ عنصر) قوة دفاعية وعينه قائد قطاع.

وبقيت التقارير الهاتفية تتوالى حتى مساء ٢٣ آب، حاملـــة المعلومـــات المختلفة عن سير القتال في جبهة (ستالينيغراد) ووصول تعزيـــزات (محـــدودة) إليها، أو بلاغات عن إجراءات يتم اتخاذها. وكان (بيريمنكو) يقرر فوراً ما يـــراه مناسباً. ويصدر الأوامر الخاصة بتنفيذ قراراته وفـــي صبـــاح ٢٤ آب ١٩٤٢ ونتيجة للقصف المدفعي والجوي. أصبح الوضع في (ستالينيغراد) علـــى الشـــكل التالي – الضواحي ومعظم مساكنها خشبية، أصبحت كتلاً من الرمـــاد تتصـــاعد منها أعمدة الدخان. المباني وسط المدينة ومراكزها الصناعية، أشبه مـــا تكـــون بهياكل مجوفة تتناثر فيـــها وبينـــها آلاف الجثـــث، ومعظمـــها جثـــث مدنييـــن. الاتصالات السلكية شبه مشلولة، نظراً لاحتراق الكثير من الأســـلاك، واحـــتراق أعمدة الهاتف أو سقوطها. وتعطل شبكه المياه، وتفجرت الأنـــابيب. ممـــا جعـــل مفارز الإطفاء عاجزة عن العمل.

وبحلول مساء ٢٣ آب، كانت قوات (هون) قـــد حققـــت أهـــداف خطـــة (هتـــلر) الأساسية، وهي الوصول إلى (الفولغا) وشل مدينة (ستالينيغراد) لكـــن فكرة احتلال هذه المدينة غدت بالنسبة إلى (هتلر) هاجســـاً قويـــاً. ذات أفضليـــة أولى. ومع صباح ٢٤ آب أستأنف (هوت) هجومه على محور (سوخايامينشـــتيكا) (في الشمال) لكن المقاومة العنيفة التي ابدأها (فيكلينكو) بقواته المختلطـــة (لـــواء من مشاة (غوروخوف) وكتائب من ميليشيا ستالينيغراد) أوقفت زحف المـــهاجمين شمال مصنع الجرارات. وبعد ظهر اليوم نفسه، شنت قوات (فيكلينكـــو) بعـــض الهجمات المعاكسة فأرغمت (هوت) على التراجع قليلاً.

في هذه الإثناء بذل (بيريمنكو) و(خروتشوف) كل ما في وسعها لـــترحيل المدنيين غير القادرين على القتال. وفي ٢٥ آب أعلن (بيريمنكو) الأحكام العرفية في (ستالينيغراد) لمواجهة الذعر والهياج اللذين سادا المدينة. وفي الوقت نفســـه،

رأى (بيريمنكو) إمكانية القيام بهجمات معاكسة. ولكن الهجمات التي أمر بها في ٢٤ و٢٥ و٢٦ آب لم تحقق سوى نتائج محدودة. بسبب عوامل متعددة في مقدمتها النقص في المدفعية، وكثافة القصف الجوي المعادي. باستثناء الهجمة التي نفذها (كوفالنكو) (نائب بيريمنكو في قيادة جبهة ستالينيغراد) بلواء دبابات من الفيلق ١٦٩ مع فرقة مشاة من فيلق الحرس ٣٥ وتمكن بها من فك الطوق عن فرقة المشاة ٨٧.

وفي الجنوب كان التهديد أخطر، إذ كان جيش البانزر الرابع (هوت) يحاول عبثاً منذ ١٩ آب، اختراق دفاعات (ستالينيغراد) من الجنوب (بعض فرق الجيش ٦٤ المعززة بالدبابات). ونتيجة لما تكبده من خسائر وخاصة في صفوف فرقة البانزر ٢٤. أوقف (هوت) الهجوم، لتتسلل دبابات جيش البانزر الرابع ومشاته المحمولة نحو الجنوب الغربي، وتعيد تجمعها في (ابغايزوفو) ثم تندفع في فجر ٢٩ آب باتجاه فرقة المشاة ١٢٦ التابعة للجيش ٦٤. وكان هدف (هوت) أن يدق إسفيناً في قلب الجيش ٦٤. ليلتف بعد ذلك على يمين المواقع السوفيتية بين (بيكينوفكا) و(كراسنوارميسك) متخطياً بذلك النقاط القوية التي كانت تصد تقدمه ومستولياً على ضفة (الفولغا) والمرتفعات الحاكمة شمال (ستالينيغراد) ومن ثم تدمير الجانب الأيسر للجيش ٦٤. ونجحت المرحلة الأولى من هذه الخطة أكثر مما كان متوقعاً بفضل المساعدة التي قدمتها طائرات الدعم الأرضي (شتوكا) التابعة للجيش الجوي الرابع. ووصلت القوات الألمانية إلى مؤخرتي الجيشين ٦٢و٦٤. مما أدخل تعديلاً على الخطة الأساسية. فطلب (فايخس) (قائد مجموعة الجيوش ب) أن يتخلى (هوت) عن حركته الالتفافية، ليتابع تقدمه شمالاً، بينما يندفع الجيش السادس (باولوس) ليلقي به وسط المدينة. وكان من المنتظر أن ينجم عن ذلك إضافة إلى هدف هوت تطويق الجانب الأيمن

للجيش ٦٤. ومعها الجيش ٦٢ بأكمله إلا أن ذلك لم يحقق لسببين: الأول لم يتمكن (باولوس) من التقدم بسبب الهجمات المعاكسة التي جمدته. والثاني تنبؤ (بيريمنكو) بنية عدوه، مما جعله يأمر بسحب قواته المهددة نحو الخلف (٢٩-٣٠ آب) وعلى هذا الأساس أعاد الجانب الأيمن للجيش ٦٤ إلى خط الدفاع الأوسط، وألحق الفرقتين ٢٠٤ و٢٩ على احتياطاته. وأوعز إلى الجيش ٦٢ بقطع الاشتباك مع العدو (ليلة ٣١ آب) واتخاذ مواقع دفاعية في المنطقة الوسطى شمال الجيش ٦٤. وبذلك أصبح الألمان يضغطون على (ستالينيغراد) من الاتجاهات كافة.

كانت أهم المستجدات في هذه المرحلة القتالية (٢٣ آب- ٢ أيلول) هي استمرار (بيريمنكو) في شن الهجمات المعاكسة وعلى الرغم من أن هذه الهجمات كانت محدودة الفاعلية فإنها جمدت الجيش السادس وأطالت بالتالي عمر الجيشين ٦٢و٦٤. واستمرار القصف الجوي لمدينة (ستالينيغراد) منذ ٢٣ آب وحتى ٢ أيلول ضمناً إضافة إلى أنه صار بالإمكان قصفها بالمدافع. وأصبحت الخطورة تحيط مباشرة بأماكن عبور (الفولغا) الطريق الوحيد للوصول إلى (ستالينيغراد) وصار الليل الساتر الوحيد لهذا الطريق مع الاعتماد على الخطأ في رمايات القنابل المضيئة أو الرياح التي يمكن أن تزيح المشاعل بعيداً عن سماء مناطق العبور. وأصبح مجال المناورة بالنسبة إلى القوات المدافعة ضيقاً جداً. بعد أن انتقلت الدفاعات السوفيتية من خط الدفاع الأوسط إلى الخط الداخلي وحدث نقص كبير في معدات الجيشين ٦٢و٦٤. وذخائرهما، وقواها البشرية بعد أن ظلا يقاتلان باستمرار منذ منتصف تموز وحتى أوائل أيلول ١٩٤٢.

وقد انفصل الجزء الشمالي من منطقة عمل قوات (بيريمنكو) عن جزئها الجنوبي، بسبب رأس الجسر الذي نجح فيلق البانزر ٤ في مده عن

(كاتشالينسكايا- فيرتياتشي) على نهر (الدون) حتى (بيرزوفكا- رنيـوك) على نهر (الفولغا) في ٢٢-٢٣ آب. ولم يبق في الجزء الجنوبي سوى الجيش ٦٢ لذا ألحقه (بيريمنكو) بقيادة الجبهة الجنوبية الشرقية. وبذا أصبح شمال الإسفين الألماني مجموعة جيوش الإسفين (جبهة ستالينيغراد) المؤلفة من الجيوش ٢١ و٢٤ و٦٣ و٦٦ والحرس الأول، كما أصبح جنوب الأسفين مجموعة جيوش أخرى (الجبهة الجنوبية الشرقية) المؤلفة من الجيش ٦٢ (ضمن المدينة) والجيشين ٦٤و٥٧ (جنوبي المدينة) والجيش ٥١ (في أقصى الجنوب) يدافع عن القطاع الواقع خلف بحيرات (تساتسا) الذي لا يزال هادئاً نسبياً وبسبب هذا الوضع، اضطر قائد الجبهتين (بيريمنكو) إلى نقل مقره من (تساتسا) الذي لا يزال هادئاً نسبياً من خط المواجهة إلى قرية (مالايا ايفانوفكا) على ضفة (الفولغا) الغربية.

وفي مطلع أيلول زارت القيادة العليا السوفيتية ممثلة بـ (جوكوف) نائب القائد العام، و(فاسيليفسكي) رئيس هيئة الأركان العامة، مقر قيادة (بيريمنكو) وبعد عدة استفسارات رافقها استطلاع شخصي للخطوط الأمامية، عاد القائدان دون أن يعطيا أي إيضاح، مما خلق انطباعاً بأن شيئاً هاماً يجري إعداده.

وفي ٥ أيلول وانطلاقاً من حرص (ستالين) على التشبث بمدينة (ستالينيغراد) الذي لم يقل عن رغبة (هتلر) في احتلالها،دفع الجيشان ٢٤ و٦٦ إلى منطقة (ساموفالوفكا-بسيرزوفكا-لوزنوي) للقيام بهجوم معاكس، في محاولة لتقليص الجيب الألماني بين (الدون) و(الفولغا) وعلى الرغم من فشل هذا الهجوم فإن اضطرار الألمان إلى تحويل قسم من قواتهم لصده خفف الضغط عن الجيشين.

في هذه الأثناء ضعفت معنويات (لوباتين) قائد الجيش ٦٢، مما أوجب استبداله باللواء (تشويكوف) الذي لم يكن قد مضى إلى وجوده في مناطق القتال سوى أسابيع معدودة، قضى جزءاً منها في دراسة التكتيكات الألمانية مستخلصاً أن نجاحات الألمان عائدة قبل كل شيء إلى التعاون الكامل بين الدبابات و المشاة والطيران. وما أن صادق (ستالين) على تعيينه في ١٢ أيلول، حتى بادر إلى استغلال بعده النسبي عن قيادته العليا ليضع استنتاجاته موضع التطبيق. وكانت تدابيره تتمثل في (كسر الحلقة) التي تربط بين هذه الصنوف الثلاثة، أي الاشتباك مع المشاة الألمانية من مسافات قريبة تجعل الهجوم الجوي خطراً على الجانبين، مما يؤدي بدوره إلى اقتراب الدبابات والمشاة نحو مواقع دفاعية لم (يلينها) الطيران وكان متأكداً لأن تكتيكه هذا سينجح في داخل المدينة، إذا ما تمكن من استثمار أهم ظاهرتين لاحظهما في أسلوب قتال العدو وهما- التنسيق والتعاون النموذجين ضمن الثالوث (دبابة – طائرة – مشاة) وكراهية الجندي الألماني للقتال القربي وهذا يعني، حسب تعبير (تشويكوف) نفسه (جعل كل جنديٍ ألماني يحس بأنه يعيش تحت فوهة بندقية سوفيتية).

وعند تقدير الموقف، وجد (تشويكوف) أنه في مواجهة ١١-١٤ فرقة ألمانية معززة ومدعومة بحوالي ألف طائرة لذا طلب من نائب قائد الجبهة (غولوكوف) مدّه ببضع فرق واستجابة لهذا الطلب. وعد (تشويكوف) بأنه سيدعمه في خلال الأيام الثلاثة اللاحقة بحوالي (١٠) جندي مع ألف طن من العتاد والتموين. وأنه سيتسلم في خلال الأسبوعين اللذين يليان ١٣ أيلول، نسبة معقولة مما سيرسل إلى الجبهة من تعزيزات، وهي عشر فرق مشاة، وفيلقان مدرعان وثمانية ألوية مدرعة. وفي الوقت نفسه، أعيد لواءان مدرعان من أصل

ثلاثة في الجيش ٦٢- إلى الخلف عبر(الفولغا) لإعادة تجهيزهما، بعــد أن دُمــر عتادهما في القتال.

عندما تسلم تشويكوف قيادته لاحظ أن معنويات معظـــم مســاعديه دون المستوى الحربي في قواته وأصر على بقاء مقرات قيادات الوحدات والصنــوف مع الخطوط الأمامية، وأجرى اتصالات شخصية مع مختلف المستويات القياديـــة الموضوعة تحت إمرته كما لعب (بيريمنكو) و(خروتشوف) دوراً فـــاعلاً مـــن خلال ما وجهاه من رسائل ونداءات حاثة. وفي ليلة ١٣ أيلول أعد (تشـــويكوف) خطة على عجل مع رئيس أركانه، للقيام بهجمة معاكسة يبعد بها القوات الألمانيـة عن منطقة وصول الإمدادات والتعزيزات الموعودة.

لكن الألمان سبقوه إلى العمل، حيث كان الفيلق ٥١ (سيدليتز) قد اندفـــع على محورين جنوبي شرقي وشمالي شرقي، باتجاه قلب (ســتالينيغراد) ونتيجـــة للقصف، وسوء نوعية الأسلاك الهاتفية، والتشــويش المعــادي علـــى الأجــهزة اللاسلكية، انقطع اتصال (تشويكوف) بشكل شبه كلي مع رؤســائه ومرؤوســيه، ولم يبق أمامه سوي الاتصال الشخصي مع معاونيه.

وفي فجر ١٤ أيلول بدأ الهجوم المعاكس الذي خطط لـــه (تشــويكوف). وفي الوقت نفسه بلغه نبأ توجه فرقة مشاة الحرس ١٣ (روديمتسيف) للالتحـــاق بجيشه لكن الهجوم فشل، ووصلت عربات المشاة الألمانية إلى قلب المدينة. فعمـد (تشويكوف) إلى سد المنافذ المؤدية إلى باقي المدينة بآخر احتياطاته من الدبابــات (١٩ دبابة) وبمجموعات اقتحام تشكلت من ضبـــاط صـــف القيـــادة وعنـــاصر الحراسة فيها.

وعند الظهر وصل (روديمتسيف) أو تقرر أن تبدأ فرقته عبور (الفولغا) في فجر اليوم التالي. وكان على (تشويكوف) أن يصمد بفرقه بضع ساعات أخرى، بعد أن زج احتياطاته كلها في المعركة. فاستدعى (سارابيف) قائد قوى الأمن في المدينة (حوالي ١٥٠٠ من رجال الأمن الداخلي وكتائب الميليشيا) وأمره بتقسيم قواته إلى مجموعات (٥٠-١٠٠) وتوزيعها على المباني الحاكمة في المدينة. وفي مساء اليوم نفسه، كانت القوات الألمانية قد وصلت إلى تلة (ماماييف) المتحكمة بقلب المدينة، ولوحظ أنها تستعد لاستئناف اندفاعها عبر باقي أجزاء (ستالينيغراد).

إبان ليلة ١٤-١٥ أيلول، أمكن زج حوالي ثلثي فرقة (رودبمتسيف) في المعركة. وفي صباح ١٥ أيلول، استأنف الألمان هجومهم على قلب المدينة وحاولت وحدات من الفرق (٧١، ٧٦، ٢٩٥ احتلال محطة السكة الحديدية وتلة ماماييف كما اندفعت وحدات من الفرق) ٩٤ مشاة و٢٤,١٤ بانزر عبر القطاع الجنوبي من المدينة، بينما زاد النشاط الجوي الألماني إلى حد كبير. وفي هذا النهار دار القتال على أشده، وتبدلت الهجمات المعاكسة واحتلال المواقع عدة مرات. ولكن النتيجة العامة كانت لصالح الألمان، الذين استطاعوا احتلال (مساكن الفنيين) وهددوا منها بالرشاشات منطقة وصول الإمدادات عبر (الفولغا). ووصل القتال إلى ذروته في تلة (ماماييف) وفي محطة السكة الحديدية- تبادل احتلالها أربع مرات، انتهت مساء بتطهيرها من الألمان - وعند المساء كانت اللغة الألمانية في التلة هي الأرجح، رغم الدفاع السوفيتي حتى الموت، مما دفع (تشويكوف) إلى دعمها ببقايا الفوج ٤٢، ولم يتمكن السوفيت من إعادة السيطرة على ذروة التلة إلا بعد أن فقدوا في الاشتباك بالسلاح الأبيض

أربعة أخماس عناصر هذا الفوج، وجزءاً كبيراً من عناصر أحد أفـواج المشـاة ١١٢.

ومع أول ضوء ١٦ أيلول، استؤنفت الاشتباكات في وسط المدينة ونظـراً للتضاؤل النسبي في نشاط الطيران الألماني. فقد تمكنت بعض الوحدات السوفيتية من تحسين مواقعها وبخاصة في تلة (ماماييف) والجناح الأيمن للجيش ٦٢. أمـا في الوسط، فكان الوضع أسوأ، حيث سقطت المحطة فـي ١٨ أيلـول. بعـد أن انتقلت من يد إلى يد ١٥ مرة في ثلاثة أيام. ولم يبق لدى الجيـش ٦٢ أي قـوة احتياطية بعد أن تحولت غرة مشاه الحرس الرائعة إلى مجرد هيكل. وبذلـك لـم يبق في المنطقة أي تشكيل يذكر، بل صار الجنود يقاتلون في مجموعات صغـيرة (٣-٥ أفراد) من طابق إلى آخر ومن زاوية إلى أخرى.

وفي القطاع الجنوبي من المدينة، تمكنت القوات الألمانيـة مـن عبـور (الفولغا) عند (كوبوروسنوية) مكملة بذلك الطوق حول الجيـش ٦٢، ومصعـدة الخطر المحدق بالمعابر، وضاغطة مجال الرمايات المنحنية، وفي مواجهة ذلـك، عمد (بيريمنكو) إلى تجميع تلول المدفعية والهاونات على الضفة الشـرقية لنـهر (الفولغا) وشن هجمة معاكسة (١٩ أيلول) لإعادة الاتصال مع الجيش ٦٢. ولكـن المحاولة فشلت وتكررت في اليومين التالين (٢٠و٢١ أيلول) دون نجـاح يذكـر وبذلك سقط الجزء الجنوبي من المدينة، باستثناء إهراءات الحبوب الواقعـة فـي أقصى الجنوب، حيث صمد المدافعون عنها (٣٠ من الحرس و١٨ مـن مشـاة البحرية) مدة خمسة أيام، رغم قلة ذخائرهم وتموينهم، في مواجهة كتيبة ألمانيـة كاملة. وفي اليوم الخامس (٢٢ أيلول) توجهت نحو إهراءات الحبوب وحدات من الفرق الألمانية المحمولة ٢٩، البانزر ١٤ والمشاة ٩٤، واحتلتها بعد أن لم يبـق من المدافعين عنها سوى نفر قليل وجدوا بلا ذخيرة ولا ماء ولا طعام.

ولم يكن الوضع أقل سوءاً في وسط المدينة، إذ أن هجوم المشاة المدعوم بالدبابات، الذي شنته القوات الألمانية في ٢٢ أيلول، نجح في عبور نهر (تساريتسا) رغم نجاح المدفعية في تعطيله لبعض الوقت، ثم اجتاح المهاجمون قوات (روديمتسيف) (٢٢ أيلول) المدافعة عن منطقة العبور الوسطى، وبالتالي انكشفت مؤخرة الجيش ٦٢ تماماً. وفي صباح ٢٣ أيلول، اصدر (تشويكوف) أمراً بقيام فرقة الجنرال (بانيوك) (وصلت حديثاً) بهجمة معاكسة على طول ضفة (الفولغا) باتجاه الشمال. ولم يحقق هذان الهجومان نتيجة معقولة بسبب تحصين الألمان للأرض وتمسكهم بها، إلا أن القوات الألمانية (باولوس) لم تعد قادرة على المضي في اختراق أحياء المدينة. وفي مساء ٢٤ أيلول ١٩٤٢ بدأت وتيرة القتال تخف تدريجياً، بينما أصبح الجيش ٦٢ مقسوماً إلى قسمين.

بعد أن مضى شهر كامل على الموعد الذي حدده (هتلر) (٢٥ آب) لاحتلال (ستالينيغراد) دون أن يتحقق ما أعلنه على العالم ووعد به الجماهير الألمانية أكثر من مرة، وفشل جزء خطته الخاص باحتلال نفط القوقاز. بدأ البحث عن أكباش فداء، وخاصة بعد أن تقلصت إلى حد كبير ثقته في المارشال (كليست) (١٠ أيلول) قائد مجموعة الجيوش (أ) بعد أن اتهمه بالتخاذل. واتبع ذلك بنتيجة (فايترشيم) قائد الفيلق ٤ و(شودلر) قائد الفيلق ١٤ بانزر، بحجة اعتراض الأول على مهمة كلف بها، واتهام الثاني بالانهزامية لخوفه مما قد تتعرض له أجنحة الجيش السادس. وفي ٢٤ أيلول، أعفي (هالدر) من رئاسة هيئة الأركان العامة الألمانية العامة. وسرعان ما نقل (شمونت) إلى (باولوس) بأنه أحد المرشحين لخلافة (بودل) في رئاسة فرع العمليات في هيئة الأركان العامة وبذلك استولت على (باولوس) فكرة الصعود إلى القمة من خلال (خرائب ستالينيغراد).

في هذه الأثناء كانت القيادة الألمانية مشغولة بأمرين أساسين، الأول ما يجب اتخاذه من إجراءات استعدادا للشتاء المقبل. والثاني تفسير السرعة في ظهور الفرق السوفيتية واختفائها، وفي هذا المجال كانت الأكثرية مع الاستنتاج بأن هذه القوات تحتشد في وسط الجبهة الشرقية.

وفي الوقت نفسه، كانت معنويات القوات الألمانية مرتفعة (على عكس القيادة العليا) ومازال التفوق الجوي الألماني مطلقاً. بالإضافة إلى وصول تشكيلات جديدة من ألمانيا، ومعظمها من الصنوف الخاصة (وحدات هندسة وقوانف لهب) وكانت تحركات الألمان وتصرفاتهم، وقلة اهتمامهم بالاختفاء والتمويه تشير إلى قرب استئناف الهجوم.

وعلى الجانب المقابل، تقلص تدخل (ستالين) في تفاصيل خطط القادة الميدانين وتصرفاتهم. كما أن الجو القيادي لم يكن- كنظيره الألماني – مشحونا بالشكوك ومحاولات التزلف والتضليل. إلا أن معنويات القوات السوفيتية كانت دون معنويات القوات الألمانية. وكنت القيادة السوفيتية تتحاشى إشراك الطيران في العمليات بشكل يتجاوز المألوف. لكن الجدل في مقر القيادة كان قائماً حول مكان محور الجهد الرئيسي للهجوم. إلى أن استقر على وجوب استغلال طول الجناح الألماني المكشوف. والممتد على طول نهر (الدون) وهذا ما أخذه (جوكوف) و(فاسيليفسكي) في الحسبان، بعد استطلاعهما الشخصي للخطوط الأمامية في مطلع أيلول.

وعلى هذا الأساس ركزت القيادة السوفيتية على ضرورة إبقاء (ستالينيغراد) بؤرة تستقطب اهتمامات الألمان وجهدهم العسكري. وكان هذا يعني بالنسبة إلى القيادة السوفيتية، إنهاك القوات الألمانية، واستنفاذ احتياطاتها،

وبشكل يضمن نجاح الأعمال القتالية المقبلة. وتجميد الجيشين السادس والبانزر الرابع وصرف انتباه القيادة الألمانية عن المناطق الحقيقية لتحتشد الاحتياطات السوفيتية الأمر الذي يتطلب إبقاء الجيشين ٦٢و٦٤ قادرين على صد الهجمات الألمانية وتجميد القوات الألمانية الموجودة في (ستالينيغراد) وحولها دون الدخول معها في معارك حاسمة. وإيهام القيادة الألمانية بأن الاحتياطات السوفيتية تحتشد في منطقة خلف (ستالينيغراد) (ثم تعرض ٣٧ فرقة بقي منها ما يعادل ١٠ فرق في منطقة ستالينيغراد، وأعيد الباقي إلى مناطق التجمع الخلفية.

واستعداداً للأعمال القتالية المقبلة، صار لابد من إعادة النظر في البنية القيادية لمجموعات الجيوش المحيطة بمدينة (ستالينيغراد) وكان أهم الإجراءات التي اتخذت في هذا الصدد هو إلغاء الأمر الصادر بتكليف (بيريمنكو) بقيادة الجبهتين (ستالينيغراد والجنوبية الشرقية). وإعادة تسمية (جبهة ستالينيغراد) التي صار أسمها (جبه الدون) وتعيين (روكوسوفسكي) قائداً لها. وإطلاق اسم (جبهة ستالينيغراد) على (الجبهة الجنوبية الشرقية) التي بقيت بقيادة (بيريمنكو). وإحداث مجموعة جيوش جديدة باسم (الجبهة الجنوبية الغربية) وتكليف (فاتوتين) بقيادتها، على أن تحتل مواقعها في الوقت المناسب على يمين (روكوسوفسكي).

وفي هذه الفترة من الصراع. كانت حسابات (باولوس) وهي امتداد لحسابات القيادة العليا الألمانية – مركزه حول ثلاثة معطيات أساسية:

١. التقدير بأن القوات السوفيتية قد أصبحت أعجز من أن تقف أمام هجوم حاسم عنيف وهذا ينسجم إلى حد كبير مع أفكار (هتلر).

٢. التحسب للشتاء الروسي الذي أخذ يقترب.

٣. التطلع إلى (عبور دهاليز القيادة العليا) من بين (خرائب ستالينيغراد).

وبفضل استطلاعات الجيش ٦٢ وتجاهل (باولوس) لأهمية المفاجأة وسوء انضباط الجنود الألمان، حصل (تشويكوف) منذ ٢٩ أيلول ١٩٤٢، على معلومات مؤكدة عن قرب موعد الهجوم الألماني، وقدر أنه سينطلق من اتجاه (غوروديتشي – رازغوليابيفكا) ضد مصنعي (المتاريس) و(أكتوبر الأحمر) فالمصفين نفسيهما، وحتى ضفة (الفولغا) خلفهما. وكان أخطر ما قد ينتج عن أي تقدم ألماني، هو تصنيف مجال المناورة، وبالتالي حصر المنطقة التي تصل إليها تعزيزات (ستالينيغراد) وإمداداتها، وبخاصة أنه كان من المقرر أن يبدأ وصول فرقة المشاة ١٩٣ (سميخوتفوروف) في مساء ٢٧ أيلول، تليها فرقة المشاة ٣٠٨ (غورتيف) في ٣٠ أيلول، ثم فرقة الحرس ٣٧ (جولوديف) في ٣ تشرين الأول. لذا قرر (تشويكوف) تعطيل الهجوم الألماني بواسطة رمايات المدفعية من شرق (الفولغا) وتقوية الدفاع عن شمال المدينة، حيث لا يوجد غير فرقة المشاة ١١٢ المنهكة، وبقايا لواء دبابات (بلادبابات) ثم القيام بهجمة تعطيلية بفرق (غوريشني) و(باتيوك) و(روديمتسيف) التي انخفضت قواه إلى حد كبير.

وفي الساعة ٦,٠٠ من صباح ٢٧ أيلول، وبعد ساعة من التمهيد المدفعي، تحركت مشاة (تشويكوف) وحققت النجاحات الأولية، إلا أنها اضطرت إلى التوقف والاحتماء بسبب كثافة قصف الطيران المنقض. وفي الساعة ١٠,٣٠ رد الألمان بهجوم على تلة (ماماييف) ومساكن مصنع (أكتوبر الأحمر) اشتركت فيه ثلاثة فرق (فرقة البانزر ٢٤، وفرقة المشاة ١٠٠ التي دخلت القتال حديثاً، والفرقة ٣٨٩ المعاد تجهيزها) وبهذا بدأت أخطر فترة يواجهها الجيش ٦٢.

وأدى الرد الألماني إلى سقوط تلة (ماماييف) (موقع الفرقة ٩٥) ولم يبق بيد السوفيت سوى مساحة صغيرة من سفحها الشمالي الشرقي. واشتعلت خزانات النفط، وغطت المنطقة سحابة كثيفة من الدخان الأسود، وانقطع معظم الاتصالات

السلكية واللاسلكية، مما اضطر هيئة قيادة الجيش ٦٢ إلى التوزع على مقـــرات القيادات الصغرى لتبين الموقف العام، وأصبح الموقف البري على الشكل التالي:

- في شمال المدينة: اخترق الألمان حواجز الألغام، واكتسحوا مواقع الفرقـــة ١١٢ ودفعوها في بعض النقاط حوالي ٢ كلم نحو الخلف، متغلغليـــن عـبر مساكن مصنع (المتاريس).
- في الوسط: طردت فرقة (غوريشني) من معظم تلة (مامايف) بعد أن تكبـدت خسائر فادحة.
- أخلت الغالبية القيادات الأدنى مقرات قيادتها.

وفي ليلة ٢٧ أيلول، اكتملت الصورة (عن طريق تقارير القـــادة الذيـن توزعوا على المقرات الفرعية) ولقد وصف (تشويكوف) الوضع بقوله (معركـــة أخرى كهذه، وسيقذف بنا إلى (الفولغا) ولكن عندما اتصــل بــه (خروتشــوف) ليسأله عما يمكن تقديمه، أجاب: (لا أطلب سوى تغطيـــة جويـــة ولــو لبضـع ساعــات فقط يومياً وأعرف أن طيراننا يقـــوم بأعمـال بطوليــة...) ووعـده (خروتشوف) خيراً.

وفي ليلة ٢٧-٢٨ أيلول. توزع القادة والموجـــهون السياســيون علـــى الملاجئ والخنادق لشحذ العزائم، وعبر اثنان من أفواج (سميخوتفوروف) نـــهر (الفولغا) وتمركزا عند الحافة الغربية لمساكن مصنع (أكتوبر الأحمـــر) وظلــت المدفعية طوال الليل تقصف تلة (مامايف) لمنع الألمان من إقامـــة التحصينـات وخطط لشن هجوم معاكس في صباح اليوم التالي (٢٨ أيلول) تشترك فيه فرقـــة (باتيوك) أو بقايا فرقة (غوريشني).

وفي فجر ٢٨ أيلول كثف الطيران الألماني قصفه وأصيب مقر قيادة الجيش ٦٢. ومع ذلك لاحظ (تشكويكوف) أمرين أساسين هما - انخفاض إيقاع الهجمات الألمانية. وضعف التنسيق والتعاون بين الصنوف المهاجمة. وفي الوقت نفسه نفذ (خروتشوف) وعده، فنال الجيش ٦٢ أقوى دعم جوي حصل عليه حتى ذلك الحين، وكانت أفضل نتائجه بقاء قمة تلة (ماماييف) أرضا محرمه على الطرفين.

وفي جنوبي (ستالينيغراد) فشلت الهجمة التي شنها الجيش ٦٤ من جهة (كوبوروسنوية) والتي كان هدفها الأول إعادة التماس مع الجيش ٦٢. كان أحد الأهداف الأساسية مخططات القيادة السوفيتية العليا، تطويق الجيشين السادس والبانزر الرابع. وكان تحقيق ذلك يتطلب بالدرجة الأولى صمود الجيشين ٦٢و٦٤ والحفاظ بالتالي على أكبر مساحة ممكنة من (ستالينيغراد) لذا تدفقت التعزيزات على هذين الجيشين، ومعظمها على شكل (كتائب رشاشات) وتشكيلات مشاة (للدفاع عن مناطق محصنة بالقتال الثابت). ولم تكن مهمتها الدفاع عن (ستالينيغراد)، بل تشكيل خط دفاعي قوي خلف الجيشين ٦٢و٦٤ لافي جزر (الفولغا) وعلى ضفة النهر الشرقية، وذلك بالتعاون مع وحدات المدفعية التي نظمت بحيث أصبحت تشكل جزءاً من الخط الدفاعي. وهكذا تشكلت المنطقة ١٥٩ المحصنة على ضفة (الفولغا) الشرقية، وفيها - بالإضافة إلى المدفعية- ١٢ كتيبة رشاشات من احتياطات القيادة العامة، وعدة تشكيلات أخرى، من ضمنها اللواء ٤٣ هندسة عسكرية، الذي شرع في بث ألغامه على طول الضفة الشرقية. وكان أخطر ما في الوضع- يتمثل في صعوبة - وأحياناً استحالة - عبور (الفولغا) والإعداد الهائلة من الجرحى الذين يتحتم إخلاؤهم ليلاً.

في هذا الوقت كانت قوات ألمانية (مشاة ودبابات) جديـدة تقـترب مـن مصنع (أكتوبر الأحمر) مهددة بذلك الهدوء النسبي الـذي كـان يلـف (جيـب أورلوفكا) على الجانب الأيمن للجيش ٦٢. والممتد حوالي (٨) كلم طـولاً و(٢) كلم عرضاً، على شكل بروز يحمي شمال غربي المدينة، وتحيط قـوات ألمانيـة من الفرق – البانزر ٦٠، والمحمولـة ١٠٠، والمشـاة ١٠٠و٣٨٩، مهمتـها الأساسية حماية الجناح الشمالي للجيش السادس. وكـان الجانبـان المتحاربـان يدركان خطورة هذا القطاع من الجبهة. إلا أن القوات السوفيتية كـانت أضعـف من أن تسمح لقائدها (بيريمنكو) بوضـع مخطـط تعرضـي فـي حيـن كـان (بـاولوس) يرى وجوب إزالة هذا الجيب. ومـن خـلال التحركـات الألمانيـة (الفرقتان بانزر ١٤ ومشاة ٩٤) أدرك (تشويكوف) ما يجول في ذهن (بـاولوس) وبما أن قواته غدت عاجزة عن فعل أي شيء، إزاء ذلك، فقد سحب معظم لـواء (اندريوسينكو) (لواء مشاة) من (جيب أورلوفكا)، دعمه بفـوج أسـلحة مضـادة للدبابات – سريتي مشاة، استعداداً للقيام بهجة معاكسة في غضون ثلاثـة أيـام؛ باتجاه مساكن (مصنع المتاريس). وفي ليلة ٣٠ أيلول، بدأت فرقة الحـرس ٣٩ (غوربيف) عبور (الفولغا) فعزز بقسم منها قوة الهجمة المعاكسة ونشـر القسـم الآخر خلف فرقة (سميخوتنوروف) التي اخترقتها القوات الألمانية عند هجومـها باتجاه مصنع (أكتوبر الأحمر) وأمر بتحويل المباني إلى نقاط دفاع قوية.

وفي ١ تشرين الأول ١٩٤٢، نجح الألمان في اختراق (جيب اورلوفكـا) من الشمال والجنوب الغربي مطبقين فكي الكماشة على الكتيبة الثالثـة المتبقيـة وحدها، بعد سحب لواء (اندريوسينكو). ورغم قسوة ظروف هذه الكتيبـة (٢٠٠ طلقة ومؤونة يومين فقط لكل فرد) فقد صمدت في قتال عنيف دام خمسة أيام. ثـم تسلل الناجون منها (١٢٠ فرداً) بعد نفاذ ذخيرتهم وتموينهم في ٧ تشرين الأول.

وفي الوقت نفسه، كان الضغط يتزايد على فرقتي (باتيوك) و(روديمتسيف) في وسط المدينة. وحاولت إحدى الكتائب الألمانية متنكرة بزي الجيش الأحمر، اختراق (الجرف الحاد) وصولاً إلى (الفولغا) ولكنها كشفت وأبيدت.

كان وضع الجيش ٦٢ يتدهور بسرعة فقد خسرت فرقة (سيمخوتقوروف) يوم وصولها إلى (ستالينيغراد) ثلاثة من قادة أفواجها، ومثلهم من قادة كتائبها. ولم يبق من أفرادها بعد أسبوع من القتال غير (٢٠٠٠) جندي، وأرغمت بعد ذلك على التراجع. وفي وسط المدينة. أصبح إيقاف الألمان بالغ الصعوبة. وزاد اقترابهم من مصنع (أكتوبر الأحمر) كما أصبح مقر قيادة (تشويكوف) نفسه عرضه للهجوم المباشر. إضافة إلى استمرار اشتعال خزانات النفط، وتعذرت الاتصالات أو انقطاعها. وكانت بارقة الأمل الوحيدة تتمثل في بدء عبور فرقة جديدة للتعزيز، هي فرقة المشاة ٣٠٨ (غورتيف) ومعظم أفرادها من (سيبيريا).

وبدءاً من مطلع تشرين الأول ١٩٤٢، صار الضغط الألماني يتزايد، ومحيط الدفاع السوفيتي عن (ستالينيغراد) يضيق وزادت خطورة الوضع عندما شوهدت في ٤ تشرين الأول، خمس فرق ألمانية (٣ مشاة واثنتان بانزر) تتحشد مقابل (مصنع الجرارات) وتزامن بدء الهجوم الألماني مع عبور فرقة الحرس ٣٧ التي وضعت على يمين (غورتيف) لتعزيز الدفاع عن المصنع، وفي الليلة التالية، عبر اللواء المدرع ٨٤ (الخفيف)، فنشرت دباباته كي تستخدم على شكل نقاط نيران ثابتة، بسبب عجزها أمام الدبابات الألمانية. وكان من المتعذر عبور الدبابات المتوسطة والثقيلة واستطاع الدفاع السوفيتي أن يحد كثيراً من التقدم الألماني في يومي ٤و٥ تشرين الأول. وفي يوم ٦ تشرين الأول، توقف الألمان

لإعادة التنظيم. وفشلت الهجمات المعاكسة التي شنت لاستغلال هذه الوقفة الناتجة عن إجهاد القوة الألمانية، ولو أنها كبدت العدو خسائر فادحة (ما يوازي أربع كتائب مشاة في ٦ تشرين الأول وحده) مقابل الاستيلاء على مجمع سكني واحد.

وبقي القتال حتى مساء ١٣ تشرين الأول سجالاً وبطيء الإيقاع، بحيث كان التقدم والتراجع من خلال اليوم القتالي الواحد يقاس بالخطوات أو المباني أو بالطوابق في أفضل الحالات. ولعبت الراجمات السوفيتية (كاتيوشا) دوراً فعالاً في هذا القتال. وكان ابرز أيام هذه الفترة يوم ١٢ تشرين الأول، حيث أصدر (بيريمنكو) أمراً إلى (تشويكوف) ينص على أن تقوم فرقة الحرس ٣٧. (جولوديف) يساندها أحد أفواج (غوريشني) بشن هجمات معاكسة على القوات المقابلة لمصنع الجرارات ولقد حققت هذه الهجمة نتيجة ملحوظة إذ تقدم (جولوديف) حوالي (٢٧٥م) و(غوريشني) (١٨٠م).

كان يوم ١٤ تشرين الأول أقسى أيام الجيش ٦٢. فقد نفذ الطيران الألماني ضده حوالي (٣٠٠٠ طلعة). وعلى الأرض. اندفعت الفرق – البانزر ١٤ و٢٤. والمحمولة ٦٠ والمشاة ٣٨٩ و١٠٠، نحو مواقع فرقتي (جولوديف) و(غوريشني) واللواء المدرع ٨٤ وعند منتصف ليل اليوم نفسه، كانت القوات الألمانية قد تمكنت من اختراق الدفاعات السوفيتية، والاقتراب من مؤخرة الفرقة ١١٢، وتطويق (مصنع الجرارات) من ثلاثة اتجاهات، وانتقل الاشتباك إلى داخل المصنع، بينما كانت ثلاثة آلاف جثه ألمانية، ومئات الجثث السوفيتية مبعثرة خارجه. وفي تلك الليلة بالذات، نقل إلى المؤخرة (٣٥٠٠) جريح سوفيتي. وهذا أكبر رقم يتم إخلاؤه في يوم واحد عبر (الفولغا).

وفي ١٥ تشرين الأول استؤنف الهجوم الألماني معززاً بفرقة المشاة ٣٠٥ ووصلت طلائعه إلى (الفولغا) شمال (مصنع الجرارات) موسعة بذلك إلى حد ما بالمنطقة التي احتلها على ضفة (الفولغا) من الشمال والجنوب، وشاطرة الجيش ٦٢ إلى قسمين، ومطوقة قرب (سبارتاكوفكا) المجموعة الثالثة من قوات (تشويكوف) المكونة من ٣ ألوية مشاة والقلة الباقية على قيد الحياة من الفرقة ١١٢، ومعبدة معظم فرقة (جولوديف) عن المصنع، بينما ظل الباقون يقاتلون على شكل حاميات منفصلة ضمن مساكن المصنع. وقد وصلت المشاة الألمانية حتى حوالي (٢٥٠)م من مقر (تشويكوف) الذي طلب من (بيريمنكو) رفض الطلب حفاظاً على معنويات القوات. وانتقل إلى مقر قيادة (تشويكوف) زيارة استثنائية لدعمه معنوياً. وفي إثناء هذه الزيارة، وافق (بيريمنكو) على مد الجيش ٦٢ بوحدات صغرى (سرية فما دون) حسب طلب (تشويكوف) كما وافق على مده بمؤن وذخائر، ولكن بكميات أقل من المعتاد.

وفي ليلة ١٥- ١٦ تشرين الأول، توقف الهجوم الألماني بسبب الخسائر الفادحة، والتي لم تكن بالإمكان تعويضها. وفي الجهة المقابلة، فقد (جولوديف) و(غوريشني) ثلاثة أرباع قوتيهما في يوم ١٥ تشرين الأول وحده. وفي الوقت الذي نضبت الاحتياطات الألمانية. وكانت الحقيبة السوفيتية لا تزال قادرة على العطاء. ففي ليلة ١٦ – ١٧ تشرين الأول، عبر (الفولغا) فوجان من فرقة المشاة ١٣٨، بعد أن كان الفوج الثالث من الفرقة قد عبر في وقت سابق. وفور وصولهما، أسندت إليهما مهمة تعزيز مواقع (جولوديف) و(غوريشني).

وتابع الألمان في اليوم التالي تقدمهم نحو مصنع (أكتوبر الأحمر) بعد أن اجتاحوا ميمنته (سيمخوتفوروف) وكادوا يطوقون بعض وحدات (غورتيف)

المجاورة له. لذا أصدر (تشويكوف) أمره بتراجع قوات (غورتيف) المجاورة لـه مسافة ١٨٠ – ٢٧٥ متراً تفادياً للتطويق.

وانقضى يوما ١٩ و٢٠ تشرين الأول في هدوء نسبي – حسب معدلات ستالينيغراد– حيث تابع الألمان هجومهم على القوات المعزولة قرب (سبارتاكوفكا) وحفظهم على المصنعين دونما نجاح يذكر. في هذه الإثناء أشارت معلومات الاستطلاع إلى تحشد قوات من الجيش السادس في منطقة مساكن (مصنع المتاريس) وفي الوقت نفسه عبرت (الفولغا) إلى المدينة مجموعات من الخياطين والميكانيكيين المشكلين في سرايا مشاة. وفي ٢١ تشرين الأول، استأنف الألمان هجومهم على مصنعي (المتاريس) و(أكتوبر الأحمر) دونما نجاح يذكر. وفي اليومين التالين دفع (باولوس) فرقة المشاة ٧٩ المدعمة بالدبابات، وحققت الفرقة نجاحات ملحوظة، وانتقل القتال إلى قلب هذين المصنعين.

وفي خلال ذلك كانت قوات الطرفين تتآكل بتسارع كبير. وبلغ متوسط خسائر (باولوس) ما يعادل فرقة كاملة كل خمسة أيام، بينما لم يبق سوى بضع مئات فقط من مجموع أفراد الفرق – الحرس ٣٧، والمشاة ٣٠٨ و١٩٣ (التابعة للجيش ٦٢).

وفي ٢٥ تشرين الأول تجدد الهجوم الألماني على المجموعة الشمالية) في قوات (تشويكوف) في سباتاكوفكا) وأرغمت قوات (غوروخوف) على التخلي عن وسط المساكن. ولكن بعد يومي قتال شرس، أسهمت فيه أسلحة أساطيل (الفولغا) التابع للبحرية السوفيتية، أمكن دفع الألمان نحو الخلف قليلاً أما جنوب هذه المجموعة، فكان الوضع أخطر، حيث استطاعت الفرقة الألمانية ٧٩ التقدم

حتى مقر قيادة (غوربيف). فدفع (تشويكوف) سرية من حرس مقر قيادة انطلاقها، فألحقت إلى فرقة (غوربيف) (٣٩ مشاة).

وفي ٢٧ تشرين الأول وصل الوضع إلى ذروة خطورته، عندما وصلت زمر الرشاشات الألمانية إلى نقطة بين مصنفي (المتاريس) و(أكتوبر الأحمر) (حوالي ٣٥٠م عن الفولغا) وغدا بإمكانها الرمي على آخر منطقة تزود إمدادات الجيش ٦٢ إلى مخاضات (الفولغا) لولا أن فرقة المشاة ٤٥ (موكولوف) كانت قد بدأت عبورها في الليلة السابقة، وتمكنت من دخول المدينة في ٢٧ تشرين الأول، ونشرت بين هذين المصنعين للحيلولة دون وصول الألمان إلى ضفة النهر. وبعد يوم قتال واحد، خسرت هذه الفرقة نصف قوة الكتيبتين اللتين تم عبورهما. وتراجعت ميمنتهما حوالي (١٠٠)م . وصار من المتعذر عبور باقي الفرقة.

وعندما جاء يوم ٣٠ تشرين الأول ١٩٤٢، كان (باولوس) قد حقق السيطرة على تسعة أعشار (ستالينيغراد) ولم يعد بيد (تشويكوف) غير جزء من تلة (ماماييف) وبعض مباني المصانع، وشريط أراضٍ مواز لنهر (الفولغا) بطول بضعة كيلومترات وبعرض مئات من الأمتار. ولكن قوة الهجوم الألماني أخذت تهمد، و(ستالينيغراد) لم تسقط بعد، مثبتة مرة أخرى، أن الجيش ٦٢ (تشويكوف) أقدر على البقاء من الجيش السادس (باولوس).

ومع مطلع تشرين الثاني ١٩٤٢، تدخلت الطبيعة لتزيد من مشاكل (تشويكوف) ذلك أن غزارة مياه (الفولغا) وموقعه الجنوبي، عملاً على إبطاء تجمده. وفي هذه الفترة بالذات، تكونت في مجراه كتل جليد كبيرة أعاقت الملاحة فيه، مما أثر إلى حد كبير على وصول الإمدادات إلى المدينة.

وقد تنبه (تشويكوف) إلى هذه الظاهرة، فأخذ يعمل على جمع الإمداد حسب الأفضليات الرجال والذخائر أولاً، ثم الطعام ثانياً، فمهمات التدفئة ثالثاً، وكان يدخل في احتمالاته أن يعمد (باولوس) إلى استغلال هذه الظاهرة في عملياته الهجومية، ومن جهة ثانية لم يكن نائب رئيس هيئة الإمداد والتموين في الجيش الأحمر (فينوغرادف) يشارك (تشويكوف) في ترتيب هذه الأفضليات مما جعل (تشويكوف) يوسط (خروتشوف) في الأمر، دون جدوى. وعلى هذا الأساس صار قادة وحدات الجيش ٦٢ يلجؤون إلى استعراض الذخائر من أجل التكديس، كما صار قدماء البحارة صيادو السمك من عناصر الجيش ٦٢. يبنون من الزوارق والأطواق الخاصة بهم، من أجل العبور والعودة بالإمدادات.

وفي هذه الإثناء أثبتت معلومات الاستطلاع صحة توقعات (تشويكوف) حول نوايا (باولوس) فقد أشارت إلى أنه يعيد تجميع قواته، بعد أن استقدم إلى المدينة الفرقة ٤٤، التشكيل الوحيد من الجيش السادس الذي لم يشترك في الهجوم بعد وفي الساعة ٦،٣٠ من يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٤٢ أطلق (باولوس) سهمه الأخير لاحتلال (ستالينيغراد) وكان يتألف من سبع فرق، هي فرقتا البانزر ١٤و ٢٤، والمشاة الخفيفة ١٠٠، والمشاة ٤٤ و٧٩ و٣٠٥ و٣٨٩، وقد عزز هذه الفرق بعناصر من فرقتي المشاة ١٦ و ٢٩٤ نقلها جواً من (روسوش)، ونظراً لضيق مجال القوات السوفيتية، فقد دار القتال بالمواجهة، ومن مسافات متداخلة، شان معظم القتال الذي دار حتى ذلك الحين في قلب المدينة. وبعد خمس ساعات من القتال الشرس، زج (باولوس) آخر احتياطه التكتيكي في المعركة، فاجتاح ميمنة الفرقة ٩٥ (غوريشني) ووصل إلى منطقة مصانع (أكتوبر الأحمر) على مواجهة حوالي (٥٥٠ متراً). وبذلك انفصلت الفرقة ١٣٨ (لبيودنيكوف) عن باقي الجيش ٦٢، وانشطر هذا الجيش بعد وصول الألمان

مؤخراً إلى تلة (ماماييف) إلى ثلاثة أقسام- مجموعة (غوروخوف) الشمالية في (سباراتاكوفكا) وفرقة (ليودنيكوف) على ضفة (الفولغا) شمال مصانع (أكتوبر الأحمر) وكبد الجيش الباقي في الجنوب. وفي مساء ١٢ تشرين الثاني قلت حدة الهجوم الألماني. وقد كان الباقي في الجنوب. وقد كان السبب في ذلك هو انخفاض الطلعات الجوية الألمانية من ٣٠٠٠ إلى ١٠٠٠ طلعة / طائرة يومياً. واقتناع المقاتلين السوفيت، من مختلف الرتب، بأن هذه الهجمة الألمانية ستكون الأخيرة وسيعقبها هجوم مضاد سوفيتي.

ومنذ صباح ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٢، انقلب الوضع العام. وقد استهل الجيش ٦٢ هذا الانقلاب بهجمات معاكسة محدودة على مستوى المبنى والمسكن، مع (وعود) من (تشويكوف) لضباطه بان التعزيزات في طريقها إليهم، مع أنه كان يعرف أنها لن تصل. لان (بيريمنكو) كان يحجبها عنه لأمر في نفسه. واستمر الوضع كذلك حتى مساء ١٨ تشرين الثاني، عندما تلقى الجيش ٦٢ مكالمة هاتفية من قيادة الجبهة تقول . (هناك أمر سيصلكم قريباً. استعدوا لتلقيه) ولم يكن من الصعب على قادة القوات أن يخمنوا أن ما سيصلهم هو أمر الهجوم المضاد الكبير.

بدأ الهجوم السوفيتي المضاد في الساعة ٧,٣٠ من صباح ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ بتمهيد مدفعي على مواقع الجيش الروماني الثالث، اشتركت فيه ٣٥٠٠ فوهة لمدة ثمانين دقيقة أعقبه اندفاع موجات المشاة السوفيتية المدعومة بالدبابات (ت – ٣٤) (حوالي ٢٠٠ دبابة) وتمكن جيش الدبابات الخامس من اكتساح الميسرة الرومانية بينما كان الفيلق المدرع الرابع التابع للجيش ٢١ (كرسيتاكوف) يتغلغل في ميمنته. وبعد مقاومة قصيرة، سحقت فيها مقرات قيادة الجيش الروماني الثالث. تمزق هذا الجيش، في الوقت الذي كان فيلق الدبابات

الأول يندفع باتجاه (الدون) وفيلق الدبابات ٢٦ باتجاه (كالاتش)، وفيلق الدبابات الرابع باتجاه (غولوبينسكي) أي أن هذه الفيالق الثلاثة كانت كلها متجهة نحو مؤخرة الجيش السادس (باولوس) دون أن يبقى في طريقها غير فيلق البانزر ٤٨ بدباباته التي أصبحت ضعيفة في مواجهة الدبابات (ت – ٣٤). وفي ٢٩ تشرين الخامس الروماني، في قرية (بيريلازوفسكي) وكان الجيش المدرع الثاني كان فيلق الدبابات ٢٦ يدرك مقر قيادة الفيلق المدرع في الجيش الخامس قد قطع أكثر من ثلث الطريق حتى (كالاتش) التي أعطي أربعة أيام للوصول إليها.

وفي الساعة العاشرة من صباح ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ (تأجلت ساعة الصفر مرتين بسبب الضباب) بدأت قوات (بيريمنكو) هجومها على اتجاهين يميني (شمالي) ينفذه الجيش ٥٧ وقسم من الجيش ٦٤، ويساري (جنوبي) ينفذه الجيش ٥١. وكان على قوات الاتجاه الأول أن تعمل على محورين – محور جهد رئيسي، بقوة ٦ فرق مشاة، باتجاه مؤخرة الجيش، السادس (پاولوس) وعندما يحقق الخرق، يندفع الفيلق الميكانيكي ١٣ نحو (نشيرفلينايا) لينضم إلى قوة (ستالينيغراد) بينما يتجه محور الجهد الثانوي جنوباً للالتقاء مع جزء من الجيش ٥١. أما قوات الاتجاه الثاني (الجنوبي) فكان عليها أن تتقدم على محورين أيضاً محور جهد رئيسي باتجاه الشمال الغربي، لفتح ثغرة يندفع عبرها الفيلق الميكانيكي الرابع باتجاه (سوفينسكي) ثم باتجاه (كالاتش). محققاً بذلك عملية ضغط معظم مجموعة الجيوش (ب) (فايخس) من الشمال، بينما يندفع محور الجهد الثاني وكبده فيلق الخيالة الرابع، باتجاه الجنوب الغربي لتشكيل الضلع الثاني في عملية الضغط.

ولقد اشتركت في هذه العملية كميات كبيرة من الراجمات (كاتيوشا) والمدفعية وفي الساعة ١٥,٠٠ كانت دفاعات الرومانيين مخترقة في كافة القطاعات ومن أجل إحكام عملية التطويق، كان (جوكوف) الذي يقود العملية من الشمال بنفسه قد خطط لتشكيل غلاف خارجي من المشاة يسد كافة المنافذ لذا كانت المشاة تتجه نحو الجنوب الغربي لاحتلال ضفة نهر (كالاتش). وفي الوقت نفسه عمل جيش (روكوسوفسكي) ٦٥و ٢٤ (من جبهة الدون) على تثبيت القوات الألمانية ضمن منحنى الدون الصغير. بينما بقي الجيش ٦٦ (من ملاك الجبهة نفسها) يشاغل الجانب الشمالي للجيش السادس في المنطقة الواقعة بين (الدون) و(الفولغا).

في هذه الإثناء قام قائد مجموعة الجيوش (ب) (فايخس) ومعه قائد جيش البانزر الرابع (هوت) ببعض المحاولات لمنع إكمال عملية التطويق.

ولكن محاولاتهما فشلت لأسباب أهمها:

١. عدم استقرار مقرات القيادة الألمانية (باولوس) والقيادة العامة، وهيئة الأركان، وقائد سلاح الجو غورينغ مما جعل الأوامر غير واضحة، وسريعة التبدل ومتضاربة أحياناً، إضافة إلى ضعف الاستطلاع واللامبالاة بما يجري خلف الخطوط السوفيتية.
٢. عنصر المفاجأة الذي حققه (جوكوف) بشكل كامل تقريباً.
٣. الإنهاك الذي أصاب القوى والوسائط الألمانية، سواء بسبب المعارك أو التناقص الحاد في الوقود. أو بسبب سوء الصيانة (بعض التشكيلات المدرعة تعطل أكثر من نصفها من جراء سوء الصيانة) يقابل ذلك ظهور الدبابة السوفيتية (ت- ٣٤) التي كانت أحدث آلة حربية يومذاك.

٤. ارتفاع المعنويات السوفيتية وانهيار نظيرتها الألمانية.

٥. السرعة والحسم في اتخاذ القرارات السوفيتية، التي كان يقابلها بطء ورتابة وكثير من الارتباك والتناقض على الجانب الألماني.

وعلى الرغم من عنف الهجوم السوفيتي وسرعته ودقة تنفيذه، فقد استدرك (فايخس) الموقف ولو متأخراً. ففي اللحظات الأخيرة التي سبقت إحكام الطوق حوله، انسحب نحو الخلف متفادياً نهاية محققه لجزء من قواته، وفي اليوم نفسه. تم تطويق واستسلام خمس فرق رومانية تابعة له. ولم يكن (باولوس) محروماً نهائياً من فرصة تلافي الوقوع بين فكي الكماشة، لولا أن (هتلر) رفض بشكل تام فكرة تراجع الجيش السادس عن (ستالينيغراد)، ووضع هذا الجيش تحت إمرته الشخصية، مستخفاً أساساً بالمحاولات السوفيتية، وبالآراء التي كانت تشير إلى أهداف(جوكوف). وكان يرى أن من اليسير فك الطوق في وقت قصير، قبل أن تنهار القوات الألمانية المحاصرة بعد أن تكفل أمامه قائد سلاحه الجوي المارشال (غورينغ) بان يؤمن لها (٥٠٠) طن من الاحتياجات اليومية، ريثما يفك عنها الحصار.

ومع نهاية شهر تشرين الثاني، كانت القوات السوفيتية قد اكتسحت المنطقة الواقعة ضمن منحنى (الدون) ودفعت الألمان غرباً حتى محاذاة نهر (تشير) شمالاً ونهر (الدون) جنوباً بينما ضغط الجيش السادس ومعه جزء من جيش البانزر الرابع ضمن جيب حول مدينة (ستالينيغراد) متوسط عمقه (٣٠)كلم وطوله حوالي (٥٠) كلم.

في هذه الإثناء حرك الجيش الحادي عشر (مانشتاين) من منطقة (لينيغراد) وأعطي اسم (مجموعة جيوش الدون) وكلف بفتح ممر عبر القوات

السوفيتية بغية الوصول إلى قوات (باولوس) وإعادة خطوط تموينه البرية ، ثم إعادة وضع الجبهة إلى ما كان عليه. فنظم (مانشتاين) قواته في مجموعتين فرعيتين مجموعة (هوت) ومجموعة (هوليت) وكان ذلك ما أملاه (هتلر) بالذات. وكانت الخطة أن يهاجم (مانشتاين) قوات (بيريمنكو) (جبهة ستالينيغراد) ويدحرها، ثم ينقض على قوات (روكوسوفسكي) بالتعاون مع (باولوس) الذي كان عليه أن يهاجم من (لينيغراد).

وفي ١٢ كانون الأول ١٩٤٢ بدأ (مانشتاين) تنفيذ خطته محققاً بعض النجاحات في خلال اليومين الأولين. ثم تباطأ إيقاع تقدمه نتيجة للمقاومة السوفيتية التي كانت تدعم وتعزز بشكل مستمر. وفي ٢٣ كانون الأول، أوقف (مانشتاين) على مسافة (٥٠) كلم من (ستالينيغراد) وعندما يئس من محاولته، تحدى أوامر هتلر وأرسل إلى (باولوس) يخبره بوجوب الانسحاب من منطقة (ستالينيغراد) عن طريق ملاقاته عبر الطوق السوفيتي ولكن (باولوس) رفض تنفيذه الفكرة إلا بأمر من (هتلر) بالذات. وهكذا أهدرت آخر فرصة لإنقاذ الجيش السادس ومن معه من جيش البانزر الرابع. وفي الوقت نفسه، كان (مانشتاين) يأخذ في الحسبان خطورة وضعه في مواجهة أي هجوم سوفيتي واسع، خصوصاً وأن جبهة مجموعة (هوليت) على نهر (تشير) كانت معرضة وضعيفة أمام مجموعة جيوش (فاتوتين) (الجبهة الجنوبية الغربية).

وبعد رسالة (مانشتاين) إلى (باولوس) بيوم واحد (٢٤ كانون الأول)، انقضت مجموعتا جيوش (فاتوتين) و(بيريمنكو) على قوات (مانشتاين) المنهكة وفي الوقت نفسه، انطلقت مجموعة جيوش (روكوسرفسكي) نحو (ستالينيغراد) وما أن حل آخر هذا الشهر حتى كانت قوات (مانشتاين) تتراجع حتى مسافة انقطع معها كل أمل في فك الحصار عن (باولوس). ولم يبق أمام الألمان سوى

الحفاظ على ممر مفتوح شرق (روستوف) يسمح بانسحاب مجموعة الجيوش (أ) التي كانت معرضة للتطويق أو العزل في القوقاز.

في (ستالينيغراد) ذاتها، كانت قوات (باولولس) في تدهور مضطرد، تحت وطأة المعارك والأمراض وصقيع الشتاء. وبعد نفاذ احتياطاتها من المؤن والذخائر تضاعفت احتياجاتها من الإمداد، فأصبحت حوالي (١٥٠٠) طن يومياً. ولم يستطع الطيران أن يمدها بأكثر من ٧٠ –٨٠ طناً يومياً طوال الفترة الممتدة من ٢٣ كانون الأول ١٩٤٢(يوم اكتمال التطويق) وحتى أوائل عام ١٩٤٣. وفي هذا الوقت اجتاحت القوات السوفيتية بعض المطارات التي كانت تهبط فيها الطائرات الحاملة للإمداد، فأصبحت قوات (باولوس) تعيش على الإمدادات الملقاة بالمظلات التي كثيراً ما كانت تهبط فوق القوات السوفيتية.

وفي ٨ كانون الثاني ١٩٤٣، وجه (روكوسوفسكي) إلى (باولوس) إنذاراً بالاستسلام، وعندما رفض القائد الألماني الإنذار، شن (روكوسوفسكي) هجوماً على محيط المنطقة المطوقة في ١٠ كانون الثاني. وبذلك أصبحت المنطقة محاطة بسبعة جيوش سوفيتية حددت مصير (باولوس) ومن معه. لكن (هتلر) لم يسمح بالاستسلام. وبعث إلى (باولوس) برتبة (مارشال) انطلاقاً من التقليد بأن (المارشالات) لا يستسلمون. وفي ١٤ كانون الثاني سقط مطار (بيتومنيك) وهو الأهم والأخير. وبعد عشرة أيام سقطت بقية المطارات، وانتهت معها اتصالات (باولوس) بالعالم الخارجي. وفي ٣١ كانون الثاني لم يبق له ما دافع به أو عنه، فاستسلم للقوات السوفيتية، بعد أن ذهب (٨٠) ألفاً من قواته ضحية الجوع والمرض والإصابات خلال شهر كانون الأول وحده وفي ٣ شباط ١٩٤٣ ألقى الفيلق ١١ سلاحه، فكان آخر المستسلمين في جيب (ستالينيغراد).

وقدرت المواد المعدات الألمانية المستهلكة في معركة (ستالينيغراد) بأنها تعادل مجمل الإنتاج الألماني طوال ستة أشهر. وبلغ مجمل الخسائر المادية والبشرية التي تكبدها الألمان. منذ شهر آب ١٩٤٢ – الموعد الذي حدده هتلر لاحتلال ستالينيغراد، وحتى تاريخ استسلام (باولوس) ومن معه القضاء التام على خمسة من جيوش المحور هي الجيش السادس لها بكامله، ومعظم جيش البانزر الرابع فرق من الفرق السبعة التابعة للجيش الروماني الثالث، الجيش الروماني الرابع والجيش الإيطالي الثامن بأكملها تقريباً. وبلغ إجمالي المفقودين والقتلى والجرحى والأسرى من الألمان وحلفائهم قارب (١,٥) مليون جندي. إضافة إلى فقدان حوالي (٣٥٠٠) دبابة ومدفع اقتحام وحوالي (١٢) ألف فوهة (مدافع وهاونات) وفقدان (٣٠٠٠) طائرة.

وفي خلال عملية لإعادة دفن القتلى، وجد ان هناك (١٤٧٢٠٠) جثة ألمانية و(٤٦٧٠٠) جثة سوفيتية. ولا شك أن سبب هذا الفارق في العدد هو إمكانية إخلاء القتلى والجرحى، التي كانت متوافرة للسوفيت عبر (الفولغا). ومن أصل (٣٣٠) ألف جندي ألماني الذين وقعوا في الطوق في منطقة (ستالينيغراد) خرج منهم (٩١) ألفاً فقط أحياء (أسرى). ثم مات من هؤلاء حوالي (٤٠) ألفاً بسبب الأمراض التي كانت قد تفشت بينهم إبان التطويق نتيجة البرد والجوع وسوء الخدمات الطبية، كما قضى كثيرون نحبهم في أثناء المسيرات الطويلة حتى معسكرات الاعتقال.

وعندما تضاف هذه الخسائر إلى ما حل بالمعنويات الألمانية، قيادات وأفراداً، وانعكاساتها الخطيرة على الصعيدين السياسي والعسكري، يمكن أن يتضح لماذا كانت معركة (ستالينيغراد) المنعطف الأكبر في مسار الحرب العالمية الثانية ولماذا اعتبرت عن حق بداية النهاية بالنسبة إلى الرايخ الثالث.

٣. معركة خاركوف:

في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ بدأ الهجوم المضاد السوفيتي في (ستالينيغراد) وفي ٢٣ تشرين الثاني التقى طرفا كماشة الهجوم المذكور غربي (ستالينيغراد) فتم بذلك تطويق الجيش الألماني السادس بقيادة (فون باولوس). وكان يتألف من (٢٠) فرقة ألمانية وفرقتين رومانيتين. وفي ١٢ كانون الأول حاولت قوة مدرعة ألمانية بقيادة (فون مانشتاين) اختراق طوق الحصار السوفيتي بهجوم مضاد من الجنوب عند بلدة (كوتلنيكوفو) وبعد أن تقدمت هذه القوة نحو (٦٧) كلم في وجه مقاومة عنيفة توقفت تماماً في يوم ٢٢ كانون الأول. ثم ردت على أعقابها مرة أخرى بهجوم مضاد سوفيتي قام به جيش الحرس، في ٢٤ كانون الأول أسفر عن دفع القوة الألمانية المذكورة مسافة تزيد عن (٩٦) كلم بعيداً عن خط انطلاق هجومها الأصلي عند (كوتلنيكوفو) في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٢.

وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٤٣ بدأت قوات جبهات (فورونيج) و(الجنوبية الغربية) و(الجنوبية) و(شمال القفقاس) هجوماً عاماً يهدف إلى استرداد منطقة حوض (الدونيتز) الصناعية بما فيها (خاركوف) (وهي ثاني مدن جمهورية أوكرانيا من حيث عدد السكان والأهمية الاقتصادية بعد العاصمة (كييف). وتصفية التهديد الألماني للقفقاس والوصول إلى الضفة الشرقية لنهر (الدنيبر) عند (دينيبر ويتروفسك) على حين بقيت (٧) جيوش سوفيتية أخرى محاصرة لجيب (ستالينيغراد) الذي لم تتم تصفيته نهائياً إلا في ٢ شباط ١٩٤٣ بعد استسلام الجيش السادس.

وقد حققت قوات جبهة (فورونيج) بقيادة الجنرال (غوليكوف) نجاحـــات كبيرة خلال (١٥) يوماً منذ بدء هجومها، إذ حطمت تمامـــاً الجيـــش الـــهنغاري الثاني والجيش الإيطالي الثامن في المنطقـــة الواقعـــة بيـــن (اوستروغوســـك) و(روسوش) وقد تعاونت معها من الشمال قوات الجنـــاح الأيســـر مـــن جبهـــة (بريانسك) التي تقدمت جنوباً مطوقة قوات ألمانية بكماشة مزدوجة التقـــى أحـــد طرفيها مع قوات جبهة (فورونيج) عند (كاستورنوي) والطـــرف الثـــاني عنـــد (استراي اسكول).

ثم تقدمت قوات جبهة (فورونيج) فـــي ٢ شـــباط ١٩٤٣ فـــي اتجـــاهين رئيسين، الأول نحو الشمال الغربي حيث حررت مدينة (كورسك) والمناطق التـــي حولها، والثاني نحو الجنوب الغربي حيث حررت (بلغورود) ثم (خاركوف) يـــوم ١٦ شباط بواسطة فيلق خيالة الحرس ٦ والجيش ٦٩ بعد معارك اســـتمرت (٥) أيام على مشارفها مع مجموعة الجنرال (لانز) التي كانت تضم فيلقاً مدرعاً مـــن قوات الحرس النازي، وفيلق آخر من الجيش الألماني العادي الذي كـــان يتـــألف من فرقة محمولة وفرقتي مشاة. وقد اضطر (لانز) أن يسحب الفيلق الألماني مـــن منطقة (خاركوف) بعد انسحاب الفيلق المدرع النازي من المدينـــة دون أوامـــر مباشرة من (هتلر) الذي كان يتولى منصب القائد العام المســـؤول عـــن الجبهـــة السوفيتية إلى جانب توليه منصبي القائد العام للقوات المسلحة وقائد الجيش الـــبري ويحظر سحب أي قوات ألمانية بدون أوامر منه. وقـــد تبـــادل قـــائدا الفيلقيـــن الاتهامات حول مسؤولية إخلاء المدينة. ولم يتخذ (هتلر) أي إجراءات تأديبية فـــي حق قائد الفيلق النازي باعتبار أنه من الحزب النازي.

وفي هذه الأثناء كانت قوات (الجبهة الجنوبية الغربية) بقيـــادة الجـــنرال (فاترتين) تحقق نجاحات مماثلة تقريباً لنجاحات (جبهة فورونيج) فقد اســـتطاعت

قواتها تحطيم الجيش الروماني الثالث وعبور نهر (الدونيتز) والتقدم مسرعة نحو (دينبروبتروفسك) و(زابوروجي) حيث كانت توجد قيادة مجموعة جيوش الجنوب التي يرأسها (فون مانشتاين). كما استطاعت قوات (الجبهة الجنوبية) بقيادة الجنرال (مالينوفسكي) اجتياز (الدونيتز) وتحرير (روستوف) والوصول إلى نهر (ميوس) في ٢ شباط ١٩٤٣، والواقع أن (فون مانشتاين) أسرع بإخلاء (روستوف) بموافقة هتلر، خشية أن تطوق قوات (مجموعة جيوش الدون) الألمانية هناك نتيجة الزحف السوفيتي الذي كاد أن يصل إلى معابر (الدنيبير) في مؤخرتها البعيدة.

واقترح (فون مانشتاين) القيام بهجوم مضاد فعال، على أن يمنح قدراً كافياً من حرية التصرف لاضطراره إلى الانسحاب من بعض الأماكن حتى يستطيع أن يحشد القوى اللازمة للقيام بهذه الهجوم، والتي ستعززها قوات ألمانية جديدة وافق (هتلر) على نقلها من فرنسا. واستندت المعالم الأساسية لخطة (فون مانشتاين) الهجومية على توجيه ضربات مضادة قوية، تنفذها التشكيلات المدرعة والميكانيكية بصفة رئيسية، على كلا جناحي قوات (الجبهة الجنوبية الغربية) بقيادة (فاتوتين) الزاحفة بسرعة نحو (دنيبر وبتروفسك) و(زابوروجي) واستثمار سرعة تقدمها التي أبعدتها كثيراً عن قواعدها الإدارية وأرهقت وحداتها الآلية لقطع طرق مواصلاتها الطويلة وتطويق مجموعاتها المتقدمة، ثم الزحف نحو الشمال الشرقي لاسترداد (خاركوف) و(بلفورد) و(كورسك) وتدمير أكبر جزء ممكن من قوات جبهة (فورونيج).

وتمهيداً لذلك الهجوم أخذ (فون ما نشتاين) يحشد الجيش المدرع الأول، الذي كانا يتألف من الفيلقين المدرعين ٤٠و٣ والفيلق ٣٠ عند (كراسنواريسكوي) الواقعة إلى الشمال الغربي من (ستالينو) في الجنوب. أما

الجيش المدرع الرابع، الذي كان يتألف من الفيلقين المدرعين ٤٨و٥٧ اللذين كان يضمان معاً ٣ فرق مدرعة وفرقتين محمولتين، فقد حشد من (زابوروجي). وكلّف هذان الجيشان بالهجوم تجاه الشمال على الجناح الأيسر لقوات الجنرال (فاتوتين) التي تضم جيش الحرس الأول ومجموعة دبابات (بوبوف) كما حشدت مجموعة الجنرال (كيمبف) في القطاع الشمالي التي ضمت أساساً الفيلق ٢ المؤلف من ٣ فرق محمولة، عند (كراسنوغراد) و(بولتافا). وقد كلف فيلق (س.س) (أي من قوات الحرس الناري) بالهجوم جنوباً من منطقة (كراسنوغراد) على الجناح الأيمن لقوات (فاتوتين) التي كانت تتألف أساساً من الجيش السادس وعناصر من جيش الحرس الأول، وقد وصلت إلى مسافة (٤٨) كلم فقط من (الدنيبر). أما بقية مجموعة (كيمبف) فقد كلفت بالهجوم من منطقة (بولتافا) تجاه الشرق لاستعادة (خاركوف) من قوات جبهة (فورونيج) على أن تؤازرها قوات الجيشين المدرعين الأول والرابع الزاحفة من الجنوب، بعد أن تقطع مؤخرة قوات (فاتوتين) المتقدمة نحو (الدنيبر).

وفي مناخ التفاؤل المسيطر على القيادة السوفيتية، العليا والميدانية، نتيجة لانتصار (ستالينيغراد) الضخم وسلسلة الانتصارات الأخرى التي حققتها القوات المتقدمة نحو (الدنيبر) فسرت هذه القيادات تحركات القوات المدرعة الألمانية التي أجريت استعداداً للهجوم المضاد المذكور سابقاً على أنها بداية انسحاب ألماني عام من حوض (الدونبتز) وشرق (أوكرانيا) نحو الضفة الغربية للنهر (الدنيبر) ولذلك فوجئ (فاتوتين) تماماً بهجوم الفيلق ٢ (س.س) على جناحه الأيمن في منطقة (كراسنوغراد) صباح يوم ١٩ شباط ١٩٤٣. وقد أدى هذا الهجوم إلى فتح ثغرة في الخطوط السوفيتية عرضها (٤٠) كلم خلال اليوم الأول وتشتت فيلق المشاة الرابع التابع للجيش السادس.

ثم شنت قوات الجيشين المدرعين الرابع والأول هجومها في اليوم التـالي من الجنوب وحققت نجاحات سريعة نظراً لتمتعها بتفـوق كمـي علـى قـوات (فاتوتين) بلغ نسبة ٢ إلى ١ في القوى البشرية ، و٧ إلى ١ في الدبابات و٣ إلـى ١ في الطائرات. فقد كان لدى الفيالق المدرعة الألمانية الأربعة المشـتركة فـي الهجوم، التي اشرف على قيادتها المباشرة وكذلك على قيـادة فيلقـي مجموعـة (كيمبف) الجنرال (هوت) ٧٠ فرق مدرعة وفرقتان محمولتان و٤ فـرق مشـاة ويدعمها الأسطول الجوي الرابع، على حين كان لدى (فـاتوتين) وقتئـذ ١٣٧ دبابة صالحة للقتال ضمن مجموعة (بوبوف) المدرعة وفيلق الدبابات الرابع.

وكانت الدبابات السوفيتية تعاني من نقص خطـير فـي الوقـود بسـبب صعوبات الإمداد الناتجة عن سرعة تقدمها وابتعادها كثيراً عن قواعدها الإداريـة وفي النتيجة تمكن الفيلق المدرع ٤٨ الألماني الزاحف شمالاً وعلى يمينه الفيلـق المدرع ٥٧ من الالتقاء بالفيلق ٢ (س.س) الزاحف جنوباً عند مدينة (بـلفلوغراد) يوم ٢٢ شباط، ووقع في الأسر نحو ٩٠٠٠ جندي سوفيتي.

ثم واصلت هذه الفيالق زحفها شمالاً نحو (خاروكوف) وفي الوقت نفسـه كان الفيلقان المدرعان ٤٠و٣ قد حطما العناصر الأمامية المتقدمة عن مجموعـة (بوبوف) المدرعة في المنطقة الواقعة بيمن (كراسنوارميسكوي) و(بـارفتكوفو) وفي ٢٤ شباط حاول الجنرال (غوليكوف) أن يسد الثغرة الواسعة المفتوحة بيـن (جبهة فورنيج) والجناح الأيمن لقوات (فاتوتين) بواسطة هجمات مضـادة علـى الجناح الأيسر الألماني قام بها جيش الدبابات الثالث والجيش ٦٩ ولكنه لم يحقـق سوى نجاحات تكتيكية محدودة.

ونظراً لان الجيش المدرع الرابع الألماني كان قد قطع وقتئذ نحو (٢٤٠) كم منذ أن بدأ هجومه تجاه الشمال، فقد أضطر أن يتوقف ليعيد تنظيم صفوفه وشؤونه الإدارية، ثم أستأنف تقدمه في ٤ آذار محاولاً تطويق قوات (فاتوتين) من الشمال، بعد أن حطم معظم وحدات جيش الدبابات الثالث التابع أصلاً لجبهة (فورونيج) ولكنه كان قد ألحق بقوات (فاتوتين) لتعزيزها، ولذلك اضطر (فاتوتين) أن يسحب بقايا وحدات جناحه الأيمن لمسافة بلغت نحو (٩٦) كلم حيث عبرت الضفة الشرقية لنهر (الدونيتز) مخلفة وراءها مساحات من الأرض التي سبق أن حررتها تبلغ مساحتها نحو (٦٠٠٠) ميل مربع، الأمر الذي اضطر معه الجنرال (غوليكوف) قائد جبهة(فورونيج) أن يخلي (خاركوف) في ١٥ آذار بعد قتال استمر ثلاثة أيام في شوارعها، ثم أخلى (بلفورد) أيضاً في ١٨ آذار وذلك بعد أن فقد معظم وحداته المدرعة نتيجة للخسائر التي أصابت جيش الدبابات الثالث الذي ألحق بالجبهة (الجنوبية الغربية). وقلت الدبابات المتبقية في ألوية الدبابات الأخرى الموجودة لديه، ومن ثم خشي أن تطوق فرق مشاته الخمس والعشرين التابعة لجبهته، ولذلك سحب قواته تدريجياً إلى الضفة الشرقية لنهر (الدونيتز).

وفي هذه الأثناء كان (ستالين) قد استدعى الجنرال (جوكوف) من (الجبهة الشمالية الغربية) يوم ١٦ آذار إلى (موسكو) وشرح له تدهور الموقف في منطقة (خاركوف) ثم طلب منه التوجه إليها للتعرف على حقيقة الموقف على الطبيعة واتخاذ القرارات المناسبة بعد إبلاغه عن حقيقة ما يجري هناك. وفي صباح اليوم التالي وصل (جوكوف) بالطائرة إلى مقر قيادة جبهة (فورونيج) حيث تبين له سوء الموقف العسكري في الجبهة المذكورة، إذ كانت (خاركوف) قد سقطت و(بلفورد) على وشك السقوط. ولما كان (جوكوف) يثق بقدرة

(فاتوتين) القيادية أكثر من ثقته بقدرة (غوليكـــوف) لذلـــك أســـند قيـــادة جبهـــة (فورونيج) إلى (فاتوتين). وعلى الفور اتصل (جوكوف) بستالين لاسلكياً، وطلـــب منه إرسال أكبر قدر ممكن من قوات احتياطي القيادة العليا أو قوات أخرى يمكـــن الاستغناء عنها من الجبهات المجاورة، وذلك حتى يتم إيقاف الـــهجوم الألمـــاني الذي يهدد (بلغورود) ومن بعدها (كورسك) أيضاً. وبعد ساعة واحـــدة اتصـــل رئيس الأركان الجنرال (فاسيلفسكي) بجوكوف وأخـــبره أن الجيشـــين ٢١و٦٤، سيلحقان فوراً بقيادة جبهة (فورونيج) وأن جيش الدبابـــات الأول ســـوف يلحـــق بقيادة (جوكوف) نفسه ليكون احتياطياً مباشراً تحت تصرفه.

وفي ١٨ آذار كانت القوات الألمانية تقاتل داخل شوارع (بلغورود). وفي مساء اليوم نفسه كانت طلائع الجيش السوفيتي ٢١ قد بدأت تصل إلـــى شـــرقي المدينة وتتمركز في مراكز دفاعية. وفي يوم ٢١ آذار كانت جميع وحدات هـــذا الجيش قد تمركزت في مواقعها، كما كانت قوات الجيش ٦٤ تحفر خنادقها علـــى الضفة الشرقية قد تمركزت في واقعها، كما كانت قوات الجيش ٦٤ تحفر خنادقها على الضفة الشرقية لنهر (الدونيتز)، أمـــا جيـــش الدبابـــات الأول فقـــد حشـــده (جوكوف) جنوبي (اوبويان) الواقعة إلى الجنوب من (كورسك). ومن ثم أمكـــن إيقاف هجوم (فون مانشتاين) في نهاية آذار ١٩٤٣ قبل أن يحقق هدفه الأخـــير وهو احتلال (كورسك) وتطويق القوات السوفيتية الموجودة في نتوئـــها. وهـــي العملية التي ترك تنفيذها لهجوم ألماني آخر جرى بعد ذلك في ٥ تموز ١٩٤٣.

وتذكر المصادر الألمانية أن هجوم (فون مانشتاين) الذي استغرق الفـــترة من ١٩ شباط ١٩٤٣ حتى ٣١ آذار ١٩٤٣ ألحق بـــالقوات الســـوفيتية خســـائر بشرية تقدر بنحو (٤٠) ألف قتيل وجريح ومفقود وأسير ونحـــو (٦٠٠) دبابـــة و(٥٠٠) مدفع. ولقد حقق هذا الهجوم عدة نتائج هامة للجانب الألماني، إذ ترتـــب

عليه تأجيل التحرير السوفيتي لمعظم أوكرانيا بضعة شهور، وانتزاع المبادرة الهجومية الاستراتيجية بصورة مؤقتة من الجانب السوفيتي الذي كان قد انتقلت إليه المبادرة منذ الهجوم المضاد في (ستالينيغراد) ومن ثم أدى ذلك إلى رفع المعنويات الألمانية بعض الشيء بعد هزيمة (ستالينيغراد) التي وصلت بهذه المعنويات إلى أدنى مستوى وصلت إليه منذ بدء الحملة على الاتحاد السوفيتي، وأتاح الهجوم في الوقت نفسه الفرصة والوقت لإعداد هجوم صيف ١٩٤٣ الكبير الذي تم على نتوء (كورسك). إلا أن (جوكوف) نجح في صد الهجوم قبل أن يحقق هدفه من احتلال (كورسك) وأتاح للقيادة السوفيتية العليا الوقت والظروف المناسبة للإعداد لهجوم صيف ١٩٤٣.

وفي ٥ تموز ١٩٤٣ بدأ الهجوم الألماني الكبير على نتوء (كورسك) من الشمال بواسطة (مجموعة جيوش الوسط) بقيادة (فون كلوغ) التي خصصت الجيش التاسع بقيادة (مودل) للاشتراك في الهجوم وكان لدى هذا الجيش (٦) فرق مدرعة وفرقتان محمولتان و(١٢) فرقة مشاة تضم جميعها نحو (١٢٠٠) دبابة ومدفع اقتحام. ويدعمه الأسطول الجوي السادس ولديه (١٠٠٠) طائرة.

وفي القطاع الجنوبي من نتوء (كورسك) شاركت مجموعة جيوش الجنوب بقيادة (فون مانشتاين) في الهجوم بالجيش المدرع الرابع تحت قيادة (هوت) والذي كان يضم (٥) فرق مدرعة وفرقة محمولة و(٣) فرق مشاة، وبجيش الجنرال (كيمبف) الذي كان يضم (٣) فرق مدرعة و(٣) فرق مشاة. وقد ضمت الثماني الفرق المدرعة والفرقة المحمولة المذكورة نحو (١٥٠٠) دبابة ومدفع اقتحام. وتوفر للقوات المهاجمة في هذا القطاع الدعم الجوي بواسطة الأسطول الجوي الرابع الذي كان يضم نحو (١٠٠٠) طائرة توزعت معظمها في مطارات حول (خاركوف).

وكانت تواجه قوات (فون مانشتاين) هذه (جبهة فورونيج) بقيادة (فاتوتين) وكانت تضم جيشي الحرس ٦و٧، والجيوش ٣٨، ٤٠، ٦٩ وجيش الدبابات الأول، واحتياطي مؤلف من فيلقي دبابات وفيلق مشاة وكان يدعم قوات الجبهة الجيش الجوي الثاني.

وكانت القيادة السوفيتية العليا قد عززت (جبهة فورونيج) بالعديد من وحدات احتياط مدفعيتها لتدعم قوتها النارية، كما كانت قد حشدت في مؤخرة (نتوء كورسك) قوات (جبهة السهوب) بقيادة (كونييف استراتيجياً تستخدمه في دعم قوات جبهتي (فوردنيج) و(الوسطى) إذا لزم الأمر أثناء مرحلة صد الهجوم الألماني المتوقع، أو في مرحلة الهجوم المضاد العام في القطاع الجنوبي المواجه لخاركوف. الذي كانت تنوي القيام به بعد امتصاص الهجوم الألماني واستنفاذ قواه الرئيسية وفقاً للخطة العامة التي اقترحها (جوكوف) وكانت (جبهة السهوب) هذه تتألف من جيش الحرس الخامس والجيوش ٢٧،٤٧،٥٣، وجيش الدبابات الخامس (حرس) و(٦) فيالق مستقلة من الدبابات والخيالة والمشاة يدعمها الجيش الجوي الخامس.

وقد خضعت (الجبهة الوسطى) و(جبهة بريانسك) و(الجبهة الغربية) الموجودتان إلى الشمال من نتوء (كورسك) لقيادة (جوكوف) أما (جبهة فورونيج) و(الجبهة الجنوبية الغربية) فقد خضعتا لقيادة (فاسيلفسكي).

وأعدت الجبهات السوفيتية في العمق الاستراتيجي، سلسلة متتالية من الخطوط الدفاعية القوية، تضم أساساً مجموعات متنوعة من النقط القوية المضادة للدبابات، تدعمها من الخلف نيران المدفعية والاحتياطات التكتيكية والعملياتية المدرعة، وتحميها حقول الألغام والمواقع الأخرى المضادة للدبابات، وذلك حتى

تستطيع صد الهجوم الألماني بكفاءة وتلحق بالمدرعات الألمانية أكبر قــدر ممكــن من الخسائر قبل بدء الهجوم السوفيتي المضاد الـذي يسـتهدف تصفيــة نتـوء (خاركوف) في الجنوب ونتوء (اوريل) في الشمال. وقد حشد (فاتوتين) جيشــي الحرس ٦و٧ في قطاع عرضه نحو ١١٤ كلم في المنطقــة المواجهــة لمدينــة (بلغورود) وحتى مدينة (توماروفكا) حيث سيجري هجوم (فون مانشتاين). وركـز هناك نحو ٧٠ بالمائة من احتياطي مدفعية القيادة العليا الملحق بجبهته. كما حشـد جيش الدبابات الأول في الخط الثاني من قطاع الجيش ٦، كما حشــد احتيــاطي جبهته المؤلف من فيلقي دبابات وفيلق مشاة في الخط الثالث من القطاع نفسه أمــا الجيش ٦٩ فقد حشده في مؤخرة نقطة التقاء الجيشين ٦و٧.

وحقق الهجوم الألماني في القطاع الشمالي من نتوء (كورســك) تقدمــاً طفيفاً تراوح عمقه بين ١٢,٦ كلم طوال الفترة من ٥ إلى ١٢ تموز ١٩٤٣. وفي نهاية هذه الفترة شنت قوات الجبهة الوسطى هجوماً مضاداً أعاد قوات (مــودل) إلى خطوط انطلاقها الأولى. أما في القطاع الجنوبي فقد أمكــن لقــوات جيــش الحرس ٧ أن تصد جيش (كيمبف) بعد أن نجح في عبــور (الدونيــتز) وتقــدم كيلومترات قليلة، وذلك بفضل قوة ومناعة خطوط الدفاع التي أعدها هذا الجيــش وعمق حقول الألغام الموجودة أمامها. أما في قطــاع جيــش الحــرس ٦، فقـد استطاع الجيش المدرع بقيادة (هوت) أن يحقق تقدماً أكبر وصل إلى عمــق (٣٥) كلم في ٩ تموز بالقرب من بلدة (اوبويان) وذلك بعد أن تكبد خسائر فادحة فــي الدبابات والجنود والطائرات.

وإزاء خطورة هذا النجاح النسبي لهجوم (فون مانشتاين) قررت القيــادة السوفيتية العليا أن تدفع بقوات جيش الدبابات الخامس (حرس) وجيش الحـرس ٥ التابعين لجبهة (السهوب) الاحتياطية في قطاع جبهة (فورونيــج) لشــن هجــوم

مضاد يعيد قوات (فون مانشتاين) إلى مواقعها الأصلية تمهيداً للهجوم المضاد العام نحو (خاركوف). وقد وصل جيش الدبابات الخامس (حرس) بقيادة الجنرال (رتمستروف) مساء ٩ تموز إلى شمال شرق (بروفوروفكا) بعد أن قطع مسافة تبلغ نحو(٣٦٠) كلم من مواقع تجمعه الأصلية، ولذلك أضطر أن يؤخر موعد بدء هجومه المضاد إلى يوم ١٢ تموز نظراً لأن دباباته وآلياته لم تكن في حالة تسمح لها بالهجوم فوراً بعد قطع هذه المسافة الكبيرة بسرعة. وفي هذا اليوم قام جيش الدبابات الخامس (حرس) بهجومه واشتبكت دباباته البالغ عددها نحو (٨٥٠) دبابة مع (٧٠٠) دبابة ألمانية من الجيش المدرع الرابع عند (بروخوروفكا) حيث نشبت أكبر معركة للدبابات في الحرب العالمية الثانية. وفي ٢٣ تموز كانت قوات (فون مانشتاين) قد انسحبت إلى خطوط انطلاقها الأصلية تحت ضغط قوات جبهتي (فورونيج) و(السهوب) إلا أن بدء هجوم سوفيتي عام جنوب نتوء (كورسك)، امتدت إلى بحر (آزوف) بواسطة الجبهات (الجنوبية الغربية) و(الجنوبية) و(شمال القوقاز) يوم ١٦ تموز فرض ضرورة إنهاء أي جهود هجومية تقوم بها مجموعة جيوش الجنوب.

ونتيجة للإنهاك الشديد الذي كانت تعانيه قوات جبهتي (فورونيج) و(السهوب) بعد مرحلة صد الهجوم الألماني فإنها لم تستطع أن تباشر فوراً هجومها المضاد العام المزمع القيام به من قبل، إذ كانت في حاجة إلى فترة توقف قصيرة لإعادة التنظيم وتخزين المؤن والذخيرة والمحروقات اللازمة للهجوم. وكان التحضير للهجوم المضاد على شكل حركة كماشة واسعة النطاق تحتوي نتوء (خاركوف) بأكمله الذي يتطلب وقتاً قد يستغله (فون مانشتاين) لإعداد دفاعاته. لذا قررت القيادة السوفيتية أن يتم تنفيذ الضربة الرئيسية للهجوم المضاد على نتوء (بلغورود- خاركوف) عند نقطة التقاء جيشي (هوت)

و(كيمبف) على أن يقوم جيشا الحرس ٥و٦ بتوجيه الضربة الأولى وخرق خطوط الدفاع الألمانية، ثم يندفع جيشا الدبابات الأول والخامس عبر الثغرة من منطقة (توماروفكا) ويزحفان في اتجاه الجنوب الغربي نحو (بوغودوكوف) و(فالكي) ثم يتقدمان من هناك نحو (نوفايا فودولاتما) لتطويق (خاركوف) من الغرب.

ولحماية الجناح الأيمن للقوات التي ستقوم بتوجيه الضربة الرئيسية، تقرر أن يقوم الجيشان ٢٧و٤٠ تعززها (٣) فيالق دبابات بهجوم إلى يمين الهجوم الرئيسي في اتجاه بلدة (اخنيركا). ولقد أخضعت الجيوش التي ستقوم بالضربة الرئيسية المذكورة وبحماية الجناح الأيمن لهذه الضربة بقيادة جبهة (فورونيج). أما جبهة (السهوب) التي أصبحت تضم الجيوش ٧(حرس) و ٥٣ و٦٩ وفيلق ميكانيكي ثم الحق بها بعد ذلك الجيش أيضاً الجيش ٥٧ الذي كان تابعاً في الأصل للجبهة (الجنوبية الغربية) فقد عهد إليه بالقيام بهجوم على الجناح الأيسر لقوات (فاتوتين) التي ستقوم بالهجوم الرئيسي لتحرير (بلفورد) ثم التقدم جنوباً نحو (خاركوف) كما كلف الجيش ٥٧ بتوجيه ضربة ثانوية أخرى نحو (خاركوف) أثناء تطور العمليات الرئيسية، وبذلك من جهة الشرق عبر نهر (الدونيتز). وقد بلغ عدد القوات السوفيتية التابعة لجبهتي (فورونيج) و(السهوب) نحو (٩٨٠) ألف جندي. من بينهم نحو (٦٥٦) ألف جندي في التشكيلات المقاتلة لديهم حوالي (١٢) ألف مدفع وهاون ونحو (٢٤٠٠) دبابة ومدفع اقتحام وتدعمهم نحو (١٢٧٥) طائرة. على حين أن قوات الجيش المدرع الرابع وجيش (كيمبف) كانت تضم (١٨) فرقة من بينهما (٤) فرق مدرعة، إذا سحبت فرقتان مدرعتان من الفرق الثمانية الأصلية للجيشين وأرسلتا لتعزيز الجيش المدرع الأول في الجنوب، كما أرسلت فرقتان مدرعتان لتعزيز الجيش التاسع في أثناء

معركة الهجوم المضاد السوفيتي على نتوء (أوريل) في الشمال. وبلغ عدد هذه القوات الألمانية لمتجمعة في نتوء (بلفورد - خاركوف) في أول آب ١٩٤٣ نحو (٣٠٠) ألف جني، من بينهم نحو (٢٠٠) ألف جندي ضمن التشكيلات المقاتلة لديهم حوالي (٣٥٠٠) مدفع وهاون ونحو (٦٠٠) دبابة ومدفع اقتحام وتدعمهم حوالي (٩٠٠) طائرة.

وهكذا حقق الحشد السوفيتي، رغم خسائر المعركة الدفاعية العنيفة جنوب (كورسك) تفوقاً كبيراً في القوى ويرجع ذلك إلى تفوق الاتحاد السوفيتي أصلاً في القوى البشرية بالنسبة إلى ألمانيا. وتفوق صناعته الحربية خلال تلك الفترة في إنتاج المدافع والدبابات ومدافع الاقتحام.

وتحصنت القوات الألمانية داخل خطين دفاعيين رئيسيين تحميها الموانع المضادة للدبابات وحقول الألغام وبلغ عمق الخطين من (١٥) إلى (١٨) كلم (٥) خطوط حتى (خاركوف) نفسها على عمق (٩٠) كلم. وفي الوقت نفسه أحيطت القرى كلها في العمق الدفاعي بدفاع قنفذي، كما أحيطت مدينة (بلفورد) نفسها بنطاق مباشر تعززه حفر رمي، كما تحولت المباني الحجرية إلى نقاط قوية. وكان الدفاع عن مدينة (خاركوف) أكثر قوة، إذا أحاط بها نطاقان دفاعيان وقد تم إعداد هذه الخطوط والدفاعات القوية طوال الفترة الواقعة بين آذار وآب ١٩٤٣.

ولتسهيل مهمة القوات المهاجمة في خرق الدفاعات حشد (فاتوتين) جيشي (الحرس) ٥و٦ بشكل مكثف للغاية، بحيث كان على كل فرقة مشاة أن تهاجم على قطاع عرضه (٣) كلم فقط. بحيث أصبحت كثافة الحشد المدفعي الذي سيقوم بالرمي التمهيدي تبلغ نحو (٢٣٠) مدفع وهاون لكل كيلومتر، كما

بلغت كثافة حشد الدبابات نحو (٦٠) دبابة لكل كيلومتر. وقد بلغ إجمالي عــرض المواجهة التي ستجري عليها العمليات الهجومية كلها حوالي (٢٠٠) كلم.

وفي فجر يوم ٣ آب ١٩٤٣ بدأ الهجوم بقصف مدفعي تمـــهيدي تبعــه اقتحام قوات جيشي الحرس ٥ و ٦ لخطوط الدفاع الأمامية إلى الشمال الغربـــي من (بلفورد). وبعد نحو (٣) ساعات كانت هذه القوات قد نجحــت فــي إحــداث ثغرة عميقة في الخط الدفاعي الرئيسي، ولذا قام (فاتوتين) عند ظهر اليوم نفســه بدفع جيشه المدرعين الأول والخامس نحو الثغرة المذكورة لاســتكمال خــرق الدفاعات الأمامية وتطوير الهجوم في العمق العملياتي.

وفي قطاع عمليات جبهة (السهوب) كان معدل التقدم أقل سرعة وعمقــاً، نظراً لافتقاد قواتها إلى كميات مماثلة لقوات جبهـــة (فورونيــج) مــن مدفعيــة ودبابات، ولذلك لم تخترق هذه القوات خط الدفاع الأمامي الرئيسي إلا في حوالــي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه، وأثر ذلك دفع (كونييف) بفيلقه الميكانيكي لتوسيع الثغرة المفتوحة وتطوير الهجوم نحو (بلفورد) وقد بلغ عمق تقدم طلائــع هذا الفيلق في نهاية اليوم نحو (١٥) كلم، على حين بلـــغ عمــق تقــدم طلائــع مدرعات (فاتوتين) في نهاية اليوم نفسه نحو (٣٠) كلم.

وفي صباح اليوم التالي استؤنفت قوات الجبهتين هجومها وتفاوتت أيضـــاً مسافات تقدمها. وفي صباح يوم ٥ آب وصلت قوات الجيش ٦٩ التابع لجبهـــة (السهوب) إلى المشارف الشمالية لمدينة (بلفورد) على حين عبرت قوات جيـــش الحرس ٧ نهر (الدونيتز) واخترقت الخط الدفاعي المقام وراءه مـــهددة (بلفــورد) بالتطويق من الجنوب.

وفي ٧ آب تمكنت مدرعات (فاتوتين) من تحرر مدينة (بوغودوكوف) فوصلت بذلك إلى عمق نحو (١٠٠)كلم خلال (٥) أيام من بدء الهجوم، وفي اليوم نفسه أمكن للجيش ٢٧، الذي كان يتقدم إلى يمين الهجوم الرئيسي، ان يحرر بلدة (غرايفورون) على عمق نحو (٤٨) كلم من خط الانطلاق ، مما ترتب عليه تهديد بتطويق الفرقة المدرعة الألمانية ١٩ ومعها بقايا ٣ فرق مشاة. وكانت هذه التشكيلات قد تلقت في اليوم السابق أمراً بالانسحاب إلى منطقة (اختيركا) وبدأت تنفيذه بالفعل صباح يوم ٧ آب ولكنها لم تعلم خلال النهار أن (غرايفورون) قد سقطت في أيدي الجيش وأن هذا الجيش قد أصبح إلى الجنوب منها بالفعل. ونتيجة لسقوط (غرايفورون) ومدينة (بوغودوكوف) فقد فتحت ثغرة عرضها نحو (٥٦) كلم بين الجيش المدرع الرابع وجيش (كيمبف) ولذلك تعرضت هذه التشكيلات الألمانية أثناء انسحابها وسط منطقة تكسوها الغابات لكمين كبير من جانب مدفعية الجيش ٢٧، ساندته بعد ذلك هجمات طائرات الهجوم الأرضي السوفيتية من طراز (اليوشين ٢) وعند الساعة الثالثة منن بعد ظهر اليوم نفسه كانت أعداد قليلة من الفرق الأمامية الأربع قد أفلتت من نيران هذا الكمين وانسحبت نحو شرق (اختيركا) لتنضم إلى بقايا الفرقتين المدرعتين ٧ و ١١ وفرقة المشاة المحمولة (صليب ألمانيا) مخلفة وراءها ٤٤ دبابة محطة أو معطبة من طراز (النمر) فضلاً عن مئات العربات والمدافع وأعداداً كبيرة من القتلى والجرحى والأسرى. وكان من بين القتلى قائد الفرقة المدرعة ١٩ اللواء (غوستاف شميدت) الذي كان يتولى قيادة القوة المنسحبة.

وفي ١١ آب ١٩٤٣ قطع الجيش المدرع الأول الخط الحديدي الذي يربط (خاركوف) بمدينة (بولتاف) على حين كانت قوات جبهة (السهوب) تقترب من (خاركوف) من الشرق الشمال الشرقي. وبهذا أصبحت (٥) فرق

مشاة وفرقة مدرعة ألمانية مهددة بالتطويق داخل (خـــاركوف). ولكـــن (فـــون مانتشتاين) استطاع أن يشن في اليوم نفسه هجوماً معاكساً قوياً بواســـطة فيلـــق (س. س) المد رع الذي كان يضم بقايا (٣) فرق مدرعة من المنطقة. ولقـــد تـــم هذا الهجوم المعاكس بالقرب من (فالكي) ضـــد قـــوات الجيـــش المـــدرع الأول والجناح الأيسر لجيش الحرس ٦. ودفع (فاتوتين) جيش الحرس ٥ لتعزيز قواتـــه في مواجهة هذا الهجوم حيث اشتبكت مع فرقة من فيلق (س.س) في قتال عنيـف على طول الخط الحديدي الذي يربط (خاركوف) بمدينة (بوغودوكوف) غربـــاً، وعلى الطريق الذي يربطهما (باختيركا) أيضاً . وتكبد الطرفان خلال معارك هذا اليوم خسائر فادحة، وفي النتيجة لم تستطيع مدرعات (فاتوتين) أن تكمل تطويـــق المدينة من الغرب، وبقي الطريق والخط الحديدي الممتد جنوبـــاً نحـــو (مرفـــا) و(كراستوغراد) مفتوحاً أمام القوات الألمانية. وفي الوقت نفســـه كـــانت الفرقـــة المدرعة الثالثة الألمانية، التي وصلت مؤخراً من منطقة نهر (ميوس)، تساهم مـــع بقايا قوات جيش (كيمبف) في صد قوات (كونيف) التي تضغط على المدينة مـــن الشمال.

وقد اضطر الجيش المدرع الأول وجيشا الحرس ٥ و ٦ إلـــى الـــتراجع قليلاً تحت ضغط الهجمات الألمانية المعاكســـة. وفـــي ١٦ آب صـــدت هـــذه الهجمات تماماً. وشنت التشكيلات المدرعة المتبقية لدى الجيش المدرع الألمـــاني في ١٨ آب هجوماً مضاداً من منطقة احتشادها غـــرب (اختيركـــا) فـــي اتجـــاه الجنوب الشرقي على جناح الجيش ٢٧ الذي كان يشكل حماية للجنـــاح الأيمـــن لقوات الهجوم الرئيسي. وكان الجيش ٢٧ قد تقدم مســـافة كبـــيرة فـــي العمـــق العملياتي للقوات الألمانية عبر الثغرة المفتوحة بين الجيش المدرع الرابع وجيـــش (كيمبف) البالغ عرضها (٥٦) كلم حتى وصل إلى مدينة (كوتلفا) إلـــى الجنـــوب

من (اختيركا) دون أن يوفر حماية كافية لجناحه الأيمن أو يعبر الحشود المدرعة الأمامية قرب (اختيركا) اهتماماً كبيراً مع أنها كانت قد تعززت بعودة الفرقتين المدرعين اللتين كانتا قد أرسلتا من قبل إلى قطاع الجيش التاسع في نتوء (اوريل) لصد الهجوم السوفيتي المضاد الذي بدأ في وقت مبكر عن الهجوم في نتوء (خاركوف).

وكان من نتيجة الهجوم الألماني المضاد ان تكبد الجيش ٢٧ خسائر فادحة في الرجال والدبابات والمدفعية خلال معارك الصد التي استمرت حتى يوم ٢١ آب، وأضطر إلى الانسحاب مسافة كبيرة نسبياً نحو الشمال الشرقي بالقرب من (اختيركا). ثم وصل إلى المنطقة جيش الحرس ٤ التابع لاحتياطي القيادة العليا السوفيتية، وساهم في صد الهجمات الألمانية التي أوقفت تماماً في ٢٥ آب ١٩٤٣.

ورغم هذه النجاحات الجزئية التي أحرزها (فون مانشتاين) من وراء هجوميه المضادين في (فالكي) و(اختيركا) اللذين أديا إلى إنقاذ مؤقت لخاركوف، فقد رأى ضرورة سحب فرقة الست الموجودة داخل نطاقها الدفاعي الذي كانت تسيطر عليه قوات (كونييف) من الشمال والشرق، خاصة وان الجبهتين (الجنوبية الغربية) و(الجنوبية) كانتا قد عاودتا هجومها يوم ٢٢ آب في القطاع الجنوبي من جبهة مجموعة جيوش الجنوب عند نهري (الدونتيز) و(الميوس) ولم يعد في قدرة الجيش المدرع الأول والجيش السادس إيقافهما طويلاً، ومن ثم أصبح من الممكن انهيار المجموعة كلها وتطويق قوات (خاركوف) ولذلك تجاهل (فون مانشتاين) الاعتبارات السياسية التي كان (هتلر) يصر عليها كأسباب موجبة لعدم إخلاء (خاركوف) (وهي اعتبارات تتعلق بردود الفعل السياسية السلبية في بلغاريا وتاركيا في حالة تدهور موقف ألمانيا العسكري).

وقد تم إخلاء (خاركوف) يوم ٢٢ آب بعد إحراق وتدمير ما تبقى من أبنيتها، وللحيلولة دون التدمير الكامل للمدينة أمر (كونييف) قواته، التي كانت تخوض منذ عدة أيام قتالاً عنيفاً عند مشارف المدينة الشمالية والشرقية والجنوبية، بالهجوم خلال ليلة ٢٢ – ٢٣ آب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مباني المدينة. وقد دخلت هذه القوات المدينة والنيران تشتعل فيها وتحول معظم مبانيها إلى ركام يتصاعد منه الدخان الكثيف. وفي صباح ٢٣ آب ١٩٤٣ كانت (خاركوف) المدمرة والمحترقة محررة بشكل نهائي.

تجدد القتال في جبهة شمال أفريقيا:

معركة علم حلفا:

توفرت لدى (رومل) معلومات من الاستخبارات الألمانية بأن هناك قافلة بحرية حمولتها حوالي (١٠٠,٠٠٠) طن ستصل في أوائل أيلول ١٩٤٢ إلى مصر وهي تحمل أعداداً كبيرة من الدبابات الأمريكية الحديثة والمعدات الأخرى للجيش الثامن فأدرك أن قواته ستكون مهددة بخطر جسيم بعد انتهاء شهر آب وإن فرصته الوحيدة لإنزال ضربة بالجيش الثامن هي خلال شهر آب والإخلال باستعدادات البريطانيين للتعرض. وكان (رومل) يلاحظ بقلق تزايد مناعة خط الدفاع البريطاني وتكاثر حقول الألغام التي تزرع أمامه بالإضافة إلى أنه تلقى تقويات لا بأس بها حيث وصلته فرقة مشاة ألمانية ١٦٤ وفرقة هابطين إيطالية (فولغوري) ولواء هابطين ألماني أيضاً بقيادة الجنرال (رامكه) إلا أن قلة الوقود كان هم (رومل) الأكبر. وقد أوضح في مؤتمر عقد يوم ٢٧ آب حضره المارشال (كيسلرنغ) والجنرال (كافاليرو) أنه يحتاج في هجومه المقبل إلى (٦,٠٠٠) طن منه، فبين (كافاليرو) أن هذه الكمية في طريقها له ووعده

(كيسلرنغ) انه سينقل (١٠٠٠) طن منها جواً. فقرر (رومل) الهجوم ليلة ٣٠ – ٣١ آب معتمداً على هذه الوعود.

كانت خطة (رومل) للهجوم مبنية على قيام القسم الآلي من قوات المحور والمؤلف من الفيلق الأفريقي والفيلق الإيطالي العشرين الآلي والفرقة ٩٠ الخفيفة بالحركة إلى مناطق اجتماع في القسم الجنوبي من الجبهة بأقصى ما يمكن من الكتمان وتقرر أن تستغرق الحركة للدروع بضعة أيام لإخفائها. وكانت تقارير الاستطلاع الألمانية قد بينت وجود قطعات قليلة فقط في الجناح الجنوبي وأن الألغام قليلة في هذا القاطع. ولذا قرر (رومل) القيام بهجوم ليلي بالمشاة لاحتلال رأس جسر ومن ثم تخلل التشكيلات المدرعة واندفاعها إلى الشرق وأن يستهدف الفيلق الأفريقي الوصول إلى المنطقة الواقعة جنوب غربي الحمام أي على بعد ٢٥ – ٣٠ ميلاً عن نقطة الشروع قبل طلوع النهار وكان على الفيلق الإيطالي العاشر الموجود في القاطع الجنوبي من الجبهة الصمود في موقعه وفي جزء من المنطقة التي تم احتلالها وعهد بحماية الجناح الأيسر من الثغرة للفرقة ٩٠ الخفيفة والفيلق ٢٠ الآلي لصد الهجمات البريطانية المتوقعة.

وكان على الفيلق الأفريقي عند طلوع الفجر أن يندفع إلى الشمال حتى البحر ومن ثم إلى الشرق إلى مناطق التموين البريطانية وفي خلال هذه الفترة يقوم المشاة في الجناح الشمالي بهجمات محلية للتثبيت في الوقت الذي تقرر به المعركة خلف الخطوط البريطانية مصير مصر. وكانت الخطة الألمانية تستند على عاملين أساسين وهما الكتمان وسرعة الاختراق والاندفاع إلى مؤخرة البريطانيين. وكان هذا بدوره يتوقف على دقة المعلومات المتوفرة من الاستطلاع والتي بنيت عليها خطة الاختراق هذه.

وقدر (مونتغمري) أن (رومل) سيقوم بهجوم شديد قد يكـــون محاولتـــه الأخيرة وذلك خلال شهر آب وأنها ستستهدف الإحاطة من الجنوب والاندفاع إلى الشمال خلف البريطانيين لإرغام قطاعتهم المدرعة على الاشتباك معه في معركة في منطقة مفتوحة حيث يستغل تفوق قطعاته المدرعة في قابلية القتال والكفـــاءة وفي حالة فشلة في هذه المحاولة سيستهدف الأنسحاب لاســـتدراج البريطـــانيين لتعقبه ومن ثم يعيد الكرة منقضا عليهم بمدافع ٨٨ ملم لتدمير دروعهم ثم إبادتهم.

وتوصل (مونتغمري) إلى أن عليه أن يقبل القتال المدرع مع (رومل) فـي أرض يختارها هو وبأقل ما يمكن من الحركة وأن يتجنب التورط بتعرض مقـابل بعد انسحاب قوات المحور وقدر من دراسة المنطقة خطورة عارضة علم الحلفـا باعتبارها تسيطر على كل إحاطة يقوم بها العدد بعد اختراق المواقع البريطانيـــة من الجنوب ولابد للقوة القائمة قرر انشغالها بقوة وطلب إلى الجنرال (الكســـاندر) إرسال الفرقة ٤٤ المشاة التي وصلت حديثا من بريطانيا لاحتـــلال موقـــع دفـــاعي على هذه العارضة وفتح الفرقة العاشرة المدرعة التي كان لديهما لواءان مدرعان جنوب علم حلفا لسد طريق زحف العدو إلى الشرق والشمال الشرقي واســتطلعت مواضع بديلة غرب العارضة بين الفرقة ٤٤ والفرقـــة النيوزيلنديـــة وانتخبـــت الدبابات مواضع ضامرة جثمت فيها للقتال.

وعهد (مونتغمري) إلى الفرقة السابعة المدرعة مراقبة الجناح الجنوبـــي وكان عليها أن تنسحب إلى الجنوب الشرقي عند تقدم العدو دون أن تتورط بقتـال شديد، وأن تستمر بمهاجمة جناحه وقدماته الإدارية من الجنوب واتخـــذت أوثـــق التدابير للتعاون الجوي الأرضي في حالة الهجوم المحوري أما الجناح الشـــمالي من الموضع فقد كان يرتب أعماله من الشمال إلـــى الجنـــوب الفرقـــة التاســـعة الأسترالية، الفرقة ١ جنوب أفريقية الفرقة الخامسة الهندية، الفرقة النيوزلندية فـي

(الرويسان) وبذلك كان مجموع القوات البريطانية في الموضع سبع فرق اثنتان منها مدرعتان.

كان مجموع القوات البريطانية في خط القتال (٥) مشاة وفرقتين مدرعتين ٧ و ١٠ وكان احتياط الجيش في منطقة الدلتا وفي مراحل إعادة التنظيم والتدريب أربع فرق أخرى، اثنتان منها مدرعتان وعدد من الألوية المستقلة، وتوفر لدى مونتغمري في معركة علم حلفا (٤٨٠) دبابة.

أما رومل فكانت قواته (٤) فرق ألمانية و(٨) إيطالية ومن ضمنها (٤) فرق مدرعة اثنتان منها ألمانية والاثنتان الأخريتان إيطاليتان وتوفر لرومل في المعركة (٢٢٩) دبابة ألمانية و(٢٨١) إيطالية أما التفوق الجوي فكان بيد البريطانيين وبمقياس واسع.

تقدم المشاة الآليون المرافقون لرتل الإحاطة ليلة ٣٠ – ٣١ آب ١٩٤٢ للهجوم على المواضع البريطانية الجنوبية وفق الخطة، إلا أنهم جوبهوا بخطوط ألغام عميقة غير متوقعة ومحمية بنيران أسلحة خفيفة ومدفعية كثيفة وقد نجح المشاة والمهندسون بفتح الثغرات بعد خسائر فادحة. وخلال هذه الفترة شرعت القاصفات البريطانية بمهاجمة القطاعات المحورية بموجات متعاقبة على ضوء المشاعل. وبالنظر لهذا التأخير لم يستطيع الفيلق الأفريقي من الوصول إلى أهدافه عند طلوع الفجر وكان على بعد ٨ – ١٠ أميال عن خط شروعه، وخلال هذه الفترة قتل الجنرال (فون بسمارك) قائد الفرقة بانزر ٢١ وجرح الجنرال (نهر نغ) قائد الفيلق الأفريقي.

ولم يتحقق القسم الأول من خطة رومل وهو اندفاع الفيلق الأفريقي إلى (٣٠) ميلاً شرقاً ثم استدارته إلى الشمال قبل الفجر. وكان لهذا التأخير خطورة

كبيرة باعتباره قد قلل من تأثير المباغتة بالسرعة التي كانت عاملاً أساسياً في الخطة وأفسح المجال للبريطانيين لاتخاذ الإجراءات المقابلة. ولذا تردد رومل بين أن يسحب قطاعته أو يستمر بتطبيق الخطة، إلا أن الجنرال (بايرلين) الذي يقود الفيلق الأفريقي بالوكالة حبذ له الاستمرار.

استؤنف الفيلق الأفريقي زحفه شمالاً في الساعة ١٣,٠٠ متوجهاً نحو القسم الغربي من عارضة علم حلفا، وأمر (رومل) الفيلق ٢٠ الإيطالي بالزحف إلى يساره نحو الفجوة بين علم الحلفا والرويسات، إلا أن الإيطاليين تأخروا بعبور حقل الألغام ولم يشرعوا بزحفهم إلا في الساعة ١٥,٠٠ وانكشف جناح الفيلق وأخذ (رومل) يشعر بقلق لعدم وصول ما وعده به (كافرليو) من وقود وأضطر إلى إيقاف الهجوم قبل الوصول إلى الأهداف عند حلول الظلام، وفي الليل شرعت القاصفات البريطانية بهجوم عنيف مستمر على القطاعات المحورية، واستمرت الفرقة السابعة المدرعة البريطانية من الجنوب على مهاجمة النقلية الإدارية المحورية عند مرورها من الثغرات.

وفي صباح ١ أيلول ١٩٤٢ أمر (رومل) بإيقاف الحركات التعرضية الواسعة بالنظر لموقف الوقود والاكتفاء بهجمات محلية محدودة، وتقدمت الفرقة بانزره بمفردها نحو عارضة علم حلفا واستمرت القوة الجوية البريطانية على هجومها طيلة النهار بعنف وشدة، وفي الأراضي المكشوفة تكبدت القطاعات الألمانية خسائر فادحة، إلا أنها استمرت على الهجوم ليلة ١ –٢ أيلول أيضاً.

وفي ٢ أيلول استمر الهجوم الجوي بشدة أكثر حيث حدثت ست غارات بين الساعة ١٠,٠٠ و ١٢,٠٠ وحدثت خسائر كبيرة بالعجلات واشتركت المدفعية البريطانية بالقصف وكانت ترمي بمعدل (١٠) قنابل مقابل قنبلة ألمانية

واحدة. وبالرغم من استبسال المقاتلات الألمانية إلا أنها لم تتمكن من حماية القطاعات الألمانية من القاصفات البريطانية التي كانت تأتي بموجات القطاعات الألمانية من القاصفات البريطانية وتحت ستار قوي من حماية المقاتلات، وكانت تقوم بقصف منطقة القطاعات الألمانية بكثافة كبيرة ومن ارتفاع منخفض، وحدث أكثر من (١٢) غارة في هذا اليوم فقط. وبالنظر لاستمرار الهجوم الجوي وعدم وصول الوقود الموعود به قرر (رومل) قطع التماس والانسحاب.

وبالنظر لانكشاف اتجاه الهجوم الألماني، حرك (مونتغمري) الفرقة العاشرة المدرعة إلى غرب عارضة علم حلفا إلى مواضعها المستطلعة سابقاً وطلب لوائي مشاة، فسحب لواء من فرقة جنوب أفريقيا إلى شرق تلا الرويسات لإعطاء عمق، وسحب لواء مشاة من الفرقة ٥٠ الموجودة في العامرية ووضعه جنوب علم حلفا بمواضع الفرقة المدرعة القديمة وجنوب غربي مواضع الفرقة٤٤.

استمر القصف الجوي ليلة ٢ – ٣ أيلول أيضاً دون انقطاع. وفي صباح ٣ أيلول قطعت القوات المحورية التماس وانسحبت من حقول الألغام نحو الغرب وانتقل (رومل) إلى الدفاع بعد أن فقد آخر آمل له في الوصول إلى السويس وانصرف لتعزيز دفاعاته للصمود إزاء الهجوم المتوقع. واصدر (مونتغمري) أوامره لاتخاذ ما يلزم لإنزال ضربة مقابلة بالقوات المحورية وطلب إلى الفيلق ١٣ أن يقوم بغلق الثغرات بحقول الألغام بالزحف إلى الجنوب على أن يشرع بالحركة ليلة ٣ – ٤ أيلول وتقوم بها الفرقة النيوزيلندية.

وعندما شعر (مونتغمري) بانسحاب القوات المحورية يوم ٣ أيلول اصدر أوامر مشددة بمنع الاندفاع إلى الأمام بالسيطرة على كل حركة ومنع

تجاوز المنطقة البريطانية المحصنة إلى الغرب. وفي ليلة ٣ - ٤ أيلول بدأت الفرقة النيوزلندية بالحركة جنوباً لسد الثغرات إلا أنها قوبلت بهجوم مقابل عنيف من الفرقة ٩٠ الخفيفة يوم ٤ أيلول وفشلت محاولة قطع خط المواصلات المحوري وانسحبت جميع القطعات المحورية غرب خط الألغام في يوم ٦ أيلول ١٩٤٢. وكانت خسائر الطرفين في معركة علم حلفا بالنسبة لقوات المحور (٢٨٤٠) قتيلاً و(٥٠) دبابة و (١٥) مدفع ميدان و(٣٥) مدفعاً ضد الدبابات و(٤٠٠) عجلة. أما خسائر البريطانيين فكانت (١٦٤٠) قتيلاً و(٦٨) دبابة و(١٨) مدفعاً ضد الدبابات.

وكانت معركة علم حلفا مفيدة للبريطانيين حيث رفعت معنويات الجيش الثامن وزادت هذه المعركة من الروابط بين الجيش الثامن والقوة الجوية حيث شعر الجيش بأنه مدين لها بنصره الجديد. كما كانت هذه المعركة فاتحة جيدة للجيش الثامن وقائده (مونتغمري) حيث أعقبتها سلسلة انتصارات متواصلة.

٢. معركة العلمين:

بانتهاء معركة علم حلفا انصرف الطرفان للتهيؤ والاستعداد للصراع المقبل الذي كان متوقعاً بعد انتزاع البريطانيين المبادأة من الألمان وكان الفرق بين الطرفين خلال هذه الفترة شاسعاً فبينما كان كل شيء متوفراً للجانب البريطاني، كان (رومل) يطالب السلطات الإدارية العليا في إيطاليا بدعم قواته. وبين (رومل) في تقاريره التي رفعها إلى الفوهرر والدوتشي الخطر الذي يحيط بقواته وأنها معرضة للدمار ما لم يسد نقصها وتدعم على الوجه الصحيح.

وعلى الرغم من ذلك لم تلق مطالب (رومل) كلها أذناً صاغية بالنظر للموقف الحربي العام بالنسبة للألمان ولعدم مقدرة البحرية الإيطالية على إيصال

السفن وحراستها إلى إفريقيا ولنشاط القوة الجوية البريطانية التي كـــانت تعمــل وفق خطة منسقة تتضمن مهاجمة المعامل المنتجة وطرق النقل البريـــة وموانـــئ الشحن في إيطاليا والسفن في البحر وموانئ التفريغ في إفريقيا والطرق منها إلــى الجبهة. وكانت كل هذه عرضة لغارات مستمرة عنيفة. وقد وصل إلـــى الجيــش المحوري في الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٤٢ ما يبلغ (١٢٠,٠٠٠) طــــن وهو يؤلف ٤٠ بالمائة من الحد الأدنى من الاحتياجات.

أما الجانب البريطاني فقد حشد بإمرة (مونتغمـــــري) للمعركـــة المقبلـــة عشـــر فرق منها ثلاث مدرعة وأكملت جميعها تدريبها الصحــــراوي ووصلــت دبابات (شيرمان) الأمريكية وتزايدت قوة القوة الجوية البريطانية وبذلـــك توفــر لمونتغمري للقتال المقبل (١٢٠٠) دبابة، منها (٥٠٠) تحمل مدافع من عيــار ٧٥ ملم من أنواع (شيرمان وغرانت ولي) و(٨٥٠) مدفعاً مختلفة العيـــار بالإضافـــة إلى (١٢٠٠) مدفع ضد الدبابات وتسير لإسنادها (١٢٠٠) طائرة منــــها (٧٠٠) بإمرة كوننكهام قائد القوة الجوية الصحراوية التعبوية .

درس المارشال (رومل) معضلات الدفاع عن موضع العلمين الذي (يقــع على بعد ٦٠ كيلومتراً إلى الغرب من الإسكندرية) وقدر أن قطعاته المتوفـــرة لا تكفي لستر جبهة خط دفاعه البالغة (٤٠) ميلاً. ولا سيما وأن قاطعه خــــال مـــن العوارض المهمة المسيطرة كعارضة علم حلفـــا والرويســـات مثـــلاً وقـــدر أن المعركة المقبلة ستكون معركة مشاة وأن النصر سيتوقف بها بصفة رئيسية علــى تيسر الأفواه النارية والعتاد وأن لخصمه التفوق الساحق في كل ذلك هذا مع العلم أن الجيش البريطاني يتقن هذا النوع من القتال القليل المناورة بصــــورة خاصـــة وبرز من دراسته لهذه المشكلة أن خطته يجب أن تستند إلى عاملين رئيسين هما،

الأول الصمود في الموضع إلى النهاية، والثاني وجوب مقاومة اقتحام العدو بهجوم مقابل سريع لمنعه من التوسع إلى خرق يستغل به البريطانيون تفوقهم.

ونتيجة لذلك وضع (رومل) خطته الدفاعية بشكل يؤمن هذه الاحتياجات فخصص مواضع للقطاعات وقرر اشغال الجبهة بكثافة كافية لجعل كل قاطع مهدد قادراً على الصمود إزاء أكثف هجوم بريطاني ممكن مدة تكفي لإيصال الاحتياط إليه بالرغم من كل تدخلات القوة الجوية البريطانية. وخصصت مفارز حماية خفيفة لمراقبة حقول الألغام الموازية للأرض الحرام وكانت منطقة الدفاع الأصلية تبعد من ٣٠٠ إلى ٧٠٠ متر إلى غرب هذه الحقول وأنشئت فيها الدفاعات ووزعت الفرق المدرعة خلف منطقة الدفاع الأصلية بشكل يمكنها من استعمال مدافعها للرمي أمام هذه المنطقة لتزيد كثافة النار الدفاعية. وكانت الخطة تنطوي على جمع الفرق المدرعة من الشمال أو الجنوب فور انكشاف مركز ثقل الهجوم البريطاني للأطباق على القاطع المهدد.

واستعمل الألمان عدداً كبيراً من الألغام وبلغ عددها ٥٠٠,٠٠٠ لغم، ويدخل ضمن ذلك حقول الألغام التي استولوا عليها من البريطانيين، وقد لوحظ عند زرع حقول الألغام تأمين حماية الدفاعات الثابتة من جميع الجهات لأمن الجبهة فقط واستخدام عدد كبير من العتاد البريطاني المستولى عليه لتعزيز الدفاعات بمثابة حقول ألغام تغلق بدورات كهربائية. ووزعت القطاعات الألمانية بين القطاعات الإيطالية لرفع معنوياتها، واستهدفت الخطة بصورة رئيسية تأخير عملية فتح الثغرات إلى أطول وقت ممكن إلا أن معظم الألغام

المستخدمة كان من نوع ضد الدبابات، ولذا لم يسبب مشكلة كبيرة للمشاة الذين كانوا يسيرون عليه بسهولة.

أما الجنرال (مونتغمري) فقد واجه مشكلة في مواضع العلمين حيث جوبه بموضع مستند الجناحين تحمي جبهته حول الغام كثيفة، ففكر في ضرورة الاستيلاء عليه بقتال مستمر ووضع لذلك خطتين، الخطة الأولى وضعت في شهر أيلول ١٩٤٢ واستهدفت مهاجمة كلا جناحي العدو بالفيلق ٣٠ في الشمال والفيلق ١٣ في الجنوب، على أن يكون مركز الثقل في الشمال وبعد أن ينجح هذا الهجوم في خرق جبهة العدو، يندفع الفيلق ١٠ ويشغل منطقة يختارها على جانبي خط مواصلات العدو ويدمر قطعاته المدرعة عندما تهاجمه وتوقع أن تكون هجمات دروع العدو مجزأة لأن هجوم الفيلق ١٣ في الجنوب سيثبتها في تلك المنطقة، وفي أوائل تشرين الأول صرف النظر عن هذه الخطة لأنه اعتقدها طموحه جداً وأن طموحه جداً ولا يستطيع تطبيقها.

وضع (مونتغمري) خطته الجديدة التي طبقها في المعركة في أوائل تشرين الأول ١٩٤٢ على أسس تخالف المألوف، حيث قرر أن يستهدف مبدئياً تدمير قطعات العدو غير المدرعة التي كانت تمسك الأرض وذلك بتدميرها في مواضعها بسلسلة ضربات من المناطق المستولى عليها، على أن تتخذ التدابير اللازمة لمنع قطعات العدو المدرعة من التدخل خلال هذا الهجوم. كانت هذه العملية تستلزم نجاح عملية الاقتحام نجاحاً تاماً في احتلال موطئ قدم في دفاعات العدو ليمكن مهاجمة مشاته على الجناح والخلف وقطع خطوط تموينه في

المناطق الأمامية. واستوجبت عملية منع قطاعات العدو المدرعة من التدخل دفع دروع مونتغمري إلى خلف منطقة الاقتحام حيث تشغل منطقة تختارها هي وتضطر دروع العدو لمهاجمتها في أحوال غير ملائمة وبذلك يمكن منعها من التدخل في قتال الاقتحام الذي يجب إدامته بشدة وعنف وبعد أن ثبت مونتغمري أسس خطته صدرت الأوامر بتوضيح الواجبات التفصيلية للفيالق على النحو التالي:

١. الفيلق ٣٠:

يتقدم للهجوم بجبهة ٤ فرق على جبهة سعتها ٦ إلى ٧ أميال بين تل العيس وتل المطيرية مستهدفاً فتح ثغرتين الأولى باستقامة تل الكلية والثانية باستقامة عارضة الويسكا، وحدد عمق الهجوم (٢٠٠٠ –٢٥٠٠م) وكان واجب الفرقتان، الأسترالية والفرقة ٥١– هو فتح الثغرة الشمالية وتندفعان لتحطيم وضع العدو بين البحر وتل المطيرية وعهد إلى أحد الألوية الأسترالية بالقيام بهجوم صوري بين تل العيس والبحر. أما الفرقتان النيوزيلندية والجنوب إفريقية فتقومان بفتح الثغرة الجنوبية وتزحفان باتجاه الجنوب الغربي لتحطيم مواقع العدو على تل المطيرية. وكان واجب الفرقة ٤ الهندية هو حماية الجناح الأيسر للفيلق بهجومها نحو دير الشين بالزحف غربا من تل الرويسان.

٢.الفيلق ١٠:

نسّب الفيلق مرور الفرقة المدرعة الأولى من الثغرة الشمالية والفرقة المدرعة العاشرة من الثغرة الجنوبية على أن تؤمن الفرقتان الاتصال لأشغال منطقة خلف خطوط العدو لستر خطوط تقريب الدروع المحورية المحتملة في

هجومها المقابل على الثغرتين على أن ترسل كتيبتا مدرعات للقيام بغـــارة علـــى مناطق المحور الإدارية في منطقة الضبعة.

٣.الفيلق ١٣:

تقوم الفرقة ٤ بفتح ثغرة شمال قارة الحميمات لمرور الفرقـــة الســـابعة المدرعة عند انكشاف الموقف بشكل يساعد على ذلك وكلـــف اللـــواء الفرنسـي بالهجوم على قارة الحميمات نفسها وطلب إلى الفيلق أن يتهيأ لإرسال الفرقـــة ٧ المدرعة القاطع الشمالي إذا استوجب الموقف ذلك.

لقد قدر الجنرال (مونتغمري) انه بالنظر لمناعة موضع العدو وطبيعتـــه فستكون المباغتة صعبة جداً، ولذا قرر بذل أقصى جهد ممكـــن للحصـــول عليـــها بإخفاء قوة الهجوم وموعده واتجاهه، ولم يكن من السهل إخفاء حجم قوات الجيش الثامن الموجود في الخط الأمامي. إلا أنه حاول إخفاء تحشد قطعاته المدرعة ولا سيما الفيلق العاشر، فوضع عدداً كبيراً من العجلات المحطمة ودمـــى الأســـلحة والعجلات في المنطقة التي سيشغلها الفيلق عند تحشده، وقد جرت هذه التدابـــير من شهر آب، بينما كان الفيلق العاشر يتدرب على بعد (٥٠) ميلاً خلف الجبهـــة. وقبيل الهجوم في أوائل تشرين الأول شـــرع بتحشـــيد الفيلـــق ١٠ فـــي مكانـــه المخصص والاستعاضة عن العجلات الصورية ودمى الأسلحة بعجلات وأســـلحة حقيقية تدريجياً دون أن تشعر الطائرات المحورية بأي تبدل. واتخذت الكثـــير مـــن التدابير لإظهار العديد من المؤسسات الإدارية والأعمال كمد أنابيب المياه وإنشـــاء المستودعات غير منجزة ولن يمكن إكمالها قبل النصف الأول من تشرين الثـــاني لخدع عملاء العدد بان استعدادات الهجوم غير كاملة.

وفي ليلة ٢٣- ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٢، فتحت مدفعية الجيش الثامن نيرانها على مواضع مدافع العدو المستمكنة، واشترك بهذا الرمي اكثر من (١٠٠٠) مدفع ميدان متوسط وعززها فيما بعد قاصفات القوة الجوية والبحرية ولم تجاوب المدفعية المحورية حسب أوامر الجنرال (شتومه) بالنظر لقلة العتاد وبذلك لم يتمكن من رمي أماكن التشكيل البريطانية. وكان تأثير القصف البريطاني هائلاً وفي الساعة ٢٢,٠٠٠ انتقلت النار إلى مواضع العدو الأمامية القصوى وتقدمت فرق الصولة من الفيلقين ٣٠و١٣ للهجوم حسب الخطة المذكورة سابقاً واستمر القتال العنيف طيلة الليل إزاء مقاومة متزايدة وفي الساعة ٥,٣٠ تم الاستيلاء على معظم الأهداف المعنية وأنجز فتح الثغرتين عبر نطاق الألغام الرئيسي وشرعت أسلحة المشاة السائدة بالتقدم للأمام واخذ اللواء المدرع التاسع الموجود بإمرة الفرقة النيوزيلندية بالتقدم إلى الأمام في الثغرة الجنوبية.

وعبرت فرقتا الفيلق العاشر المدرعتان خط الشروع إلا أنهما تأخرتا في اجتياز الثغرات بالنظر لعنف المقاومة وتأخر الفرق الأمامية ولذا توقفت القطاعات المدرعة قبل الوصول إلى تل المطرية. وقامت الفرقة بانزر ١٥ بهجمات مقابلة صغرى متعددة إلا أنها صدت جميعاً. وفي الجنوب فشل الفيلق ١٣ في فتح ثغرة في نطاق الألغام واضطر إلى التوقف بعد قليل من التوغل.

ونجح اللواء الفرنسي باحتلال هدفه إلا أنه طرد منه بهجوم مقابل قبل وصول أسلحته السائدة ولم يكن الموقف في فجر يوم ٢٤ تشرين الأول مشجعاً بالنسبة للبريطانيين، حيث لم يتم إيصال القطاعات المدرعة إلى أماكنها المقررة تحت جنح الظلام وبدأت تتكبد خسائر فادحة من مدافع ضد الدبابات عند طلوع النهار.

استأنفت الفرقة ٥١ تقدمها في الساعة ١٥,٠٠ من يوم ٢٤ تشـوين الأول تعقبها الفرقة المدرعة الأولى التي مرت من الثغــرة الشــمالية. وفــي الســاعة ١٨,٠٠ نجح اللواء المدرع الثاني من الفرقة المدرعة الأولـــى بعبــور الحافــة الخلفية من حقول الألغام واحتلال مواضع خلفها. وفي الجنـــوب لاقــت الفرقــة العاشرة المدرعة مشاكل كثيرة ولم تتمكن من الوصـــول إلـــى خلــف منطقــة الألغــام وتأسيس التماس مع الفرقة المدرعة الأولى إلا في الســاعة ٨,٠٠ مــن يوم ٢٥ وكان اللواء المدرع التاسع الموجود بإمرة الفرقة النيوزيلندية قد اجتـــاز الثغرة الجنوبية وتوجه نحو الجنوب الغربي.

أما الجانب الألماني فقد اندفع الجنرال (شـــتومه) إلـــى الجبهـــة بنفســه للاطلاع على الموقف فجر يوم ٢٤ تشرين الأول وقد تعرضت ســـيارته لرمـــي شديد سبب سقوط ضابط الركن الذي يرافقه وقد استدارت السيارة بسرعة شـديدة سببت سقوط الجنرال (شتومه) ووفاته بالسكتة القلبية. واتصل المارشـــال (كـــاتيل) برومل في المستشفى في (زومرنك) يوم ٢٤ تشرين الأول بعد الظـــهر وأخــبره بأن البريطانيين قد شرعوا بهجوم عنيف على العلمين وأن الجـــنرال (شــتومه) مفقود واستفسر من (رومل) فيما إذا كانت حالته الصحية تساعده علـــى العــودة وقيادة المعركة. وفي مساء اليوم نفسه اتصل (هتلر) برومل وسأله فيما إذا كـــان يستطيع السفر إلى إفريقيا فوراً فأجاب (رومل) بأنه مستعد لذلك وســافر صبــاح يوم ٢٥ تشرين الأول وتأكد عند مروره من (روما) من أن موقف الإدامـــة فــي إفريقيا لم يتحسن وأستأنف سفره فوصل مقــره فـــي الجبهـــة مســاء يــوم ٢٥ تشـــرين الأول.

أما الجانب البريطاني فقد انكشفت حركات الفرقة المدرعة الأولى بنجاح مساء يوم ٢٤ تشرين الأول، إلا أن الفرقة المدرعة العاشرة لم تتمكن من المرور

من الثغرة الجنوبية. وعقد الجنرال (مونتغمري) مؤتمراً بمقره في الساعة ٣,٣٠ من ليلة ٢٤-٢٥ حضرة آمرا الفيلقين ٣٠و١٠ شدد به على أوامره وأصر على تنفيذ خطته ونتيجة لتصلبه هذا اندفعت الفرقة العاشرة المدرعة من الثغرة صباح يوم ٢٥ تشرين الأول واتضح لمونتغمري نتيجة القتال العنيف الذي دار يوم ٢٥ تشرين الأول أن الفيلق العاشر المدرع تحتل الفرقتان المدرعتان الأولى والعاشرة منه موضعا لحماية رأس الجسر من هجمات دروع العدو. والفيلق ١٣ فشل في الحصول على موطئ قدم إلا أنه بتماس مع العدو. أما الفيلق ٣٠ فقد تبين نتيجة القتال أن اندفاع الفرقة النيوزيلندية الموجودة في الجناح الأيسر نحو الجنوب الغربي سيؤدي إلى خسائر فادحة. فأوعز (مونتغمري) ليلة ٢٥-٢٦ تشرين الأول للفرقة الأسترالية الموجودة في الجناح الأيمن بالهجوم باتجاه البحر لقطع خط رجعة القطاعات الموجودة في الجيب والتي كان معظمها من الألمان. وكان يأمل بحركته هذه الحصول على المباغتة وأصدر أوامره إلى الفرقة المدرعة الأولى بالاندفاع غرباً في نفس الوقت.

استلم (رومل) القيادة مساء يوم ٢٥ تشرين الأول وكانت معنويات القطاعات مزعزعة وخسائرها فادحة نتيجة القصف الجوي المستمر ليلاً ونهاراً ونيران المدفعية الكثيفة التي كانت تسند كافة حركات البريطانيين وكانت قوة الفرقة بانزر ١٥ قد هبطت من (١١٩) دبابة إلى (٣١) دبابة صالحة وكان موقف الوقود والعتاد رديئاً جداً. وبعد قتال عنيف استمر طيلة يوم ٢٦ وليلة ٢٦ -٢٧ تشرين الأول تمكن لواء المشاة الآلي للفرقة المدرعة الأولى من الوصول إلى تل الكلية واحتلال موطئ قدم عليه.

درس (مونتغمري) الموقف وقدر أن فرق مشاة الفيلق ٣٠ بحاجة إلى راحة نتيجة الخسائر الفادحة التي تكبدتها وبالرغم من وجود (٨٠٠) دبابة

صالحة لديه ومقادير كبيرة من العتاد لم تنجح قطاعاته المدرعة لإعادة التنظيم والتجحفل لخلق احتياط جديد لعملية الاندفاع على أن يدام زخم الهجوم والتماس بالعدو خلال هذه العملية.

وفي ٢٦ تشرين الأول، ثبت لرومل بوضوح أن الهجوم الرئيسي للجيش الثامن موجه نحو جناحه الشمالي وأن العمل الصحيح هو تحشيد جميع وحداته الآلية في الشمال للقيام بهجوم مقابل واسع يلقى به البريطانيين خارج مواضعه، ولكنه علم أن موقف الوقود لا يساعد على هذا التحشيد أو الهجوم الواسع إذ لا تتيسر المقادير الكافية لمناورة هذا العدد مع العجلات أو لإعادتها للجنوب إذا حدث اختراق مفاجئ من ذلك الاتجاه ولذلك قرر الاكتفاء بتحريك الفرقة بانزر ٢١ للشمال مع نصف المدفعية الموجودة في القاطع الجنوبي وقد تلقى نبأ إغراق ناقلة بترول كان الجيش المحوري بحاجة إليها قرب مدخل طبرق نتيجة القصف الجوي. وزاد هذا في حراجة الموقف الإداري، فأضطر (رومل) لشرح حراجة موقفه ببرقية إلى (هتلر) طالباً تحسين الموقف الإداري.

وفي ٢٧ تشرين الأول، أصدر (مونتغمري) أوامره بإعادة التجحفل وسحب بموجبها الفرقة النيوزيلندية إلى الخلف حيث سلمت مواضعها للفرقة الإفريقية الجنوبية وسلمت هذه بدورها مواضعها للفرقة الهندية الرابعة التي دخلت بإمرة الفيلق ١٣. وشرع بتنفيذ هذه الأوامر.

أما (رومل) فأكمل تحشد الفيلق الإفريقي والفرقة ٩٠ الخفيفة وشن بها هجوماً لاستعادة تل الكلية إلا أن الهجوم فشل بالنظر لتفوق دبابات شيرمان على الدبابات الألمانية بالمدى ولتيسر الوقت الكافي للبريطانيين لتحصين مدافع ضد الدبابات على العارضة ولتأثير القوة الجوية البريطانية ونيران مدفعيتهم الكثيفة

وقد فشلت الصولة الألمانية الأخيرة قبل الغروب قبل الالتحام حيث حطمتها القوة الجوية.

أصدر (مونتغمري) أوامره لإكمال إعادة التجحفل وتضمنت إعطاء الفيلق ١٣ واجباً دفاعياً وسحب الفرقة السابعة المدرعة منه إلى الشمال وكذلك سحب ثلاثة ألوية منه (اللواء اليوناني ولواء من كل من الفرقتين ٤٤و٥٠) لاستلام المواضع للهجوم نحو الشمال وبنفس الوقت سحب الفرقة المدرعة الأولى واللواء ٢٤ المدرع من قاطع الفرقة العاشرة المدرعة إلى الخلف لإعادة التنظيم.

وفي الجانب المحوري قرر (رومل) جلب قطاعات أكثر من الجنوب إلى الشمال وأبقى في الجنوب قطاعات هيكلية فقط وجرت جميع هذه الحركات تحت قصف القوة الجوية البريطانية المستمر والتي نجحت بإغراق ناقلتي نفط أخريين في مدخل طبرق. وفي منتصف يوم ٢٨ تشرين الأول شعر (رومل) بوجود حشد كبير من الدروع البريطانية خلف القاطع الشمالي فتوقع الهجوم وأصدر أمراً انذاريا لقطاعاته بذلك.

أكمل (مونتغمري) إعادة التجحفل مساء يوم ٢٨ تشرين الأول وكانت أوامره للحركات المقبلة تشمل هجوم الفرقة الأسترالية ليلة ٢٨-٢٩ تشرين الأول نحو الشمال لعزل القطاعات المحصورة بالجيب على أن يعقب هذا الهجوم زحف الفيلق ٣٠ إلى الغرب نحو سيدي عبد الرحمن على محوري الطريق والسكة تمهيداً للاندفاع.

وفي الساعة ٢٢,٠٠ من ليلة ٢٨-٢٩ تشرين الأول بدأت الفرقة الأسترالية هجومها وسجل هذا التقدم المسند بنيران مدفعية كثيفة جداً تقدماً محدوداً ولم يتمكن من الوصول إلى الطريق الساحلي إزاء المقاومة الشديدة التي

قابلته. وخلال يوم ٢٩ تشرين الأول تعرضت الفرقة لهجمات عنيفة جداً قـــامت بها الفرقة ٩٠ الخفيفة التي حركها رومل إلى هذا الاتجاه إلا أنها لـــم تتوقـف وأخذ (رومل) يفكر جدياً بالانسحاب.

وضع (مونتغمري) خطته للاندفـــاع بعــد إكمــال خـرق المواضـــع المحوريـــة على الوجه التالي:

١. الاستمرار على التضييق في الشمال على محور هجوم الأســتراليين لجعــل (رومل) يحشد قطاعاته لصد الزحف من هذا الاتجاه.

٢. زج الفيلق العاشر(قوة الاندفاع) بالمعركة بنفس الوقـــت وتقــود الفرقـــة النيوزيلندية بالهجوم على محور يقع إلى شمال الثغرة الشمالية وتكمل شـق مواضع العدو وفتح ثغرة يندفع منها الفيلق العاشر بثلاث فـــرق مدرعـــة الأولى والسابعة والعاشرة إلى ما وراء الخطوط الألمانية لتدمـــير الفيلــق الإفريقي.

٣. دفع كتيبتي مدرعات إلى مناطق المحور الإدارية لزيادة مشاكله الإداريـــة وتدمير الوقود بصورة خاصة.

٤. نصت الأوامر بوضوح على أنه في حالة فشل المشاة في فتح الثغرة تقــوم الفرق المدرعة بشق طريقها بالقتال.

قرر (رومل) استطلاع موضع دفاعي في (الغوكة) لسحب قطاعاته لـــــه عند قيام البريطانيين باندفاعهم الذي كان متوقعاً وقد وصلت سفينة إيطالية تحمـــل (٦٠٠) طن من الوقود فتحسن الموقف الإداري نسبياً. وكان موضـــع (الغوكــة) يستند بجناحه الجنوبي على القطارة أيضاً مثل موضع العلمين.

وكان أهم ما يشغل (رومل) سحب وحدات المشاة غير الآلية عند قيام البريطانيين بالاندفاع. وفي ليلة ٣٠-٣١ تشرين الأول استأنف الأستراليون هجومهم ونجح أحد الألوية الأسترالية بعبور الطريق الساحلي والاندفاع إلى الشاطئ وطوق بعض الوحدات الألمانية إلا أن اللواء اضطر للتراجع بتأثير هجوم مقابل عنيف قامت به الفرقة بانزر ٢١ والفرقة ٩٠ الخفيفة حيث انسحب خلف خط السكة الحديدية بعد ظهر يوم ٣١ تشرين الأول.

لقد نجحت هجمات الفرقة الأسترالية بجلب قطاعات المحوريين نحو الشمال ووضع مونتغمري خطة الاندفاع موضع التنفيذ في الساعة ١,٠٠ من يوم ٢ تشرين الثاني بعد أن تأجلت لمدة ٢٤ ساعة. وقد بدأ الهجوم على جبهة لواءين وكلفت القطاعات المجاورة بالهجوم لحماية الأجنحة وخصصت مئات المدافع لإسناد الهجوم وصدرت الأوامر للواء التاسع المدرع للتخلل من المشاة على الهدف الأخير وتشكيل رأس الجسر جنوب سيدي عبد الرحمن وقد نجح الهجوم نجاحاً كبيراً في الليل ووصل أهدافه.

وفي فجر ٢ تشرين الثاني قام الفيلق الإفريقي بهجوم مقابل كبد به اللواء المدرع التاسع خسائر فادحة تقدر بـ ٧٥ بالمائة إلا انه عجز عن دفعه إلى الخلف. وتكبد الفيلق الإفريقي بدوره خسائر فادحة أيضاً. وقد أدى القصف الجوي والمدفعي البريطاني الشديد إلى تقطيع جميع المنظومة السلكية لمواصلات القيادة المحورية وعجزت عن إدامة الاتصال باللاسلكي لقيام المخابرة البريطانية بتشويش المخابرة اللاسلكية المحورية وبذلك ساد الغموض الموقف بالنسبة للمحورين وقد تكررت الغارات الجوية باستمرار وعنف وتجاوز عددها سبع غارات ضمن ساعة واحدة وقرر (رومل) بعد الظهر سحب القطاعات من القاطع الجنوبي وأصدر أوامره لفرقة آريتي بالحركة شمالاً بسرعة وفي المساء كانت

القوات المحورية قد استنزفت (٤٥٠) طناً من العتاد مقابل (١٩٠) طناً وصلتها في ذلك اليوم. وقد ازدادت أزمة العتاد والوقود تحرجاً بنتيجة قتال ذلك اليوم حيث اقتصر التموين عبر البحر على ما نقلته الطائرات والسفن الحربية فقط ولم يتيسر للفيلق الإفريقي مساء هذا اليوم اكثر من (٣٥) دبابة صالحة.

قدر (رومل) الموقف مساء ٢ تشرين الثاني وشعر أن الوقت قد حان للانسحاب وإشغال خط الغوكه. وكان قد سحب قطاعاته الإدارية إلى الغرب قبل مدة فقرر سحب قطاعاته الراجلة إلى الغوكة أيضاً بحماية قطاعاته الآلية التي أمرها بإشغال الجبهة الأصلية الضيقة التي كانت تشغلها قبل معركة علم حلفا. وقد بنى خطته على ملاحظة من بطء وتردد في حركات البريطانيين. وأصدر أوامره على هذا الأساس ونجحت قطاعاته الموجودة في المركز والجنوب بقطع التماس والانسحاب راجله مع جميع أسلحتها السائدة محمولة على الجنود. واحتلت مواضع جديدة تقع حوالي (١٠) أميال غرب الضبعة فجر ٣ تشرين الثاني.

شعر (مونتغمري) فجر يوم ٣ تشرين الثاني عن طريق القوة الجوية بشروع العدو بالانسحاب ووجود حركة كثيفة إلى الغرب إلا أن الفرقة الأولى المدرعة لم تتمكن من شق الطوق الذي ضربته القطاعات المحورية حولها فقرر توجيه الهجوم نحو محور جديد باتجاه الجنوب الغربي لإحاطة حجاب مدافع ضد الدبابات المحورية بالتقدم من جنوب تل العقاقير وخصص يوم ٣ تشرين الثاني للتهيؤ على أن تقوم الفرقة ٥١ ولواء من الفرقة الرابعة الهندية بالهجوم ليلة ٣-٤ تشرين الثاني. وقامت القوة الجوية بغارات عنيفة على الارتال المحورية المنسحبة اشترك فيها حوالي (٢٠٠) قاصفة مقاتلة مما أدى إلى تكبد القطاعات المنسحبة خسائر جسيمة.

وفي الساعة ١٣,٣٠ من يوم ٣ تشرين الثاني استلم (رومل) من (هتلر) رسالة يأمره بأن يزج كل السلاح والجنود في المعركة وعلى القطاعات أن لا ترى سوى طريق النصر أو الموت. وقد ذهل (رومل) لهذا الأمر الذي كان يطلب المستحيل وشعر بتدخل القيادة العليا بأمور قيادته للمرة الأولى وأدرك بأنها لا تشعر بمحنته. وعلى الرغم من ذلك فقام (رومل) بإيقاف الانسحاب غرباً وبين موقفه بصراحة إلى الفوهرر بواسطة مرافق أرسله إلى مقره في القيادة العامة الألمانية وذكر أن الصمود بالعلمين معناه ضياع القوات المحورية وشمال إفريقيا معاً.

ولم تقم القطاعات البريطانية بأي عمل طيلة ٢ – ٣ تشرين الثاني حيث اقتصرت فعالية البريطانيين على صب مئات القنابل على المواضع المحورية المركزية الخالية. وقد سببت المدرعات البريطانية التي كانت تعمل خلف الخطوط المحورية إزعاجاً كبيراً للنقلية الإدارية للفيلق العاشر الإيطالي الذي كان يعمل في الجناح الأيمن. ومرت ليلة ٣-٤ تشرين الثاني بهدوء أيضاً وشعر (رومل) بالهجوم البريطاني الجديد فجر يوم ٤ تشرين الثاني وكانت قطاعاته تشغل جبهتها من اليسار إلى اليمين – الفرقة ٩٠ الخفيفة والفيلق الإفريقي والى يمينه الفيلق (٢٠) الإيطالي المدرع ثم لواء رامكه والفيلق ٢١ الإيطالي وفي أقصى اليمين الفيلق العاشر الإيطالي.

زار المارشال (كيسلرنغ) صباح يوم ٤ تشرين الثاني مقر (رومل)وعندما اطلع على أمر (هتلر) بمنع الانسحاب خوله عدم تنفيذه باعتباره -أي كيسلرنغ- المرجع الأعلى للقطاعات الألمانية بالجنوب وأبرق (كيسلرنغ) للقيادة العامة بقراره هذا بعد أن عرض تفاصيل الموقف. وقبل الظهر نجح الهجوم البريطاني بخرق خطوط الفيلق ٢٠ الإيطالي وكبده خسائر فادحة

واندفعت الفرقة ٥١ البريطانية واللواء الهندي إلى الإمام ووصلت سيدي عبد الرحمن وبذلك فتحت الثغرة المطلوبة للقطاعات المدرعة البريطانية وتضعضعت مقاومة الفيلق الإفريقي الذي كان يواجه (٦٠٠) دبابة بريطانية بحوالي (٣٠) دبابة وقد أسر قائده الجنرال (فون توما) وأصبح موقف القطاعات المحورية خطيرا جدا حيث اندفعت الدروع البريطانية من الثغرة إلى خلف الجناح من الجنوب فأصدر (رومل) أوامره في الساعة ١٥,٣٠ بتشكيل جبهة مقاومة للجنوب والانسحاب إلى الغرب وفي صباح ٥ تشرين الثاني ١٩٤٢ عندما كانت بقايا القطاعات المحورية تنسحب دون انتظام للنجاة نحو الغرب وردت موافقة (هتلر) بتخويل (رومل) بالانسحاب بعد فوات الأوان. وهكذا انتهت معركة العلمين وكانت خسائر المحورين فيها (٣٦٠٠٠) شخص و(٥٠٠) دبابة و(٤٠٠) مدفع. أما خسائر البريطانيين فكانت (١٣٥٠٠) شخص و(٤٣٢) دبابة.

لقد كانت معركة العلمين نقطة تحول كبيرة أخرى في مجرى الحرب العالمية الثانية، إذ أنها حالت دون سقوط مصر وقناة السويس بيد ألمانيا ووضعت حدا لآمال الألمان في تحقيق اتصال بين قواتهم في الشرق الأوسط وقواتهم في أوكرانيا. كما كانت المعركة بمثابة مقدمة لانسحاب القوات الألمانية والإيطالية من شمال إفريقيا بصورة نهائية. وشجعت من جهة أخرى القوات البريطانية والأمريكية على القيام بعملية إنزال في مراكش والمغرب.

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢، بدأت القوات الأمريكية والبريطانية عملية إنزال في المغرب والجزائر بقيادة الجنرال الأمريكي (ايزنهاور)، ولم تلق هذه القوات أية مقاومة فعالة، خصوصا وان الجنرال (جان دارلان) القائد الأعلى لقوات حكومة فيشي في شمال إفريقيا، عقد اتفاقا لوقف إطلاق النار مع الجنرال ايزنهاور. وهكذا اندفعت القوات الأمريكية والبريطانية إلى داخل البلاد، واحتلت

الجزائر والمغرب، وأخذت تتقدم شرقاً صوب تونس لمهاجمة القوات الألمانية والإيطالية التي كانت قد لانت بها.

وتوالت الهزائم على الألمان والإيطاليين بعد أن حوصروا في تونس وصاروا يتعرضون إلى هجمات من قبل قوات (مونتغمري) من الشرق وقوات (ايزنهاور) من الغرب. ففي آذار عام ١٩٤٣ نجحت قوات (مونتغمري) في اختراق خط ماريث الدفاعي، وتمكنت في الشهر التالي من الالتقاء بقوات (ايزنهاور). وفي مطلع أيار ١٩٤٣ قامت قوات (مونتغمري) وايزنهاور بهجوم موحد أخيراً استولوا فيه على تونس، وأجهزوا من خلاله على القوات الألمانية والإيطالية. وهكذا أزيحت قوات المحور من شمال إفريقيا وغدا في إمكان الحلفاء أن يتخذوا منها قواعد للانطلاق صوب إيطاليا.

هجوم الحلفاء على إيطاليا وسقوط موسوليني:

استعد الحلفاء بعد نجاحهم في إزاحة القوات الألمانية والإيطالية عن شمال إفريقيا إلى فرض سيطرتهم على البحر المتوسط بهدف تأمين سلامة مواصلاتهم فيه خصوصاً وأنهم كانوا يزمعون مهاجمة إيطاليا. وهكذا استولوا على جزيرتي بنتلاريا ولمبيدوسا الحصينتين اللتين تقعان بين جزيرة صقلية والساحل الشمالي لإفريقيا. ثم انزلوا قواتهم في جزيرة صقلية في ١٠ تموز ١٩٤٣، وواجهوا مقاومة شديدة من قبل القوات الألمانية في الجزيرة التي كانت تقدر بأربع فرق عسكرية. في حين لم تبد القوات الإيطالية أية مقاومة على الإطلاق. وبالنظر إلى أن معنوياتها كانت قد تدهورت إلى حد بعيد بسبب الهزائم المتلاحقة التي حلت بها. وبسبب كرهها لحلفائها الألمان الذين كانوا قد سيطروا على كل شيء تقريباً. وفي أواسط آب ١٩٤٣ أتم الحلفاء سيطرتهم على صقلية.

وحدث في هذه الأثناء أن تعاظم سخط الإيطاليين على حلفائهم الألمان وعلى النظام الفاشي نفسه، فنشطت حركات المعارضة في إيطاليا مما دفع السلطات الفاشية إلى القيام بحملة اعتقالات واسعة شملت المثقفين في روما وميلان، والعمال في نابولي وصقلية. وأغلقت بعض الصحف المعارضة. وكذلك تدهورت الأوضاع الاقتصادية في إيطاليا تدهوراً شديداً وبدا للكثيرين من الإيطاليين بعد احتلال الجيش البريطاني الثامن مدينة طرابلس الغرب في كانون الثاني ١٩٤٣، أنهم قد خسروا الحرب، وأن طريق الخلاص الوحيد لهم هو إنهاء تحالفهم مع الألمان. ومن جانب آخر، أخذ بعض زعماء الحركة الفاشية أنفسهم يندون بموسوليني ويطالبون بوضع حد لسلطاته الواسعة.

وفي الاجتماع الذي عقده المجلس الفاشي الأعلى يومي ٢٤و٢٥ تموز ١٩٤٣، وهو الاجتماع الأول الذي يعقده المجلس منذ نشوب الحروب العالمية الثانية تم التصويت على مشروع ينص على تجريد موسوليني من جميع سلطاته. وكانت نتيجة موافقة (١٩) عضواً على المشروع من أصل (٢٨) عضواً ممن كانوا قد حضروا الاجتماع. وقد شجع هذا الملك الإيطالي (فيكتور عمانوئيل الثالث) على أن يضرب ضربته. ففي ٢٥ تموز ١٩٤٣ استقبل الملك الإيطالي موسوليني في قصره ودعاه إلى تقديم استقالته وأذعن موسوليني لطلب الملك، ونفي إلى مادالينا وهي جزيرة صغيرة تقع إلى الشمال من جزيرة سردينيا، ثم نقل منها في ٢٨ آب ١٩٤٣ إلى معتقل جبلي في وسط إيطاليا خوفاً من قيام الألمان بإنقاذه، لاسيما وأنه شوهدت غواصات ألمانية تحوم حول جزيرة مادالينا وتشكلت حكومة جديدة في إيطاليا برئاسة الماريشال (بادوليو) وكانت باكورة أعمالها بدء مفاوضات سريعة مع الحلفاء بهدف عقد هدنة معهم منذ آب ١٩٤٣. وقد جرت تلك المفاوضات في (كاسيبيل) القريبة من سراقوسه في صقلية،

واستمرت زهاء ثلاثة أسابيع، انتهت بالتوقيع على هدنة مع الحلفاء في ٣ أيلول، لكنه لم يتم الإعلان عنها حتى أيلول ١٩٤٣. أي بعد ما هبطت قوات الحلفاء على البر الإيطالي عند سالرنو، وكان من أبرز شروط الهدنة توقف القوات الإيطالية عن القتال فوراً، واستسلامها دون قيد أو شرط، وأن يسلم الإيطاليون أسطولهم البحري والجوي إلى الحلفاء. وأن يوافقوا على استخدام جميع موانئهم من قبل الحلفاء.

وما أن طرق أسماع الألمان نبأ التوقيع على تلك الهدنة حتى اندفعت قواتهم إلى إيطاليا واحتلت روما في ١٠ أيلول ١٩٤٣. واضطرت حكومة بادليو إلى الفرار وأعلنت الحرب على إيطاليا في تشرين الأول ١٩٤٣.

وكان الحلفاء قد عبروا جزيرة صقلية باتجاه إيطاليا في مطلع أيلول ١٩٤٣ حيث نزل البريطانيون في كالبريا جنوب إيطاليا في ٣ أيلول فيما هبط الأمريكيون في سالرنو جنوب نابولي في ٩ أيلول. واستولى البريطانيون على مدن تارانتو وبرنديزي وباري. وفي الوقت نفسه تقريباً احتلت قوات بريطانية وأمريكية جزيرة سردينيا. كما طردت الألمان من سالرنو، وسقطت نابولي في أيديهم في تشرين الأول ١٩٤٣. وقد واصل الحلفاء تقدمهم في إيطاليا حتى اضطروا إلى التوقف في الإقليم الجبلي القريب من مدينة كاسيون، حيث تحصن الألمان في مواقع منيعة. وعاود الحلفاء تقدمهم في كانون الثاني ١٩٤٤ عندما أزلوا قواتهم في انزيو الواقعة على بعد ٣٠ ميلاً إلى الجنوب من روما وجرت بعد ذلك معارك عنيفة انتهت باحتلال روما في ٤ حزيران ١٩٤٤. وكانت أول عاصمة أوربية تتحرر من قبضة هتلر. ثم توالى سقوط المدن الإيطالية في الأشهر القليلة التالية. وأدى حلول موسم الشتاء وسوء الأحوال الجوية فيه إلى إيقاف العمليات العسكرية ضد الألمان، وما أن حل نيسان عام

١٩٤٥ حتى قرر الحلفاء القيام بهجوم أخير ضدهم. وفي هذه الأثناء أعلنت مــدن إيطاليا الشمالية الثورة ضد الألمان. مما حمل الأخيرين على الاستسلام كما حدث مثلاً في جنوا عندما استسلم (٩٠٠٠) ألماني للإيطـــاليين. كمـــا احتلـــت قـــوات الأنصار الإيطالية وهي التي كانت تعمل إلى جانب الحلفاء مدناً مهمة أخرى.

وجدير بالذكر أن موسوليني، الذي كان الألمان قد نقلـــوه مـــن معتقلـــه الجبلي في وسط إيطاليا في عملية أقرب ما تكون إلى مغامرة، وذلـــك فـــي ١٢ أيلول ١٩٤٣، كانوا قد سمحوا له بتأسيس حكومة فاشية جديدة في شمال إيطاليـــا تحت ظل الاحتلال الألماني، ولم تحظ هذه الحكومة باحترام مـــن قبـــل معظـــم الإيطاليين. وقد حاول موسوليني بعد أن أدرك بان أيام الألمان في إيطاليا بـــاتت معدودة أن يتعاون مع الحلفاء من وراء ظهر الألمان وعـــن طريـــق الكردنيـــال شوشتر رئيس أساقفة ميلان. لكن موسوليني علم خلال لقائه مع الكردنيـــال فـــي قصر مطرانية ميلان في ٢٥ نيسان ١٩٤٥ بأن الألمـــان فـــي إيطاليـــا كـــانوا يفاوضون بدورهم الحلفاء من وراء ظهره. مما دفعه إلى أن يقطـــع مفاوضاتـــه معهم. ولاذ بالفرار صوب الحدود السويسرية متنكراً فـــي زي جنـــدي ألمـــاني، لكـــن قوات الأنصار تمكنت من اكتشاف أمره واعتقلته فـــي ٢٧ نيســـان ١٩٤٥ وأعدم رمياً بالرصاص خارج قرية صغيرة في اليوم التالي.

أما عن الألمان فبعد أن أيقنوا بأن هزيمتهم باتت وشيكة أرسل كســـلرنج القائد الأعلى للجيوش الألمانية في إيطاليا مندوبين عنه كـــي يفـــاوضوا الحلفـــاء بشأن عقد هدنة معهم. وتم توقيع الهدنـــة فـــي ٢٩ نيســـان ١٩٤٥ وبمقتضاهـــا استسلمت القوات الألمانية في إيطاليا إلى الحلفاء بدون قيد أو شرط وتوقف القتـــال نهائياً في ١٢ أيار ١٩٤٥.

لقد حقق احتلال الحلفاء لإيطاليا مزايا كبيرة لهم. إذ مكنهم من الحصول على قواعد جوية فيها يمكن استخدمها في شن هجمات على الألمان في أوروبا الوسطى، والبلقان. وبالتالي تحقيق النصر النهائي. ومن جانب آخر أجبرت العمليات العسكرية في إيطاليا الألمان على انشغال قسم كبير من قواتهم في إيطاليا في الوقت الذي كانوا فيه بأمس الحاجة إلى استخدامها ضد الاتحاد السوفيتي.

دخول الحلفاء فرنسا:

اعتقد الحلفاء بأن الظروف أصبحت مواتية لشن هجوم ضد الألمان في الجبهة الغربية. فلقد أجبروا إيطاليا على إنهاء تحالفها مع الألمان. كما أن القوات الألمانية في الجبهة الشرقية كانت تواجه ضغطا شديدا على يد القوات السوفيتية بعد الهزيمة الأولى في معركة ستالينيغراد. ومن ناحية أخرى ساد الاعتقاد بين أوساط الحلفاء بأنهم غدوا يتفوقون على خصومهم في الجو والبحر.

ونتيجة لذلك انهمك الحلفاء في تهيئة مستلزمات هجومهم المرتقب فعمدوا إلى حشد أسطول ضخم من السفن قدر بحوالي (٦٥٠٠) سفينة حربية وأخرى للنقل. ومن مختلف الجنسيات. كما مدوا أنبوبا داخل القنال الإنجليزي لنقل وقود العجلات. كذلك نقلوا مرافئ صناعية من بريطانيا بعد أن فككوها إلى قطع صغيرة وأعادوا تركيبها في الساحل الفرنسي. وقد عرفت تلك المرافئ التي كان قد صممها المهندسون البريطانيون باسم مرافئ موليري.

ابتدأ الحلفاء هجومهم في حوالي الساعة الثانية من صباح يوم ٦ حزيران عام ١٩٤٤، حينما عبرت طائرات الحلفاء القنال الإنكليزي وهي تنقل (٢٠,٠٠٠) جنديا، وهبط هؤلاء في مواضع تقع خلف الساحل الذي اختير ليكون

أول هدف للهجوم. وفي فجر اليوم نفسه أنزلت سفن الحلفاء (٧٠,٠٠٠) جندي على الساحل الفرنسي. وقد توالت تلك القوات مهمة توفير الحماية لقوات الحلفاء التي أخذت تتدفق على الساحل الفرنسي في غضون الشهرين التاليين. وقدر عددها بمليوني رجل ينتمون إلى جنسيات شتى.

لقد كان أول أهداف الهجوم الاستيلاء على شريط من ساحل فرنسا الشمالي يمتد لمسافة (٤٠) ميلاً ابتداء من الحافات الشرقية لشبه الجزيرة كوتنتين شرقاً وحتى مدخل نهر اورن الذي يصب في البحر على بعد ثمانية أميال شمال شرق مدينة كاين. ولعل سبب اختيار هذه المنطقة بالذات برغم أنها كانت تخلو من موانئ مهمة فيها يعود إلى أن الحلفاء كانوا يتوخون مباغتة الألمان. ولم يواجه الحلفاء مقاومة شديدة من جانب الألمان في بداية الهجوم، خصوصاً وأن الأخيرين كانوا يظنون أن عملية الإنزال في تلك المنطقة ما هي إلا محاولة للتضليل من جانب الحلفاء وأنهم كانوا يستهدفون في الواقع مهاجمة مناطق أخرى.

وقد استولت قوات الحلفاء في خلال الأسبوع الأول من الهجوم على جبهة طولها (٨٠) كم ويتراوح عرضها بين (١٠) إلى (١٨) كم، وسقوط ميناء شربورج في أيدي القوات الأمريكية في ٢٦ حزيران ١٩٤٤. وبذلك أصبح للحلفاء ميناء في إمكانه أن يستقبل المزيد من الجنود والمعدات بسهولة ويسر، فيما تأخر احتلال مدينة كاين التي أنيط بها إلى البريطانيين حتى ٩ تموز ١٩٤٤. وواصل الحلفاء اندفاعهم داخل الأراضي الفرنسية حتى وصلوا في ١٧ آب إلى نهر السين وأخذوا يهددون العاصمة الفرنسية من جهتي الشمال الغربي والجنوب الشرقي.

وفي نفس اليوم الذي وصلت فيه قوات الحلفاء إلى نهر السين أعلن سكان باريس انتفاضة ضد الألمان. وأصدرت لجنة تحرير باريس أوامر تقتضي بأن يتولى سكان باريس زمام المبادرة لتحرير مدينتهم بأنفسهم. وجرى قتال في شوارع باريس بين الألمان، والمقاومة الفرنسية تكبد الأخيرين خلالها خسائر قدرت بـ(١٥٠٠) قتيل وحوالي (٣٠٠٠) جريح. وبرزت مخاوف من احتمال نجاح الألمان في قمع الانتفاضة، وتدمير باريس. وكان الجنرال (ديغول) في غضون ذلك قد حث الجنرال (لكليرك) قائد الفرقة الفرنسية الثانية على الإسراع في تقديم المساعدة إلى سكان باريس وبعد فترة قصيرة من التردد أجيب إلى طلبه. فدخل لكليرك باريس في ٢٤ آب ١٩٤٤. وفي اليوم نفسه استسلم الحاكم العسكري الألماني الجنرال (شولتنز) إلى الفرنسيين. وتمكن الحلفاء في غضون ذلك من تدمير مواضع قاذفات الصواريخ الألمانية من طراز (٧١و٧٢) التي كانت قد أصابت المناطق الجنوبية الشرقية من بريطانيا بأضرار شديدة.

ومن جانب آخر أنزل الحلفاء قوات أخرى في جنوب فرنسا في ١٥ آب ١٩٤٤ في المنطقة الواقعة بين ميناني طولون ونيس. وكانت تتألف من ثلاث فرق أمريكية. وسبع فرق فرنسية. وكان الهدف من هذه العملية القضاء على الوجود الألماني في المناطق الجنوبية من فرنسا. ومن ثم تحقيق اتصال مع قوات الحلفاء التي كانت تتقدم من الغرب. وبعد مقاومة بسيطة من قبل الألمان تمكن الحلفاء من تثبيت أقدامهم على الساحل الجنوبي من فرنسا إذا استولوا على ميناني طولون ومرسيليا في أواخر آب ١٩٤٤ واندفعوا باتجاه الشمال فاحتلوا مدينة ليون في ٢ أيلول ولم يحل منتصف الشهر نفسه حتى كان الحلفاء قد بسطوا سيطرتهم على أغلب جهات فرنسا باستثناء موانئها المطلة على المحيط الأطلسي ومنطقتي الالزاس واللورين.

الحلفاء يوسعون نطاق عملياتهم العسكرية باتجاه بلجيكا وهولندا:

واصل الحلفاء تقدمهم بعد سقوط باريس باتجاه الشمال فاستولوا على مدينة أميان. ثم اجتازوا نهر السوم، وتوغلوا في بلجيكا حيث سيطروا على العاصمة بروكسل وعلى مدينة انتورب في مطلع أيلول ١٩٤٤. وفي أواسط الشهر نفسه اجتازت وحدات بريطانية الحدود الهولندية وسيطرت على جنوب هولندا فيها استحوذ الأمريكيون على مدينة ستراسبورك، وبذلك اقترب الحلفاء من الحدود الغربية لألمانيا. وبعد محاولة فاشلة لاجتياز هذه الحدود اضطر الحلفاء إلى إيقاف عملياتهم العسكرية بصورة مؤقتة خصوصاً وأن قواتهم كانت قد ابتعدت كثيراً عن قواعد تموينها وأخذت تستعد للجولة القادمة ألا وهي اقتحام ألمانيا.

خروج فنلندا ودويلات البلطيق من قبضة الألمان:

بعد أن أنهت القوات السوفيتية هجومها الربيعي ضد القوات الألمانية في مطلع أيار عام ١٩٤٤، والذي تمكنت من خلاله من استعادة ما يزيد عن ثلاثة أرباع المناطق التي كان يحتلها الألمان، ووصلت إلى الحدود السوفيتية في جبهة تزيد على (٤٠٠) كلم، بدأت هجوماً آخر في صيف العام نفسه، استهدف فنلندا التي كانت حليفة لألمانيا، وتمكن السوفيت في هذا الهجوم من التوغل داخل فنلندا.

ومع أن الألمان حاولوا منع فنلندا من الاستسلام للاتحاد السوفيتي، حينما أرسلوا وزير جبهتهم (ريبنتروب) إلى هلنسكي في أواخر حزيران ١٩٤٤، غير أن الفنلنديين اضطروا تحت ضغط الهجوم السوفيتي، في موسكو

في أواسط أيلول ١٩٤٤ بالموافقة بموجبها على سحب قواتهم إلى الحدود السوفيتية- الفنلندية السابقة، أي حدود عام ١٩٤٠، وقاموا أيضاً بنزع سلاح القوات الألمانية في أراضيهم، وسلموا رجالها إلى السوفيت كأسرى حرب.

وكان قسم أخر من القوات السوفيتية قد قام بهجوم عبر روسيا البيضاء منذ أواخر حزيران عام ١٩٤٤، ونجح خلاله في استعادتها من الألمان، وتقدم باتجاه لتوانيا فاحتل عاصمتها كوناس في الأول من آب ١٩٤٤.

واندفع فريق آخر من القوات السوفيتية باتجاه بولندا، فوصل حدودها في ٢١ تموز ١٩٤٤. وتمكن في غضون الأيام القليلة التالية من احتلال عدد من المدن البولندية، ثم عبر نهر الفستولا، الذي لا يبعد عن العاصمة البولندية وارشو سوى عشرة أميال فقط. وحدث في هذه الأثناء أن أعلن البولنديون ثورة ضد الألمان، لكن السوفيت رفضوا تقديم العون لهم، وتجاهلوا النداء الذي وجهه إليهم كل من تشرشل وروزفلت في هذا الصدد. وقد استمرت الثورة مدة شهرين، اضطر البولنديون بعدها إلى الاستسلام للألمان. وقد برر السوفيت إحجامهم عن تقديم العون إلى البولنديين بحجة أن الأخيرين لم يحسنوا توقيت الثورة، وادعوا بأن الجيش السوفيتي لم يكن وقتذاك في وضع يمكنه من مد يد المساعدة إلى البولنديين وهناك رأي يقول بأن ستالين الذي كان يمسك آنذاك بمقاليد السلطة في الاتحاد السوفيتي، تقاعس عن نجدة البولنديين لتمكين الألمان من القضاء على ذلك الجناح من الحركة الوطنية الذي لم يكن على علاقات جيدة مع السوفيت.

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات بين ستالين وحكومة المنفى البولندية التي كانت تتخذ من لندن مقراً لها كانت سيئة للغاية. فلم تكن الأخيرة تعترف

باتفاقية عام ١٩٣٩ الموقعة بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا والتي حصل فيها الأول على أراض واسعة في بولندا.

وعلى أية حال، فقد انعقد مجلس وطني في بولندا في مدينة لوبلين في ٣١ كانون الأول ١٩٤٤، وقرر تحويل اللجنة البولندية للتحرير الوطني إلى حكومة مؤقتة واعترف الاتحاد السوفيتي بها في كانون الثاني ١٩٤٥ ودخل السوفيت في الوقت نفسه مدينة وارشو.

أما في منطقة البلطيق فقد شن السوفيت هجوماً جديداً عليها في أيلول عام ١٩٤٤ أكملوا خلاله سيطرتهم على منطقة البلطيق إذ استولوا على استونيا ومعظم لا تفيا ما فيها مدينة ريجا واجبروا الألمان على التراجع نحو البحر بين توكومز وليبباجا.

جلاء الألمان عن البلقان:

بدأ السوفيت عملياتهم العسكرية في منطقة البلقان في آب عام ١٩٤٤، إذ اكرهوا القوات الألمانية على الارتداد إلى ما وراء نهر الدنيستر، وحدث في هذه الأثناء أن أطاح انقلاب عسكري بالحكومة الرومانية الموالية لهتلر في ٢٣ آب. وتأسست حكومة جديدة، أعلنت الحرب ضد ألمانيا، وقد دخلت القوات السوفيتية العاصمة الرومانية بخارست في ٣١ آب ١٩٤٤ على ألمانيا وهنغاريا وعبأت ضدهما جيشاً قوامه نصف مليون رجل. ظل هذا الجيش يقاتل زهاء ثمانية اشهر في يوغسلافيا وهنغاريا والنمسا حتى وصل إلى سفوح جبال الألب النمساوية.

وبعد أن أتمت القوات السوفيتية احتلال رومانيا وبلغاريا، شرعت في مهاجمة هنغاريا التي كانت حليفة لألمانيا ففرضت الحصار على العاصمة بودابست في ٢٦ كانون الأول ١٩٤٤ وباءت المحاولات الألمانية لفكه بالفشل.

وكانت قد تشكلت في هذه الأثناء حكومة مؤقتة في هنغاريا وأعلنت في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٤ الحرب على ألمانيا.

أما بالنسبة إلى يوغسلافيا فعلى الرغم من أن حركة المقاومة الوطنية فيها كانت قوية، إلا أن ثلاثة أرباع مساحة يوغسلافيا كانت لا تزال في قبضة الألمان. وقد طلبت القوات السوفيتية من حركة المقاومة الوطنية السماح لها بدخول يوغسلافيا لمحاربة القوات الألمانية فيها. وقد استجابت الأخيرة لهذا الطلب وعليه اندفعت القوات السوفيتية عبر جبال الصرب الشرقية، ووصلت إلى وادي موراخا في ٩ تشرين الأول ١٩٤٤، وبعد خمسة أيام شرعت القوات السوفيتية في مهاجمة (بلغراد) بالتعاون مع حركة المقاومة الوطنية في يوغوسلافيا التي كان يتزعمها (تيتو). وتمكنت تلك القوات من تحرير (بلغراد) وكافة الأراضي اليوغسلافية من قبضة الألمان.

كذلك اضطرت القوات الألمانية التي كانت تحتل اليونان إلى التراجع بسرعة نحو الشمال بهدف الالتحاق بتلك القوات التي كانت تتولى مقاومة القوات السوفيتية في هنغاريا. وجدير بالذكر أن البريطانيين كانوا قد انزلوا قواتهم في جنوب اليونان في مطلع تشرين الأول عام ١٩٤٤، بناء على دعوة تلقتها من الملكين اليونانيين. ولم يجابهوا مقاومة تذكر. وحدث نفس الشيء في ألبانيا إذ انسحب الألمان منها وأتم الألبان تحرير بلادهم في أواخر تشرين الثاني عام ١٩٤٤.

وهكذا اضطر الألمان إلى الجلاء عن البلقان بأسرها في حوالي نهاية عام ١٩٤٤، بل أنهم أرغموا بعد أن حاقت بهم الهزائم في مختلف الجبهات وكمد

أشرنا إلى ذلك فيما سبق – إلى الارتداد إلى داخل حدود ألمانيا وبذلــك دخلـت الحرب العالمية الثانية طورها الأخير.

سقوط ألمانيا بيد الحلفاء:

تركت الحرب العالمية الثانية آثاراً سيئة على ألمانيـــا، وكـانت تـزداد خطورة كلما طال أمد الحرب وكان من بين تلك الآثار خســارة ألمانيـــا لإعـــداد كبيرة جداً من رجالها وعتادها، وتدنى الإنتاج الصناعي فيـــها بفعــل الغـارات الجوية الكثيفة التي كان الحلفاء يشنونها على المصانع الألمانية. وشجعت سلســلة الهزائم التي تعرضت إليها ألمانيا على بروز معارضة شديدة داخل ألمانيـــا ضـــد هتلر باعتباره المسؤول عن الحالة المزرية التي وصلت إليها ألمانيا. وتجســـدت تلك المعارضة في قيام محاولات عديدة لاغتيال هتلر، أبرزهـــا المحاولـــة التـــي جرت في ٢٠ تموز ١٩٤٤، والتي باءت بالفشل، وكانت سبباً في حدوث موجـــة التصفيات شملت عدداً كبيراً من خصوم هتلر البارزين مثـــل المارشـــال رومـــل الذي أجبره هتلر على تناول السم.

وجدير بالذكر أن زعماء الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد الســـوفيتي كانوا منذ انعقاد مؤتمر طهران في تشرين الثاني ١٩٤٣ منـــهمكين فـــي إعـــداد خطط لاحتلال ألمانيا وتقسيمها فيما بينهم، واتفقوا أخيراً في مؤتمر يالطا الـــذي انعقد في شبه جزيرة القرم في ٤ شباط ١٩٤٥، على خطة العمليات العســـكرية المقبلة ضد ألمانيا، واتخذوا قراراً يقضي بأن يتم احتلال ألمانيا بصورة مشـــتركة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا. علـــى أن تعطـــى كـــل واحدة من تلك الدول منطقة احتلال خاصة بها. وأن تدعـــى فرنســـا فيمـــا بعـــد للأشراف على منطقة احتلال رابعة.

وقد شن الحلفاء هجوماً شاملاً على امتداد الجبهة الغربية في ٨ شباط عام ١٩٤٥. وافلحوا في نهاية الشهر نفسه في اجتياز خطوط التحصينات الألمانية المعروفة بخط (سيجفريد). وفي الأسبوع الثالث من آذار عبروا نهر الراين بسهولة كبيرة بالنظر إلى أن الألمان لم يقوموا بنسف الجسور القائمة عليه. وقد تسبب هذا في عزلة القوات الألمانية في هولندا، وفي ٢٥ آذار قضت قوات الحلفاء على كل مقاومة من جانب الألمان غرب نهر الراين.

وتوزعت قوات الحلفاء بعد اجتياز نهر الراين على ثلاثة ارتال، فزحف (مونتغمري) على رأس رتل يتألف من قوات كندية وبريطانية وأمريكية صوب برلين عبر المناطق الشمالية من ألمانيا، فيما توغل رتل ثانٍ بقيادة (برادلي) وكان يضم ثلاثة جيوش أمريكية باتجاه المناطق الوسطى من ألمانيا، أما الرتل الثالث الذي كان يقوده (ديفر) وقد تألف من قوات أمريكية وفرنسية فقد أنيط به التقدم في المناطق الجنوبية من ألمانيا.

وأحرزت تلك القوات نجاحاً كبيراً فقد تقدمت قوات (مونتغمري) إلى مسافة (١٦٠) كم شمالاً وشرقاً في غضون (١١) يوماً، وبذلك أفلحت في تطويق إقليم (الرور) الغني بالمصانع الكبيرة ومناجم الفحم والحديد وانتهت مقاومة الألمان فيه في ١٨ نيسان ١٩٤٥، وفي الجنوب سقطت مدن السار الواحدة تلو الأخرى في أيدي القوات الأمريكية والفرنسية.

وأخذت قوات الحلفاء تتوغل داخل ألمانيا، وتضيق الخنادق على القوات الألمانية وكانت طائراتهم في الوقت نفسه تشن غارات عنيفة على المدن الألمانية وتنشر الخراب فيها. وأخذت مقاومة الألمان تنهار في حين بدأت المدن الألمانية تستسلم للحلفاء.

وكان السوفيت من جانبهم قد بدؤوا في الفترة من ١٢ إلى ١٧ كانون الثاني ١٩٤٥ هجوماً عاماً بهدف تحرير غرب بولندا وبروسيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا النمسا والوصول إلى نهر (الاودر) تمهيداً لتوجيه الضربة الأخيرة إلى (برلين) وإنهاء الحرب.

وفي أول شباط ١٩٤٥ وصلت جيوش (جبهة روسيا البيضاء الأولى) إلى نهر الاودر، بعد أن قطعت نحو (٥٠٠) كم خلال أسبوعين ونجحت في احتلال رأس جسر على الضفة الغربية للنهر عند مدينة (كوسترين) وقد تعرضت القوة التي تمركزت في رأس الجسر لهجمات معاكسة ألمانية قوية ولكنها نجحت في صدها جميعاً.

وهكذا وصلت جيوش المارشال (جوكوف) إلى نقطة تبعد نحو (٧٠) كم فقط عن (برلين) ولكنها اضطرت إلى التوقف فترة من الوقت نظراً لتأخر جيوش (جبهة روسيا البيضاء الثانية) بقيادة المارشال (روكوسوفسكي) في تصفية الجيوش الألمانية الموجودة في بروسيا الشرقية والبالغ عددها نحو (٥٥٦) ألف جندي. والتي كانت تهدد جيوش (جوكوف) بضربة مضادة خطيرة على جناحها الشمالي في حالة مواصلة زحفها السريع نحو برلين. هذا فضلاً عن حاجة هذه الجيوش إلى إعادة تنظيم خطوط مواصلاتها وسبل إمدادها بحاجاتها من الوقود والذخيرة. وتعويض خسائرها من الرجال والعتاد (كان متوسط عدد فرقة المشاة في جيوش هذه الجبهة قد انخفض إلى نحو (٥,٥٠٠ جندي وبلغت جملة الدبابات الصالحة للقتال في الجيشين المدرعين التابعين لها (٧٤٠) دبابة فقط وذلك في ١ شباط ١٩٤٥).

وفي ٢٤ شباط ١٩٤٥ وصلت جيوش (جبهة أوكرانيا الأولى) بقيادة المارشال (كونييف) التي تمثل الجناح الجنوبي لقوات (جبهة روسيا البيضاء الأولى) (جوكوف) إلى النهر (نايسه) الذي يمثل شبه امتداد للاودر جنوباً، ولكنها لم تستطع أن تعبر النهر إلى ضفته الغربية من الحركة، كما فعلت قوات (جوكوف) عند (كوسترين) واضطرت إلى التوقف لإعادة التنظيم على الضفة الشرقية للنهر المذكور.

ونظراً لعدم احتفاظ القيادة السوفيتية العليا في هذه المرحلة الأخيرة من الحرب بأي احتياط استراتيجي، فقد اضطر (جوكوف) أن يوجه (٦) جيوش من جيوش جبهته العشرة إلى الشمال بصفة مؤقتة لحماية جناحه الأيمن والمشاركة في تصفية الجيوش الألمانية الموجودة في بروسيا الشرقية. وهكذا لم يكن هناك سوى الجيش الخامس فقط الذي دافع عن رأس جسر (كوسترين) بصلابة وتعرض لخسائر فادحة نتيجة لغارات الطيران الألماني خلال يومي ٢و٣ شباط التي بلغت (٥٠٠٨) طلقة طيران.

وقد تم خلال شهر آذار تطهير بروسيا الشرقية بواسطة جيوش جبهتي (روسيا البيضاء) الأولى والثانية، وتمركزت القوات السوفيتية على خط الاودر- نايسه من بحر البلطيق شمالاً حتى سيليزيا جنوباً قرب حدود تشيكوسلوفاكيا بالترتيب التالي- جبهة روسيا البيضاء الثانية في الشمال جبهة روسيا الأولى في الوسط تجاه (برلين) - جبهة أوكرانيا الأولى في الجنوب وفي هذه الأثناء كانت الاستعدادات الألمانية للدفاع عن برلين جارية على قدم وساق، وسحبت قوات كبيرة من الجبهة الغربية عند نهر الراين لتعزيز القوات المدافعة عن (برلين) التي لم تكن القيادة الألمانية تريدها أن تسقط في أيدي الجيش السوفيتي ولا يعنيها أن تصل إليها القوات الأمريكية والبريطانية من الغرب بل كانت تفضل ذلك في

واقع الآمر ونتيجة لذلك تم حشد (٤) جيوش ألمانية في اتجاه برلين تتـــألف مــن (٩٠) فرقة (من بينها ١٤ فرقة مدرعة وميكانيكية) مجمـــوع جنودهـــا حوالـــي مليون جندي، بالإضافة لنحو (٢٠٠) ألف من متطوعي المقاومة الشعبية داخـــل برلين نفسها. وكان الألمان مسلحين بحوالي (١٠٠٠) مدفـــع وهـــاون و(١٥٠٠) دبابة وقانص دبابات. وتدعمهم حوالي (٣٣٠٠) طائرة حربية. وقد حشد الجيـــش التاسع، الذي يمثل أقوى الجيوش الألمانية المدافعة عن برلين، في خط دفـــاعي أمامي متعدد النطاقات عند نهر الادور ومرتفعات (زيلوف) الواقعة علـــى بعـــد (١٠-١٢كم) من النهر، والتي كانت تسد الطريق إلـــى برليـــن وتشـــرف علـــى الأرض السهلية المحيطة لها.

وكان النطاق الرئيسي من الدفاعات يتألف من خمســـة خنـــادق متصلـــة متوازية، وفيما بين (الاودر) و(برلين) أقيم جهاز دفاعي متكامل ومتصـــل حتـــى مشارف المدينة نفسها. حيث أقيمت ثلاثة خطوط دفاعية تشمل منطقة الحواجـــز الخارجية ثم الطوق الدفاعي الخارجي ثم الطوق الدفاعي الداخلي. وحولت أحيـــاء المدينة إلى حصون تربطها شبكات إنفاق المتر وتحت الأرض ووسائل الاتصـــال. وقسمت إلى (٨) قطاعات دفاعية بالإضافة للقطاع المركزي. وحصن كثير مـــن المباني ودربت كتائب المقاومة الشعبية تدريباً خاصاً تضمن تشكيل مفارز مسلحة بقواذف (بانزرفوست) المضادة للدبابات وكانت مهمتها أن تربـــض فـــي حفـــر خاصة لقنص الدبابات السوفيتية. كما حشدت كتائب وأفواج من الحرس النـــازي للدفاع عن القطاع المركزي من المدينة الـــذي توجـــد بـــه الـــوزارات ومبنـــى (الرايخستاغ) (البرلمان الألماني) ومكتب المستشارية الذي به مقر (هتلر) (المقـــام في ملجأ خاص تحت الأرض) أما المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تحيـــط بالمدينة للتصدي للغارات الجوية طوال سنوات الحرب، وكانت تضم أكـــثر مـــن

(٦٠٠) مدفع. فقد كلفت بمهمات للدفاع ضد الدبابات والمشاة، كما وزعت الدبابات الموجودة قيد الإصلاح داخل حفر عند تقاطعات الطرق وجسور السكك الحديدية لاستخدامها كمدفعية ثابتة وشكلت في شمال شرقي المدينة مجموعة الجيش (شتاينر) تعززها وحدات من مشاة البحرية وذلك لتسدد من هناك ضربة مضادة على جناح قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى الزاحفة.

وفي مقابل هذه القوات والدفاعات كانت قوات (جبهة روسيا البيضاء الأولى) التي ستقوم بالهجوم الرئيسي تجاه (برلين) بقيادة (جوكوف) والتي تتألف من جيوش الأسلحة المشتركة (٣،٥،٨،٣٣،٤٧،٦١،٦٩، ٣ الضارب) وكمن الجيشين المدرعين ١و٢ حرس، وكانت تضم حرس، وكانت تضم (٣١٥٥) دبابة ومدفع ذاتي الحركة و(١٦٩٣٤) مدفع ميدان وهاوتزر. وبلغ حجم قوات الجبهات الثلاث روسيا البيضاء الأولى والثانية وأوكرانيا الأولى نحو (٢,٥) مليون جندي، تدعمهم حوالي (٦٢٥٠) دبابة و(٧٥٠٠) طائرة، فضلاً عن نحو (٤١٦٠٠) مدفع وهاون و(٣٢٥٥) قاذف صواريخ كاتيوشا متعدد السبطانات.

وفي تمام الساعة الخامسة من صباح يوم ١٦ نيسان ١٩٤٥ بدأ هجوم قوات (جوكوف) الرئيسي على قطاع ضيق نسبياً من الجبهة لا يزيد عرضه عن (٢٨) كم باتجاه (برلين) من الشرق والشمال الشرقي. وقامت المدفعية والهاونات التي بلغت كثافة حشدها (٢٧٠) سبطانة على كل كيلومتر، برمي تمهيدي شديد استمر نصف ساعة وتلى ذلك تسليط أضواء (١٤٠) مصباح كشاف (حشدت بواقع مصباح كل ٢٠٠ متر) على المواقع الألمانية لكشفها أمام المهاجمين.

وانطلق جنود المشاة ومعهم الدبابات (التابعة لجيوش الأسلحة المشتركة) نحو الخط الدفاعي الألماني الأول، يتقدمهم سد ناري زاحف مزدوج قامت به المدفعية بعد الانتهاء من الرمي التمهيدي. وقامت القاذفات بقصف الأهداف في العمق الدفاعي. وبعد شروق شمس ساهمت القانفات المقاتلة (طائرات الهجوم الأرضي) بتقديم الدعم القريب للقوات المهاجمة وقد تم تنفيذ (٦٥٥٠) طلعة طيران خلال اليوم الأول من الهجوم. كما استهلكت المدفعية في اليوم الأول أيضاً نحو مليون و ٢٣٦ ألف قذيفة، تزن (٩٨) ألف طن من الفولاذ، ولهذا دمرت الدفاعات الألمانية حتى عمق (٨) كم وأبطلت فاعلية العديد من المواقع الدفاعية حتى عمق (١٠-١٢)كم.

وسار الهجوم بنجاح حتى بلغ سفوح مرتفعات (زيلوف) الحادة حيث توقف الزحف نظراً لأن الدفاعات هناك كانت لا تزال سليمة وقوية مما اضطر (جوكوف) إلى دفع جيشيه المدرعين في حوالي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، في محاولة لاختراق المرتفعات. ولكن قوة الدفاعات وعدم وجود مجال كاف للمناورة بالدبابات، حالا دون تحقيق ذلك الخرق في اليوم نفسه، ولم يتم الاستيلاء على هذه المرتفعات إلا صباح يوم ١٨ نيسان. ولتسهيل مهمة قوات (جوكوف) التي واجهت مقاومة عنيفة، أصدر (ستالين) إلى (كونييف) أمراً بتوجيه جزء من قوات الجبهة الأوكرانية الأولى، التي بدأت هجومها خلال نهار يوم ١٦ أيضاً، في اتجاه (برلين) من الجنوب لاجتذاب بعض القوات الألمانية إلى هناك. ونظراً لان جيوشه المدرعة كانت تتمتع بحرية أكبر بسبب ضعف المقاومة النسبي. ومنذ صباح يوم ١٩ نيسان وجه (كونييف) جيشيه المدرعين نحو (تسوسين) و(لوكنيغالده) و(بوتسدام) وبدأت سرعة زحف قوات (كونييف)

تتباطأ لدى اقترابها من (تسوسين) خاصة وأن طبيعة الأرض التي تنتشر فيها المستنقعات ساعدت على ذلك.

وفي ٢٠ نيسان بدأت مدفعية الجيش الثالث الضارب (التابع لمجموعة جيوش جوكوف) قصف مدينة (برلين) ذاتها، وفي اليوم التالي شقت قوات هذا الجيش. والجيش المدرع الثاني والجيش الخامس الضارب، والجيش ٤٧ من جهة الشمال الشرقي على ضواحي المدينة. وفي ٢٥ نيسان التقى جزء من هذه القوات (فرقة مشاة من الجيش ٤٧ ولواء مدرع من الجيش الثاني المدرع) مع الفيلق السادس الميكانيكي من الجيش الرابع المدرع التابع للجبهة الأوكرانية الأولى (كونييف) عند بلدة (كيتسين) الواقعة إلى الغرب من (برلين) كما التقت في اليوم نفسه وحدات أخرى من قوات (جوكوف) بوحدات من قوات (كونييف) عند (توبيليستين) إلى الجنوب الشرقي من (برلين). وهكذا تم تطويق القوات الألمانية داخل جيبين منعزلين، واحد داخل (برلين) والآخر إلى الجنوب الشرقي منها بين (فرانكفورت) و(زوسن) يضم جزءاً من الجيش التاسع وجيش البانزر الرابع.

وأخذت المعركة داخل برلين نفسها تتطور بسرعة بعد ذلك، أخذ كل جيش سوفيتي مشترك في اقتحام المدينة أن يهاجم المنطقة أو القطاع المحدد له فيها وفقاً للخطة الموضوعة تفصيلاً قبل ذلك وذلك بواسطة هجمات من المشاة، والدبابات مستمرة ليل ونهار وبدون توقف (كان النسق الأول يهاجم نهاراً والنسق الثاني يهاجم ليلاً) ملتفة حول بؤر المقاومة القوية عازلة إياها عن بعضها البعض وذلك بعد التمهيد بنيران المدفعية، التي استخدم منها في قصف المدينة نحو (١١) ألف مدفع قامت برمي حوالي مليون و٨٠٠ ألف قذيفة خلال الفترة من ٢١ نيسان حتى ٢ أيار. كما اشتركت في قصف المواقع والمباني

المحصنة بالمدينة مدافع ثقيلة محمولة على عربات سكة حديد كانت تطلق قذائف زنة الواحدة منها نصف طن. وشاركت القاذفات وطائرات الهجوم الأراضي أيضاً في قصف هذه الأهداف.

وكانت المقاومة تشتد لما زاد اقتراب القوات السوفيتية من القطاع المركزي بالمدينة الذي يلتف حوله نهر (شبربيه) ذي الضفاف العالية المكسوة بالأسمنت. وكانت تدافع عن كل بناء حكومي رئيسي هناك حامية لا تقل عن كتيبة من جنود الحرس النازي. وزاد من شدة المقاومة أن هذه الكتائب كانت تتحصن في ملاجئ مضادة لقنابل الغارات الجوية ومبان ذات جدران سميكة وأبراج مرتبطة فيما بينها بإنفاق تحت الأرض. ولذا كانت الوحدات الألمانية تنتقل من حي إلى آخر بواسطة هذه الأنفاق وتهاجم القوات السوفيتية من المؤخرة. وقد كانت هذه معارك الشوارع في جوهرها معارك تطهير أخيرة.

وفي الوقت نفسه كانت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى، وقوات جبهة روسيا البيضاء الثانية (التي بدأت الهجوم في ٢٣ نيسان) تحطمان القوات الألمانية شمال المدينة وجنوبها وتتقدمان بسرعة صوب نهر الألب للالتقاء بقوات الحلفاء القريبين هناك، كما هو متفق عليه من قبل في مؤتمر الأقطاب الذي عقد في (يالطا).

ودارت أعنف معارك الشوارع في المدينة خلال يومي ٢٩و٣٠ نيسان حينما احتلت القوات السوفيتية مبنى البلدية في اليوم الأول ثم مبنى (الرايخستاغ) في اليوم الثاني والذي كان يدافع عنه وحوله نحو (٦٠٠٠) جندي من الحرس النازي مزودين بالدبابات وقانصات الدبابات والعديد من قطع المدفعية. وقد استولت على هذا المبنى فرقة المشاة (١٥٠) التابعة للجيش الثالث

الضارب يدعمها اللواء (٢٣) المدرع. وتمت السيطرة على مبنى (الرايخستاغ) في حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥. وفي الساعة الثالثة وخمسين دقيقة من اليوم التالي (١ أيار ١٩٤٥) اتصل رئيس أركان القوات البرية الألمانية الجنرال (كريبس) بقيادة الجيش الخامس الضارب، وقدم لها رسالة من (غوبلز) تتضمن أن (هتلر) انتحر في اليوم السابق وسلم السلطة إليه والى (بورمان) والأميرال (دونيتز) وأنه استناداً إلى هذا يطلب عقد هدنة حتى تتاح للحكومة الألمانية الجديدة أن تجتمع لتجري مفاوضات إنهاء الحرب. ورفض (ستالين) قبول مثل هذه الهدنة المتعارضة مع مبدأ التسليم بدون قيد ولا شرط المتفق عليه مع الحلفاء بالنسبة لألمانيا واليابان.

وقد رفض (غوبلز) قبول ذلك الشرط لإنهاء القتال، فاستأنف الجيش السوفيتي هجومه في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم أول أيار، وفي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢ أيار استسلم الجنرال (فايدلينغ) قائد حامية برلين وأصدر أوامره لقواته بإلقاء السلاح وكان (غوبلز) قد انتحر هو وزوجته. وتم استسلام كافة القوات في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه. وبلغ عدد الجنود الذين استسلموا اكثر من (٧٠) ألفاً عدا الجرحى والجنود الذين اختفوا وفروا بملابس مدنية. وفي ١٨ أيار ١٩٤٥ وقع المارشال (كيتك) والاميرال (فريدبيروغ) والفريق الجوي (شتوميف) وثيقة استسلام ألمانيا بدون قيد أو شرط في قاعة مبنى كلية الهندسة العسكرية بالقسم الشرقي من برلين بحضور ممثلي جيوش الحلفاء المارشال (جوكوف) عن الاتحاد السوفيتي والجنرال (سباتس) قائد القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية ومارشال جو البريطاني (تيدر) والجنرال (دولاتردوتاسيني) القائد العام للجيش الفرنسي. وهكذا انتهت الحرب العالمية الثانية في أوروبا.

الحلفاء يهاجمون المستعمرات اليابانية في المحيط الهادي وجنوب شرق أسيا:

على أثر الانتصار الذي حققه الحلفاء على ألمانيا وإيطاليا في شمال إفريقيا في مطلع أيار عام ١٩٤٣. خف تشرشل إلى لقاء روزفلت في واشنطن في الشهر التالي. وقد تمخض اللقاء عن الوصول إلى عدة قرارات كان من بينها إعطاء الأسبقية للعمليات العسكرية في أوروبا وذلك على الرغم من أن الأوساط العسكرية في الولايات كانت تدعو إلى إعطاء الأفضلية للعمليات العسكرية في المحيط الهادي.

وهكذا انصرفت جهود الحلفاء في بداية الأمر لمحاربة ألمانيا وإيطاليا. وبعد أن تمكنوا من هزيمتها تحولوا إلى محاربة اليابان. وكانت الأخيرة -وكما أشرنا إلى ذلك من قبل- قد فرضت سيطرتها على مناطق واسعة في جنوب شرق أسيا والمحيط الهادي ووصلت إلى أقصى اتساع لها في أواخر علم ١٩٤٢. وقد بدأ الحلفاء عملياتهم العسكرية ضد اليابان منذ عام ١٩٤٣، واستهدفت هذه العمليات انتزاع تلك المناطق التي سيطرت عليها اليابان بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

فقد قامت القوات البريطانية بشن غارات متواصلة على القوات اليابانية في بورما، استهدفت بشكل خاص طرق مواصلاتها فيها، وتمكنت القوات البريطانية في أوائل عام ١٩٤٥ من فتح الطريق الذي يربط الهند بالصين عبر بورما، واستولت على العاصمة البورمية (رانجون) في أيار ١٩٤٥، وأخذ الحلفاء بعد ذلك يستعدون لإنزال قواتهم في الملايو لكن اليابانيين كانوا قد القوا بأسلحتهم قبل أن يتم تنفيذ ذلك.

ومن جانب أخر، بدأت قوات الحفاء عملياتها العسكرية في المحيط الهادي منذ النصف الثاني من عام ١٩٤٣، فبدأت باحتلال مجموعات الجزر الصغيرة فيه مثل جزيرة (جلبرت) التي تم احتلالها في تشرين الثاني ١٩٤٣. وجزر (مارشال) وجزر (الادميرالتي) اللتين احتلتا في مطلع عام ١٩٤٤. وفي منتصف حزيران من العام نفسه استولى الأمريكيون على جزيرة (سيبان) وهي إحدى جزر ماريانا، التي لم تكن تبعد عن طوكيو سوى (١٣٥٠) ميلاً، وقد احتلت هذه الجزيرة أهمية كبيرة بنظر الأمريكيين إذ بإمكانهم أن يستخدموها في قصف طوكيو. وفي تهديد المواصلات بين اليابان وبين ما تبقى لها من مواضع في المحيط الهادي. وكان لخسارة اليابان لتلك الجزيرة وقع شديد عليها إلى حد أن البحرية اليابانية أخفت أنباء تلك المعركة حتى على كبار المسؤولين في وزارة الخارجية اليابانية. وجدير بالذكر أن قائد الأسطول الياباني كان قد بعث برسالة إلى الأسطول الياباني الذي كان يتولى الدفاع عن الجزيرة قبل بدء المعركة قال فيها (أن مصير الإمبراطورية سيتوقف على هذه المعركة).

وفي تشرين الأول عام ١٩٤٤ خاض الأمريكيون معركة بحرية مهمة أخرى لاستعادة مستعمرتهم القديمة وهي (الفليبين)، فدخلوا عاصمتها (مانيلا) في مطلع شباط من العام التالي، ولو أنهم لم يتمكنوا من احتلال الفليبين بأكملها حتى أوائل تموز ١٩٤٥. وفي هذه الآونة أخذت القوات البريطانية تشن هجمات على إندونيسيا بالتعاون مع القوات الأمريكية.

وبدأت الطائرات الأمريكية بشن غارات على المدن اليابانية منذ خريف عام ١٩٤٤، وبذلك من قواعدها الجديدة في جزر ماريانا، وازدادت كثافة تلك الغارات في العام التالي. وبلغ عدد المدن اليابانية التي تعرضت إلى القصف الجوي (٦٦) مدينة وقدرت زنة القنابل التي أسقطت عليها بحوالي مائة ألف

طن. وواصل الأمريكيون تقدمهم باتجاه الجزر اليابانية فاستولوا على جزيرة (ايوجيما) الواقعة جنوب شرق اليابان في آذار عام ١٩٤٥.

وقامت الولايات المتحدة بتنفيذ أكبر عملية برمائية نفذت في ذلك الحين في المحيط الهادي في معركة (أوكيناوا) حيث اشترك فيها حوالي (١٨٠) ألف جندي أمريكي نظموا في الجيش العاشر بقيادة الجنرال (سيمون بوكنز) وضم الفيلق الرابع والعشرين والفيلق البرمائي البحري الثالث. ونفذ العمليات البحرية الأسطول الخامس الأمريكي بقيادة الفريق الأول البحري (سبراونس) وقسمت القوة البحرية بين العمليات البرمائية ومجموعة الناقلات السريعة وانضمت إلى هذه المجموعة قوة من ناقلات بريطانية بقيادة الفريق الأول البحري (رولينغر) وكانت الدفاعات اليابانية في جزيرة (اوكيناوا) تتألف من (١٣٠) ألف رجل في الجيش الثاني والثلاثين بقيادة الجنرال (متسورو أوشجيما).

بدأت العمليات الجوية التمهيدية في ١٤ آذار ١٩٤٥ وشنت على الناقلات المهاجمات غارات جوية انتحارية واسعة واشتد قصف اوكيناوا في ٢٣ آذار، ثم حدث أول إنزال للقوات في ١ نيسان واشتركت فيه (١٣٠) سفينة وكان ذلك في الساحل الجنوبي الغربي. واتجه مشاة البحرية الأمريكية شمالاً في حين هاجم الفيلق الرابع والعشرون باتجاه الجنوب وأحرز مشاة البحرية تقدماً كبيراً ووصلوا منتصف الجزيرة بحلول ٤ نيسان وإن واجه الفيلق الرابع والعشرون مقاومة متزايدة لاسيما عند خط ماشيناتو الدفاعي.

وفي ٦ نيسان قامت البحرية اليابانية بمحاولة انتحارية لتدمير القوة البرمائية مقابل اوكيناوا. وهجم زهاء (٣٤٠) طياراً انتحارياً في ٧ نيسان وأغرقت مدمرتان أمريكيتان و(٢٨) سفينة أخرى لكن حاملة الطائرات

اليابانيــة (يامانو) أغرقت زهاء أربعة آلاف بحار ياباني. ثــم شـنت غــارات انتحارية أخرى في ١٢ –١٣ نيسان وبلغ مجموع الغارات أكثر من ثلاثــة آلاف بيد أن القوات البرمائية الأمريكية بقيت. وبحلول ١٩ نيسان كان مشاة البحرية قـد طهروا ثلثي اوكيناوا الشمالي وان بقيت مهمة طرد القوات اليابانية من دفاعاتــها في الجنوب، واخترق خط ماشيناتو في ٢٤ نيسان وصد هجوم مضــاد وعنيـف ياباني في ٣ – ٤ أيار وشن (بوكنر) هجوماً لتطويق القوات اليابانيــة فــي ١١ نيسان استمر طوال بقية أيار. ولم تسحق المقاومــة اليابانيــة نـهائياً حتـى ٢٢ حزيران ١٩٤٥. وقد انتحر القائد الياباني. ويرجح أن مجموع القتلــى اليابــانيين بلغ أكثر من (١٣٠) ألفاً. وكانت الخسائر الأمريكية (١٣) ألف ٥ قتيــل و(٣٧) ألف جريح. وكانت معركة (أوكيناوا) أخر عملية عسكرية بحريــة قــامت بــها القوات الأمريكية في المحيط الهادي.

وكان موقف اليابان قد ازداد حراجة بعد استسلام حليفتها ألمانيا في أوائل أيار عام ١٩٤٥، وعلى الرغم من أن اليابان استطاعت حتى في هــذه المرحلــة المتأخرة من الحرب من إنزال خسائر فادحة في قوات الحلفاء لكنها يئسـت مـن إحراز نصر عليها.

ومن جانب آخر، عقد زعماء الولايات المتحــدة وبريطانيــا والاتحــاد والسوفيتي مؤتمراً في بوتسدام في تموز عام ١٩٤٥، وأصدروا في نهايته إنـذاراً إلى اليابان طلبوا منها أن تستسلم على الفورودون قيد أو شرط. ومــن الجديــر بالذكر أن اليابان كانت قد طلبت في هذه الأثناء من الحكومة السويدية أن تتوسط لها في وضع شروط الاستسلام. لكنت الولايات المتحدة لم تبــد حماسـة لـهذه الخطوة وعلى الرغم من أن المطالب التي قدمها الحلفاء إلى اليابان كانت تنطـوي على قدر من الإجحاف، إلا أن اليابان لم ترفضها كلياً. وقد جاء رد اليابان عليـها

خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده (سوزوكي) رئيس الوزارة اليابانيــة فــي ٣٠ تموز والذي تحدث فيه باللغة اليابانية. وقد أسيء تفسير تصريحات (ســوزوكي). فاعتقد الأمريكيون بأنها لم تقتصر على رفض مطالب الحلفاء، بــل الاســتخفاف بها. ولم يمض وقت طويل حتى قرر الأمريكيون استخدام السلاح الــذري ضــد اليابان.

الأمريكيون يقصفون هيروشيما ونغازاكي بالقنابل الذرية:

تضاربت الآراء حول الأسباب التي دفعت الولايات المتحــدة الأمريكيــة إلى استخدام السلاح الذري ضد اليابان. فهناك رأي يقول بان الرئيس الأمريكــي ترومان هو الذي أمر باستخدام السلاح الذري ضد اليابان لكي يضع نهاية سريعة للحرب معها. لاسيما وأنه كان يعتقد بأنها، أي الحرب، ســوف تســتغرق وقتــاً طويلاً. وستكلف الأمريكيين خسائر باهظــة ماديــاً وبشــرياً. وكــانت الدوائــر العسكرية الأمريكية قد قدرت بأن اليابان سوف تصمد حتى عام ١٩٤٨.

وتحسن الإشارة في هذا الصدد إلى أن الماكنة الحربية اليابانية لم يكن قـد أصيبت حتى هذا الحين بأضرار بليغة. إذ كانت القوات البرية اليابانية لا تــزال تحتفظ بقواها، كما كان لليابانيين قوات ضخمة، وعلى أتم استعداد في منشــوريا، وعلاوة على ذلك، لم تتعرض الصناعات اليابانية إلى أذى شديد نظــراً إلــى أن اليابانيين كانوا قد نقلوا كثيراً من مصانعهم إلى منشــوريا وكوريــا تفاديــاً مــن تعرضها إلى الغارات الجوية، وكذلك سجل إنتاج الفحم والحديــد فــي منشــوريا ارتفاعاً كبيراً خلال فترة الحرب.

وقد عزا آخرون سبب استخدام الولايات المتحدة السلاح الذري ضد اليابان إلى رغبة الأولى في إنهاء الحرب بصورة سريعة وسد الطريق أمام أي تدخل سوفيتي فيها قد يؤدي إلى استيلاء السوفيت على اليابان.

وفي حوالي الساعة الثامنة (حسب التوقيت المحلي لليابان) من صباح يوم ٦ آب عام ١٩٤٥، أسقطت طائرة أمريكية من طراز (B2q) وكانت قد انطلقت من تنيان، على مسافة غير بعيدة عن جزيرة كوام، قنبلة ذرية على هيروشيما. وقد ألحقت القنبلة خسائر بشرية ومادية كبيرة. إذ لقي ما يقارب (٨٤) ألف شخص حتفهم، فيما قدر عدد الجرحى بحوالي (١٢٠) ألف نسمة وبات (٢٠٠) ألف نسمة بدون مأوى، وكانت المصادر اليابانية قد قدرت عدد القتلى في (هيروشيما) بنحو من ربع مليون نسمة، كذلك دمرت ثلاثة أرباع المدينة. وبعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى، ألقيت قنبلة ثانية على (نغازاكي) قتل على أثرها (٤٠) ألف نسمة، فيما أصيب غيرهم بجروح وتشوهات.

وكانت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي واليابان قد أصيبت بنكسة شديدة منذ نيسان عام ١٩٤٥ حينما أقدم الاتحاد السوفيتي على إلغاء معاهدة عدم الاعتداء مع اليابان والتي كانت قد وقعت في عام ١٩٤١. وحمل اليابان مسؤولية ذلك القرار الأخير متهماً إياها بأنها كانت تقدم العون باستمرار إلى ألمانيا، وأنها كانت تمارس نشاطات تجسسية في الأراضي السوفيتية ليس لحاسبها فقط، بل ولحساب ألمانيا أيضاً. والذي كانت الولايات المتحدة تقدمه إلى حكومة تشان كاي شيك. والذي شجع الأخير على القيام بهجوم واسع النطاق على قوات حكومة ماوتسي تونغ الموالية للاتحاد السوفيتي في حزيران عام ١٩٤٥. والشروع في الشهر التالي بشن هجمات على المناطق التي كانت تسيطر عليها قوات ماوتسي تونغ الموالية للاتحاد السوفيتي في حزيران عام ١٩٤٥. والشروع في الشهر

التالي بشن هجمات على المناطق التي كانت تسيطر عليها قوات ماوتسي وبدعم مادي من الولايات المتحدة. وقد حمل كل ذلك الاتحاد السوفيتي على إعلان الحرب على اليابان في ٨ آب عام ١٩٤٥. وأرسل السوفيت جنودهم على الفور لاحتلال مقاطعة منشوريا وكوريا تمشياً مع الاتفاق الذي تم بين ستالين قد تعهد بموجبه بإعلان الحرب ضد اليابان مقابل السماح له باسترجاع جميع الأراضي والامتيازات التي فقدتها بلاده إبان حربها مع اليابان في عام ١٩٠٥.

وهكذا اضطرت اليابان في ١٠ آب ١٩٤٥ إلى الإعلان عن موافقتها على شروط مؤتمر بوتسدام شريطة عدم المساس بصلاحيات الإمبراطور الياباني. غير ان حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين رفضت قبول ذلك العرض، وأصرت على وجوب استسلام اليابان دون قيد أو شرط وقبول جميع شروط مؤتمر بوتسدام، ووقف المقاومة فوراً وتسليم السلاح، وأعدت مذكرة بذلك. وقد استلمت اليابان المذكرة في ١٣ آب وعقدت في اليوم نفسه اجتماعاً طارئاً لدراسة المذكرة استغرق اليوم بأكمله وصباح اليوم الذي تلاه. وفي غضون ذلك وصلت إلى طوكيو أنباء عن تدهور موقف القوات اليابانية في منشوريا. وعليه أبلغت الحكومة اليابانية الحكومة الأمريكية في ١٤ آب ١٩٤٥ عن موافقتها على شروط مؤتمر بوتسدام وطلبت الحكومة الأمريكية من الاتحاد السوفيتي أن يوقف عملياته العسكرية. لكن الأخير رفض ذلك. واستمر القتال بين القوات السوفيتية واليابانية في منشوريا وكوريا وجزيرة سخالين وجزر الكوريل. وانتهى باستسلام اليابانيين للقوات السوفيتية. وكانت القوات الأمريكية قد نزلت في اليابان في ٢٨ آب ١٩٤٥.

وفي ٢ أيلول ١٩٤٥ وقع المندوبون اليابانيون على اتفاق استسلام اليابان على ظهر الطراد الأمريكي ميسوري الذي كان يرسو في خليج طوكيو. وقد

صادف هذا اليوم ذكرى مرور ست سنوات على الهجوم الألماني على بولندا. واضطرت القوات اليابانية التي كانت لا تزال ترابط في سنغافورة وبورما وإندونيسيا إلى الاستسلام للحلفاء. وبالتوقيع على هذا الاتفاق انتهت الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى خسائر اقتصادية هائلة بالإضافة إلى الخسائر البشرية التي بلغت حجماً فاق الخسائر البشرية في كل الحروب التي سبقتها ولحقتها في تاريخ البشرية. وقدرت الإحصاءات عدد القتلى فقط إبان الحرب العاملة الثانية ب (٨٠) مليون قتيل.

نتائج الحرب:

كان للحرب العالمية الثانية نتائج هامة في مختلف أنحاء العالم يمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١. تقسم ألمانيا إلى دولتين – ألمانيا الشرقية الديمقراطية (سابقاً) الخاضعة للنفوذ الشيوعي، وألمانيا الغربية الاتحادية (سابقاً) الخاضعة للنفوذ الأمريكي الفرنسي البريطاني.

٢. توسع الاتحاد السوفيتي (سابقاً) نحو الغرب في أوروبا وظهور المعسكر الشيوعي المؤلف من – الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وبولندا، وألمانيا الشرقية (سابقاً) وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا (سابقاً) ورومانيا، وبلغاريا ويوغوسلافيا (سابقاً) وألبانيا (انسحبت يوغوسلافيا بعد ذلك عام ١٩٤٩).

٣. تحول النمسا إلى دولة محايدة.

٤. ضعف فرنسا وبريطانيا بسبب ويلات الحرب وبدء خسارتهما لمستعمراتهما في العالم.

٥.خروج الاتحاد السوفيتي (سابقاً) والولايات المتحدة الأمريكية مسيطرين على مقدرات العالم.

٦.تصفية الاستعمار القديم وأساليبه. وحلول الاستعمار الجديد محله وبدء ظهور العامل الثالث.

٧.قيام هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة.

الحرب العربية – الصهيونية الأولى (١٩٤٨):

هي الحرب التي بدأت بدخول قوات عربية تابعة لمصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان والسعودية واليمن وأرض فلسطين، بهدف إعاقة قيام الكيان الصهيوني فوق ارض فلسطين العربية. وذلك في ١٥ أيار ١٩٤٨، وانتهت بعقد اتفاقيات فردية للهدنة مع الكيان الصهيوني. وقد تخللت هذه الحرب هدنتان عرفتا باسم (الهدنة الأولى والهدنة الثانية).

الأوضاع التي أدت إلى الحرب :

القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية:

شجعت الحركات القومية التي ظهرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر الكثير من اليهود على الشعور بان الديانة اليهودية والرابطة العنصرية المزعومة بين يهود العالم، تجعلان من اليهود أمة ذات قومية واحدة، لها من الحقوق والقوميات الأخرى، ومن ذلك الحق في إقامة دولة يهودية على ارض خاصة بها فظهرت الحركة الصهيونية التي تعني حرب صهيوني. في عام ١٨٨٢ وعقدت أول مؤتمر لها في بازل في سويسرا في آب ١٨٩٧ بزعامة

الصحفي النمساوي الهنغاري الأصل (تيودور هوتزل) الذي قرر أن يكون هدف الصهيونية هو إيجاد وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون وان تحقيق هذا الهدف يتم عن طريق تشجيع الاستيطان في فلسطين على مقياس واسع ومنظم، والحصول على اعتراف دولي بالحق القانوني لليهود بالاستيطان في فلسطين وتأسيس منظمة دائمة تقوم بحمل جميع اليهود على اعتناق أهداف الصهيونية.

وعلى اثر ذلك انطلق زعماء الصهيونية لاستغلال الظروف السياسية والاجتماعية الدولية للترويج لفكرة العودة إلى فلسطين والحصول على اعتراف دولي بالوطن القومي اليهودي فيها. لتحقيق الهوية القومية والتمهيد لإقامة اليهودية في المستقبل. وسرعان ما أدرك زعماء الحركة الصهيونية، أنه لا سبيل لتحقيق أهدافهم هذه من دون التخلص من مقاومة العرب سكان فلسطين الشرعيين، وضمان موافقة الدول صاحبة الشأن في فلسطين، فوضعوا مخططاً دقيقاً وسلكوا طرقاً متعددة تتكيف حسب الظروف والأزمان.

وقد هيأت الحرب العالمية الفرصة للحركة الصهيونية لان تتحالف مع بريطانيا التي دخلت الحرب ضد الدولة العثمانية، صاحبة السيادة على فلسطين، فأعلن زعماء الصهيونية، وعلى رأسهم (حاييم وايزمن) عن تأييدهم للحلفاء في الحرب وتكريس جهود اليهود لخدمة مجهودهم الحربي، لقاء تأييد بريطانيا لأهداف الحركة الصهيونية والرامية لإنشاء الوطن القومي اليهودي، فتوافق هذا مع رغبة بريطانيا التي كانت تسعى لكسب اليهودية العالمية وخاصة يهود أمريكا إلى جانبها. فأصدر اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وعده المشؤوم بإنشاء الوطن القومي اليهودي الذي جاء فيه. (...أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب

اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيـــق هــذه الغايــة..) فرفض العرب التصريح جملة وتفصيلاً وقدموا الاحتياجـــات العديــدة فحــاولت الحكومة البريطانية تهدئتهم وإسكات معارضتهم. بإصدار العديـــد مــن الكتــب والبيانات والمذكرات لتفسير عبارات التصريح العامة غـــير المحـــددة، اتســمت جميعها بالمراوغة والمغالطة فضلاً عن محاباتها للصهيونية، فحدثـــت انتفاضـــة عام ١٩٢٠ في فلسطين على الرغم من وجود الأحكام العرفية.

وعندما أقرت عصبة الأمم منح بريطانيا الانتداب على فلسطين فـــي ٢٤ تموز ١٩٢٢ وأخذت الهجرة اليهودية تتدفق على فلســـطين، وأعلـــن العـــرب رفضهم البات للانتداب، ومقاومتهم للسياسة البريطانية فقاموا بثورات عديدة فـــي السنوات ١٩٢٣، ١٩٢٩، ١٩٣٣، ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٩ فـــأدركت بريطانيـــا بأن تأييدها للصهيونية ومخططاتها لإقامة الوطن القومـــي اليـــهودي ســـيكلفها غالياً، لان العرب لن يستكينوا ولن يرموا السلاح، فلجأت إلى سياسة ملتويـــة ذات وجهين، ترمي إلى تهدئة ثائرة العرب من جهة، والاستمرار بالعمل على إنشـــاء الوطن القومي وإباحة الهجرة إلى فلسطين، من جهـــة أخـــرى، ولكـــي تكـــرس بريطانيا جهودها لتحقيق هذه السياسة، فتحمي المهاجرين اليهود الجـــدد، أخـــذت تخطط لعزل المناطق التي يسكنونها عن المناطق التي يسكنها العرب ومن هنـــا نشأت فكرة تقسيم فلسطين التي هي إحدى مظـــاهر تـــأييد السياســـة البريطانيـــة لأهداف الحركة الصهيونية المعادية للعرب.

٢. القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة:

على اثر فشل الخطط البريطانية الرامية إلى تنفيذ مشاريع تقسيم فلســـطين كمشروع بيل وموريسن، التي وضعتها الحكومة البريطانيـــة للإيفـــاء بوعودهـــا

بإنشاء الوطن القومي اليهودي وحماية المهاجرين اليهود، وعجزها في المحافظة على الأمن والنظام باعتبار بريطانيا الدولة المسؤولة عن إدارة فلسطين بموجب وثيقة الانتداب، نتيجة للمقاومة الشديدة التي أبداها العرب ضد الانتداب والمشاريع الاستعمارية، مما اضطرها إلى الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة في فلسطين. أدى بها إلى أزمة مالية خطيرة جعلتها تفكر جدياً بإيجاد مخرجاً لها من هذا المأزق الحرج.

فلجأت بريطانيا إلى المنظمة العالمية تعرض عليها القضية الفلسطينية، رغبة منها في استصدار قرار دولي بِشأنها تعمل الدول على تنفيذه، باعتباره صادراً عن الأمم المتحدة محاولة بذلك إخفاء الصيغة الشرعية والقانونية على تنفيذ مشاريعها الاستعمارية ومستغلة ما كان لها ولحليفتها أمريكا من نفوذ وتأثير كبيرين في أوساط الأمم المتحدة لكونهما الدولتين المنتصرتين في الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن غالبية الدول التي انضمت إلى المنظمة الدولية الجديدة لم تكن لديها فكرة عن القضية الفلسطينية إلا من خلال وجهة النظر الاستعمارية والصهيونية، فضلاً عن أن حركات التحرر في القارتين الأسيوية والإفريقية لم تحتل بعد الأهمية التي تستحقها لا في أروقة الأمم المتحدة ولا في مجال العلاقات الدولية. وبذلك فقد تضافرت تلك العوامل مجتمعة على حمل الحكومة البريطانية على أن تتقدم في ٢ نيسان ١٩٤٧ بمذكرة إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة أعلنت فيها، عن نيتها في التخلي عن الانتداب، وطلبت درج القضية الفلسطينية في جدول أعمال الدورة الاعتيادية القادمة للجمعية العامة وبالوقت نفسه عقد دورة لتأليف لجنة خاصة من الأمم المتحدة لبحث القضية وإصدار التعليمات لها.

وقد وافقت الجمعية العامة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة على المقترح البريطاني بأغلبية الأصوات، فعقدت الجمعية العامة دورة خاصة استمرت من ٢٨ نيسان حتى ١٥ أيار ١٩٤٧ بحثت خلالها القضية الفلسطينية وأمرت تشكيل لجنة تحقيق مؤلفة من أحد عشر عضواً يمثلون الدول المتوسطة والصغيرة تقوم بزيارة فلسطين وتعد تقريراً مسهباً عن الوضع فيها على أن يقدم إلى الجمعية العامة في دورتها العادية الثانية التي في أيلول ١٩٤٧ لتتخذ في ضوئه قراراً نهائياً بشأن القضية الفلسطينية.

وقد افتتح الجلسة الأولى الرئيس المؤقت للدورة (فرديناند لاتهوف) –رئيس الوفد البلجيكي– بكلمة قصيرة أعرب فيها عن أمله في أن تكون هذه الدورة دليلاً على فاعلية الأمم المتحدة واتزان أعمالها،وان تصل الجمعية العامة للأمم المتحدة في نهاية مناقشاتها حول قضية فلسطين إلى نتائج مرضية. وفي هذه الدورة الخاصة اتخذت الجمعية العامة قراراً يقضي بأن تجتمع لجنة التوجيه بكاملها في اليوم الثاني (٢٩ نيسان) لبحث الطلب الذي سبق أن تقدمت به وفود الدول العربية وهي – العراق وسورية ولبنان ومصر والمملكة العربية السعودية، والذي تضمن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان فلسطين دولة مستقلة ووقف الهجرة اليهودية. وكان الموضوع الآخر الذي أحيل إلى اللجنة التوجيهية في ذلك اليوم، هو بحث طلب اليهود الاشتراك في أعمال الجمعية العامة.

وقد جرت مناقشات حادة في الاجتماع، ومما قاله ممثل العراق الدكتور محمد فاضل الجمالي، (أن عرب فلسطين قد حرموا من أعز شيء يتمتع به كل كائن حي في هذه الدنيا، لقد حرموا من التمتع بحريتهم واستقلالهم بفرض الانتداب عليهم، هذا الانتداب الذي لا أساس أدبي أو شرعي له. وقد بذلت

بريطانيا كل ما في وسعها لمساعدة الهجرة الصهيونية رغم إرادة سكان البلاد الحقيقيين). وقد أضاف المندوب السوري، السيد فارس الخوري على ذلك بقوله (أن الموقف في فلسطين يهدد الشرق الأوسط بأجمعه باضطراب أمنه وسلامه). وقد عارض المندوب الأمريكي درج طلب وفود الدول العربية في جدول أعمال دورة الجمعية العامة الخاصة وقد أيده في ذلك كل من مندوبي الإكوادور وبولندة بحجة أن عقد هذه الدورة لم يكن لبحث القضية الفلسطينية برمتها، وإنما لتشكيل لجنة خاصة للتحقيق فقط.

وعندما وضع طلب الوفود العربية في التصويت في اللجنة التوجيهية في ٣٠ نيسان ١٩٤٧، رفض الطلب بثمانية أصوات ضد صوت واحد هو صوت مصر، وامتناع خمسة أعضاء عن التصويت، وقد أيدت الجمعية العامة بعدئذ هذا القرار، بأربعة وعشرين صوتاً ضد خمسة عشر صوتاً وامتناع عشرة أعضاء عن التصويت، وعلى اثر هذه النتيجة قررت الجمعية العامة بالإجماع الاقتصار على درج الطلب البريطاني فقط في جدول أعمال الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة. وجدير بالذكر بأن الدول التي أيدت طلب الوفود العربية في أثناء عملية التصويت كانت أفغانستان والأرجنتين وروسيا البيضاء وكوبا والهند وإيران والاتحاد السوفيتي وتركيا وأوكرانيا ويوغسلافيا.

وبعد مناقشات عديدة في الجمعية العامة أقرت الاقتراح الأمريكي القاضي بدعوة ممثل الوكالة اليهودية للحضور أمام اللجنة السياسية وقد فوضت الجمعية العامة للجنة السياسية المنبثقة عنها بالنظر في طلبات عديدة من مؤسسات أمريكية يهودية. فعينت اللجنة السياسية لجنة فرعية تتألف من بريطانيا وكولومبيا وإيران وبولندة والسويد للنظر في تلك الطلبات فرفضتها جميعاً.

وفي ٦ أيار ١٩٤٧ أعلن مندوب مصر (محمود حسن باشا) في اللجنة السياسية بصفته ممثلا عن جميع الوفود العربية، بأن مصر لن تشترك في المناقشات، وستمتنع عن التصويت إذا لم تصحح اللجنة إغفال الجمعية العامة لعرب فلسطين وتضع اللجنة العربية السياسية، فاتخذت اللجنة السياسية قرارا بتكليف الرئيس بتوجيه دعوة إلى الجمعية العامة لعقد اجتماع عام واصدر التعليمات إلى اللجنة السياسية لتمنح اللجنة العربية العليا حق الاستماع لها أسوة بالوكالة اليهودية. فعقدت الجمعية العامة اجتماعا في ٧ أيار وافقت فيه على قرار اللجنة السياسية ، فاتخذت اللجنة السياسية قرارا بتكليف الرئيس بتوجيه دعوة إلى الجمعية العامة لعقد اجتماع عام وإصدار التعليمات إلى اللجنة السياسية بوجوب منح اللجنة العربية العليا نفس الحق الذي منح من قبل للوكالة اليهودية، وقد أوضح المندوب البريطاني أثناء المناقشات بأن اللجنة العربية العليا هي الممثل الشرعي لعرب فلسطين، وهكذا فقد مثل اللجنة العربية العليا السيد أميل غوري أمين سر اللجنة العربية العليا والأستاذ كتن محامي فلسطين. بينما مثل الوكالة اليهودية كل من هليل سليفر رئيس المنظمة الصهيونية في أمريكا وموشي شرتوك وديفيد ابن غوريون.

وقد حضر مندوبا اللجنة العربية العليا ومندوبو الوكالة اليهودية الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية في ٨ أيار ١٩٤٧، ومما قاله هليل سيلفر مندوب الوكالة اليهودية للجنة السياسية (أن الشعب اليهودي والوطن القومي اليهودي كانا منذ البداية المبدأين الأساسين لوعد بلفور وللانتداب) ثم استشهد بأقوال اللورد جورج وونسون تشرشل والرئيس هاري ترومان لتأييد وجهة نظره بان الغاية من إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧، هي إيجاد التسهيلات اللازمة لازدياد الشعب اليهودي ليصبح كثرة في فلسطين تؤسس عليها الدولة اليهودية.

وعندما استأنفت اللجنة السياسية اجتماعها في اليوم التالي (٩ أيار ١٩٤٧) لتستمع إلى كلمة المحامي السيد كتن ممثل اللجنة العربية العليا التي ورد فيها بقوله (مهما تعاظمت الدعاية فإنها لا تقوى على إيجاد أي تبديل أو تغير في صيغة فلسطين العربية) ثم أشار إلى الخطر الذي يهدد كيان فلسطين العربية وطالب بدولة مستقلة. كما أكد السيد أميل الغوري للجنة أن العرب سيستمرون على مقاومة الهجرة اليهودية في جميع الظروف والأحوال وأصرّ على ضرورة تقديم طلب فوري إلى الحكومة البريطانية بوجوب وقف الهجرة اليهودية. وقال (أن عرب فلسطين سيعارضون جميع الصلاحيات التي ستمنح للجنة (التحقيق، والتي من شأنها معارضة أماني العرب وحقهم في استقلال بلادهم استقلالاً كاملاً ناجزاً).

لقد بحثت اللجنة السياسية للأمم المتحدة في الفترة من ٨-١٢ أيار ١٩٤٧ مسألة عضوية لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين (Unscop) وتعين صلاحياتها، فظهر اختلاف كبير في الرأي بالنسبة إلى تشكيل اللجنة، فقد ذهبت بعض الحكومات إلى ضرورة إدخال الدول الخمس الكبار في عضويتها، بينما أرادت حكومات أخرى أن تتألف اللجنة من الدول المتوسطة التي ليست ذات علاقة مباشرة بالقضية الفلسطينية، وكانت الدول الكبرى نفسها منقسمة فيما بينها حول هذه المسألة فقد عارضت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا التي قال ممثلها الكسندر كادوغان (مع أن بريطانيا لا ترفض تعيينها في هذه اللجنة، إذا طلب إليها ذلك. غير أنها يجب أن لا تكون عضواً فيها على أساس أن القاضي لا يحكم في قضيته الخاصة). ورفضت الصين كذلك الاشتراك في عضوية لجنة التحقيق في الوقت الذي جند فيه ممثل الاتحاد السوفيتي اشتراك الدول الكبرى في عضوية اللجنة فقد قال اندري غروميكو (إن على أعضاء

مجلس الأمن الدائمين أن لا يتهربوا من تحمل المسؤولية التي تتطلبها أعمال اللجنة، وأن على الدول الخمس الكبار أن يمثلوا في اللجنة) ثم طلب بإلحاح أن تشتمل صلاحية اللجنة على إنهاء الانتداب وإعلان الاستقلال قائلاً (يجب أن تعطي اللجنة تعليمات صريحة بوجوب درس إمكانيات إنهاء الانتداب البريطاني وأعداد مشروع لاستقلال فلسطين). فعارضه ممثل الولايات المتحدة الأمريكية، على أساس أن هذا العمل يتنافى وروح العدالة لأنه تحقيق لفكرة العرب الذين يطالبون بقوة باستقلال فلسطين وطعنة قاسية لفكرة الصهيونية. وقد رد ممثل العراق الدكتور محمد فاضل الجمالي، على ذلك بقوله (إن تأييد المطامع اليهودية ما هو إلا تأييد لإعلان شعب الحرب على شعب آخر). وقد أيد المندوب التركي مبدأ الاستقلال لفلسطين.

وقد بذلت الدول العربية مساعي عديدة لإدخال نص في صلاحيات اللجنة الخاصة، يتضمن استقلال فلسطين، ولكن جميع تلك المساعي لم تكلل بالنجاح ورفض طلبها عندما أقرت الجمعية العامة في ٢ أيار ١٩٤٧ اقتراحاً فرنسيا يقضي بعدم التطرق إلى استغلال فلسطين في صلاحيات اللجنة الخاصة، وفي ١٤ أيار احتج مندوب العراق على عدم تضمين صلاحيات اللجنة الخاصة مبدأ استقلال فلسطين. واستنكر الادعاء القائل بأن القضية الفلسطينية معقدة، مؤكداً أن النزاع قد نشأ عن عزم شعب على دخول بلاد والاستيطان فيها وهي ملك شعب آخر مستوطن فيها منذ أقدم الأزمنة وقال (أن القضية هي قضية غزو الشعب اليهودي الدخيل للشعب العربي الأصيل في فلسطين، ولذا يجب تطبيق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة والعمل على وقف هذا الغزو). ثم أعقبه مندوب سوريا السيد فارس الخوري (أن سوريا تؤيد استقلال فلسطين الفوري. ووقف الهجرة اليهودية). ثم بين الشواهد والأدلة على بطلان ادعاءات اليهود

بحقوقهم في فلسطين تلك الحقوق المزعومة التي لا أساساً لها من الصحـــة. وان العرب قاوموا غزواتهم الأولى لهذه البلاد قبل المسيح بخمسة عشر قرناً.

وقد أعلن اندري غروميكو بأن نظام الانتداب قد أخفق في تأدية مهمتـــه، ولم يقبل به الخصمان المتنازعان في يوم من الأيام ومما يؤيد هذا أن الحكومـــة البريطانية قد أحالت القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة، وأن الوضـــع الراهــن في فلسطين يهدد السلم، ثم قال غروميكو (أن الحل لهذه القضية يجــب أن يــأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التالية- وهي أن البلاد مأهولة من قبل شعبين، وأن افضــل حل هو إيجاد دولة مستقلة وطنية مشتركة يتمتع فيها اليهود والعـــرب، بحقــوق متساوية وهذا الأمر ليس مستحيلاً إذا شاء وضعوا دســتور الدولــة الجديــدة أن يستفيدوا من خبرة بعض البلدان في أوروبا. وفي حال الإخفـــاق بـــهذا الحــل تعيــن لجنة خاصة بدرس إمكانيات التقسيم الذي يصبح عندئذ ضرورياً).

وبعد ذلك جرى التصويت على اقتراح مشترك تقدمت به روسيا والـــهند بإدخال استقلال فلسطين في صلاحيات اللجنة فرفض الاقــتراح وقبــل اقــتراح آخـــر تقدمت به استراليا وتبنته الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً مـــن اقتراحـــها الذي سبق أن قدمته إلى اللجنة السياسية، وعلى إثر ذلك أعلن رؤساء وفود الدول العربية التي امتنعت عن التصويت أن حكوماتهم تحتفظ لنفسها بحق العمل بشـــأن القضية الفلسطينية وأعمال للجنة الخاصة في تلك البلاد.

وفي أثناء مناقشته اللجنة السياسية التابعـــة للجمعيـــة العامـــة موضـــوع عضوية اللجنة الخاصة قدمت ثلاثة اقتراحات بهذا الصدد وهي:

- الاقتراح الأمريكي وقد قدمه مندوب اللجنة الخاصة سبعة أعضــــاء يمثلــون كندا وجيكسلوفاكيا وهولنده وبيرو وإيران والسويد والأورغواي.

- الاقتراح السوفيتي– وقد قدمه مندوب الاتحاد السوفيتي ويقضي بأن يكون أعضاء مجلس الأمن ممثلين في اللجنة الخاصة وهم الدول الخمس الكبار. الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق) وبريطانيا وفرنسا والصين وباقي أعضاء المجلس كل من استراليا وبلجيكا والبرازيل وكولومبيا وبولندة وسورية.
- الاقتراح الأسترالي – هو الذي تقرر قبوله ويقضي بأن يكون أعضاء للجنة الخاصة أحد عشر عضوا على أن لا يكون بينهم أحد من الدول الخمس الكبار.

وفي ١٥ أيار ١٩٤٧ قررت الجمعية العامة في آخر اجتماع لها في دورتها الخاصة تشكيل اللجنة الخاصة (Unscop) من أحد عشر عضوا من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وهي– استراليا وكندا وجيكوسلوفاكيا (سابقاً) وغواتيمالا والهند وإيران وهولنده وبيرو والسويد والارغواي ويوغسلافيا (سابقاً). وقد كان التصويت على هذا القرار بأغلبية (٤٠) صوتاً ضد لاشيء وامتناع ثلاث عشرة دولة التصويت، كان بضمنها الدول العربية الخمس الأعضاء وأفغانستان وتركيا والاتحاد السوفيتي (السابق) وبيلوروسيا و أوكرانيا ودولتان من دول أوروبا الشرقية، هما جيكوسلوفاكيا و يوغسلافيا. وعند بحث موضوع صلاحيات اللجنة الخاصة، وافقت الجمعية في اليوم نفسه (١٥ أيار ١٩٤٧) على صلاحيات اللجنة، بأغلبية (٤٥) صوتاً ضد سبعة أصوات هي أصوات الدول العربية الخمس وكل من تركيا وأفغانستان، وامتنعت دولة واحدة عن التصويت.

وفي ٢٦ أيار ١٩٤٧ عقدت اللجنة الخاصة بالقضية الفلسطينية أول اجتماع لها في ليك سكس في نيويورك وانتخبت أميل سند ستروم رئيس المحكمة

العليا في السويد، ممثل السويد رئيساً لها. والدكتور البرتوأوللو من بـــيرو نائبـاً للرئيس، ووضعت برنامجها للعمل وخطة رحلتها إلى المنطقـــة. وقـد وجـهت الدعوة إلى الدولة المنتدبة واللجنة العربية العليا والوكالة اليهودية، لترسل كـــل منها ضابط ارتباط يكون صلة وصل بينها وبين اللجنة ويعاون اللجنة في أعمالـها ثم وجهت إلى فلسطين يصحبها عدد من أعضاء موظفــي وســكرتارية الأمـم المتحدة، وقبيل وصول اللجنة الخاصة إلى الأراضي الفلسطينية، أعلنــت اللجنـة العربية العليا الإضراب ومقاطعة أعمال اللجنة.

وقد استندت في قرار المقاطعة على ما يلي:

١. رفض الجمعية العامة للأمم المتحدة درج إنهاء الانتداب وإعـــلان اســتقلال فلسطين في صلاحيات لجنة التحقيق.
٢. فشل الجمعية العامة في فصل قضية اليهود المشردين عن قضية فلسطين.
٣. انحرافها عن الغاية المقصودة بالتحقيق، وذلك بذكر المصالح الدينية التـي لا مجال لبحثها في قضية فلسطين بدلاً من المصالح القومية.
٤. مغالطتها في التحقيق عن حقوق العرب الثابتة التي لا تحتاج إلى تحقيــق أو دراسة إنما كان من الواجب الاعتراف بها بموجب ميثاق الأمم المتحدة.

وقد باشرت اللجنة عملها بعد وصولها إلى فلسطين فاجتمعت لأول مــرة في القدس في ١٦ حزيران ١٩٤٧. ثم قامت بعد ذلك بزيارات إلى كل من لبنــان وشرق الأردن. وقد استغل اليهود مقاطعة العرب أعمال اللجنة ابرع اســـتغلال فاندفعوا يتعاونون معها ويبذلون كل ما في وسعهم لكسب عطف أعضائها.

ولقد وضعت اللجنة تقريراً مسهباً عـــالجت فيــه القضيــة الفلســطينية تضمـــن القسم الأول منه تحليلاً تاريخياً للمشكلة منذ نشأتها وعدداً من التوصيات

التي كان من بينها إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان الاستقلال في اقرب وقت ممكن وأن تتولى الأمم المتحدة الأشراف على السلطة وإدارة البلاد في أثناء فترة الانتقال. كما تتضمن مبدأ المحافظة على الوحدة الاقتصادية، وتضمن تقرير اللجنة الخاصة بإنهاء الانتداب ومنح الاستغلال ست أبواب.

قد اشتمل الباب السادس من تقرير اللجنة على مشروعين لشكل الحكومة المقبلة في فلسطين، عرف أحدهما بمشروع الأغلبية والثاني بمشروع الأقلية.

وقد كانت الأغلبية تتألف من كندا و جيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وهولندا وبيرو والسويد وأورغواي، وقد افترضت تعين فلسطين إلى دولتين دولة عربية ودولة يهودية وتوضع منطقة القدس لوحدها تحت نظام وصاية دولية وتصبح هاتان الدولتان مستقلتين بعد فترة انتقال مدتها سنتان ويبدأ من اليوم الأول من أيلول ١٩٤٧، على أن تضع كل منهما دستوراً لها وتوقعاً معاهدة لترسيخ الوحدة الاقتصادية وتنظيم التعاون الاقتصادي فيما بينهما. وكانت أراضي الدولة العربية التي اقترحتها اللجنة، تتألف من منطقة الجليل الغربية ومنطقة السامرة الجبلية (باستثناء القدس) ومنطقة السهل الساحلي الممتد من أشدود إلى الحدود المصرية. وقد اقترح فيما بعد أن تضم مدينة يافا (نظراً لان غالبية سكانها من العرب) وبعض أقسام منطقة النقب إلى الدولة العربية. أما أراضي الدولة اليهودية المقترحة فكانت تتألف من منطقة الجليل الشرقية وسهل أسد دائلون والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع وصحراء النقب وتلتقي الأقاليم الثلاثة للدولة العربية بالأقاليم الثلاثة في نقطتي تقاطع، وتكون إحداهما واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من العفولة في منطقة الناصرة والثانية في الجهة الشمالية من المجدل في قطاع غزة. وتضمن التقرير قيام بريطانيا بإدارة الحكم في فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة، فترة الانتقال ويمكن أن يعاونها

في ذلك عضو أو اكثر من أعضاء الأمم المتحدة في حالة وجود الرغبة إلى ذلك على أن تقوم بريطانيا باتخاذ التدابير المطلوبة لتحقيق المشروع أثناء مرحلة الانتقال. أما منطقة القدس فقد اقترح جعلها تحت نظام خاص مسؤول أمام مجلس الوصاية الدولي ويجب ألا تكون محصنة أو منطقة عسكرية. ويقوم مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة بين حاكم القدس العام. ولا يجوز أن يكون هذا الحاكم عربياً أو يهودياً.

أما مشروع الأقلية وهو المشروع الذي اقترحه كل من الهند وإيران ويوغسلافيا ويتضمن إنشاء دولة اتحادية ذات وحدة اقتصادية، ولا يختلف من الناحية الإقليمية كثيراً من مشروع الأغلبية سالف الذكر، وتتكون المنطقة العربية بموجب هذا المشروع من الجزء الأكبر من أراضي فلسطين الداخلية. وتتألف الدولة الاتحادية المستقلة من الولاية العربية والولاية اليهودية، تتمتع كل منهما بحكم ذاتي وتكون القدس عاصمة الدولة الاتحادية. وينتخب المجلس التأسيسي عن طريق التصويت الشعبي، وتشمل سلطة الحكومة الاتحادية قضايا الدفاع الوطني والعلاقات الخارجية والمصالح المشتركة بصورة خاصة. وينتخب المجلسان الاتحاديان رئيس الدولة ويحظر المجلس الاتحادي كل تميز بين العرب واليهود، ويتمتع جميع الفلسطينيين بحقوق سياسية ومدنية ودينية متساوية وتضمن الدستور حرية المرور إلى الأماكن المقدسة ويحمي مختلف المصالح الدينية. ويسمح بالهجرة اليهودية خلال مرحلة الانتقال التي مدتها ثلاث سنوات إلى الدولة اليهودية بمقدار قابليتها على الاستيعاب الذي تقوم بتحديده لجنة مختلفة مؤلفة من ثلاثة مندوبين عرب، وثلاثة مندوبين يهود وثلاثة مندوبين يمثلون هيئة الأمم المتحدة.

لقد عارض العرب مشروع الأغلبية لأنه لم يلب مطلبهم الرئيسي باستقلال فلسطين ولأن الاقتراح بتقسيم فلسطين إلى قسمين عربي ويهودي يخالف جميع مبادئ العدالة والقيم الإنسانية ويحابي الأطماع الصهيونية إذ خصص لليهود أخصب الأراضي الزراعية وأهم المواقع الإستراتيجية وغالبية الساحل على البحر المتوسط. فقد رسمت خارطة التقسيم بشكل تلتقي فيه المناطق العربية المبعثرة في مناطق كرؤوس الجسور وفي وضع تتعذر فيه المحافظة على الحدود الجديدة من الواجهة العسكرية، فكان هذا المشروع موضع استنكار جميع الأوساط العربية، بينما كان مشروع الأقلية أقرب إلى مطلب العرب إذ ستكون لفلسطين دولة مستقلة ذات سيادة، تزيد فيها أصوات العرب على أصوات اليهود،وبذلك فإنهم يستطيعون أن يوصدوا الباب أمام المهاجرين اليهود الجدد، أما المنظمات اليهودية فقد رحبت بمشروع الأغلبية واعتبرته نصراً كبيراً لأنه يمنح اليهود دولة يستطيعون من خلالها التحكم والإشراف على الهجرة اليهودية إلى أراضيها.

اجتمعت الجمعية العامة في دورتها العادية الثانية في أيلول ١٩٤٧ وقررت في الجلسة الخاصة التي عقدتها في ٢٣ أيلول تشكيل لجنة مؤقتة تتألف من جميع أعضاء الأمم المتحدة لبحث القضية الفلسطينية والنظر بصورة خاصة في :

١. تقرير لجنة التحقيق الخاصة ومشروعاً الأغلبية والأقلية اللذين اقترحتهما.
٢. طلب بريطانيا الحصول على توصية من الجمعية العامة بشأن مستقبل الوضع في فلسطين المدرج في جدول الأعمال.
٣. الاقتراح العربي الذي تقدم به كل من العراق وسورية والمملكة العربية السعودية بإنهاء الانتداب على فلسطين والاعتراف بها دولة مستقلة.

وقد عارضت الدول العربية جميعاً قرار تشكيل اللجنة الخاصة المؤقتة وأبدى مندوب العراق بأن القضية دقيقة وحرجة إلى درجة يجب أن تدرس من قبل اللجنة السياسية نفسها وليس من قبل اللجنة المؤقتة التي تقرر تشكيلها.

ولقد اجتمعت اللجنة الخاصة المؤقتة وقررت دعوة ممثلي اللجنة العربية العليا الممثلة لعرب فلسطين والوكالة اليهودية الممثلة لليهود لحضور جلساتها والإدلاء بالمعلومات التي قد تحتاج إليها اللجنة وقد لبت كل منهما الدعوة.

وفي ٢٩ أيلول ١٩٤٧ عرض مندوب اللجنة العربية العليا السيد جمال الحسيني، قضية بلاده أمام اللجنة الخاصة المؤقتة قائلا (أن العرب لعلى استعداد تام لمقاومة أي مشروع تقسيم يقترح لفلسطين إلى أخر نقطة من دمائهم). ورفض بشدة مشروعي الأغلبية والأقلية اللذين يضمهما تقرير لجنة التحقيق الخاصة ثم أردف موضحاً بان السياسة العربية مرتكزة على ثلاث لاءات (لا تقسيم ، ولا هجرة يهودية بعد الآن ولا دولة يهودية) وبعد أن أكد بان الحل الوحيد الذي يقبل به العرب في فلسطين هو تشكيل دولة عربية ديمقراطية مستقلة تشمل جميع أراضي فلسطين. وأعلن أن (عرب فلسطين مصممون بكل صلابة وحزم على مقاومة أي مشروع يؤول إلى تجزئة بلادهم الصغيرة أو تقسيمها أو عزلها عن غيرها بجميع الوسائل التي تتوفر لديهم، أو يمنح قلة من الناس على أساس العقيدة الدينية، حقوقاً خاصة أو وضعاً حقوقياً خاصاً، وهم سيقاومون هذا المشروع بنفس الغيرة الوطنية وبنفس التضحية التي يقاوم بها أي شعب من شعوب الأرض يكون في الظروف التي هم فيها، مع علمنا الأكيد أن الدول العظمى تستطيع إذا شاءت بقوتها الغاشية أن تسحق هذه المقاومة).

وبعد أن استعرض السيد جمال الحسيني تاريخ القضية قال (إن الحقيقة الناصعة التي لا نتخلى عنها هي أننا موجودون في فلسطين منذ أقدم الأزمنة

وإنها ملكنا وملك آبائنا وأجدادنا، وأننا سنبقى هناك وأن من أقــدس واجباتنــا أن ندفع عنها كل اعتداء) وقد وصف الحملة الصهيونية على فلسطين بأنها غــزو لا مبرر له مهما كانت الصبغة التي يصطبغ بها، سواء أكانت دينيــة أم إنســانية أم أي شيء آخر، وأنها محاولة شعب دخيل لامتلاك أراض هي ملك شــعب أخــر أصيل هو صاحب البلاد الشرعي ثم أضاف يقول، لقد مرت أحقاب طويلة علــى وجود القلة اليهودية بيننا ولم يسمع طوال مدة وجودها هذه بأي خلاف وقع بيننــا وبينها قبل الاحتلال البريطاني. والسبب في ذلك أنه لم تكن هنالك أيــة مشــاريع سياسية مبيتة ضد بلادنا، غير أن وعد بلفور هو الذي سمم جو هــذه العلاقــات الطبيعية بخلق روح الاعتداء في الجماعة اليهودية وتحويلها إلى ابن بار للحكومة البريطانية. وأن بريطانيا لا تستطيع أن تحقق لليهود وعد بلفور مــا لــم تطــح بحقوق العرب). ثم ندد بشدة بمحاولة منظمة الأمم المتحدة بالسماح لشعب دخيــل بتأسيس دولة في وسط الشعوب العربية لإضعاف الروابط الوثيقة التــي تربطــها ببعضها البعض حتى قال (إذ تحقق هذا الأمر فلا يبقى من يشك بــزوال معــالم السلم من أرجاء هذا الجزء من العالم الذي سيتحول إلى بلقان جديدة. أمــا الحــل لهذا الوضع فهو في ميثاق منظمتكم، ذلك لأنه بموجب نص هذا الميثــاق يحــق لعرب فلسطين الذين يشكلون الكثرة الكبرى في البلاد أن يتمتعوا بتشــكيل دولــة حرة مستقلة).

وفي اليوم الثاني من تشرين الأول ١٩٤٧ مثل ســيلفر عضــو الوكالــة اليهودية. أمام اللجنة الخاصة عند مناقشــتها تقريــر لجنــة التحقيــق الدوليــة المتضمــن مشروع الأغلبية بتقسيم فلسطين. وأعرب عن قبول الوكالة اليهوديــة بالتوصية بتقسيم فلسطين واعترض على ترك غرب الجليــل خــارج المنطقــة اليهودية وطالب بضم القسم الجديد من مدينة القدس خارج الأسوار إلــى الدولــة

اليهودية. وبتوسيع رقعة الدولة اليهودية على حساب المنطقة العربية، وأعلن عن استعداد اليهود لملء الفراغ الذي سيحدثه انسحاب البريطانيين من فلسطين وتأمين القوات اللازمة لحفظ الأمن.

وفي أثناء المناقشة وصف السيد كميل شمعون مندوب لبنان مشروع التقسيم، بأنه غير عادل للعرب ومخالف لميثاق الأمم المتحدة . وقد احتج مندوب العراق على الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدتها لليهود وتشجيعها الهجرة غير المشروعة وهاجم الصهيونية بعنف قائلاً إن الصهيونية هي حركة سياسية ذات طبيعة مملوءة بالحقد وحب الاعتداء التي لا غاية لها في فلسطين سوى جعلها منفذاً تتوغل بواسطته في جميع أرجاء الشرق الأوسط والصهيونية تضم في تلافيفها جميع معاني التعصب الذميم والوطنية المتطرفة، وتتبع من الناحية العملية جميع أساليب الدعاية والاعتداء والتوغل التي اتبعتها النازية. كما أن الصهيونيين يثيرون مبدأ غريباً هو أن العلاقة التاريخية لشعب من الشعوب في أرض ما تجعل له الحق في تملك هذه الأرض الأمر الذي لا يمكن التسليم به ولا قبوله لا محلياً ولا عالمياً، ذلك لأن قبوله عالمياً يعني خلق الاضطراب والفوضى والنزاع في جميع أرجاء العالم. إن فلسطين أيها السادة هي للفلسطينيين وحدهم، على هذا الأساس، وعليه وحده يمكن الوصول إلى حل القضية الفلسطينية).

وأكد السيد محمود فوزي مندوب مصر، بأن النزاع القائم في فلسطين ليس بين العرب واليهود، وإنما هو بين العرب والصهيونية السياسية، وقال (بعض الناس ينتظرون من العرب أن يتحملوا أوزار شعوب أخرى ومع أن فلسطين مضيافة فقد أصبحت الآن مكتظة بالسكان فلم يعد بإمكانها والحالة هذه قبول ضيوف جديدين، حتى من الذين ترغب في إدخالهم فكيف إذن بالذين

يدخلون عنوة وبصورة غير شرعية. إن فلسطين هي ملك لأهلها العرب. منذ عشر سنوات خلت كانت نسبة اليهود إلى العرب ١ إلى ١٢ غير أن الصهيونية تبذل قصارى جهدها وبطرق اصطناعية شاذة غير شرعية لتجعلهم كثرة في فلسطين، الأمر الذي لا يمكن أن يتخذ أساساً لغرض مشروع (التقسيم) وبعد ذلك طالب أن يشترك العالم بأسره في حل قضية المشردين وتوزعهم بين بلدان متعددة قائلاً (إذ ليست فلسطين ولا يمكن أن تكون جواباً للقضية اليهودية. كما أن تشكيل دولة يهودية وبالقوة في فلسطين إنما هو عمل خيالي غريب، سيؤدي حتماً إلى نزاع دام لا ينتهي أجله، فإذا كان وضع المشردين يتعب ضمير العالم إلى هذا الحد، فليتحمل العالم نصيبه من هذا العبء).

وقد أوضح السيد فارس الخوري مندوب سوريا بأن اليهود عندما قاموا بغزو فلسطين في أقدم الأزمنة كانوا معتدين وقطاع طرق. وقال أن اليهود ليسوا جنساً وذلك لان بينهم سلافيين وأوربيين وسواهم من الشعوب الأخرى المتفرقة، ولذا فالعرب لا يمكنهم أن يسلموا أرض آبائهم إلى غرباء. وقد وصف تأييد أمريكا لليهود بأنه مجرد دعاية لربح أصواتهم في انتخاب رئاسة الجمهورية وأضاف قائلاً (لا تمر دورة انتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية بدون أن يوجه وعوداً لتأييد الحلم الصهيوني).

وقد عبرت معظم الدول غير العربية، عن مواقف متضاربة في التأييد والمعارضة، فبينما أيدت معظم الدول العربية ودول الكتلة الاشتراكية مشروع التقسيم بينما عارضت الدول الإسلامية ومعظم الدول الشرقية المشروع بكل صراحة وأشارت إلى ما ينطوي عليه من غمط حقوق العرب في فلسطين.

وفي ١١ تشرين الأول ١٩٤٧ أعلن المستر جونسون، مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، تأييد حكومة بلاده للمبادئ الأساسية التي تضمنها مشروع

الغالبية الذي ورد في تقرير لجنة التحقيق الدولية الخاصة. وبعد أن اعترف بضرورة إجراء بعض التعديلات على هذا التقرير، للمساهمة في وضع منهاج دولي يرمي إلى إيجاد حل سلمي عملي لقضية فلسطين. هذا الحل الذي قد يتطلب تنفيذه إنشاء قوة دولية عن طريق التطوع تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة.

وأعلن السيد سارابكن مندوب الاتحاد السوفيتي في ١٣ تشرين الأول ١٩٤٧ عن تأييد بلاده لمشروع الأغلبية القاضي بتقسيم فلسطين مؤكداً على أهمية التعاون بين العرب واليهود في النواحي الاقتصادية وضرورة تعيين الحدود بين الدولتين و أشار إلى حق العرب واليهود في تقرير المصير. ثم برر تشكيل الدولة اليهودية على اعتبار أن التوتر الذي نشأ بين الشعبين أصبح على أشده مما يجعل جمعهما في دولة موحدة أمراً مستحيلاً.

كما أيد مشروع التقسيم المندوب الكندي ومندوبو اتحاد إفريقية ونيوزيلندة. وإزاء هذا التأييد الذي عبرت عنه معظم الدول التي اشتركت في المناقشات ظهرت المعارضة الشديدة التي أبداها ممثلو الدول العربية فقال المندوب السعودي (إنّ المملكة العربية السعودية ترفض مشروع التقسيم ولا تسمح باتخاذه أساساً لبحث القضية الفلسطينية وترى أن الحل الوحيد إنما هو إعلان فلسطين دولة مستقلة وتشكيل حكومة ديمقراطية فيها).

وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٤٧ أكد مندوب بريطانيا (كريش جونسن) قرار الحكومة البريطانية بالجلاء عن فلسطين بأقرب وقت ممكن الذي سبق أن أعلنته في ٢٦ أيلول ١٩٤٧، فقال (إن حكومتي ترغب في أن يعرف بوضوح، وبدون أقل ريب أو إيهام أن قرارها لا يقتصر فقط على إنهاء الانتداب، بل أيضاً على الجلاء عن فلسطين ضمن مدة محددة. وأن جلاء الإدارة البريطانية يجب أن يجري بقدر الإمكان بنقل السلطة بصورة منتظمة إلى سلطة أخرى مناسبة

معترف بها من قبل منظمة الأمم المتحدة كمقدمة للاستقلال. وعلى كل الأحوال فان بريطانيا لا تستطيع المثابرة على تحمل أعباء الانتداب التي يتعذر على أية دولة منتدبة أخرى تحملها ولا سيما عندما تصبح مسؤولياتها أكثر صعوبة بسبب مواطني الدول الأخرى).

وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٧ انقسمت اللجنة الخامسة إلى لجنتين فرعيتين تألفت اللجنة الأولى برئاسة بروزنيسكي ممثل بولندة، من الدول التي وافقت على مشروع الأغلبية من أعضاء لجنة التحقيق الدولية لتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق) وجيكوسلوفاكيا (سابقاً) وغواتيمالا وهاييتي والبيرو وبولندة واتحاد جنوبي إفريقيا والاورغواي وفنزويلا. ولقد عملت هذه اللجنة مع الوكالة اليهودية وقد رفضت الهيئة العربية العليا التعاون معها. ماعدا في المسائل المتعلقة بالحدود.

أما اللجنة الفرعية الثانية التي تألفت برئاسة السيد محمد ظفر الله خان ممثل الباكستان وعضوية الدول التي أيدت مشروع الأقلية من أعضاء لجنة التحقيق الدولية وعارضت مشروع التقسيم وهي العراق وسوريا ولبنان والسعودية ومصر والباكستان وأفغانستان وكولومبيا.

وفي ٣١ تشرين الأول ١٩٤٧ قدم مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، إلى اللجنة الفرعية الأولى اقتراحاً بشان تنفيذ التقسيم يتضمن ما يلي:

١. إذ وافقت الجمعية العامة على مشروع تقسيم فلسطين تصبح الدولتان العربية واليهودية مستقلتين في اليوم الأول من حزيران ١٩٤٨.

٢. أن تستمر بريطانيا في تحمل مسؤولية المحافظة على النظام والقانون في هذه الفترة حتى ذلك التاريخ.

٣. أن تؤلف لجنة في منظمة الأمم المتحدة من ثلاثة أعضاء للذهاب إلى فلسطين بعد اتخاذ القرار بتقسيمها – في حالة الموافقة على قرار التقسيم – تعمل كلجنة استشارية للدولتين الجديدتين طوال فترة الانتقال على أن يكون عملها بالاتفاق التام مع السلطات البريطانية.

٤. أن تعطى الدولتان العربية واليهودية في الفترة المؤقتة فرصة لتشكيل (حكومة ظل) تمنع صلاحية تجنيد قوات أمنها الخاص وتسليحها.

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٤٧ قدم مندوب الاتحاد السوفيتي مشروعاً مقابلاً لتنفيذ التقسيم في حالة إقراره من قبل الجمعية العامة تضمن ما يلي:

١. إنهاء الانتداب في ١ كانون الثاني ١٩٤٨، يتولى بعده مجلس الأمن المسؤولية في فترة الانتقال التي يجب أن لا تزيد مدتها على السنة الواحدة.

٢. جلاء الجيوش البريطانية جلاء تاماً في خلال ثلاثة إلى أربعة أشهر من تاريخ إنهاء الانتداب.

٣. وفي هذه الأثناء تقوم لجنة فلسطين الدولية بعملية تخطيط الحدود بين الدولتين. وتعين بعد التشاور مع العرب واليهود مجالس حكومية مؤقتة في الدولتين.

٤. تقوم هذه المجالس بتوجيه من مجلس الأمن وبموافقة اللجنة الدولية. بتنظيم الانتخابات لانتخاب جمعيات تأسيسية، تشكل بدورها حكومات مركزية ومحلية على أسس ديمقراطية.

٥. تقوم هذه المجالس أيضاً في أقرب وقت ممكن بتشكيل فرق ميليشيات وطنية كافية لحفظ النظام الداخلي ولمنع حدوث اصطدامات على الحدود.

٦. يكون لكل ميليشيا رئيس أركانها الخاص، على أن تبقى هذه الميليشيا في الدولتين خاضعة لرقابة مجلس الأمن طوال فترة الانتقال.

وعلى إثر ذلك عقد اجتماع بين المندوبين السوفيتي والأمريكي لدراسة الاقتراحين السالفي الذكر، الذي تمخض عن الاتفاقية التالية التي جمعت بين الاقتراحين وهي:

١. أن ينتهي الانتداب ويتم جلاء الجيوش البريطانية في ١ أيار ١٩٤٨.

٢. أن تبرز الدولتان العربية واليهودية إلى عالم الوجود في ١ تموز ١٩٤٨ أو في أي وقت أخر بعد يوم ١ أيار ١٩٤٨ توصي به لجنة الأمم المتحدة ويوافق عليه مجلس الأمن.

٣. أن تشكل الجمعية العامة لجنة مؤلفه من ثلاثة إلى خمسة أعضاء من الدول التي جندت مشروع التقسيم.

٤. أن تنفذ هذه اللجنة التدابير التي توصي بها الجمعية العامة.

٥. أن تساعد بريطانيا في إنهاء أعمالها كدولة منتدبة.

٦. أن تكون مسؤولة عن إدارة فلسطين في الفترة الواقعة بين إنهاء الانتداب وتأسيس الدولتين الجديدتين.

٧. أن تقوم بعملها تحت سلطة مجلس الأمن وبإرشاده. وأن تسير بموجب التوصيات والتعليمات التي تتلقاها من مجلس الأمن والجمعية العامة.

٨. أن تقدم إلى مجلس الأمن تقارير شهرية عن سير أعمالها.

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٧ أولى الكسندر كادوغان ببيان الحكومة البريطانية بصدد الاتفاق السالف الذكر، فقال (يوجد وجهان للجلاء، هما الجلاء العسكري والجلاء المدني. أما الجلاء العسكري فقد بذل جهد ما استطاع لإنقاص المدة المطلوبة للانتهاء منه إلى أقصى حد ممكن، وليس من الممكن استباق معرفة الوقت المطلوب. ليس لجلاء الجيوش من فلسطين فحسب، وإنما لجلاء مؤن هذه الجيوش ومعداتها أيضاً. وقد فوضت بأن أقول إن التعليمات التي أرسلت إلى سلطاتنا هي أن تضع خطة لإنهاء الجلاء في آب ١٩٤٨. وما دامت الجيوش البريطانية في أي جزء من فلسطين فهي لا ريب ستحافظ على القانون والنظام في المناطق التي تكون محتلة من قبلها. وقد وجهت إليّ التعليمات بأن أوضح لكم بكل جلاء أن الجيوش البريطانية لا يمكن أن تكون آلة لفرض حل في فلسطين بالقوة ضد رغبة العرب واليهود. أن قضية عدم كون الأمر شيئاً عملياً أن تجلو آخر قطعنا العسكرية في فلسطين قبل الصيف القادم، لا يتضمن أننا سنستمر على ممارسة الإدارة المدنية في فلسطين في الفترة المتوسطة بين الحالين. إن الأمر على العكس فأننا نحتفظ بحق التخلي عن الانتداب وإنهاء إدارتنا المدنية في أي وقت يبدو بجلاء أن الجمعية العامة لم تتوصل إلى حل يقبل به اليهود والعرب معاً. وفي حالة كهذه تبقى هنالك فترة من الزمن بين إنهاء الانتداب وبين جلاء آخر الجيوش البريطانية. وفي خلال هذه الفترة تتوقف حكومة جلالته عن ممارسة الإدارة الوطنية. وتقتصر على حفظ النظام في المناطق التي ما تزال جيوشها باقية فيها، وكذلك إذا كانت في فلسطين في تلك الأثناء لجنة دولية تعد العدة لتنفيذ حل يحتاج تنفيذه إلى قوة. فيجب أن لا تنتظر من السلطات البريطانية ممارسة المسؤولية الإدارية أو المحافظة على القانون

والنظام إلا في المناطق المحدودة التي تكون محتلة مـــن قبلـــها خـــلال عمليـــة الجلاء).

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ قدمت اللجنة الفرعية المؤلفة من مندوبـــي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الســـوفيتي (الســـابق) وكنـــدا وغواتيمـــالا مشروعاً إلى لجنة فلسطين الخاصة لتنفيذ تقسيم ينص على ما يلي:

١. يتفق على موعد إنهاء الانتداب بين لجنة فلسطين والأمن على ذلك بشـرط أن لا يتعدى ١ أب ١٩٤٨.

٢. تجلو الجيوش البريطانية عن الأراضي الفلسطينية بصورة تدريجية، علـــى أن يتم هذا الجلاء بين اللجنة الفلسطينية الخاصة وبين بريطانيـــا وبموافقـــة مجلس الأمن حتى أول آب ١٩٤٨، وعلى بريطانيا أن تعلم اللجنة مسبقاً عـن عزمها على الجلاء من كل منطقة تجلو منها، كما أن على اللجنة أن تبحـــث مع بريطانيا في وقت قريب قضية جلائها عن مناطق المرافئ في الدولتين.

٣. تبرز الدولتان العربية واليهودية إلى عالم الوجود بعد انتهاء الجلاء بشـــهرين اثنين وليس بعد ١ تشرين الأول ١٩٤٨. ويعد قانون خاص لمدينة القدس.

٤. أن المدة الواقعة بين مباشرة الجمعية العامة بتنفيذ التوصيات بشـــأن القضيـــة الفلسطينية وبين تشكيل الدولتين المستقلتين تعتبر فترة انتقال.

٥. تعين الجمعية العامة لجنة مؤلفة من البلدان التالية، الاورغـــواي غواتيمـــالا وبولندة والنرويج وأيسلندة.

٦. يعهد إلى هذه اللجنة بإدارة فلسطين في أثناء فترة الانتقـــال تحـــت إشـــراف مجلس الأمن وبإرشاده ووفقاً لتوصيات الجمعية العامة. ولكي تتمكن اللجنـــة من القيام بالتبعة الملقاة على عاتقها تمنح صلاحية إصدار القوانين اللازمـــة

واتخاذ التدابير الأخرى المطلوبة. وعلى بريطانيا أن لا تصدر أية قوانين لمنع أو وقف أو تأخير تنفيذ التدابير التي اتخذتها اللجنة.

٧. على اللجنة بعد المشاورة مع الأحزاب الديمقراطية والمنظمات الأخرى العامة في الدولتين العربية واليهودية أن تشكل حكومة مؤقتة في كل من الدولتين على أن تقوم هاتان الحكومتان بتأدية مهمتها بإرشاد اللجنة بصورة عامة. وإذا تعذر على اللجنة تشكيل الحكومتين حتى أول نيسان ١٩٤٨- أو إذا تمكنت من تشكيلهما وبرهنتا على عجزهما عن القيام بمهمتهما حتى ذلك التاريخ، فإن على اللجنة أن تبلغ ذلك إلى مجلس الأمن ليعمل ما يراه مناسباً بهذا الصدد.

٨. تحمل الحكومتان المؤقتتان البعثة الكاملة في إدارة شؤون فلسطين في الفترة الكائنة بين إنهاء الانتداب وبين تشكيل الدولتين المستقلتين.

٩. على الحكومتين المؤقتتين أن تشكلا تحت إشراف اللجنة ودوائر حكومية مركزية ومحلية.

١٠. على الحكومتين المؤقتتين أن تجندا في اقرب وقت ممكن من أفراد شعبيهما ميلشيا مسلحة كافية لحفظ الأمن الداخلي ولمنع الاصطدامات التي قد تقع على حدودهما.

١١. على الحكومتين أن تقوما بإجراء انتخابات لتشكيل جمعية تأسيسية على أن تجري هذه الانتخابات في خلال شهرين اثنين من تاريخ الجلاء البريطاني وعلى أسس ديمقراطية. وأن يكون سن الناخبين فوق الثامنة عشر من مواطنين فلسطينيين قاطنين في أراضي الدولة، أو من العرب أو اليهود القاطنين في الانتخاب أن يتجنسوا فيها ليسوا فلسطينيين ولكنهم يظهرون

رغبتهم قبل موعد الانتخاب أن يتجنسوا بالجنسية الفلسطينية. أما سكان مدينة القدس من العرب أو من اليهود الذين يبدون رغبتهم في التجنس بجنسية إحدى الدولتين فيحق لهم التصويت،ويحق للنساء أن يصوتن أسوة بالرجال.

١٢. يسن لكل دولة من الدولتين دستور ديمقراطي ينص أيضاً على انتخاب مجلس تشريعي بالاقتراع السري العام على أساس التمثيل النسبي وعلى أن تكون هناك هيئه تنفيذية مسؤولة أمام هذا المجلس التشريعي وعلى قبول مسؤولية الكف عن استعمال التهديد أو استعمال القوة، وعلى ضمان منح الحقوق بروح المساواة وعدم التميز، وعلى المحافظة على حرية النقل لجميع المواطنين في الدولتين على ان يخضع ذلك لدراسة وبحث من قبل الأمن العام الوطني.

أما اللجنة الفرعية الثانية التي كان يترأسها السيد محمد ظفر الله خان مندوب الباكستان فقد قدمت مقترحات بشأن دستور الدولة الموحدة التي اقترحتها الأقلية من أعضاء لجنة التحقيق الدولية. وبعد أن اعتبرت هذه اللجنة الفرعية أنه لا يحق للأمم المتحدة من الوجهة القانونية تقسيم فلسطين تقدمت في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ بالاقتراحات التالية:

١. تشكيل حكومة مؤقتة في فلسطين تبدأ بريطانيا على إثرها بجلاء قواتها، على أن ينتهي هذا الجلاء في خلال سنة واحدة.

٢. تتوقف الهجرة في خلال هذه المدة ويبقى قانون الأراضي نافذاً.

٣. أن يؤخذ رأي محكمة العدل الدولية في نقاطه.

٤. أن تعالج مشكلة اليهود المشردين بصورة عامه بموجب اتفاقية دولية.

٥. أن تصبح فلسطين دولة موحدة ذات سيادة وأن يسن لها دستور ديمقراطي.

وقد طرأ تعديل كبير على المشروعين الواردين في تقرير لجنة التحقيق الدولية، ولم يظلا على حالهما فقد أقترح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٧، ضم مدينة يافا إلى الدولة العربية لأن أكثرية سكانها من العرب في أثناء المناقشات التي جرت في ٢٣و٢٤ تشرين الثاني. وجرى تصحيح آخر لمصلحة العرب في حدود منطقة النقب المؤقتة وذلك بقصد جعل مساحتي الدولتين متساويتين بقدر المستطاع فقد كانت منطقة النقب ما عدا شقة ضيقة على الساحل ضمن المنطقة اليهودية. وبعد مناقشات مطولة أعرب فيها الكثير من مندوبي الدول عن مواقفهم الصريحة على مشروعي لجنة التحقيق الدولية.

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٧، جرى التصويت في اللجنة الخاصة بفلسطين على المقترحات الثلاثة المقدمة للجنة وهي كما يلي:

١. المقترحات العربية بشأن جعل فلسطين دولة موحدة فرفضت المقترحات ب(٢٩) صوتاً ضد (١٢) صوتاً وامتناع (١٤) دولة عن التصويت وغياب دولتين.
٢. الاقتراح بنقل القضية الفلسطينية برمتها بما فيها وعد بلفور وموضوع الانتداب إلى محكمة العدل الدولية. فسقط الاقتراح بـ(٢٩) صوتاً ضد (١٨) صوتاً وامتناع (١١) دولة عن التصويت.
٣. الاقتراح بتكليف محكمة العدل الدولية بإبداء رأيها بشأن صلاحية الأمم المتحدة بتنفيذ أي نوع من التقسيم دون موافقة سكان فلسطين على ذلك فسقط هذا الاقتراح أيضاً بـ (٢١) صوتاً ضد (٢٠) صوتاً وامتناع (١٦) دولة عن التصويت. أما بريطانيا فقد امتنعت عن إعطاء صوتا في جميع هذه المقترحات.

وبعد فشل تلك المقترحات اجتمعت لجنة فلسطين الخاصة التابعة للأمم المتحدة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ لكي تقول كلمتها الأخيرة في الاقتراحات المختلفة فجرى التصويت على مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية مع بقاء الوحدة الاقتصادية بينهما ففاز المشروع بـ (٢٥) صوتاً ضد (١٣) صوتاً وامتناع (١٧) دولة عن التصويت وغياب دولتين عن الاجتماع. وهكذا وافقت اللجنة على المشروع و أحالته إلى الجمعية العامة بعد أن دامت مناقشته زهاء الثلاثة أشهر (١١ أسبوعاً).

٣. قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين:

عرض في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ تقرير اللجنة الخاصة، الذي أوصت فيه بالموافقة على مشروع التقسيم مع بقاء الوحدة الاقتصادية على الجمعية العامة للأمم المتحدة. وكان القرار يتطلب موافقة ثلثي الأعضاء. وقد احتدمت المناقشات التي دامت ثلاثة أيام بين الدول المؤيدة للتقسيم والدول المعارضة حاز بعدها المشروع الأكثرية المطلوبة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ عندما اجتمعت الجمعية العامة بكامل هيئتها، وأجرت التصويت عليه فقد صوتت ثلاث وثلاثون ودولة بالموافقة على المشروع بينما عارضة ثلاث عشرة دولة وامتنعت عشر دول عن التصويت وتغيبت دولة واحدة عن الاجتماع.

ولم يكن قرار التقسيم الحل العادل الذي ينصف أصحاب الحق الشرعيين العرب سكان فلسطين الأصليين وإنما كان مساومة كبرى لتقسيم بلادهم واغتصاب وطنهم الذي عاشوا على ترابه وتحت سمائه آلاف السنين وما كانت تلك المؤامرة القذرة من دون تأييد الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي اللتين تبنتا مشروع التقسيم، مما دفع بالدول

الدائـــرة في فلكيهما إلى التصويت إلى جانب التقسيم، كما أن تأييدها المشترك قـد حمل الدول المترددة إلى الاقتداء بهما والتصويت بتأييد المشروع.

ونظراً لعدم وجود سلطة تنفيذية موجهة إلى هيأتها الرئيسية وأعضائـــــها المعنيين بالتنفيذ. وقد أثيرت مسألة صلاحية الأمم المتحدة الدستورية فـــي اتخـاذ قرار التقسيم من قلب الدول العربية. ولكن الدول المتحمسة للتقسيم لم تشجع علـى بحث الموضوع وعارضت إحالته لمحكمة العدل الدولية لإبـــــداء رأيـها حـول صلاحية الأمم المتحدة في تنفيذ التقسيم، وعلى أي حال فإن الجمعية العامة، علـى ما يبدو كانت تتصرف عندما أقرت التقسيم وكأن الأمر ضمن الصلاحيـــة التـي خولها إياها الميثاق. ومهما يكن من شيء فأن غالبية الأصوات التي أيدت قـــرار التقسيم قد أظهرت بأن الجمعية العامة نفسها كانت تعتقد بان لها الصلاحية لاتخاذ مثل هذا القرار.

ولقد تضمن مشروع التقسيم الذي أقرته الجمعية العامة للأمـــم المتحـدة فـي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ إلى جانب الاعتبـــارات السياســية كثـيراً مـن الاعتبارات الإقليمية من جغرافية وسكانية واقتصادية ووضــــع تعميمـــاً لثــلاث كيانات وهي الدولة العربية والدولة اليهودية ومدينة القـــدس. وتشــمل الدولـــة العربية حسبما جاء في القرار القسم الأكبر في فلســطين، الــذي يضــم الجــزء الشمالي من الجليل والقسم الأوسط من فلسطين الممتد من أسد ريلون جنوباً إلـــى بئر السبع وقطاعا من الأرض على طول البحر المتوسط (الــذي يشــمل غــزة) وعلى طول الحدود المصرية إلى حوالي نصف الطريـــق الــذي يربــط البحــر المتوسط بالبحر الأحمر.

ويضم كذلك مدينة يافا التي كانت تشكل برزخاً جغرافياً في وسط الدولـــة اليهودية. ما عدا يافا فإن الدولة العربية تشتمل على ثلاث مناطق واحـــدة منــها

تتصل بالمنطقتين العربيتين في نقاط تفصلها والتي تلتقي مع بعضها البعض هي الأخرى أيضاً. أما الدولة اليهودية فتشمل على ثلاث مناطق وهي القسم الشرقي من الجليل ووادي أسد ريلون والقطاع الساحلي الممتد حتى جنوب يافا والمنطقة الثالثة الجزء الذي لم يخصص للعرب من صحراء النقب. وأما القدس فتشمل على بيت لحم وبعض الضواحي الأخرى. وهي تكون وحدة منفصلة عن الدولتين العربية واليهودية.

وبالرغم من إمكان تحديد التقسيم على الخارطة إلا أنه من الناحية التطبيقية لم يكن واقعياً ولا سهلاً. ولقد تقرر أن تضم الدولة العربية معظم أراضي فلسطين الداخلية التي تمتد حتى الحدود الأردنية والقسم الجنوبي من الأراضي الساحلية مع القسم الساحلي من صحراء النقب المهم استراتيجياً والممتد حتى الحدود المصرية. أما الدولة اليهودية فكانت تضم معظم الجزء الساحلي من فلسطين المتطور اقتصادياً والذي يحتوي على كثافة سكانية ومنطقة خصبة أخرى مزدحمة بالسكان هي القسم الشرقي من الجليل ومعظم صحراء النقب التي بالرغم من كونها أراضي صحراوية خالية من السكان إلا أن اليهود بذلوا جهوداً لضمها إلى دولتهم لغرض إقامة المستوطنات فيها في المستقبل.

أما بالنسبة لتوزيع المدن الكبيرة بين الدولتين، فقد تقرر أن تكون القدس التي تضم مزيجاً من العرب واليهود والمسيحيين دولية أما تل أبيب (التي كانت ضاحية ليافا في السابق) والتي تضم غالبية يهودية فتبقى يهودية وكذلك حيفاً، بالرغم من أن اليهود يشكلون أكثرية في القسم الساحلي من المدينة فقط. وعلى أي حال كان المقرر أن تشتمل الدولة العربية على المناطق التي أكثرية سكانها من العرب والدولة اليهودية على المناطق التي أكثرية سكانها من اليهود.

إن فقدان الوحدة الجغرافية في كل من الدولتين أثار جدلاً كبيراً حول واقعية التقسيم فالحدود المصطنعة التي وضعت بين المناطق التي غالبيتها من العرب وتلك التي غالبيتها من اليهود لم تكن عملية. وأن خارطة التقسيم التي وضعتها لجنة الأمم المتحدة على أي حال تشبه إلى حد كبير خرائط التقسيم التي سبق أن اقترحها اللجان البريطانية خلال ثلاثينات القرن العشرين.

لقد كان لصدور قرار التقسيم صدى عظيم في البلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط فقد كان بمثابة الوقود الذي زاد من لهيب الثورة التي شنها عرب فلسطين من أجل حريتهم واستقلالهم فطفقوا يقارعون جيش الاحتلال والصهاينة الغزاة دفاعاً عن أرضهم ووطنهم يحدوهم الإيمان بعدالة قضيتهم بالرغم من قلة السلاح والعتاد.

فإلى جانب مظاهرات الاحتجاج التي اجتاحت جميع العالم العربي، التي طالبت الحكومات العربية بالعمل على تحرير فلسطين وإنذارها من الخطر الداهم، عقدت الجامعة العربية عدداً من الاجتماعات لتؤكد موقفها السابق برفض مشروع التقسيم الذي ينص على (أن مجلس جامعة الدول العربية يؤكد من جديد عزم دول الجامعة العربية إلى مواصلة الدفاع عن حقوق عرب فلسطين حتى يرجع الحق إلى نصابه. وأن مجلس الجامعة لن يلين ولن ينثني عن عزمه وعلى رفض أي مشروع من شأنه أن يؤدي إلى تقسيم فلسطين أو تأسيس رأس جسر صهيوني فيها. كما وأنه لن يدخر وسعاً في القيام بكل ما تتطلبه الظروف والأحوال للاحتفاظ بصفة فلسطين العربية وباعتبارها جزءاً حيوياً من الوطن العربي الأكبر).

ولكي يتدارس الموقف الذي استجد بعد صدور قرار التقسيم والنظر في الخطوات التي يجب اتخاذها، ونظراً لما يكتنف اجتماعات الجامعة من

إجـــراءات وما يقتضيه الموقف الملح من سرعة، فقد بادر رؤســـاء الحكومـــات العربية في ١٨ كانون الأول ١٩٤٧ إلى الاجتماع في القاهرة الذي جاء فيه (لقـــد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعاتهم بالقاهرة أن التقسيم باطل مـــن أساسه. وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هـو كفيل بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب. وسيرى العـالم استحالة أخذ العرب بالعنف وإخضاعهم بالقوة أيا كان مصدرها، وسيرى العـــالم أن العرب حين دعوا إلى التمسك بقواعد الحق والعدل وحيـن أنـذروا بعواقـب المغامرة الصهيونية، إنما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعاً، راغبين فـــي استبعاد أسباب الفتن والاضطراب في الشرق الأوسط، حريصين علـــى قـرار السلام في ربوعه، وسيرى العالم كذلك أن الذين عملوا علـــى تقسـيم فلسـطين يتحملون وحدهم مسؤولية الفتن والاضطرابات التي أثاروها والتي لا يعلم مداها. أما وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى في ساحة الأمم المتحدة، وأغلقت أبـواب الحق والعدل في وجه العرب فأنهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التـــي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بإذن الله، فتستقر مبادئ الأمـــم المتحدة في نصابها السليم، وتسود في الأراضي المقدسة مبادئ العدالة والمســاواة بين الناس أجمعين).

وبالرغم من إبلاغ الدول العربية الأمين العام للأمم المتحـــدة برفضـــهم الاعتراف بأي عمل أو قرار يصدر استناداً إلى إقرار الجمعيـــة العامـــة بتقســيم فلسطين وأن الدولة العربية سوف تقاوم أية محاولة لتأســيس الدولـــة اليهوديـــة. وبالرغم من قرار رؤساء الحكومات العربية بـــإمداد عــرب فلســطين بالمـــال والسلاح والرجال وتأليف (جيش الإنقاذ العربي) فان موقف الحكومات العربية لـم يكن بمستوى الأحداث وخطورة الوضع في فلسطين.

وفي خلال هذه الفترة من الصراع السياسي، أكملت القوة اليهودية في فلسطين استعداداتها لتنفيذ المخططات الصهيونية، واستطاعت تكوين عدة منظمات عسكرية وهي – الهاغاناة (٨٠ ألفاً)، الارغون (١٥٠٠-١٦٠٠ مقاتل) شتيرن (١٥٠٠-٢٠٠٠ مقاتل) والبالماخ (٣٥٠٠ مقاتل). وكانت هذه المنظمات المختلفة مقتنعة بأساليب عملها على تحويل المدن والمستوطنات إلى قلاع قوية من الناحية الدفاعية، وإحاطة العمل في المستوطنات بنطاق من السرية المطلقة، وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي في التسلح والمواد التموينية للدفاع عن نفسها لمدة طويلة. وبفضل هذا التنظيم، وبدعم من سلطات الانتداب أمكن تطوير التسلح عند الصهاينة. وأمكن إقامة مصانع لإنتاج رشاشات (ستن) البريطانية، ومدافع الهاون عيار ٣,٢ بوصة وذخائرها، وقاذفات اللهب الخفيفة، ومدافع بيات المضادة للدروع، واستطاعت هذه المصانع أن تنتج حتى عشية الحرب العربية-الصهيونية الأولى (١٩٤٨)، (١٠٠) رشاش خفيف يومياً وارتفعت بعد نيسان (١٩٤٨) إلى (٢٠٠) رشاش يومياً و(٤٠٠) ألف طلقة عيار ٢٣ ملم للرشاشات (شهرياً) و(١٥٠) ألف قنبلة يدوية وميلز و(٣٠) ألف قذيفة هاون ٣ بوصة.

ولقد وقع بعد إعلان قرار التقسيم في تشرين الثاني ١٩٤٧ حوادث وصدامات دامية اشتركت فيها المنظمات الصهيونية من جهة، والقوات غير النظامية العربية من جهة أخرى (جيش الجهاد المقدس، وجيش الإنقاذ، وقوات المتطوعين المصرين) وكان البريطانيون يتظاهرون خلال المصادمات بالوقوف على الحياد، ويدعمون عملياً المنظمات الإرهابية الصهيونية ويزودونها بالسلاح والذخائر.

وفي ١٩ آذار ١٩٤٨، عقد مجلس الأمن جلسة استمع فيها إلى قرار لجنة التقسيم، وجاء فيه (استحالة العمل وسط القوة والعنف) وذكر أن السبيل الوحيد أمام هيئة الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين هو (إرسال جيش دولي لتنفيذ التقسيم بالقوة أو إهماله نهائياً). وأمام هذا الموقف ونتيجة لمقاومة العرب المتصاعدة، قامت أكثر الدول حماسة لمشروع التقسيم بالتخلي عن مشروعها، وأعلن المندوب الأمريكي سحب حكومته لتأييدها لقرار التقسيم، واقتراح وضع فلسطين تحت الوصايا، وإعادة القضية للأمم المتحدة، ودعوة الطرفين إلى هدنة في فلسطين. وعقدت الجامعة العربية اجتماعاً في نيسان ١٩٤٨ قررت فيه رفض اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وجاء في قرارها الذي أبلغ إلى الأمم المتحدة (أن الوصاية الدولية نظام مؤقت سيزيد اليهود خلاله قوة، ويعطيهم وقتاً لتأمين تفوق لهم على تفوق العرب الحاضر)، واشترطت الجامعة العربية أيضاً لقبول الهدنة في فلسطين حل الهاغاناة ووقف الهجرة إلى فلسطين وتجريد اليهود من السلاح.

وفي الوقت نفسه رفضت الوكالة اليهودية نظام الوصاية الدولية لان قرار التقسيم اصبح وثيقة دولية. واشترطت لقبول الهدنة أن لا يكون في إقرارها ما يحول دون قيام الدولة اليهودية. وأمام هذا الموقف اتخذ مجلس الأمن في شهر آذار القرار التالي:

١. إعادة القضية للجمعية العامة لإعادة النظر فيها على ضوء التطورات الجديدة.

٢. دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة في فلسطين وتعيين قناصل أميركا وبلجيكا وفرنسا في القدس للإشراف على تنفيذ اقتراح الهدنة.

٣. دعوة الجمعية العمومية إلى دورة استثنائية خاصة تعقد في ١٦ نيسان ١٩٤٨ للنظر مجدداً في قضية فلسطين.

ولقد فشلت لجنة الهدنة في مهمتها وأبرقت إلى مجلس الأمن بإعلان عجزها عن أداء المهمة الموكلة إليها، وخلال هذه الفترة كانت بريطانيا تتابع تنفيذ سياستها لإقامة الكيان عملياً، وعلى الرغم من نداء مجلس الأمن بإعادة قضية فلسطين للجمعية العمومية من أجل بحثها مجدداً. وعلى الرغم أيضاً من نداء المجلس الموجه إليها في ١٧ نيسان ١٩٤٨ للبقاء في فلسطين كدولة منتدبة تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة حتى يتم الوصول إلى حل جديد للمشكلة، وعلى الرغم من المجازر التي اجتاحت جميع أنحاء فلسطين في أعقاب فشل جهود لجنة الهدنة الثلاثية، فقد أصرت بريطانيا على تنفيذ قرارها القاضي بالانسحاب نهائياً من فلسطين بتاريخ أقصاه يوم ١٥ أيار ١٩٤٨. وكانت بريطانيا واثقة من نجاحها في إقرار التقسيم في النهاية. حتى بعد قرار مجلس الأمن الأخير، وحتى بعد تغير موقف الدول من قرار التقسيم وانقلابها عليه، ولكنها كانت تشك بقدرتها وقدرة الأمم المتحدة على تنفيذ التقسيم مع وجود المقاومة العربية العنيدة والمتصاعدة. ولذلك، ومن أجل التغلب على العقبات وضعت بريطانيا مخططاً جديداً يتلخص في تمكين العصابات اليهودية من الاستيلاء على أكبر عدد من القواعد والمواقع والمعسكرات البريطانية في فلسطين في أثناء وجودها وبدعم منها. وتأمين الوسائل الضرورية لإرغام العرب على الجلاء من المناطق التي رأت بريطانيا أنها ضرورة لقيام الدولة اليهودية ولتحقيق سلامتها وانتزاع قيادة يمكن لبريطانيا توجيهها والهيمنة عليها وعلى تصرفاتها.

وتنفيذاً لذلك المخطط بدأت بريطانيا انسحابها خلال الفترة بين ١٩ شباط ١٩٤٧و(١٥) أيار ١٩٤٨. ولم تتم عملية الانسحاب من المناطق العربية واليهودية بوقت واحد، وإنما بدأت بالجلاء عن المناطق اليهودية. وكانت تسلم سلطات الإدارة في هذه المناطق إلى الوكالة، كما تسلمها أو تتخلى لها عن المعسكرات والمطارات ومستودعات الذخيرة التي كانت تحتل الأهمية الأولى في فلسطين خلال تلك الفترة. وبذلك هيأت بريطانيا لليهود فرصة تشكيل أداة إدارية وعسكرية هذه الإدارة تسيطر فعلاً على عدد من المعسكرات الحربية البريطانية والمطارات والقلاع والمراكز مع جميع ما في هذه الأماكن من تجهيزات ومعدات وأسلحة وذخائر. أما في المناطق العربية فقد ظلت جميع القوات البريطانية حتى آخر أيام الموعد المحدد وهي تمارس جميع صلاحياتها ضد الشعب العربي الفلسطيني، وضد استعداداته العسكرية للدفاع عن نفسه ضد الهجمات المنظمة التي أخذ الصهاينة بشنها ضد العرب. وقاومت إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية كما قاومت دخول المتطوعين من البلاد العربية إلى فلسطين.

ويضاف إلى ذلك الفظائع المروعة التي ارتكبها الصهاينة بحق السكان العرب بشن حرب إبادة ضد السكان العزل الذي لم يكن لديهم جيش أو سلاح لإجبارهم على ترك قراهم ومدنهم لاحتلالها من جهة ولإرباك الوضع العربي العام بخلق مشكلة جديدة هي مشكلة اللاجئين. ولإشغال العرب بها عن الإقدام على عمل عسكري حاسم.

وعلى إثر إعلان بريطانيا إنهاء الانتداب في منتصف ليلة ١٤ أيار ١٩٤٨ أعلن الصهاينة في الصباح الباكر من اليوم الثاني ١٥ أيار ١٩٤٨ عن قيام الكيان الصهيوني. وبعد مرور إحدى عشرة دقيقة على إعلان قيامه اعترفت

به الولايات المتحدة الأمريكية ثم تبعها الاتحـــاد الســوفيتي (الســابق) والــدول الأخرى بقصد ترسيخ هذا الكيان وتعزيز نفوذه في الأراضي العربيـــة لضــرب حركة التحرر والوحدة العربية. وتحت ضغط الجماهير العربية من جهة وشراسة التآمر الاستعمار الانكلو - أمريكي من جهة أخرى اضطرت الحكومات العربيــة يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ على زج جيوشها في القتال على أرض فلسطين لإنقاذها من السيطرة الصهيونية.

المرحلة الأولى للحرب:

١. الجبهة المصرية:

كانت بداية العمليات على الجبهة المصريـــة الــهجوم علـــى مســتعمرة الدنجور التي تقع على مرتفع يميني على طريق رفــح - غــزة والتـــي تبعــد مسافـــة (٢٥) كم تقريبا شرق الطريق. وقــد هدفــت القــوات المصريـــة مـــن احتلالها، حماية محور إمدادها وتقدمها. وتم تدمير المستعمرة بنــيران المدفعيـــة بينما كانت القوات الرئيسية من مشاة ومدفعية ومدرعات تتقدم في اتجـــاه غــزة وقامت قوات خفيفة بمحاصرة المستعمرة . وفي مساء يوم ١٥ دخلـــت القــوات المصرية مدينة غزة. وفي فجر يوم ١٦ أيار تابعت القوات تقدمـــها فــاصطدمت بمستعمرة (كفار ديروم) الواقعة إلى الجنوب من غزة وعلى بعد منـــها بمســافة (١٦) كلم تقريبا. فتم تركيز نيران المدفعية عليها وخصصت قوات المتطوعيـــن لحصارها وتابعت القوات عملها حيث أخذت المدفعية بالتعامل مـــع مســتعمرات العدو الموجودة أمام غزة وهي (بيري دبيرون أسحق) وفي هذا اليوم ذاته قـــامت القوات الجوية المصرية بقصف مستعمرة الدنجور ومطار بتاح تكفا. وميناء تـــل أبيب.

وفي يوم ١٧ أيار، صدرت الأوامر إلى قوات المتطوعين – بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز – بالتقدم إلى بئر السبع عن طريق غزة– بئر السبع. فقامت بالتنفيذ واصطدمت بمقاومة شديدة في بركة العمارة، ولكنها تمكنت من التغلب عليها ونجحت في اقتحام المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة ودخلتها بعد ظهر يوم ١٩ أيار. وفي الوقت ذاته، تقدمت القوات المصرية شرق بلدة رفح واحتلت العوجة ومنطقة المسلوج بقوات صغيرة، ثم احتلت بئر السبع، بعد ان سيطرت عليها قوات المتطوعين، واتصلت القوات المصرية شمالاً بالمتطوعين في بلدة الخليل. وتابعت القوات المصرية بعد ذلك تقدمها على المحور الساحلي حيث اصطدمت بمستعمرة ديرسنيد بقوة الكتيبة الأولى للمشاة، وبطاريتي مدفعية عيار ٢٥ رطل وسرية مصفحات وعدد من الطائرات.

وفي يوم ١٩ أيار ١٩٤٨، بدأت الكتيبة الأولى هجومها ونجحت في احتلال موقف (فيليوكس) القائم إلى جنوب المستعمرة والمهيمنين عليها. ولكن عندما حاول جنود المشاة اختراق النقطة ذاتها، صدوا عنها بعد تكبيدهم خسائر فادحة. ونتيجة لهذا الفشل أعادت القيادة المصرية تنظيم قواتها وزجت في المعركة الكتيبة الأولى والثانية مشاة، وكتيبة مدفعية، وسرية مصفحات ودبابة. وقد لقي الهجوم فشلاً أولياً، فأعيد تنظيمه ثانية. وعند الوصول إلى إنهاك المقاومة ليلاً، قرر القائد متابعة الحركة وأمكن في النهاية السيطرة على المستعمرة ورفع العلم المصري فوقها يوم ٢٤ أيار ١٩٤٨.

في الوقت الذي كانت فيه الكتيبة الثانية تخوض معركتها ضد ديرسنيد، كلفت الكتيبة الأولى مشاة بالتقدم إلى المجدل، في يوم ٢٢ أيار واستطاعت الكتيبة أن تسلك طريقاً جانبياً، وان تصل إلى المستعمرة وتحتلها دون مقاومة، وفي يوم ٢٤ أيار تم احتلال مدينة عراق سويدان. وبذلك سيطرت القوات

المصرية على الطريق المؤدية إلى المستعمرات الصهيونية الجنوبية. ويعتبر هذا أول عمل قامت به القوة المصرية لعزل المستعمرات الموجودة في النقب وكانت الخطوة التالية هي احتلال أسدود، وقد تم تنظيم الهجوم ضدها بهدف تخفيف الضغط عن الجيش الأردني الذي كان يجابه هجمات قوية على محور باب الواد- اللطرون. وفي يوم ٢٩ أيار تحرك اللواء الثاني في اتجاه أسدود على أن تبقى الكتيبة الأولى في المجدل.

ووصلت القوات الساترة أسدود صباح يوم ٢٩ أيار، واحتلت مواقع دفاعية شمالي البلدة بحوالي (٤) كيلومترات، ووصلت المقدمة ظهر اليوم ذاته بعد أن عمل المهندسون على إزالة الألغام المزروعة على محاور الاقتراب. وعندما وصلت الكتيبة الثانية إلى ارتفاع مستعمرة نيتسانيم فتحت عليها نيران الرشاشات واشتبكت معها بعض الوقت، ثم استمرت الكتيبة في التقدم حتى دخلت أسدود دون مقاومة. وفي اليوم التالي هاجمت طائرتان صهيونيتان المصريين ونجحت المدفعية المصرية في إسقاط إحداهما. وفي يومي ٢٩و٣٠ أيار فتحت المدفعية المصرية نيرانها على مستعمرتي نجبا وبيرون إسحق. كما هاجمت القوات الجوية المصرية المستعمرات الجنوبية ومستعمرة رحابوت ودوروث للحد من نشاطها. وقصفت ميناء تل أبيب.

وقامت القوات الصهيونية في ٣٠ أيار، بهجوم مضاد على المواقع المصرية في أسدود، غير أنه صمد ببسالة فركن العدو إلى الانسحاب تاركاً خلفه عدداً كبيراً من القتلى. ثم قامت القوات الصهيونية بهجوم مضاد ثان على أسدود في اليوم الأول من حزيران، غير أنه رد على أعقابه متكبداً خسائر فادحة. وفي ٢ حزيران ١٩٤٨ طلبت قيادة الجيش المصري من قواتها في فلسطين احتلال خط المجدل – الفالوجا – بيت جبرين- الخليل، وخط أسدود –

قسطينة بهدف فصل المستعمرات الجنوبية في النقب عن منطقة شمال فلسطين، وإرغام هذه المستعمرات على الاستسلام بعد منع الإمداد عنها من الشمال. فصدرت الأوامر إلى الكتيبة الأولى بالتقدم شرقاً لاحتلال الفالوجا وبيت جبرين. وبذلك اندفعت القواعد شرقاً لمسافة أربعين كيلومتراً من المجدل ونجحت في احتلال المواقع المحدودة لها قبل أن تتمكن القوات الصهيونية من الوصول إليها. كما قامت بعض الوحدات بعد ذلك باحتلال دير نخاس وترقومية بعد أن طردت العدو الصهيوني منها. ثم تابعت تقدمها في اتجاه الخليل لتأمين الاتصال بين المجدل والخليل.

وفي يوم ٣ حزيران قامت القاذفات المصرية بشن غارة على مستعمرات ريشون ليزيون وجان بافين ومطار تل أبيب ومحطة توليد الكهرباء فيها، كما استعمرت القوات الجوية في معاونة الجيش الأردني في الجبهة التي كان يعمل فيها. ومن الواضح هنا أن القيادة المصرية قد غيرت اتجاهها فعوضاً عن التوجه شمالاً حتى تل أبيب تركز الجهد الرئيس نحو الشرق على محور المجدل- عراق سويدان- الفالوجا – بيت جبرين، وذلك بسبب خضوع القيادة المصرية لعدد من العوامل منها الضغوط الدولية لإيقاف القتال، مما حمل هذه القيادة على الإسراع في اكتساب أكبر عدد من المواقع، ومنها أيضاً الرغبة في تحقيق الاتصال بين القوات المصرية النظامية وقوة الفدائيين بقيادة أحمد عبد العزيز، التي كانت تتلقى تموينها حتى الآن عن طريق محور طويل وصعب يمتد من العوجة حتى بيت لحم عبر بئر السبع، وثالثها الرغبة في دعم عراق سويدان التي كانت تحتل مواقع هامة تلتقي عندها الطرق التي تربط النقب مع شمال فلسطين. وكانت نتيجة المرحلة الأولى على الجبهة المصرية أن نجح المصريون في إرغام العدو

على الخروج تماما من جنوب فلسطين. وكانت العمليات الأخيرة لهذه المرحلة هي عمليات نيتسانيم ونجيا.

وكانت مستعمرة نيتسانيم نقط ارتكاز تنطلق منها القوات الصهيونية للهجوم على القوات المصرية في اسدود، مما يجعل استمرار احتلال العدو لهذه المستعمرة مصدرا للاستيلاء على نيتسانيم بحيث يتم تنفيذها على مرحلتين يتم في الأولى تقدم المشاة المدعمة بالدبابات الخفيفة لاحتلال الجانب الأيمن من المستعمرة. وفي المرحلة الثانية يتم التقدم من الجانب الأيسر للمستعمرة واحتلال باقي أجزائها.

وفي صباح يوم ٧ حزيران ١٩٤٨ تقدمت الدبابات مقتربة من الجانب الأيمن للمستعمرة واشتبكت مع الصهاينة بالنيران حتى تمكنت من إسكات جميع مواقع الأسلحة، ثم تقدمت المشاة خلف الدبابات وقامت بفتح ثغرات في الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة واحتلت مواقع الأسلحة وأرغمت العدو على الانسحاب إلى الجهة اليسرى من المستعمرة، وتبع ذلك قيام المشاة والدبابات بسحق المقاومة في الجهة اليسرى. وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم ذاته، تم الاستيلاء على المستعمرة بعد أن تكبد الصهاينة خسائر جسيمة، وأمكن أسر(١٢٠) جنديا صهيونيا. وبالاستيلاء على مستعمرة (نيتسانيم) تم تأمين القوات المصرية الموجودة بأسدود من العزل عن باقي القوات. وقام العدو الصهيوني بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع المستعمرة في يومي ٩و١٠ وليل ٩-١٠ حزيران وانتهت جميع المحاولات بالفشل وتكبد العدو الصهيوني خسائر فادحة.

وكانت المعركة الضارية الثانية هي معركة (نجبا) حيث كانت هناك مستعمرة صهيونية بالقرب من مدينة المجدل على جانب طريق المجدل – بيت

جبرين– القدس. وكانت هذه المستعمرة تهدد التحركات المصرية. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت عملية تأمين أجنحة القوات المصرية في المجدل وخط المواصلات في اسدود وفتح الطريق أمام كل تحرك من المجدل شرقاً في اتجاه بيت جبرين والقدس للاتصال بالجيش الأردني. كل ذلك يفرض بالضرورة احتلال مستعمرة نجبا.

في أول حزيران ١٩٤٨، صدرت الأوامر إلى كتيبة مشاة، ومعها كتيبة دبابات خفيفة، وفصيلة من المناضلين العرب، وبطاريتي مدفعية ميدان، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات بالهجوم على مستعمرة نجبا. وبدأت المدفعية بقصف المستعمرة من منطقة المجدل. وفي يوم ٢ حزيران تابعت المدفعية تركيز نيرانها بشدة على المستعمرة، وتقدمت الموجة الأولى للهجوم، وفتح المناضلون ثغرة في سياج الأسلاك الشائكة ولكنها لم تكن كافية، فقامت إحدى الدبابات بفتح ثغرة ثانية تقدمت منها داخل المستعمرة وتبعتها باقي الدبابات حيث اشتبكت مع المعاقل ودمرت بعضها. وتمكنت عناصر المشاة الأمامية من احتلال موقع أسلحة واحد ولم يتمكن باقي الفصيلة من متابعة الدبابات لشدة النيران. وفي الفجر تقدمت الموجه الثانية وأحكمت إغلاق الثغرة وكان واجبها استغلال نجاح الموجة الأولى واحتلال القطاع الأيمن من المستعمرة. ونظراً لاستخدام العدو للمدافع المضادة للمدرعات فإنها لم تتمكن من دخول المستعمرة. وفي العاشرة صباحاً صدرت الأوامر بالانسحاب بعد أن وصلت معلومات تفيد بأن الصهاينة يحشدون قوات كبيرة للقيام بهجوم مضاد على الجانب الأيمن. وبدأ العدو بفتح النار من مدافع الهاون على الدبابات، فانسحبت القوات المشتركة في العملية تحت ستار نيران الدبابات ثم انسحبت هذه تحت ستارة دخانية. وتمت عملية الانسحاب في الثانية والنصف بعد الظهر، وعادت كل القوة إلى المجدل.

وخلال هذه العمليات كانت قوات أحمد عبد العزيز -الفدائيين- قد وصلت جنوب القدس بحوالي سبعة كيلومترات، واحتلت بيت لحم. واستطاعت في يوم ٢٤ أيار ١٩٤٨ تحقيق الاتصال مع القوات الأردنية.

٢. الجبهة الأردنية:

بدأت المعارك بين المناضلين العرب والعدو الصهيوني في القدس الجديدة يوم ١٥ أيار وحوصر الصهاينة في الحي اليهودي من القدس القديمة في حين أنهم استولوا على مواقع الجيش البريطاني (مركز البوليس والسجن المركزي والبنك ومختلف الأبنية الرسمية في المسكوبيه). وفي يوم ١٧ أيار ١٩٤٨ وصلت طلائع القوات الأردنية (الفيلق العربي) إلى القدس واحتلت شارع المصرارة خارج السور، كما تقدمت إلى باب الخليل. وفي يوم ١٨ أيار تتابع وصول القوات الأردنية ومعها المصفحات التي تمركزت في حي الشيخ جراح مقابل كنيسة (نوتردام). وظل الحي اليهودي يدافع ضد الهجمات الأردنية حتى استسلم وأسر الجيش الأردني الرجال من اليهود.

وفي ٤ حزيران هاجم العدو حي الشيخ جراح، واستمر الهجوم حتى ٩ حزيران ولكن هذا الهجوم انتهى بالفشل. وفي الشمال أخلى الصهاينة مستعمرة عطروت يوم ١٦ أيار. ثم اتجهت القوات الصهيونية لفتح طريق تل أبيب – القدس وفك الحصار عن الأحياء في القدس الجديدة. وفي ٢٦ أيار هاجم العدو اللطرون فصدته القوات الأردنية، واستمرت هذه المحاولات حتى ٣٠ أيار حيث استولى الصهاينة على باب الواد. وفي ٦ حزيران حولوا اتجاههم نحو فتح طريق جديد يتجنب اللطرون ويمتد من باب الواد إلى دير محيش ويسمى (طريق بورما) وفي يوم ٩ حزيران كرر الصهاينة هجومهم على القدس

وعلى حي الشيخ جراح لفك الحصار عن جبل المكبر. ولكن هذا الهجوم مُني بالفشل.

٣. الجبهة السورية:

قام الجيش السوري بالهجوم المتفق عليه في الوقت المحدد من ١٥ أيار وزج قوة لواء واحد في سمخ على الضفة الجنوبية لبحيرة طبريا. تقدم نحو (١٠) كيلومترات ووصل إلى دغانيا وتوقف لأن قواته كانت لا تسمح بالتقدم بين المستعمرات. وبينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات القائمة في وادي الأردن تساندها الطائرات العراقية، كانت الطائرات المعادية تقصف قرية حارب السورية ومعسكر الجيش السوري في اليوم الذي احتل فيه سمخ ١٥ مصفحة و١٠ دبابات، واقتصرت في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد، بينما كانت المشاة في جهات الكرنتينا وعند مفترق الطريق جنوب سمخ.

وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ أيار بدأ الصهاينة انسحابهم من المدينة تاركين عدداً من القتلى بينهم (٣) من القادة أحدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة. وكانت المدفعية السورية تدمر التحصينات وتقصف محاور تقدم قوات الدعم الصهيونية إلى سمخ، مثل محور سمخ- دغانيا. ومحور سمخ إلى مستعمرات فيكيم ومنها إلى مسعدة. وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ صعباً تكبد العدو خلاله خسائر فادحة . وعندما سقطت سمخ بيد السوريين رحلت العائلات الصهيونية من المستعمرات القائمة في وادي الأردن. واستمر الصراع بعد ذلك، واستخدم الصهاينة مدافع الهاون على نطاق واسع، وتمكنوا من تدمير إحدى المصفحات السورية التي كانت تتقدم نحو دغانيا بمحاذاة شاطئ بحيرة طبريا،

كما دمروا مصفحة أخرى عندما وصلت إلى أبواب المستعمرة، وطرأ عطل على مصفحتين وقعت إحداهما بيد العدو، الأمر الذي جعل السوريين يبطؤون في تقدمهم بالمشاة. ولكنهم تابعوا قصف المستعمرة بالمدفعية والرشاشات الثقيلة وكان الصهاينة يردون عليها بمدافع الهاون ٣ بوصة.

٤. العمليات في قطاع الجيش العراقي:

في يوم ١٥ أيار هاجم لواء عراقي مستعمرة (جيشر) وتوقف أمامها، وانسحب الرتل الأول العراقي في يوم ٢٠ أيار من جسر المجامع إلى السامرة وأحضر قوات دعم جديدة من العراق. وفي ٢٨ أيار هاجم الصهاينة بقوة لوائي مشاة من العفوله، وفي ٢ حزيران قام الجيش العراقي بهجوم مباغت على العدو، وأوقع في صفوفهم خسائر فادحة غير أن الأوامر صدرت إلى القوات العراقية بعدم استثمار الظفر والمطاردة. وبالفعل تم التوقف في انتظار موعد الهدنة الأولى، وتقدمت قوات من المناضلين الفلسطينيين واستردت القرى العربية غرب منطقة جنين، وبقي الوضع على حاله حتى انتهاء الهدنة حيث عاود المناضلون الهجوم على العدو وانضمت إليها القوات العراقية، واستولت على المواقع الصهيونية في منطقة جنين الغربية.

ومما سبق يظهر أن الجيوش العربية نجحت خلال الأيام الأولى من الحرب في السيطرة على أقسام كبرى من فلسطين، وكانت الخطوط الأمامية المصرية تصل شمالاً حتى مدينة بيت لحم ومستعمرة تلبيوت في ضواحي القدس الجنوبية، والى الغرب حتى حدود منطقة يافا الجنوبي وخليج العقبة بأكمله وحتى أطراف البحر الأحمر الشمالية. وسيطر الجيش السوري وجيش الإنقاذ على الجليل بأكمله حتى جنوب بحيرة طبريا، ماعدا بعض المستعمرات في الجليل

الشرقي. وكان الجيش اللبناني يقف غير بعيد عن عكا. وكانت خطـــوط جيـش الإنقاذ الأمامية تمتد إلى جنوب قرى مدينة الناصرة. وسيطر الجيـــش العراقـي على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب. وكانت خطوطه الأمامية من الشمال إلى مـــا وراء مدينة جنين ومن الغرب بيارات طولكرم وقلقيلية على بعد ثمانيـــة أميـــال ومنطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله واللد والرملة حتى التقى بـــالجيش العراقي في الشمال وبالجيش المصري في الجنوب والغرب.

وكان من السهل على الجيوش العربية احتلال المنـــاطق القليلـــة الباقيـــة مـــن أرض فلسطين والتي احتلها الصهاينة أثناء وجود القـــوات البريطانيـــة لا سيما وأنهم يقوموا خلال هذه الفترة بتنظيم مقاومة جدية وفق خطـــه اســتراتيجية واضحة بسبب قناعتهم بعدم جدية المعركة من ناحية، وبسبب اعتقـــادهم الثـــابت بنجاح معركتهم السياسية المدعومة من بريطانيا وأمريكا بصورة خاصة. ولـــهذا كان موقفهم سلبياً. وتمثل بالدفاع في المستعمرات وراء التحصينات، وحتى هـــذه المقاومة لم تكن منظمة في إطار نظام دفاعي موحد. مما ساعد الجيوش العربيـــة على اجتياح المناطق المحددة لها بسرعة. ولكن سرعان مـــا توقفـــت اندفاعـــة الجيوش العربية عند حدود المواقع فقد توقف الجيشان الأردني والعراقـــي منـــذ أيام القتال الأولى عند حدود المواقع المحددة لهما ودون تجاوزها إلى المنطقـــة المخصصة للصهاينة في قرار التقسيم. وتردد الجيش الأردني كثـــيراً قبـــل أن يستجيب للنداءات العربية في مدينة القدس التي اعتبرها قـــرار التقســيم دوليـــة، واستغل العدو هذا الاعتبار، وابتعاد الجيوش العربية عنها في أول مراحل القتـــال، فأخذت في احتلالها مع تضييق الخناق على آخر الأحياء العربية. التي تجمعـــت فيها قوى المجاهدين الفلسطينيين. وكذلك فقد توقف الجيش اللبناني، ولم يحقق أي تقدم يذكر بسبب اصطدامه بسلسلة من المســتوطنات المركـــزة علـــى الحـــدود

الشمالية. في حين اصطدام الجيش السوري بتحصينات خط أيدن القـــوي علـــى الحدود السورية الفلسطينية. والذي سلمه الإنكليز إلى الصهاينة قبل جلاءهم.

الهدنة الأولى:

خلال مرحلة القتال الأولى، وفي غمرة الذهــول مــن تصرفــات بعــض الجيوش العربية، وتوقف بعضها واتخاذه موقف الدفاع دون سبب واضح، وجـــد قادة العدو الصهيوني أنفسهم في موقف العزلة بعد أن سيطرت الجيوش العربيـــة على جميع أنحاء فلسطين، فاستنجد هؤلاء القادة بأمريكا التي أعلنت (بأن الحالـــة في فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر)، وأسرعت إلى مجلس الأمن مطالبة إيـــاه بالتدخل السريع والحاسم لإيقاف القتال ولو بالقوة وتطبيـــق العقوبـــات. وكذلـــك أسرعت بريطانيا، وعملت على اتخاذ إجراءات مزدوجة ضـــد العـــرب وضـــد تدخلهم العسكري في فلسطين. فمن جهة راحت تنذر الدول العربية بوقف القتـــال فورا وتهددها إن هي استمرت في عملياتها العسكرية. ومن جهـــة أخـــرى فقـــد لجأت إلى مجلس الأمن مطالبة بتدخله واحتياطا لكل موقف مضاد من حليفاتـــها العربية تحت تأثير ضغط الدول العربية الأخرى، وشـــعوبها أكملـــت إجراءاتـــها بإبلاغ الدول العربية المرتبطة معها بمعاهدات أنـــها ســـتوقف فـــورا تزويدهـــا بالسلاح والعتاد إن لم تستجب لنداء وقف القتال.

وكان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٢ أيار ١٩٤٨، بنـــاء علـــى اقـــتراح بريطاني، توجيه نداء بوقف القتال في فلسطين خلال ٣٦ ساعة تبدأ من منتصف ليل اليوم نفسه. وقد رفض العرب هذا النداء بمذكرة وجهها أمين الجامعة العربية إلى مجلس الأمن، فاستمرت أمريكا ومعها بريطانيا في ممارسة الضغوط علـــى مجلس الأمن إلى توجيه الدعوة لإيقاف القتال لمدة أربعة أسابيع وفـــق مشـــروع

مشروع بريطاني ويتضمن وعداً بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة أو اعتدة إلى فلسطين خلال هذه الفترة، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده.

وفي الثاني من حزيران ١٩٤٨، أبلغت الجامعة العربية مجلس الأمن عن موافقة الدول العربية على قراره، مع أملها بأن يتمكن الوسيط الدولي الكونت برنادوت الذي عينه المجلس منذ ٤ أيار ١٩٤٨، ولجنة الهدنة التي عينها قبل ذلك في ٢٢ نيسان ١٩٤٨. من إيجاد حل عادل لقضية فلسطين. وكان الصهاينة قد وافقوا على نداء الهدنة فور صدوره، مع التأكيد على رفض كل حل يتعارض مع واقع دولتهم الجديدة. وفي صباح ١١ حزيران توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع (وهو التوقف الذي عرف باسم الهدنة الأولى).

ولم يكن لدى الكيان الصهيوني خلال المرحلة الأولى من الحرب أكثر من (١١) طائرة للتدريب من نوع (تايغر) ولهذا فقد ركزت جهدها للإفادة من فترة الهدنة لشراء الطائرات المقاتلة، ونجحت القيادة الصهيونية في عقد صفقة مع جيكوسلوفاكيا لشراء طائرات(سبيتفاير) و(مسرشميت) ووصل إلى الكيان الصهيوني (٢٠) طائرة، علاوة على (٢٠) طائرة تم نقلها على شكل قطع غيار. ونجح المندوبون السريون وعملاء الكيان الصهيوني في شراء طائرتين من طراز (ب-١٧) من أميركا وهي مجهزة بحوالي (١٠-١١) مدفعاً، إضافة إلى قدرتها على إلقاء أربع أطنان من القنابل، وفي مجال التسلح للقوات الأرضية حصل الكيان الصهيوني على أسلحة من جيكوسلوفاكيا وهي (١٠) آلاف بندقية و(٤٥٠) مدفعاً رشاشاً، و(٦) مدافع عيار ٦٥ ملماً ومجموعة مدفعية ٧٥ ملماً. وقد عمل الكيان الصهيوني على استنفار جميع إمكاناتها وتعبئة جميع مواردها البشرية للحرب. ومقابل ذلك حاولت بعض الدول العربية – سوريا خاصة.

الحصول على الأسلحة، واستطاعت عقد صفقة مع جيكوسلوفاكيا بقيمة (١١) مليون دولار لشراء (٨) آلاف بندقية وعشرة ملايين طلقة وكمية من القنابل اليدوية ومختلف أنواع الذخائر. وأحيطت هذه الصفقة بمجموعة من المؤامرات انتهت بنقل الأسلحة في مياه جزر الدوديكانيز إلى سفن صهيونية وإغراق الباخرة الإيطالية (جيرو) التي كانت تنقل الأسلحة.

إثر هذه التدابير تطور موقف الكيان الصهيوني وأصبح بإمكانه الانتقال من مرحلة الدفاع الثابت إلى الهجوم خلال المرحلة الثانية من الصراع. ولقد حاولت القوات العربية تطوير موقفها بصورة خاصة قيادة القوات المصرية، في أعقاب الموافقة على الهدنة الأولى بمذكرة إلى رئاسة الجيش تطلب فيها رفع القوة إلى فرقة مشاة كاملة ومجموعة لواء مشاة مستقل، مع زيادة حجم القوات المدرعة لتكوين مجموعة مدرعة كاملة ودعم الموقف الإداري بجميع عناصره. وعملت قيادة الجيش على تلبية بعض المتطلبات، فأرسلت كتيبة مشاة وكتيبة مدافع رشاشة من كتائب الاحتياط وسرايا المهندسين، وأكملت بقية أسلحة الدعم للفرقة بحيث أصبحت القوات المصرية بعد فترة قصيرة تضم فرقة مشاة كاملة مع أسلحة الدعم والوحدات الإدارية الضرورية للفرقة. وقد حددت واجبات القوات المصرية خلال فترة الهدنة بتأمين خط المواصلات وتطهير المستعمرات المشرفة عليها ثم العمل بعد ذلك بحيث تصبح القوات المصرية مستعدة للتقدم نحو جنوب تل أبيب في نفس الوقت الذي تكون فيه بقية الجيوش العربية مستعدة لإجراء مثل هذا التقدم من جانبها.

ولم تلتزم القيادة الصهيونية بمقررات هيئة مجلس الأمن. واستغل الصهاينة فترة الهدنة الأولى لتحسين موقفهم الحربي وإعادة تنظيم قواتهم مما مكنهم من مجابهة الجيوش العربية في المرحلة الثانية من الحرب بكفاءة. وفي

هذا المجال قام الصهاينة باحتلال الخط الدفاعي المواجه للخط الذي وصلت إليه القوات المصرية. مع تأمين تموين المستعمرات الجنوبية والمواقع المعزولة إما بالطائرات أو بارتال العربات، والتسلل عبر الخط المصري بين المجدل والخليل، مع الحصول أحياناً على تصريح بذلك من لجنة الهدنة.

واتخذ الكيان الصهيوني التدابير الضرورية لفتح ثغرة في الخط المصري المجدل – الخليل عند استئناف القتال لإعادة الاتصال مع المستعمرات الجنوبية والاستعداد لتطهير طريق القدس– بئر السبع– العسلوج، وقامت باستطلاع المواقع المصرية وذلك عن طريق ارتال التموين أو الطائرات بحجة إرسال تموين للمستعمرات الجنوبية. وتحقيقاً لهذه الغاية، قام الصهاينة في يوم ١١ حزيران – وهو نفس يوم إعلان الهدنة – بالهجوم على بلدة العسلوج ولم تكن بها قوات عسكرية مصرية كبيرة، واحتلوا البلدة فعلاً، واستغلوا تعليمات وقف القتال للاحتفاظ بموقعهم فيها، وتقدمت قوات صهيونية عسكرية أخرى فاحتلت قرية الجسير شمال الفالوجا، وبلدة عبديش شمال بيت عضه، وتبه الخيش عند تقاطع الطريق بجوار (عراق سويدان)، وبلدة جوليس على تقاطع الطريق الشرقي وطريق (المجدل – قسطينة) وطردت أهالي هذه البلاد منها، وضمنت بذلك خطأ دفاعياً في مواجهة الخط المصري. وأخذت تنظم تحصيناتها ومواقعها.

وفي ١٤ حزيران احتلت بعض المصفحات الصهيونية بلدة كوكبا بعد أن طردت الأهالي منها وذلك استعداداً لفتح طريق جوليس كوكباً – الحليفات عند استئناف القتال. وفي الوقت ذاته كانت تتكرر الاشتباكات بالنيران بين القوات العربية والقوات الصهيونية على مختلف الجبهات، وكان هدف هذه الاشتباكات تغطية أعمال دوريات الاستطلاع الصهيونية، ورفع الروح المعنوية لأفراد

المستوطنات، وفي نهاية شهر حزيران أخلى الإنكليز ميناء حيفا، مع إنهم كانوا قد أعلنوا أن انسحابهم النهائي منه سيكون في شهر آب ولكنهم انسحبوا منه أثناء الهدنة ومكنوا الصهاينة من الاستيلاء عليه.

وعلى الرغم من تعهدات مجلس الأمن ودوله الكبرى بخطر إرسال الأسلحة والمتطوعين إلى أي من الطرفين خلال فترة الهدنة، فقد بادر الصهاينة إلى جلب المتطوعين ونقلهم إلى فلسطين، حين وقفت كل الدول الكبرى في وجه كل محاولة عربية للحصول على السلاح، وطبقت معظم دول العالم بتأثير من بريطانيا وأمريكا، قرار حظر إرسال الأسلحة إلى البلدان العربية بكل دقة حتى أن الأسلحة إلى بعض البلدان العربية المقرر إرسالها من قبل بريطانيا وفق نصوص المعاهدات والاتفاقات أوقف إرسالها وحجزت في الموانئ البريطانية، وخلال هذه الفترة كان الوسيط الدولي الكونت برنادوت يمارس دور الوساطة ويضع مقترحاته للعرب والصهاينة مشترطاً قبولها من الطرفين لتكون أساساً عملياً للتسوية النهائية. وقد رفض العرب والصهاينة على السواء هذه المقترحات والتوصيات. فرفضتها العرب لأنهم رأوا فيها إصراراً على تقسيم فلسطين وعلى استمرار الهجرة الصهيونية إليها، الأمر الذي عارضوه دائماً وثاروا ضده وحاربوه مطالبين باستقلال فلسطين وقيام حكومة واحدة على أسس صحيحة، ورفضها الصهاينة لأنهم رأوا فيها حداً لإطماعهم ومخططاتهم التوسعية، ولأنها غيرت في شكل دولتهم كما حددوها وأرادوها في مرحلتها الأولى، فقد شعروا بعد وقوف دول الاستعمار إلى جانبهم علناً في فترة الحرب وخلال مدة الهدنة ما شجعهم على تكوين قناعة بالفوز وتحقيق مطالبهم كلها خلال هذه المرحلة، وحاول الصهاينة تمديد فترة الهدنة ثلاثين يوماً، ولكن محاولتهم فشلت. وانتهى الأمر إلى تجدد الصراع.

المرحلة الثانية للحرب:

١. الجبهة المصرية:

بدأت العمليات على الجبهة المصرية في المرحلة الثانية بقيام المصريين في ٧ تموز ١٩٤٨، بمحاولة احتلال بيت دوراس الواقعة جنوب شرق أسدود، وكان يوجد لها تجمعات للعدو في منطقة الصوافير الغربية والصوافير الشرقية، واستطاعت قوات الهجوم اقتحام المستوطنة، ولكن حدث خطأ في إطلاق الشهب المتفق عليها فانسحبت القوة المهاجمة وعاود العدو احتلالها.

وفي يوم ٨-٩ تموز دفعت سرية سعودية لاحتلال المرتفعات المحيطة ببلدتي كوكبا والحليقات. ثم قامت كتيبة المشاة الثانية بهجوم على بلدة كوكبا ومعها سرية دبابات وبعض السيارات المدرعة وحققت قوات الهجوم مباغته تامة ونجح المصريون بالاستيلاء على البلدة وتطهيرها في الساعة السابعة من صباح يوم ٩ تموز، ثم تابع قائد كتيبة الهجوم تطوير عمليته، وأسرع لاحتلال الحليقات، وبعد قتال مرير استمر ساعتين تقريباً انسحبت القوة المعادية. وفي يوم ٩ تموز تابع المصريون هجومهم للاستيلاء على كفارديروم الواقعة على جانب طريق رفح – غزة. وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٩ تموز احتلت كتيبة المشاة الثالثة قواعد الهجوم ومعها جماعتا مدافع هاون ٣ بوصة، وجماعتا مدافع ٦ رطل، وجماعة اقتحام، وجماعتا مدافع مضادة للدبابات عيار ٦ رطل، ووحدة مدفعية ميدان خفيف ٣,٨ بوصة، كما اشترك مع هذه القوة ٨٢ من المتطوعين، وبدأ الهجوم ليلاً وأمكن الانتهاء من عملية الاستيلاء على المستعمرة وتطهيرها في يوم ١٠ تموز.

وقد أجريت محاولات لاحتلال بيت عفه وعبديس ونجبا، وتكبد المصريون خسائر فادحة، ولكن الصهاينة أفادوا من تحصين مواقعهم ودعمها، ففشلت محاولات الهجوم، ولم تنجح سوى محاولة الاستيلاء على بيت عفه. وقامت القوات الصهيونية بتنظيم هجوم قوي لاستعادة بيت عفه في ظهر يوم ١٤ تموز ولكن هذا الهجوم أحبط بقوة، وأعادوا محاولتهم في ليل ١٥ تموز وفشلت هذه المحاولة أيضاً، فأعادوا تنظيم قواتهم وطلبوا دعماً جديداً. وفي يوم ١٧ تموز تعرضت القوات المصرية للقصف المركز والشديد طوال النهار. وقبل منتصف الليل بقليل قام الصهاينة بهجوم مستخدمين قاذفات اللهب الخفيفة للمرة الأولى. وسقطت بعض المواقع. ولكن القوات المصرية أعادت سد الثغرة، فقام العدو بهجوم جديد أمكن إحباطه. وانتهت المعركة في فجر يوم ١٨ تموز بأسر أربعة وقتل (٥٦) مقاتلاً صهيونياً، وغنم (٥) بندقيات وأربعة مدافع بيات، وقاذفتي لهب، واثني عشر مدفعاً رشاشاً، وكمية كبيرة من القنابل اليدوية.

كما استمرت القوات المصرية بحصار مستعمرة الدنجور، وحاولت الاستيلاء على مستعمرة بيرون إسحق، ولكن القوات انسحبت بعد أن وصلت إليها المعلومات حول هجوم مضاد للقوات الصهيونية. كما جرت محاولة احتلال مستعمرة العسلوج في ١٧ تموز ولكن المحاولة توقفت عند حدود السيطرة على المستعمرة بالنيران من التلال المجاورة. وقد حاولت القوات الصهاينة الاستيلاء على الفالوجا في مساء يوم ١٧ تموز ١٩٤٨، بيد أن محاولتها فشلت أمام عناد القوات المصرية ومقاومتها الضارية ولكن القوات الصهيونية نجحت في الوصول إلى كرانيا واحتلالها.

٢. الجبهة الأردنية:

بدأت هذه المرحلة باستيلاء الصهاينة على اللد والرملة. وكانت القوات العربية المدافعة عن اللد لا تزيد عن (٧٥) مقاتلاً من جيش الجهاد المقدس، و(٦٥٠) مقاتلاً من مجاهدي القرى المجاورة، (٤٠) جندياً من الجيش العربي الأردني في حين حشد الصهاينة قوة (٥٠٠٠) مقاتل، أكثرهم من وحدات الصاعقة (البالماخ) مزودين بأحدث الأسلحة، وكانت كل وحداتهم متحركة مما زاد من مرونتها ونجاح مناوراتها لعزل المدينة بعد تطويقها. واستمرت المعركة يومين خسر فيها العرب (١٣٠٠) قتيل، استشهد منهم (٨٠٠) في ساعات القتال الأولى علاوة على العرب (٤٢٦) شهيداً قتل أكثرهم في المساجد.

ودخل الصهاينة اللد مساء ١١ تموز. وفي يوم ١٣ تموز أرغم الصهاينة بقية السكان العرب على الهجرة. وكان فيها أكثر من (٥٠) ألفاً. وبعد سقوط اللد بساعتين بدأت معركة الرملة. وكانت بها سرية من الجيش العربي الأردني، ولكن هذه السرية غادرت الرملة مساء ١١ تموز كما غادرها المجاهدون في منتصف الليل، ودارت رحى المعركة بين (٥٠٠) جندي مشاة صهيوني مع (٤) عربات تحمل رشاشات (برن) وبين فصيلة فقط من الجيش العربي الأردني. كانت تحتل عمارة البوليس يدعمها (٥٠) مناضلاً. وقد فشل الهجوم الصهيوني الأول نتيجة للمقاومة العربية العنيفة، وترك المهاجمون عرباتهم المدرعة وجرحاهم فوق أرض المعركة. وفي ١٢ تموز تقدمت نجدات كبيرة من الصهاينة فطوقت الرملة. وانسحبت بقية القوات الأردنية ودخل العدو الرملة صباح ١٢ تموز وطرد معظم سكانها العرب.

وكانت عملية تسليم اللد والرملة عاملاً حاسماً في مسيرة الأعمال القتالية للمرحلة الثانية من الحرب. فالمدينتان لا تبعدان عن تل أبيب اكثر من خمسة عشر كيلومتراً، وتشكلان موقعاً استراتيجياً هاماً. ولقد أهمل غلوب باشا القائد الإنكليزي للقوات الأردنية، عن عمد تحصينها وحشد القوات الكافية فيهما. وكان من نتائج سقوط المدينتين كشف ميمنة الجيش المصري وتهديدها بطريق غير مباشر. بالإضافة إلى ذلك، فقد حصل العدو على محور مضمون للاتصال مع القدس مع الاستيلاء، على قاعدة جوية هامة (قاعدة اللد). وكان لسقوط المدينتين بالإضافة إلى ذلك أثر نفسي تمثل في إحباط الروح المعنوية للمقاتلين العرب على الجبهات جميعها.

الهدنة الثانية:

في هذه الفترة كان الصراع السياسي مستمراً وتقدمت أمريكا بمشروع هدنة ثانية، وفرضها على اعتبار أن الوضع في الشرق الأوسط يشكل خطراً على السلم. ووجهت إنذارا بغرض العقوبات الاقتصادية على من ينتهك الهدنة، ووافقت الجامعة العربية على الهدنة الثانية التي بدأت في ٨ تموز ١٩٤٨، لكن القيادة الصهيونية لم تحافظ على شروط الهدنة وقامت بخرقها فنظمت هجوماً على الفالوجا في ٢٧ –٢٨ تموز ١٩٤٨. وفشل هذا الهجوم أيضاً. ونظمت القيادة الصهيونية هجمات للاستيلاء على عراق المنشية في ليل ٢٧ تموز وكان نصيبه الفشل. فأخذت في وضع مخطط جديد من أجل فتح الطريق إلى الجنوب (النقب) وقامت بتنفيذ (عملية الضربات العشر) و(عملية عين) في الجنوب كما نظمت عملية ضد جيش الإنقاذ في الشمال (الجليل الأعلى).

العمليات الصهيونية بعد الهدنة الثانية:

١. عملية الضربات العشر:

قام الكيان الصهيوني بعد الهدنة الثانية بمجموعة عمليات على الجبهة المصرية أدت إلى احتلال النقب والوصول إلى إيلات على خليج العقبة. كان الهدف من هذه العملية فتح الطريق إلى النقب، وتحديد مواقع انتشار القوات المصرية واستثمار نقاط الضعف في تنظيماتها الدفاعية حتى أقصى الحدود وعزلها من موارد إمدادها وقطع طرق انسحابها وضرب المراكز الإدارية وقد استطاعت عملية الضربات العشر تحقيق هذه الأهداف كلها وتم تنفيذها في الفترة بين ١٥-٢١ تشرين الأول ١٩٤٨.

عند ابتداء الهدنة الثانية، في ١٨ تموز ١٩٤٨، كانت القوات المصرية لا تزال مسيطرة على مواقعها في الجنوب مشكلة حاجزاً بين المستعمرات الجنوبية في النقب وبين المستعمرات في شمال فلسطين. وذلك عن طريق غرض سيطرتها على محاول التحرك الساحلية إلى الشمال من اشدود وإمساكها بمحور العوجا والعسلوج وبيت لحم ومحور مجل - بيت جبرين، ووضعت القيادة الصهيونية مخططها للقيام بهجمات مباغتة، مع توجيه هجمات مباشرة ضد كل نقطة تحتلها القوات المصرية.

وفي ١٥ تشرين الأول قامت القوات الجوية الصهيونية بضرب مطار العريش وبعض الأهداف الأخرى مثل غزة، بيت حانون، المجدل، الفالوجا، مع تركيز الضربات ضد القوات الجوية المصرية لوضعها خارج المعركة والحد من فاعليتها. وبذلك أصبحت محاور إمداد القوات المصرية مهددة. كما أصبحت حركة القوات مقيدة وأمكن بذلك عزل قوات مصرية كبيرة وحرمانها من

الاشتراك في المعركة. وفي الوقت ذاته انطلقت قوات صهيونية للسيطرة على التلال التي لم يحتلها المصريون في منطقة بيت جبرين، وفي صباح يوم ١٦ تشرين الأول وعلى الرغم من عدم حدوث اشتباك قوي مع القوات المصرية، فان محاور تحرك القوات المصرية أصبحت مقطوعة في الشمال ومهددة في الغرب، ثم انطلقت القوات المدرعة والميكانيكية الصهيونية نحو عراق المنشية والتل القديم. ودارت المعركة مع المدفعية، واستطاع المصريون تدمير عدد من الدبابات فاضطرت المشاة الصهيونية إلى الانسحاب. واستمر الصراع بعد ذلك حول الدفاعات المصرية عند التلال المختلفة. وفي ليل ١٦ – ١٧ تشرين الأول استطاع الصهاينة اقتحام بعض المواقع والاشتباك مع المصريين بقتال عنيف وأمكن للصهاينة في النهاية السيطرة على المرتفع مع عدد من المرتفعات الأخرى. وخلال هجوم هذه الليلة كانت قوات صهيونية أخرى تهاجم التلال جنوب غرب القدس لتدمير الجناح الأيمن المصري.

وفي يوم ١٧ تشرين الأول قام المصريون بهجوم مضاد قوي وحاسم بهدف إعادة الاتصال بين المجدل ومنطقة الفالوجة، واستطاع الصهاينة مقاومة الهجوم المصري وإحباطه بفضل تفوقهم في التسلح. وخلال اليومين التاليين وبينما كانت القوات المصرية تعزز مواقعها عند عراق سويدان وحتى عراق المنشية، وهي المنطقة التي عرفت باسم جيب الفالوجة، وكانت القوات الصهيونية قد نجحت في احتلال الحليقات في ليل ١٩–٢٠ تشرين الأول، وأصبح بإمكان القوات الصهيونية التدفق نحو الجنوب الذي بقي معزولاً عن الشمال منذ كانون الأول ١٩٤٧ وحشد الكيان الصهيوني في هذه المنطقة قوة لواء للمحافظة على الاتصال بين النقب وشمال الكيان الصهيوني. وأمام هذا الموقف اضطرت القوات المصرية إلى إخلاء منطقة المجدل بعد أن أصبحت محاورها مهددة،

وتابعت القوات الصهيونية هجماتها لتضييق الحصار على المصريين واقتطاع أجزاء جديدة والسيطرة على بيت لحم. وعندما سقطت عراق سويدان في قبضة القوات الصهيونية يوم ٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ كان جيب المقاومة المصري قد فقد في الواقع أقوى نقطة يمكنه الاستناد إليها.

٢. عملية عين:

أصبحت أوضاع القوات المصرية بعد تدهور الموقف تعتمد على التنظيم دفاعياً. بحيث يستند الجناح الأيسر إلى الطريق الساحلي بعد غزة، في حين يستند الجناح الأيمن إلى طريق العوجة – الخليل حتى بئر العسلوج جنوب غرب بئر السبع. وكانت أجنحة القوات المصرية تلتقي عند محور طريق رفح – العوجة. والذي يمر جزئياً في الحدود المصرية. ويتفرع عنه بعد ذلك والى مسافة من جنوبي الطريق الذي يصل العريش بأبي عجيله وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك القوات المنزولة في جيب الفالوجة، وعلى الرغم من أن موقف قوات الجيش الصهيوني لم يعد يسمح بممارسة أعمال هجومية، إلا أن قوات الجيش المصري بقيت محافظة على مواقع جيدة.

وقد وضع الكيان الصهيوني مخططه للهجوم على القوات المصرية بطريقة تشابه مخطط هجوم اللنبي (١٩١٧) و تتلخص في دفع القوات المصرية من الجنوب، والضغط عليها، مع توجيه الضربة القوية إليها من الشمال مع تجميد أكبر قوة مصرية في القطاع الغربي، ثم العمل على تدمير الجناح الأيمن المصري أو إرغامه على الانسحاب. وفي يوم ٢٢ كانون الأول ١٩٤٨ قامت القوات الجوية الصهيونية بهجمات مركزة على المواقع المصرية في رفح وغزة وخان يونس، ثم فتحت النيران لتدمير المدفعية المصرية على امتداد الجبهة. وفي

الليلة ذاتها احتلت القوات الصهيونية المرتفعات التي لا تبعد اكثر من ثمانية أميال جنوبي غزة، مهددة بقطع محور طريق رفح غزة فقامت القيادة المصرية بتنظيم هجوم مضاد مع تعزيز مواقعها في مواجهة القوات الصهيونية التي أخذت تهدد منطقة رفح – غزة.

وعلى الرغم من نجاح المصريين في طرد القوات الصهيونية من المرتفع ٨٦، بعد قتال ضار، إلا أن هذه العملية كانت خادعة بحيث استطاع الهجوم الصهيوني من القطاع الشرقي تحقيق المباغتة التامة. واضطرت القوات المصرية للتراجع عن طريق بئر السبع – العوجة وإخلاء العوجة ذاتها، واستخدمت القوات الصهيونية طريقاً رومانياً قديماً يصل إلى ما وراء العوجة، وبذلك أمكن لها تحقيق المباغتة العملياتية. وهذه الطريقة أصبحت لدى القيادة الصهيونية الورقة السياسية التي تستطيع أن تساوم بها لابتزاز مواقف تدعم من مكانة الكيان الصهيوني فوق الأرض العربية المحتلة، وأصبح بإمكانها التصرف بحرية للوصول إلى خليج العقبة وإيلات.

٣.عملية احتلال الجليل:

بعد انسحاب جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي إلى الجليل الأعلى انتشر على شكل مستطيل يحتل جبهة طولها ١٥ كم وعمقها ١٠كم، وعندما اشتدت هجمات القوات الصهيونية على القوات المصرية، قرر القاوقجي القيام بعملية هجوم على المنارة (فوق وادي الحولة، وعلى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر). ولكن الكيان الصهيوني طبق أسلوب العمل على الخطوط الداخلية، ووضع خطته على أساس عزل جيش الإنقاذ عن قاعدة تموينه في لبنان، والقيام بهجمات خادعة على قوات القاوقجي لمنع التعاون فيما بينها، وتوجيه ضربة

رئيسية إلى أحد الألوية والانتقال بعد ذلك للألوية الأخرى. وفي ليل ٢٨ تشرين الأول بدأت العملية التي يطلق عليها الصهاينة اسم عملية حيرام. وعلى الرغم من المقاومة الضاربة والقتال العنيد فقد نجحت القوات الصهيونية في احتلال الجليل الأعلى وإخراج جيش الإنقاذ من فلسطين.

كان الموقف على الجبهات العربية سيئاً وبدأ معه ظهور مشكلة اللاجئين العرب، فقد قدر عدد المهاجرين بسبعمائة ألف، تجاوز منهم (٢٥٠) ألف حدود فلسطين، وتشرد الباقون في المدن والقرى التي كانت لا تزال آمنة. وخلال هذه الفترة كانت الجهود الدولية تبذل لإيقاف الصراع على الجبهة المصرية، وفي يوم ٢٢ تشرين الأول ١٩٤٨، أصدرت القيادات أوامرها بإيقاف إطلاق النيران لجميع القوات اعتباراً من ظهر اليوم نفسه، ولكن القوات الصهيونية لم تلتزم أيضاً بهذا القرار فعملت ثلاث قطع بحرية صهيونية على إغراق السفينة المصرية (فاروق) يوم ٢٢ تشرين الأول ١٩٤٨، ولم يمض على إيقاف إطلاق النار أكثر من ساعات قليلة. كما قامت بعملية حيرام ضد جيش الإنقاذ السالفة الذكر. وبالإضافة إلى هذه العملية فقد قام الصهاينة بعد وقف القتال - في الفترة الواقعة بين تشرين الثاني ١٩٤٨ وكانون الثاني ١٩٤٩- بعملية اتجهت من بئر السبع لاحتلال النقب والوصول إلى خليج العقبة، بغية فتح منفذ حيوي على البحر الأحمر، وانتهت العملية بالوصول إلى قرية أم الرشراش المصرية التي غدت فيما بعد ميناء (إيلات).

وكان الكونت برنادوت خلال القتال الذي دار بعد بدء الهدنة الثانية يتابع جهوده ومساعيه لوضع حل يقبل به الطرفان أساساً للتسوية. وعندما تأكد استمالة قبول العرب لأي حل ينطوي على تقسيم فلسطين. واستحالة موافقة الصهاينة على أي اقتراح لا يعترف بدولتهم في فلسطين، اعد مقترحات جديدة بعث بها

بتقرير مفصل من مدينة القدس في يوم ١٧ أيلول ١٩٤٨ ولكن لم تمض سوى ساعات على إرسال تقريره حتى اغتاله الصهاينة بحجة محاباته للعرب.

التوقيع على الهدنة:

عندما شرعت الجمعية العامة للأمم المتحدة تنتظر في القضية الفلسطينية في ضوء الأمر الواقع وتقرير الكونت برنادوت اتخذت قراراً في كانون الأول ١٩٤٨.

أقرت فيه الأمر الواقع مع بعض التعديلات، وتدويل مدينة القدس وحماية الأماكن المقدسة وبذلك يتضح أن مقترحات الكونت برنادوت لم تحظ بتأييد الجمعية العامة التي أصدرت قراراً شاملاً حول القضية الفلسطينية في ١١ كانون الأول ١٩٤٨ يتضمن في جوهره تشكيل لجنة توفيق دولية يكون أعضاؤها من فرنسا وتركيا والولايات المتحدة تقوم بمساعدة الأطراف المتنازعة على التوصل إلى تسوية نهائية لجميع المشاكل القائمة. ويكون لها الحق في ممارسة بعض أو جميع أعمال الوسيط الدولي أو لجنة الهدنة يطلب من مجلس الأمن، وأن توجه اهتمامها لاتخاذ الإجراءات من أجل تنمية فلسطين اقتصادياً والعناية باللاجئين ومنح مدينة القديس معاملة خاصة ووضعها تحت سيطرة الأمم المتحدة.

وبحلول عام ١٩٤٩ رفضت الجمعية العامة أن تراجع قرارها بالتقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧. أو أن تقوم بأية محاولة لفرض الحدود أو الإجراءات السياسية أو الاقتصادية التي وردت فيه، أو ردع الكيان الصهيوني الذي استولى على كثير من مناطق فلسطين العربية خلافاً لما جاء في ذلك القرار. وبهذا فقد بقي كل من لجنة التوفيق الدولية ونائب الوسيط الدولي يعملان في جو مشحون بالعنف وسط الاعتداءات والزحف الصهيوني على المدن العربية

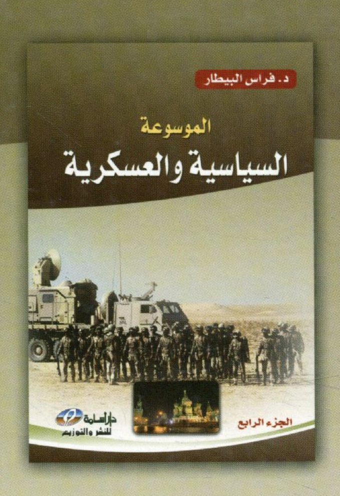
فقد فشل مجلس الأمن في قمع الأعمال العدوانية التي كان يقوم بها الكيان الصهيوني ضد المناطق العربية ووضع حد للمعارك التي كانت تدور رحاها فوق التراب الفلسطيني.

وبينما كانت لجنة التوفيق الدولية تجتمع في جنيف في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٩ وتتهيأ لنقل مقرها إلى القدس. كان الوسيط الدولي بالنيابة (رالف بانش) يرأس مباحثات الهدنة التي بدأت في جزيرة (رودس) قبل تشكيل اللجنة، واستطاع بانش تذليل أهم العقبات التي كانت تحول دون عقد الهدنة وذلك بإقناعه الجانب المصري بالاجتماع بالمندوبين الصهيونيين تحت رئاسته، وقد توصلا الجانبان في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ إلى اتفاق على وقف شامل لإطلاق النار ووقعت الحكومتان على الهدنة في ٢٤ شباط ١٩٤٩، ثم أسفرت المحادثات مع الأردن ولبنان إلى الاتفاق على الهدنة فوقعت لبنان الهدنة في ٢٣ أذر ١٩٤٩ والأردن في ٣ نيسان ١٩٤٩، وقد رفض العراق التوقيع على الهدنة إلا أن سوريا التي رفضت التوقيع في البداية وقعتها بعد بضعة أشهر في ٢٤ تموز ١٩٤٩.

لقد كانت عمليات المرحلة الأولى من الحرب العربية – الصهيونية الأولى ناجحة، رغم جميع المعوقات والظروف غير المتكافئة فقد حارب فيها العرب هجومياً في حين قاتل الصهاينة دفاعياً. وتميزت المرحلة الثانية بوقوف العرب دفاعياً وانتقال الصهاينة للعمل هجومياً على الخطوط الداخلية، والانتقال من جبهة إلى جبهة بحرية تامة مع ترك ستارة وقائية على الجبهات التي يتم الدفاع عنها. ورغم ذلك خاضت القوات العربية خلال هذه المرحلة معارك ضارية. ولكن القيود التي فرضتها القيادات السياسية أعاقت مسيرة الأعمال القتالية، كما أن النقص في التسلح والإمداد والذخائر كان لهما الدور

الحاسم في إعاقة الأعمال القتالية. وفي جميع الأحوال فقد هيمن الطابع السياسي للصراع على دور الأعمال القتالية، وحجبتها بصورة شبه تامة.

وقد كان من نتيجة هذه الحرب ضياع جزء من فلسطين تفوق مساحته القسم المخصص لإنشاء الدولة اليهودية في قرار التقسيم. وترسيخ أقدام الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي. وتحول إلى قاعدة استعمارية أعاقت تطور العالم العربي ووحدته، وجعلت الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط قلقاً وقابلاً للانفجار. وأدت هزيمة الأنظمة والجيوش العربية في هذه الحرب إلى تصاعد النقمة الجماهيرية، واندلاع الثورات والانقلابات للإحاطة بأسباب الهزيمة كمدخل للتحرر.







للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

هاتف: 00962 6 5658252 / 00962 6 5658253
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الإلكتروني: www.darosama.net



ISBN 9957-22-063-2
9 789957 220631